الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الخامس عشر

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٨]- [سورة الأعراف، الآية:١٤٨]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولى(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)} [الأنعام : ١٥٨]

التفسير:

هل ينتظر الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة، أو يأتي بعض أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟ فحين يكون ذلك لا ينفع نفسا إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل، ولا يُقبل منها إن كانت مؤمنة كسب عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: انتظروا مجيء ذلك؛ لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك.

قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" هل ينتظر الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم"[١].

قال مجاهد:"يقول : عند الموت حين توفَّاهم"[٢]. وروي عن ابن جريج نحو ذلك[٣].

عن قتادة : "{إلا أن تأتيهم الملائكة}، بالموت"[٤]. وروي عن السدي مثل ذلك[٥].

قال الزجاج:" أي: إلا أن تأتيهم ملائكة الموت"[٦].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه : هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام {إلا أن تأتيهم الملائكة}، بالموت فتقبض أرواحهم"[٧].

قال أبو الليث:" معناه، أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا فماذا ينتظرون؟ فهل ينتظرون {إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} لقبض أرواحهم"[٨].

وفي قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [الأنعام : ١٥٨]، وجهان:

أحدهما : هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة رسلاً ، يعني الكفار الذين يتوقفون عن الإيمان مع ظهور الدلائل[٩].

والثاني : هل ينظرون، يعني في حُجَج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم ، قاله جويبر[١٠].

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر:«تأتيهم الملئكة»، بالتاء، وقرأ حمزة والكسائى «يأتيهم»، بالياء[١١].

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة"[١٢].

قال الإمام البغوي:" بلا كيف، لفصل القضاء بين خلقه في موقف القيامة"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٠.

[٢] أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.

[٤] أخرجه الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٨):ص٢٤٦/١٢.

[٦] معاني القرآن:٣٠٧/٢.

[٧] تفسير الطبري:٢٤٥/١٢.

[٨] بحر العلوم:٤٩٦/١-٤٩٧، ونقله القرطبي بتمامه: انظر: تفسير القرطبي:١٤٤/٧.

[٩] انظر: النكت والعيون:١٩٠/٢، وزاد المسير:٩٥/٢.

[١٠] انظر: النكت والعيون:١٩٠/٢.

[١١] انظر: السبعة في القراءات:٢٧٤.

[١٢] التفسير الميسر:١٥٠.

قال مجاهد:"ذلك يوم القيامة"[2]. وروي عن عن قتادة[3]، و ابن جريج[4]نحو ذلك.
قال الطبري:يقول:" أو أن يأتيهم ربك ، يا محمد ، بين خلقه في موقف القيامة"[5].
وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، وجوه:
أحدها : أمر ربك بالعذاب ، قاله الحسن[6].
قال أبو الليث:يعني:" يأتي أمر ربك بما وعد لهم، كقوله: {فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} [الحشر : ٢]"[7].
والثاني : قضاء ربك في القيامة ، وهذا معنى قول مجاهد [8]. وقتادة[9]، وابن جريج[10].
والثالث: أو يأتي إهلاك ربك إياهم وانتقامه منهم، إما بعذاب عاجل أو بالقيامة. وهذا كقولنا: قد نزل فلان ببلد كذا وكذا، وقد أتاهم فلان، أي: قد أوقع بهم. وهذا قول الزجاج [11].
قال أبو الليث:" يقال: أن تأتي عقوبة ربك وعذابه. وقد ذكر المضاف إليه ويراد به المضاف. كقوله تعالى: {وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف: ٨٢] يعني: أهل القرية. وكقوله: {وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} [البقرة: ٩٣] يعني: حب العجل. كذلك هاهنا:{يأتي أمر ربك}، يعني: عقوبة ربك وعذاب ربك"[12].
والرابع: أن هذا من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. ذكره أبو الليث[13]، والقرطبي[14].
قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" أو يأتي بعض أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟"[15].
قال قتادة : " آية موجبة ، طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله "[16].
قال الزجاج:" نحو خروج الدابة: أو طلوع الشمس من مغربها"[17].
قال الطبري:" وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوعُ الشمس من مغربها"[18].
وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أقوال :
أحدها : أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ[19]، وبه قال ابن مسعود في رواية زرارة بن أوفى عنه[20]، ومجاهد[21]، وقتادة[1]، والسدي[2].

---

[1] تفسير البغوي:٢٠٧/٣.
[2] أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.
[3] انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.
[5] تفسير الطبري:٢٤٥/١٢.
[6] انظر: النكت والعيون:١٩٠/٢، وزاد المسير:٩٥/٢.
[7] بحر العلوم:٤٩٧/١.
[8] أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.
[9] انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.
[10] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.
[11] انظر: معاني القرآن:٣٠٧/٢.
[12] بحر العلوم:٤٩٧/١.
[13] بحر العلوم:٤٩٧/١.
[14]انظر: تفسير القرطبي:١٤٤/٧.
[15] التفسير الميسر:١٥٠.
[16] أخرجه الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.
[17] معاني القرآن:٣٠٨/٢.
[18] تفسير الطبري:٢٤٥/١٢.
[19]أخرجه الترمذي ٣٠٧١ وأحمد ٣/ ٣١ وأبو يعلى ١٣٥٣ وإسناده ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وعطية العوفي ضعيف وحسنه الترمذي، وذكر أن بعضهم رواه موقوفا ا. هـ. من حديث أبي سعيد الخدري ومع ذلك فمثله لا يقال بالرأي.
[20] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٢٧):ص٢٥٩/١٢.
[21] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٠):ص٢٦٣/١٢.

وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت ورآها الناس، آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[٣].

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال التوبة مقبولة حتنتطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت، طبع على كل قلب بما فيه، وكفي الناس العمل»[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها»[٥].

قال القرطبي: "وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت "[٦].

والثاني: أنه طلوع الشمس والقمر من مغربهما، رواه مسروق عن ابن مسعود[٧].

عن عبد الله بن مسعود في قوله : " {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك}، قال: يصبحون والشمس والقمر من هاهنا من قبل المغرب ، كالبعيرين القَرينين زاد ابن حميد في حديثه : فذلك حين {لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قَبْل أو كسبت في إيمانها خيرًا}، وقال : كالبعيرين المقترنين "[٨].

والثالث: أنه إحدى الآيات الثلاث، طلوع الشمس من مغربها، والدابة، وفتح يأجوج ومأجوج، روى هذا المعنى القاسم عن ابن مسعود[٩].

والرابع: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، رواه أبو هريرة عن النبي -ﷺ-[١٠].

والخامس: أنه طلوعَ الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخَان ، ودابة الأرض. رواه الحسن مرفوعا إلى النبي -ﷺ-[١١].

قال ابن الجوزي:" والأول أصح"[١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص:٢٤٦/١٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٨):ص:٢٤٦/١٢.

[٣]حديث صحيح أخرجه البخاري ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٥٠٦ و ٧١٢١، ومسلم ١٥٧ وأبو داود ٤٣١٢ والنسائي في «الكبرى» ١١١٧٧ وابن ماجة ٤٠٦٨ وأحمد ٢/ ٢٣١ و ٣١٣ و ٣٥٠ و ٣٩٨ و ٥٣٠ وأبو يعلى ٦٠٨٥ وابن حبان ٦٨٣٨ والطبري ١٤٢٠٨ و ١٤٢١٤ و ١٤٢١٥ من حديث أبي هريرة.

[٤]أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣ / ١٣٣) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال ابن كثير في النهاية الفتن والملاحم (١ / ٢٢١) . وهذا إسناد جيد قوي. وأخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢ / ٣٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (١ / ٦٩) . والكبير (١٩ / ٣٨١) ، وقال الهيتمي في المجمع (٥ / ٢٥٠) ، رواه أحمد والطبراني والبزار. . . ورجال أحمد ثقات.

[٥]أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان:١ / ١٣٩.

[٦]التذكرة للقرطبي :٢ / ٧٥٣، ٧٩٤.

[٧]أخرجه الطبري(١٤١٩٩):ص٢٤٦/١٢، وابن ابي حاتم(٨١٤٢):ص١٤٢٧/٥.

[٨]أخرجه الطبري(١٤١٩٩):ص٢٤٦/١٢، وابن ابي حاتم(٨١٤٢):ص١٤٢٧/٥.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٤)، و(١٤٢٤٥):ص٢٦٤/١٢.

[١٠] أخرجه الطبري(١٤٢٤٧):ص٢٦٥/١٢، وانظر: المسند (٤٤٥/٢) وصحيح مسلم برقم (١٥٨)، وسنن الترمذي برقم (٣٠٧٢).

[١١] أخرجه الطبري(١٤٢٤٨):ص٢٦٥/١٢. ولفظه:" عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : "بادروا بالأعمال ستًّا : طلوعَ الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخَان ، ودابة الأرض ، وخُوَيِّصة أحدكم ، وأمرَ العامة".

قال الإمام البغوي:"{أو يأتي بعض آيات ربك}، يعني: طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعا[٢] "[٣].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال : ذلك حين تطلع الشمس من مغربها[٤].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" فحين يكون ذلك لا ينفع نفسا إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل"[٥].

قال محمد بن كعب:" يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفسًا إيمانها. يقول : طلوع الشمس من مغربها"[٦]. وروي عن والضحاك[٧] ، وصفوان بن عسال[٨]، وعبد الله بن عمرو[٩]، نحو ذلك.

قال الطبري:يقول:{يوم يأتي بعض آيات ربك}، لا ينفع من كان قبل ذلك مشركًا بالله ، أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : إذا أنشأ الكافر إيمانًا يومئذ لا يقبل منه ، فأما من كان مؤمنا قبل ذلك ، فإن كان مصلحًا في عمله فهو بخير عظيم ، وإن كان مخَلِّطًا فأحدث توبة حينئذ لم تقبل منه توبته ، كما دلت عليه الأحاديث المتقدمة "[١١].

قال الزجاج:" أي: لا ينفعها الإيمان عند الآية التي تضطركم إلى الإيمان، لأن الله جل ثناؤه قال: {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون}[١٢]، وبعث الرسل بالآيات التي تتدبر، فيكون للمؤمن بها ثواب ولو بعث الله على كل من لم يؤمن عذابا، لاضطر الناس إلى الإيمان به، وسقط التكليف والجزاء"[١٣].

قال مقاتل:" يقول :لم تكن صدقت من قبل طلوع الشمس من مغربها "[١٤].

قال الماتريدي:في الآية" إشارة إلى أن من سبق منه الإيمان قبل أن يأتيه آيات ربه أو سبق منه كسب الخير من بعد الإيمان؛ فإن إيمانه في ذلك الوقت ينفعه"[١٥].

قال الحافظ ابن حجر: "هي العلامات التي يعقبها قيام الساعة" [١٦].

وقد أطلق بعض العلماء على "الأشراط" اسم "الآيات"؛ و"الآيات" هي الأمارات الدالة على الشيء، كالأمارات التي تُنصبُ في الصحراء؛ دالة على الطريق، أو توضع على الشاطئ؛ لتهديَ السفن، أو توضع في طريق المسافرين؛ لتدلهم على ما يقصدون من الأماكن.

---

[١] زاد المسير:٩٦/٢.

[٢]أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: "أو يأتي بعض آيات ربك" قال: "طلوع الشمس من مغربها". قال الترمذي: "هذا حديث غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه"، انظر: السنن، تفسير سورة الأنعام: ٨ / ٤٤٨-٤٤٩..

[٣] تفسير البغوي:٢٠٧/٣.

[٤] تفسير الطبري:٢٦٦/١٢.

[٥] التفسير الميسر:١٥٠.

[٦] أخرجه الطبري(١٤٢٤١):ص٢٦٣/١٢.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٣٨):ص٢٦٣/١٢.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٢):ص٢٦٣/١٢.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٣):ص٢٦٤/١٢.

[١٠] تفسير الطبري:٢٤٧/١٢.

[١١] تفسير ابن كثير:٣٧٦/٣.

[١٢][الطور : ١٦]، و[كالتحريم : ٧].

[١٣] معاني القرآن:٣٠٨/٢.

[١٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٩/١.

[١٥] تفسير الماتريدي:١٥٩/١٠.

[١٦] فتح الباري:٧٩/١٣.

قال الطيبي: "الآيات: أمارات للساعة: إما على قربها، وإما على حصولها؛ فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، يأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس"[١].

واختلف في أول آيات الساعة وآخرها، قال ابن كثير:"حكى البيهقي، عن الحاكم أنه قال: أول الآيات ظهورا خروج الدجال، ثم نزول عيسى ابن مريم، ثم فتح يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة، ثم طلوع الشمس من مغربها، قال: لأنها إذا طلعت من مغربها آمن من عليها، فلو كان نزول عيسى بعدها، لم يلق كافرا.

وهذا الذي قاله فيه نظر؛ لأن إيمان أهل الأرض يومئذ لا ينفعهم، فإنه لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، فمن أحدث إيمانا أو توبة يومئذ لم تقبل منه، إلا أن يكون مؤمنا أو تائبا قبل ذلك، وكذلك قوله تعالى في قصة نزول عيسى في آخر الزمان: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} [النساء: ١٥٩] . أي: قبل موت عيسى، وبعد نزوله يؤمن جميع أهل الكتاب به إيمانا ضروريا، بمعنى أنهم يتحققون أنه عبد الله ورسوله، فالنصراني يعلم كذب نفسه في دعواه فيه الربوبية والبنوة، واليهودي يعلم أنه نبي رسول من الله، لا ولد زانية، كما كان المجرمون منهم يزعمون ذلك، عليهم لعائن الله وغضبه المتدارك"[٢].

قال ابن حجر: "والذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة"[٣].

قال البرزنجي في الإشاعة: "وهذا جمع حسن - رحمه الله – "[٤] .

واختلفوا في «ألا ينفعها إيمانها بظهور أول الآيات أو بظهور آخرها» على قولين: أحدهما : إذا خرج أول الآيات ، طرحت الأقلام ، وجلست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال. قالته أم المؤمنين عائشة-رضي الله تعالى عنها-[٥].

عن عن أبي هريرة ،قال:" قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلعَ الشمس من مغربها ، فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون ، وذلك حين {لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا} "[٦].

قال عبدالله بن مسعود:" الآية التي تختم بها الأعمال : «طلوع الشمس من مغربها»، ألم تر أن الله قال : {يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا}، قال : فهي طلوع الشمس من مغربها"[٧].

عن صفوان بن عسّال قال: "حدثنا رسول الله ﷺ : إنّ من قِبَل مغرب الشمس بابًا مفتوحًا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه. فإذا طلعت الشمس من نحوه ، لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"[٨].

وفي رواية أخرى عن صفوان :" ذكرت التوبة ، فقال النبي ﷺ : للتوبة بابٌ بالمغرب مسيرة سبعين عامًا أو : أربعين عامًا فلا يزال كذلك حتى يأتي بعض آيات ربك"[١].

---

[١] فتح الباري:٣٥٢/١١.
[٢] البداية والنهاية:٢٦٤/١٩-٢٦٥، والنهاية في الفتن والملاحم:٢٢٢/١-٢٢٣.
[٣]فتح الباري :١١ / ٣٥٣.
[٤]الإشاعة لأشراط الساعة:٣٥٠.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٦):ص٢٦٥/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٢١٠):ص٢٥١/١٢-٢٥٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٢٢٩):ص٢٦٠/١٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٢٠٦):ص٢٥٠/١٢.

عن أبي ذر قال : "قال رسول الله ﷺ ، يومًا : أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : إنها تذهب إلى مستقرِها تحت العرش ، فتخرُّ ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : " ارتفعي من حيث شئت " ، فتصبح طالعة من مطلعها . ثم تجري إلى أن تنتهي إلى مستقرٍ لها تحت العرش ، فتخرّ ساجدة[٢]، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : «ارتفعي من حيث شئت» ، فتصبح طالعةً من مطلعها . ثم تجري لا ينكر الناسُ منها شيئًا ، حتى تنتهي فتخرّ ساجدة في مستقر لها تحت العرش ، فيصبح الناسُ لا ينكرون منها شيئًا ، فيقال لها : «اطلعي من مغربك » فتصبح طالعة من مغربها. قال رسول الله ، ﷺ : أتدرون أيّ يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم! قال : ذاك يومَ {لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا} [٣].

عن أبي زرعة قال:" جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة ، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات : أن أولها خروجا الدجالُ ، فانصرف القوم إلى عبد الله بن عمرو ، فحدثوه بذلك ، فقال : لم يقل مروان شيئًا! قد حفظت من رسول الله ﷺ في ذلك شيئًا لم أنسَه ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أوّل الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة على الناس ضُحًى ، أيَّتهما ما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على أثرها قريبًا . ثم قال عبد الله بن عمرو ، وكان يقرأ الكتب : أظن أولهما خروجًا طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فيؤذن لها في الرجوع ، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها ، فعلت كما كانت تفعل ، أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع ، فلم يردَّ عليها شيئًا ، فتفعل ذلك ثلاث مرات ، لا يردّ عليها بشيء. حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت :ما أبعدَ المشرق! ربِّ ، منْ لي بالناس! حتى إذا صار الأفق كأنه طَوْق، استأذنت في الرجوع ، فقيل لها :أطلعي من مكانك، فتطلع من مغربها . ثم قرأ : {يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها}، إلى آخر الآية "[٤].

عن أبي ذر قال : "كنت رِدْفَ النبي ﷺ ذات يوم على حمارٍ ، فنظر إلى الشمس حين غربت فقال : إنها تغرب في عين حامية ، تنطلق حتى تخرّ لربها ساجدة تحت العرش ، حتى يأذن لها ، فإذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها ، فتقول : يا ربِّ ، إن مسيري بعيد! فيقول لها : اطلعي من حيث غربت ! فذلك حين {لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل}"[٥].
والقول الثاني : أن ذلك يكون بخروج آخر الآيات ليكون لنا فيها أثر في الإنذار[٦].

روي عن ابن عباس قوله : "{يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا} ، فهو أنه لا ينفع مشركًا إيمانه عند الآيات، وينفع أهل الإيمان عند الآيات إن كانوا اكتسبوا خيرًا قبل ذلك . قال ابن عباس : خرج رسول الله ﷺ عشيةً من العشيّات فقال لهم : يا عباد الله ، توبوا إلى الله ، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قِبَل المغرب ، فإذا فعلت ذلك ، حُبِست التوبة ، وطُوِي العمل ، وخُتم الإيمان. فقال الناس : هل لذلك من آية يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن آية تلكم الليلة ، أن تطول كقدر ثلاث ليال ، فيستيقظ الذين يخشون رَبهم ، فيصلُّون له ، ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ، ثم يأتون مضاجعهم فينامون. حتى إذا استيقظوا والليل مكانه ، فإذا رأوا ذلك خافوا أن يكون بين

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٢٠٧):ص٢٥٠/١٢.
[٢] سوف نفصل القول في الفوائد في مسألة سجود الشمس.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٢٠٤):ص٢٤٨/١٢-٢٤٩.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٢١٤):ص٢٥٣/١٢-٢٥٤.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٢٢٢):ص٢٥٧/١٢.
[٦] انظر: النكت والعيون:١٩١/٢.

يدي أمرٍ عظيم.، فإذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس ، فبينا هم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل"[١].

عن عبد الله بن أبي أوفى قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ليأتين على الناس ليلة تعدل ثلاث ليال من لياليكم هذه ، فإذا كان ذلك يعرفها المتنفلون ، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه ، ثم ينام ، ثم يقوم فيقرأ حزبه ، ثم ينام. فبينما هم كذلك إذ صاح الناس بعضهم في بعض فقالوا : ما هذا ؟ فيفزعون إلى المساجد ، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها ، فضج الناس ضجة واحدة ، حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها". قال : {حينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها}"[٢].

قال ابن كثير:" هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس هو في شيء من الكتب الستة"[٣].

قوله تعالى:{أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" ولا يُقبل منها إن كانت مؤمنة كسب عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ولا يقبل منها كَسْبُ عمل صالح إذا لم يكن عاملا به قبل ذلك"[٥].

قال أبو الليث:" يعني: المسلم الذي يعمل في إيمانه خيرا كأن لم يقبل عمله قبل ذلك، فإنه لا يقبل منه بعد ذلك. ومن كان قبل من قبل ذلك فإنه يقبل منه بعد ذلك أيضا أو كانت النفس مؤمنة ولم تكن كسبت خيرا قبل ذلك الوقت لا ينفعها الخير بعد"[٦].

قال السدي:" يقول: كسبت في تصديقها خيرا، عملا صالحا. هؤلاء أهل القبلة، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية، لم يقبل منها. وإن عملت قبل الآية خيرا، ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها"[٧].

وقال مقاتل بن حيان:"{أو كسبت في إيمانها خيرا}، يعني: المسلم الذي لم يعمل في إيمانه خيرا وكان قبل الآية مقيما على الكبائر"[٨].

قال مقاتل بن سليمان:" يقول لم تكن هذه النفس عملت قبل طلوع الشمس من مغربها ولم يقبل منها"[٩].

وقال الضحاك: "من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه، كما يقبل منه قبل الآية"[١٠].

قال ابن الجوزي:" وقيل: إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها، أن الملحدة والمنجمين، زعموا أن ذلك لا يكون، فيريهم الله تعالى قدرته، ويطلعها من المغرب كما أطلعها من المشرق، ولتحقق عجز نمرود حين قال له إبراهيم: {فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ} [البقرة : ٢٥٨]"[١١].

وفي «الخير الذي تكسبه»، وجوه :

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٢٢٤):ص٢٥٨/١٢.
[٢] رواه ابن مردويه ، كما في تفسير ابن كثير:٢٧٤/٣، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور :٣٩٢/٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٢٧٤/٣.
[٤] التفسير الميسر:١٥٠.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٧٦/٣.
[٦] بحر العلوم:٤٩٧/١.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٤٧):ص١٤٢٩/٥.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٤٨):ص١٤٢٩/٥.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٩٩/١.
[١٠] انظر: زاد المسير:٩٦/٢.
[١١] انظر: زاد المسير:٩٦/٢.

أحدها : تأدية الفروض على أكمل أحوالها[١].
والثاني : التطوع بالنوافل بعد الفروض[٢].
والثالث: العمل الصالح. قاله السدي[٣]. وهذا أعم ويشمل القولين السابقين.

قال ابن الجوزي:" المراد بـ«الخير» -ها هنا-: العمل الصالح، وإنما لم ينفع الإيمان والعمل الصالح حينئذ، لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان"[٤].

قوله تعالى:{قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: انتظروا مجيء ذلك؛ لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك"[٥].

قال الربيع:" خوّفهم عذابه وعقوبته ونقمته"[٦].

قال أبو الليث:" يعني: انتظروا العذاب فإنا منتظرون بكم حتى ننظر"[٧].

قال ابن كثير:" تهديد شديد للكافرين ، ووعيد أكيد لمن سَوَّف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك. وإنما كان الحكم هذا عند طلوع الشمس من مغربها ، لاقتراب وقت القيامة ، وظهور أشراطها كما قال : { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ } [محمد : ١٨] ، وقال تعالى : { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غافر : ٨٤ ، ٨٥]"[٨].

وفي حكم قوله تعالى:{انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام: ١٥٨] قولان:
الأول: أنها اقتضت الأمر بالكف عن قتالهم، وذلك منسوخ بآية السيف. ذكره هبة الله[٩].
والثاني: أن المراد بها التهديد، فهي محكمة . واختاره ابن الجوزي وقال:"وهو الصحيح"[١٠].
الفوائد:

١- إثبات صفة الإتيان في عرصات القيامة للرب تبارك وتعالى بلا كيف وذلك لفصل القضاء بين الخلق.

قال الحافظ أبو نعيم وهو يذكر ما أجمع عليه السلف:"وأنه تعالى وتقدس يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفاً صفاً كما قال تعالى {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}"[١١] .

كما تعرض ابن القيم لهذه الصفة، وأبطل تأويل المعطلة لها من عشرة أوجه أذكر منها: أن عطف مجيء "الملك" في الآية على مجيء الله سبحانه وتعالى يدل على تغاير المجيئين، وأن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملك حقيقة، وهكذا الأمر في قوله تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} حيث فرق سبحانه بين إتيان الملائكة، وإتيانه، وإتيان بعض الآيات، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً[١٢]

---

[١] انظر: النكت والعيون:١٩١/٢.
[٢] انظر: النكت والعيون:١٩١/٢.
[٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨١٤٨):ص١٤٢٩/٥.
[٤] زاد المسير:٩٦/٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٠.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٤٩):ص١٤٢٩/٥.
[٧] بحر العلوم:٤٩٧/١.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٧٦/٣.
[٩] في ناسخه: ٤٦.
[١٠] نواسخ القرآن:١٤٤.
[١١] انظر :الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ص٣٥، ٣٦.
[١٢] انظر: مختصر الصواعق ١٠٦/٢- ١٠٨.

وقال الإمام الأشعري:" وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة أنهم لا يريدون بقولهم: جاءت زيداً الحمى أنها تنقلت إليه، أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهراً، وإنما مجيئها إليه وجودها به"[١].

ينص الأشعري في هذا الإجماع على إثبات صفة المجيء لله سبحانه وتعالى كما نطق بذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع، وصح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أبي هريرة: "إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد"[٢]
العباد"[٢] .

وفي حديث الرؤية الطويل قول الرسول ﷺ: "فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفونه"[٣].

فذكر الأشعري هنا أن مجيء الله ليس كمجيء البشر، بمعنى أنه لا يترتب عليه ما يترتب على مجيء البشر، لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، أما ما ذكره من كون مجيئه ليس حركة ولا انتقالاً، فهذا شيء لم يتكلم السلف فيه، ولم يوردوه في كتبهم؛ لأن الأصل الذي اعتمدوا عليه في ذلك - وهو إثبات الصفات دون تكييف - رفع عنهم البحث في ذلك.

٢- تقرير أشراط الساعة وإن طلوع الشمس منها وأنها متى ظهرت أغلق باب التوبة.

٣- إن مسألة السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨] .

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ - وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ - يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل: ٤٨ - ٥٠].

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن عظمته وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء بأسرها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة، فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال، أي: بكرة وعشيا، فإنه ساجد بظله لله تعالى "[٤].

وقد تكلم العلماء - رحمهم الله تعالى - عن حديث سجود الشمس تحت العرش وردوا على من أول ذلك، وبينوا أن سجودها تحت العرش سجود حقيقي.

قال أبو سليمان الخطابي - رحمه الله - في قول رسول الله ﷺ: «مستقرها تحت العرش» قال: " لا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا

---

[١] رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، الإمام الأشعري:١٢٨-١٢٩.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٨١/١ وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه أيضاً في العلو. انظر مختصر العلو ص١١٠.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب ٢٤ ج٧٩/٨، وكتاب الرقاق باب ٥٢ ج٢٠٥/٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٨١ ج١٦٣/١.

[٤] تفسير ابن كثير :٢ / ٥٧٢.

نشاهده وإنما أخبرنا عن غيب فلا نكذب به ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به. . . ثم قال عن سجودها تحت العرش: وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها والتصرف لما سخرت له، وأما قوله عز وجل: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} [الكهف: ٨٦] . فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب ومصيرها تحت العرش للسجود، وإنما هو بعد الغروب "[١] .

قال القاضي عياض عقب شرحه للحديث السابق: " وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة خلافا لمن تأوله من المبتدعة والباطنية، وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة " [٢] .

وقال الإمام النووي - رحمه الله -: " وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك يخلقه الله تعالى"[٣] .

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله -:" يسجد لعظمته تعالى كل شيء طوعا وكرها، وسجود كل شيء مما يختص به"[٤] .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: "وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري - والله أعلم"[٥] .

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} [الأنعام : ١٥٩]

التفسير:

إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد - ﷺ - فتفرقوا، فلما بعث محمد أنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} "[٦]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا"[٧].

عن السدي:"{ فَرَّقُوا دِينَهُمْ}، قال: تركوا دينهم "[٨]، {وَكَانُوا شِيَعًا}، قال: فرقاء"[٩].

---

[١] انظر كلامه في شرح السنة للبغوي :١٥ / ٩٥.

[٢] إكمال المعلم (٣ / ٧٠٠).

[٣] شرح صحيح مسلم للنووي :٢ / ١٩٧.

[٤] تفسير ابن كثير :٣ / ٥٧١.

[٥] فتح الباري :٨ / ٤٠٣.

[٦] أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٦١):ص٢٦٩/١٢-٢٧٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٠ رقم ٨١٥٣) بالسند المسلسل بالعوفيين عن عطية العوفي عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً، وقصر السيوطي وعزاه لابن أبي حاتم، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.

[٧] التفسير الميسر:١٥٠.

[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٥٦):ص١٤٣٠/٥.

[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٥٩):ص١٤٣٠/٥.

قال الزجاج:" معنى :{وكانوا شيعا}، أي: كانوا متفرقين في دينهم، يعنى به إليهود والنصارى، لأن النصارى بعضها يكفر بعضا وكذلك اليهود، وهم أيضا أهل التوراة، وبعضهم يكفر بعضا، أعني إليهود تكفر النصارى، والنصارى تكفر إليهود.

وفي هذه الآية حث على أن تكون كلمة المسلمين واحدة، وأن لا يتفرقوا في الدين وأن لا يبتدعوا البدع ما استطاعوا"[١].

وعن ابن عباس، في قوله:"{إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا}، قال: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله"[٢].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} [الأنعام : ١٥٩]، أربعة تأويلات:

أحدها : أنهم اليهود خاصة ، قاله مجاهد[٣]، والضحاك[٤].

والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، والسدي[٧].

قال السدي: معناه:" تركوا دينهم وكانوا شيعًا"[٨].

قال ابن عباس:"وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد ، فتفرقوا. فلما بعث محمد أنزل الله : {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}"[٩].

والثالث : أنهم جميع المشركين ، قاله الحسن[١٠].

والرابع : أنهم أهل البدع من هذه الأمة ، الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه، قاله أبو هريرة[١١].

وقد روي عن ابي هريرة ، قال:"قال رسول الله ﷺ ، في هذه الآية : " {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}، وليسوا منك ، هم أهل البدع ، وأهل الشبهات ، وأهل الضلالة من هذه الأمة"[١٢].

وعن شريح عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: "يا عائشة، {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا}، هم أصحاب الأهواء والبدع. يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة إلا أصحاب البدع ليست لهم توبة، فهم مني براء، وأنا منهم بريء"[١٣].

قال ابن كثير: "غريب، لا يصح رفعه"[١٤].

---

[١] معاني القرآن:٣٠٨/٢.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٥٨):ص١٤٣٠/٥.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٦):ص٢٦٩/١٢.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٢):ص٢٧٠/١٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦١):ص٢٦٩/١٢-٢٧٠.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٨):ص٢٦٩/١٢.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٠):ص٢٦٩/١٢.

[٨] أخرجه الطبري(١٤٢٦٠):ص٢٦٩/١٢.

[٩] أخرجه الطبري(١٤٢٦١):ص٢٦٩/١٢-٢٧٠.

[١٠] انظر: النكت والعيون:١٩٢/٢.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٥):ص٢٧٠/١٢.

[١٢] أخرجه الطبري(١٤٢٦٦):ص٢٧٠/١٢-٢٧١. قال ابن كثير في تفسيره:٣٧٦/٣:" هذا الإسناد لا يصح ، فإن عباد بن كثير متروك الحديث ، ولم يختلق هذا الحديث ، ولكنه وَهَم في رفعه. فإنه رواه سفيان الثوري ، عن ليث - وهو ابن أبي سليم - عن طاوس ، عن أبي هريرة ، في قوله : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا } قال : نزلت في هذه الأمة".

[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٥٧):ص١٤٣٠/٥، ورواه ابن مردويه، مختصرا : "هم أصحاب البدع". كما في تفسير ابن كثير:٣٧٧/٣، والطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٢٠) وأبو نعيم في الحلية (١٣٨/٤) من طريق محمد بن مصفى ، عن بقية بن الوليد ، عن شعبة به ، وقال الطبراني : "لم يروه عن شعبة إلا بقية ، تفرد به محمد بن مصفى ، وهو حديثه".

[١٤] تفسير ابن كثير:١٤٣٠/٥.

وقال أبو غالب ، عن أبي أمامة ، "في قوله : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا }، قال : هم الخوارج"[١]. قال ابن كثير:"وروى عنه مرفوعًا ، ولا يصح"[٢].
والخامس: أن البية عامة في كل من فارق دين الله، وهذا قول ابن كثير[٣].

قال ابن كثير:"والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اختلف فيه { وَكَانُوا شِيَعًا } أي : فرقًا كأهل الملل والنحل - وهي الأهواء والضلالات - فالله قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الآية[الشورى : ١٣] ، وفي الحديث : «نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات[٤] ، ديننا ديننا واحد»[٥].

فهذا هو الصراط المستقيم ، وهو ما جاءت به الرسل ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء ، الرسل بُرآء منها"[٦].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه ، وكانوا فرقًا فيه وأحزابًا شيعًا ، وأنه ليس منهم. ولا هم منه ، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام ، دين إبراهيم الحنيفية ، كما قال له ربه وأمره أن يقول : {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [سورة الأنعام : ١٦١].

فكان من فارق دينه الذي بعث به ﷺ من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف ، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم ، فهو بريء من محمد ﷺ ، ومحمد منه بريء ، وهو داخل في عموم قوله : {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}"[٧].

وفي تفريقهم الذي فرقوه، قولان[٨]:
أحدهما : أنه الدين الذي أمر الله به ، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع الشبهات .
والثاني : أنه الكفر الذي كانوا يعتقدونه ديناً لهم .
وفي تفسير قوله تعالى:{وَكَانُواْ شِيَعاً}[الأنعام : ١٥٩]،وجهان:
أحدها: يعني: فرقاء. قاله السدي[٩].
والثاني:ويحتمل: أن يكون الشيع المتفقين على مشايعة بعضهم لبعض، وهو الأشبه، لأنهم يتمالأون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره. أفاده الماوردي[١٠].

---

[١] تفسير ابن كثير:٣٧٧/٣.
[٢]تفسير ابن كثير:٣٧٧/٣.
[٣] .
[٤]أولاد علات) قال العلماء أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.
[٥] الحديث:« أنا أولى بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ».
أخرجه أحمد (٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٥) ، والبخارى برقم (١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم (١٨٣٧/٤، رقم ٢٣٦٥) ، وأبو داود (٢١٨/٤، رقم ٤٦٧٥)..
[٦] تفسير ابن كثير:٣٧٧/٣.
[٧] تفسير الطبري:٢٧١/١٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:١٩٢/٢.
[٩] االنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨١٥٩):ص١٤٣٠/٥.
[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٢.

قال ابن قتيبة:" {وَكَانُوا شِيَعًا}، أي: فرقا وأحزابا"[١].
وفي أصل قوله تعالى:{ شيَعاً}[الأنعام : ١٥٩]، وجهان :
أحدهما : أصله: الظهور ، من قولهم شاع الخبر إذا ظهر[٢].
والثاني : أصله :الاتباع ، من قولهم شايعه على الأمر إذا اتبعه ، قاله الزجاج[٣].
إذ أن معنى: «شيعت» في اللغة: اتبعت، والعرب تقول: شاعكم السلم وأشاعكم، السلم، ومعناه: تبعكم السلمقال الشاعر[٤]:
أَلا يَا نَخْلَةً مِن ذاتِ عِرْقٍ بَرُودِ الظِّلِّ، شَاعَكُم السَّلامُ
وتقول: آتيتك غدا أو شيعه أي أو اليوم الذي يتبعه، فمعنى «الشيعة»: الذين يتبع بعضهم بعضا، ومعنى «الشيع»: الفرق التي كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين[٥].
واختلف القرأة في قراءة قوله: {فَرَّقُوا دِينَهُمْ}[الأنعام : ١٥٩]، على وجهين[٦]:
أحدهما: «فَارَقُوا دِينَهُمْ»، بالف، قرأه علي بن ابي طالب-رضي الله عنه-[٧]، وحمزة والكسائي، والمعنى: خرجوا فارتدوا عنه ، من «المفارقة»[٨].
والثاني: «فَرَّقوا دِينَهُمْ»، مشددة، قرأه عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه-[٩]، و ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر.
وكأنّ عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك : "أن دين الله واحد ، وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة ، ففرّق ذلك اليهود والنصارى ، فتهوّد قومٌ وتنصَّر آخرون ، فجعلوه شيعًا متفرقة"[١٠].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القرأة ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه . وذلك أن كل ضالّ فلدينه مفارق ، وقد فرَّق الأحزابُ دينَ الله الذي ارتضاه لعباده ، فتهود بعض وتنصر آخرون ، وتمجس بعض. وذلك هو «التفريق» بعينه ، ومصير أهله شيعًا متفرقين غير مجتمعين ، فهم لدين الله الحقِّ مفارقون ، وله مفرِّقون. فبأيِّ ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب ، غير أني أختار القراءة بالذي عليه عُظْم القرأة ، وذلك تشديد «الراء» من «فرقوا»"[١١].
قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إنك -أيها الرسول- بريء منهم"[١٢].
قال الزجاج:" يدل على أن من فرق دينه من أهل ملة الإسلام وابتدع البدع فقد صار به منهم"[١٣].
وفي قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، وجوه:
أحدها : لست من قتالهم في شيء ، ثم نسخها بسورة التوبة فأمر بقتالهم، قاله السدي[١]، والكلبي[٢].

---

[١] غريب القرآن:١٦٤.
[٢] انظر: النكت والعيون:١٩٣/٢.
[٣] انظر: معاني القرآن:٣٠٨/٢-٣٠٩.
[٤]البيت غير منسوب في «أساس البلاغة» «واللسان» شيع،
ورواية معاني القرآن للزجاج:٣٠٩/٢." شايعَكِ الظلام". بدلا من الرواية المشهورة" شَاعَكُم السَّلامُ".
[٥] انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٠٨/٢-٢٠٩.
[٦] انظر: السبعة في القراءات:٢٧٤.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٢):ص٢٦٨/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري:٢٦٨/١٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٥):ص٢٦٨/١٢.
[١٠] تفسير الطبري:٢٦٨/١٢.
[١١] تفسير الطبري:٢٦٨/١٢-٢٦٩.
[١٢] التفسير الميسر:١٥٠.
[١٣] معاني القرآن:٣٠٨/٢.

والثاني : لست من مخالطتهم في شيء ، نَهْيٌ لنبيه -ﷺ- عن مقاربتهم ، وأمر له بمباعدتهم ، قاله قتادة ، كما قال النابغة[٣]:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

والثالث: معناه: بريء منهم نبيهم ﷺ. قاله أبو الأحوص[٤].

وفي هذا المعنى روي مرة الطيب، قال: "ليتق امرؤ ألا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء. ثم قرأ هذه الآية: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء}"[٥].

والرابع: معناه: ليس إليك شيء من أمرهم. وهذا قول ابن قتيبة[٦].

والخامس: معناه: من السؤال عنهم والبحث عن تفرقهم. أفاده الآلوسي[٧].

والسادس: معناه: لست منهم في شيء من الضرر، وهو وعد لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالعصمة عنهم. ذكره الآلوسي كذلك[٨]..

قال الطبري:" قوله:{ لست منهم في شيء}، إعلام من الله نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء ، ومن الأحزاب من مشركي قومه ، ومن اليهود والنصارى"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إنما حكمهم إلى الله تعالى"[١٠].

قال الطبري:" يقول : أنا الذي إليَّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعًا ، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك ، دونك ودون كل أحد. إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم وفُرْقتهم دينهم فأهلكهم بها ، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل مني عليهم"[١١].

عن السدي: قوله: "{إنما أمرهم إلى الله}، هؤلاء اليهود والنصارى"[١٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته"[١٣].

قال الطبري:" يقول : ثم أخبرهم في الآخرة عند ورودهم عليَّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون ، فأجازي كلا منهم بما كانوا في الدنيا يفعلون ، المحسنَ منهم بالإحسان ، والمسيء بالإساءة"[١٤].

وفي حكم قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، قولان:

أحدها: معناه: لست من قتالهم في شيء، ثم نسخ بآية السيف:{ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}[التوبة : ٥]. قاله السدي[١].

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٦٢):ص١٤٣١/٥.

[٢] انظر: النكت والعيون:١٩٣/٢.

[٣]ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٧، و"الكتاب" ٤/ ١٨٦، و"تفسير الماوردي" ٢/ ١٩٣، والقرطبي ٧/ ١٥٠، و"البحر المحيط" ٤/ ٢٦٠، و"الدر المصون" ٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧، والفجور بالضم: الريبة والكذب، والشاعر يريد نقض الحلف، انظر: "اللسان" ٧/ ٣٣٥٢ (فجر).

[٤] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٦١):ص١٤٣١/٥.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٦٠):ص١٤٣١/٥.

[٦] انظر: غريب القرآن:١٦٤.

[٧] انظر: روح المعاني:٣١٠/٤.

[٨] انظر: روح المعاني:٣١٠/٤.

[٩] تفسير الطبري:٢٧٣/١٢.

[١٠] التفسير الميسر:١٥٠.

[١١] تفسير الطبري:٢٧٤/١٢.

[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٦٣):ص١٤٣١/٥.

[١٣] التفسير الميسر:١٥٠.

[١٤] تفسير الطبري:٢٧٤/١٢.

والثاني: أنها نزلت على النبي ﷺ إعلامًا من الله له أنَّ من أمته من يُحْدث بعده في دينه. وليست بمنسوخة ، لأنها خبرٌ لا أمر ، والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي . وهذا قولأبو الأحوص[٢]، ومالك بن مغول[٣].

روي عن أبي الأحوص :" أنه تلا هذه الآية : {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}، ثم يقول : بريء نبيكم ﷺ منهم"[٤].

وقال ابن قتيبة:معناه:" ليس إليك شيء من أمرهم"[٥].

قال ابن الجوزي:" فعلى هذين القولين [الأخيرين]، الآية محكمة"[٦].

قال النحاس: "إن هذه الآية عن الناسخ والمنسوخ بمعزل"[٧].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن قوله : {لست منهم في شيء} ، إعلام من الله نبيَّه محمدًا ﷺ أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء ، ومن الأحزاب من مشركي قومه ، ومن اليهود والنصارى . وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم ، لأنه غير محال أن في الكلام : لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم. فإن أمرهم إلى الله في أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافرًا فيقبض روحه ، أو يقتله بيدك على كفره ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدَمهم عليه.

وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم ، وقوله : {لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله}، ولم يكن في الآية دليلٌ واضح على أنها منسوخة ، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبرٌ كان غير جائز أن يُقْضَى عليها بأنها منسوخة ، حتى تقوم حجةٌ موجبةٌ صحةَ القول بذلك، لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه في حال واحدة"[٨].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الجماعة حق، والفرقة زيغ، قال تعالى في موضع آخر:" {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود: ١١٨]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف[٩].

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ، قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد» [١٠].

وعن النبي ﷺ: «أنه قال لما نزل قوله تعالى: " {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم} [الأنعام: ٦٥] قال: هاتان أهون»[١١].

فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض، مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية. ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٧):ص٢٧٢/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٨):ص٢٧٢/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٩):ص٢٧٢/١٢.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٢٦٨):ص٢٧٢/١٢.
[٥] غريب القرآن:١٦٤.
[٦] نواسخ القرآن:٤٣٩/٢.
[٧] الناسخ والمنسوخ:١٤٤.
[٨] تفسير الطبري:٢٧٣/١٢.
[٩] انظر: شرح الطحاوية:٧٧٥/٢.
[١٠] المسند :٥/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه لأحمد والطبراني، ثم قال: ورجال أحمد ثقات إلا أن العلاء بن زياد قيل أنه لم يسمع من معاذ (٥/ ٢٢٢)، وأعله العراقي في المغني بالانقطاع. (٢/ ٢٠٧).
[١١]الأسماء والصفات ص: ٣٠١-٣٠٢، ورواه البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه، انظر: صحيح البخاري مع شرحه، فتح الباري حديث رقم:٧٤٠٦،١٣/ ٣٨٨.

وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن - فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية.

وقد روى مالك بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول:"ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما} [الحجرات: ٩] . فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك صارت فتنة وجاهلية"[١].

٢- حرمة الفرقة في الدين وأن اليهود والنصارى فرقوا دينهم وأن أمة الإسلام أصابتها الفرقة كذلك بل وهي أكثر لحديث: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة". وفي رواية: قيل فمن الناجية؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي". رواه جماعة من الأئمة[٢].

فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة.

٣- حذر الله عز وجل من التفرق والاختلاف بعد الائتلاف، فقال سبحانه وتعالى:{ {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ}، وقال تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)} [آل عمران: ١٠٥]، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)} [يونس: ١٩]، وقال تَعَالَى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)} [الروم: ٣١، ٣٢].

٤- أن الله سبحانه وتعالى برأ رسوله بأن يكون فيه شيء من المفرقين لدينهم، فمن كان متبعا له حقيقة، كان متبرئا كتبرئه، ومن كان موافقا لهم في شيء كان مخالفا للرسول بقدر موافقته لهم.

القرآن

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} [الأنعام : ١٦٠]

التفسير:

من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، ومن لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-؛ قال:" قال رسول الله - ﷺ -: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر؛ فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} فاليوم بعشرة أيام "[٣]. [صحيح]

---

[١] انظر: شرح الطحاوية:٧٧٦/٢-٧٧٧.

[٢]رواه الترمذي بسند ضعيف في كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ح (٢٦٤١) ٢٦/٥. ولكنه ورد بروايات أخرى صحيحه كما في أبي داود، كتاب السنة باب شرح السنة ح (٤٥٩٦-٤٥٩٧) ٤/٥-٥. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ح(٣٩٩١) ١٣٢١/٥. وأحمد في المسند ١٠٢/٤، والحاكم في المستدرك ١٢٨/١. وتتبع الألباني طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٠٣، ٢٠٤).

[٣]أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/ ١٤٥، ١٤٦)، والترمذي في "سننه" (٣/ ١٣٥ رقم ٧٦٢)، والنسائي في "المجتبى" (٤/ ٢١٩)، و"الكبرى" (٢/ ١٣٤ رقم ٢٧١٦)، وابن ماجه في "سننه" (١/ ٥٤٥ رقم ١٧٠٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣١ رقم ٨١٦٦)، وابن عدي في "الكامل" (٦/ ٢٤٣١)، والبزار في "البحر الزخار" (٩/ ٣٤٥ رقم ٣٩٠٤) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أبي ذر به.
قلنا: وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين.
قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

والثاني: عن الربيع بن أنس؛ قال: "نزلت هذه الآية: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة"[١]. [ضعيف جداً]

والثالث: عن عبد الله بن عمر؛ قال: "نزلت هذه الآية في الأعراب: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}؛ قال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)} [النساء: ٤٠] وإذا قال الله لشيء: عظيم؛ فهو عظيم "[٢]. [ضعيف]

قوله تعالى:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام : ١٦٠]، أي:" من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره : من وافَى ربَّه يوم القيامة في موقف الحساب ، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعًا ، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته ، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها، ويعني بقوله : {فله عشر أمثالها} ، فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها"[٤].

في تفسير «الحسنة والسيئة»، هنا قولان :

أحدهما:أن الحسنة: «لا إله إلا الله»، والسيئة:«الشرك». قاله عبدالله بن مسعود[٥]، وابن عباس[٦]، وأبو صالح[٧]، وشقيق[٨]، ومجاهد[٩]، والقاسم بن أبي بزة[١٠]، وعطاء[١١]، وإبراهيم[١٢].

وصححه على شرط الشيخين شيخنا الألباني -رحمه الله- في "الإرواء" (٤/ ١٠٢).

قال الدارقطني في "العلل" (٦/ ٢٨٤، ٢٨٥ رقم ١١٤١): "يرويه عاصم بن سليمان الأحول عن أبي عثمان عن أبي ذر، يرويه أصحاب عاصم عنه كذلك. وخالفهم شيبان؛ فرواه عن عاصم وأدخل بين أبي عثمان وبين أبي ذر رجلاً لم يسمه، ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن أبي هريرة، وحديث أبي ذر أشبه بالصواب".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) وزاد نسبته لابن مردويه.

ونقل الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٠٥)، والسيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) عنه؛ أنه قال: "هذا حديث حسن".

[١] أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٥):ص٢٨٠/١٢ من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أبو جعفر الرازي؛ صدوق سيئ الحفظ.

[٢] أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٤):ص٢٨٠/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٢ رقم ٨١٦٨) من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابن عمر. ولفظه:" نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها في الأعراب، والأضاعف للمهاجرين".

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عطية العوفي؛ صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

[٣] التفسير الميسر:١٥٠.

[٤] تفسير الطبري:٢٧٤/١٢-٢٧٥.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٢):ص٢٧٦/١٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٠):ص٢٧٨/١٢-٢٧٩.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٨٤):ص٢٧٨/١٢.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٥):ص٢٧٧/١٢.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٦):ص٢٧٧/١٢.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٦):ص٢٧٧/١٢.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٧):ص٢٧٧/١٢.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٩):ص٢٧٧/١٢.

والثاني: أنه على العموم في الحسنات والسيئات أن جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها تفضلاً ، وجعل جزاء السيئة مثلها عدلاً.

عن أبي ذرّ قال : "قلت : يا رسول الله ، علمني عملا يقرّبني إلى الجنة ويباعدني من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها . قال : قلت : يا رسول الله ، " لا إله إلا الله " من الحسنات ؟ قال : هي أحسن الحسنات"[1].

وروي عن ابن مسعود-رضي الله عنه-:"إن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرا، وإذا عمل سيئة لم يكتب عليه إلا واحدة، ثم يقول: هلك من غلبت وحداته أعشاره "[2].

عن قتادة قوله : "{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون} ، ذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول : الأعمال ستة : مُوجِبة ومُوجِبة ، ومُضْعِفة ومُضْعِفة ، ومِثْل ومِثْل . فأما الموجبتان : فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقي الله مشركًا به دخل النار. وأما المضعف والمضعف : فنفقة المؤمن في سبيل الله سبعمئة ضعف ، ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها . وأما مثل ومثل : فإذا همّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة"[3].

ثم في ذلك قولان :

أحدهما : أنه عام في جميع الناس. وهذا قول من قال بأن« الحسنة كلمة الإخلاص، والسيئة: الكفر». ومن الأخبار التي جاءت في ذلك:

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يروي عن ربه ، عز وجل قال : "قال رسول الله ﷺ : "إن ربكم عز وجل رحيم ، من هَمَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا إلى سبعمائة ، إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له واحدة ، أو يمحوها الله ، عَزَّ وجل ، ولا يهلك على الله إلا هالك"[4].
هالك"[4].

عن خُرَيْم بن فاتك الأسدي ؛ أن النبي ﷺ قال : "الناس أربعة ، والأعمال ستة. فالناس مُوَسَّع له في الدنيا والآخرة ، وموسع له في الدنيا مَقْتور عليه في الأخرة ، ومقتور عليه في الدنيا موسع له في الآخرة ، وشَقِيٌ في الدنيا والآخرة. والأعمال مُوجبتان ، ومثل بمثل ، وعشرة أضعاف ، وسبعمائة ضعف ؛ فالموجبتان من مات مُسْلِمًا مؤمنًا لا يشرك بالله شيئًا وَجَبَتْ له الجنة ، ومن مات كافرًا وجبت له النار. ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها ، فعلم الله أنه قد أشعَرَها قَلْبَه وحرص عليها ، كتبت له حسنة. ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ، ومن عملها كتبت واحدة ولم تضاعف عليه. ومن عمل حسنة كانت عليه بعشرة أمثالها. ومن أنفق نفقة في سبيل الله ، عَزَّ وجل ، كانت له بسبعمائة ضعف"[5].

وروي عن النبي ﷺ قال : "يحضر الجمعة ثلاثةُ نَفَر : رجل حَضَرها بِلَغْوٍ فهو حَظُّه منها ، ورجل حضرها بدعاء ، فهو رجل دعا الله ، فإن شاء أعطاه ، وإن شاء مَنَعه ، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يَتَخَطَّ رَقَبَة مسلم ولم يُؤْذ أحدًا ، فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام ؛ وذلك لأن الله يقول : { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا }"[6].

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٢٩٢):ص٢٧٩/١٢.
[2]الزهد والرقائق لابن المبارك: ١٢٣/٢.
[3] أخرجه الطبري(١٤٢٩١):ص٢٧٩/١٢.
[4]) صحيح البخاري برقم (٦٤٩١) وصحيح مسلم برقم (١٣١).
[5]المسند (٣٤٥/٤)، وسنن الترمذي برقم (١٦٢٥) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠٢٧) وقال الترمذي : : "وفي الباب عن أبي هريرة ، وهذا حديث حسن إنما نعرفه من حديث الركين بن الربيع".
[6] رواه ابن ابي حاتم، كما في تفسير ابن كثير:٣٨٠/٣ ، ورواه أبو داود في السنن برقم (١١١٣)، وابن خزيمة خزيمة في صحيحه برقم (١٨١٣) من طريق يزيد بن زريع به.

وعن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدَّهْرَ كله"[١].

والقول الثاني : أنه خاص في الأعراب إذا جاء أحدهم بحسنة فله عشر أمثالها ، فأما غيرهم من المهاجرين فلمن جاء منهم بحسنة سبعمائة ، قاله ابن عمر[٢]، وأبو سعيد الخدري[٣].

وفي مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، وجوه:

أحدها: لأن الله فرض عُشْر أموالهم ، وكانوا يصومون في كل شهر ثلاثة أيام وهي البيض منه ، فكان آخر العُشْر من المال آخر جميع المال ، وآخر الثلاثة الأيام آخر جميع الشهر .

وأما مضاعفة ذلك بسبعمائة ضعف فلقوله تعالى :{مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ} [البقرة : ٢٦١] ، فضاعف الله الحسنة بسبعمائة ضعف.

وكان الحسن البصري يقرأ :«فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالُهَا» بالتنوين[٤].

قال الطبري :"وذلك على وجه صحيح في العربية ، غير أن القرأة في الأمصار على خلافها ، فلا نستجيز خلافها فيما هي عليه مُجْمِعة "[٥].

والقول الثاني: أن الحسنة اسم عام يطلق على كل نوع من الإيمان وينطلق على عمومه ، فإن انطلقت الحسنة على نوع واحد منه ، فليس له عليها من الثواب إلا مثل واحد ، وإن انطلقت على حسنة تشتمل على نوعين ، كان الثواب عليها مثلين كقوله :{اتَّقُواْ اللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ} [الحديد : ٢٨] ، والكفل : النصيب كالمثل ، فجعل لمن اتقى وآمن بالرسول نصيبين ، نصيباً لتقوى الله ، ونصيباً لإيمانه برسوله ، فدل على أن الحسنة التي جعلت لها عشر أمثالها هي التي جمعت عشرة أنواع من الحسنات ، وهو الإيمان الذي جمع الله في صفته عشرة أنواع بقوله:{إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}، إلى قوله:{وَأَجْراً عَظِيماً}[الاحزاب : ٣٥] ، فكانت هذه الأنواع العشرة التي ثوابها عشرة أمثالها ، فيكون لكل نوع منها مثل.قاله ابن بحر[٦].

قال الماوردي:"وهذا تأويل فاسد ، لخروجه عن عموم الظاهر ، لما لا يحتمله تخصيص العموم ، لأن ما جمع عشرة أنواع فهو عشر حسنات ، فليس يجزي عن حسنة إلا مثلها ، وبطل أن يكون جزاء الحسنة عشر أمثالها"[٧].

والثالث: : أن له عشر أمثالها في النعيم والزيادة لا في عظيم المنزلة ، لأن منزلة التعظيم لا تنال إلا بالطاعة ، وهذه مضاعفة تفضيل كما قال :{لِيُوَفِّيهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٠]. ذكره الماوردي عن بعض المفسرين[٨].

قوله تعالى:{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} [الأنعام : ١٦٠]، أي:" ومن لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها"[٩].

---

[١]المعجم الكبير (٢٩٨/٣) وقال الهيثمي في المجمع (١٧٣/٢) : "فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه ، قال أبو حاتم : لم يسمع من أبيه شيئا".

ورواه الإمام أحمد في المسند (١٤٥/٥) والنسائي (٢١٩/٤) وابن ماجة برقم (١٧٠٨) والترمذي برقم (٧٦٢)، وزاد : "فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه : { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } اليوم بعشرة أيام" ، ثم قال : "هذا حديث حسن".

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٤):ص٢٨٠/١٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٣):ص٢٧٩/١٢-٢٨٠.

[٤] انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٢، والنكت والعيون:١٩٤/٢.

[٥] تفسير الطبري:٢٨١/١٢.

[٦]انظر: النكت والعيون:١٩٤/٢.

[٧]انظر: النكت والعيون:١٩٤/٢.

[٨]انظر: النكت والعيون:١٩٤/٢.

[٩] التفسير الميسر:١٥٠.

قال الطبري:" يقول : ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدِّين الحقّ والكفر بالله ، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء ، كما وافى الله به من عمله السيئ"[١].

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأنعام : ١٦٠]، أي:"وهم لا يُنقصون من جزائهم شيئاً"[٢].

قال الطبري:" يقول : ولا يظلم الله الفريقين ، لا فريق الإحسان ، ولا فريق الإساءة ، بأن يجازي المحسن بالإساءة والمسيء بالإحسان ، ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له ، لأنه جل ثناؤه حكيمٌ لا يضع شيئًا إلا في موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه ، ولا يجازي أحدًا إلا بما يستحقّ من الجزاء"[٣].

و«الظلم»:هو "وضع الشيء في غير موضعه"[٤]، ومنه قول نابغة الذبياني [٥]:

إِلا أُوَارِيَّ لأيًا مَا أُبَيِّنُهَا   وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ

فجعل الأرض مظلومة، لأن الذي حفر فيها النؤى حَفر في غير موضع الحفر، فجعلها مظلومة، لموضع الحفرة منها في غير موضعها، ومن ذلك قول ابن قَمِيئة في صفة غيث[٦]:

ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ   فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ

قوله ظلمه إياه: مجيئه في غير أوانه، وانصبابه في غير مصبِّه. ومنه: ظَلَم الرجلُ جَزوره، وهو نحره إياه لغير علة. وذلك عند العرب وَضْع النحر في غير موضعه[٧].

الفوائد:

١- الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} [الأنعام، الآية: ١٦٠]، وقال سبحانه: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [سورة الغاشية، الآيتين: ٢٥-٢٦]، وقال: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧] .

عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذا بيد ابن عمر إذ عرض له رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول: في النجوى يوم القيامة؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله عز وجل يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها

---

[١] تفسير الطبري:٢٧٥/١٢.

[٢] صفوة التفاسير:٣٩٩/١.

[٣] تفسير الطبري:٢٧٥/١٢.

[٤] تفسير الطبري:٢٧٥/١٢.

[٥]ديوانه: ٢٣.

[٦]البيت جاء في بعض كتب التفاسير منسوبًا لعمرو بن قميئة (انظر: تفسير القرطبي: ٢/ ٥٠). وصحة نسبته إلى الحادرة الذبياني، وهو في ديوان الحادرة، قصيدة: ٤، البيت رقم: ٧، وشرح المفضليات: ٥٤. والبطاح جمع بطحاء وأبطح: وهو بطن الوادي. وأنهل المطر انهلالا: اشتد صوبه ووقعه. والحريصة والحارصة: السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض، أي تقشره من شدة وقعها. والنطاف جمع نطفة: وهي الماء القليل يبقى في الدلو وغيره. وقوله: " بعيد المقلع ": أي بعد أن أقلعت هذه السحابة. ورواية المفضليات: " ظلم البطاح له " وقوله: " له ": أي من أجله.

[٧]انظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٢٤.

لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فيقول الأشهاد ": {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} [هود: ١٨] "[١].

وصح عن النبي ﷺ:" إنْ هَمّ بحسنة فعملها كُتبت عشراً، وإن لم يَعملها كتبتْ حسنةً، وإن همّ بسيئة فعملها كتبتْ سيئةً، وإن لم يعملها كتبتْ حسنةً"[٢].

٢- أن الله سبحانه وتعالى يحاسب عباده على أن يجازي على السيئة بسيئة مثلها المماثلة يحددها هو وحده. ويجازي على الحسنة بعشر أمثالها، وقد يجازي عليها بأكثر من ذلك لأن الناس يتفاوتون في إتقان أعمالهم، والإحسان فيه، كما يتفاوتون في الإخلاص لله تعالى في مثل الصلاة، والصيام، والحج، أما في الصدقة فهم مع تفاوتهم في الإخلاص يتفاوتون أيضا في تحري من يستحقها، فرب قرش يعطى لفقير أفضل عند الله من قرش يعطى لسائل ورب قرش يعطى لأسرة بائسة أفضل عند الله تعالى من دينار يعطى جزافا، وفي هذا يقول الله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأنعام : ١٦٠]، ويقول: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة : ٢٤٥] ، ويقول: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة : ٢٦١] كل ذلك عدل من الله تعالى وحكمة وفضل[٣].

القرآن

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)} [الأنعام : ١٦١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

---

[١] أخرجه احمد(٥٤٣٦):ص٣١٨/٩، و إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه ابن خزيمة في "التوحيد"٣٨٩/١) ٢٣٢) من طريق عفان وحده، بهذا الإسناد.

وأخرجه ابن أبي شيبة ١٨٩/١٣، وعبد بن حميد (٨٤٦) ، والبخاري (٢٤٤١) ، وفي "خلق أفعال العباد" (٣٤٤) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٦٠٤) ، واين خزيمة في "التوحيد"٣٨٧/١، وأبو عوانة في التوبة كما في "إتحاف المهرة" ٣/ورقة (١٨٠) ، وابن حبان (٧٣٥٦) ، والبيهقي في "الأسماء والصفات"ص ٥٦ من طرق، عن همام بن يحيى، به.

وأخرجه ابن المبارك في "الزهد" (١٦٦) ، والبخاري (٦٠٧٠) و (٧٥١٤) ، وفي "خلق أفعال العباد" (٣٢٩) و (٣٣٠) و (٣٣١) و (٣٣٣) ، ومسلم (٢٧٦٨) ، وابن أبي عاصم في " السنة" (٦٠٥) ، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (٤٣٧) ، وأبو يعلى (٥٧٥١) ، والطبري في "تفسيره" (٦٤٩٦) و (٦٤٩٧) و (١٨٠٩٠) ، وابن خزيمة في "التوحيد"٣٨٦/١ و٣٨٩، وأبو عوانة في التوبة كما في "إتحاف المهرة"٣/ورقة (١٨٠) ، والنحاس في "الناسخ والمنسوخ"ص ١٠٥، وابن حبان (٧٣٥٥) ، والآجري في " الشريعة"ص ٢٦٨، وابن منده في "الإيمان" (٧٩٠) و (١٠٧٧) و (١٠٧٨) و (١٠٧٩) ، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٢١٩-٢٢٠ من طرق، عن قتادة، به.

قوله:"يقول في النجوى يوم القيامة،، قال السندي: أي: بين الله وبين العبد.

وقوله:"يدني"، قال: من الإدناء بمعنى التقريب، أي: يقربه منه.

وقوله:"كنفه"، قال. بفتحتين، في "القاموس": كنف الله محركة: حرزه وستره، وهو الجانب والظل والناحية.

وقوله:"ويقرره "، قال: أي: يحمله على الإقرار بذنوبه.

[٢] أخرجه أحمد(٢٠٠١)/ص٤٨١/٢، إسناده صحيح، رواه البخاري مطولا ١١: ٢٧٧ - ٢٨٢ ومسلم كذلك ١: ٤٨.

[٣] انظر: كتاب التوحيد المسمى بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر الحملاوي:١٩٠.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام : ١٦١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته"(١).

قال الطبري:"يقول : قل لهم إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم ، هو دين الله الذي ابتعثه به ، وذلك الحنيفية المسلمة ، فوفقني له"(٢).

قال ابن كثير:" يقول الله تعالى آمرًا نبيه ﷺ سيد المرسلين أن يخبر بما أنعم الله به عليه من الهداية إلى صراطه المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف"(٣).

قرأ أبو عمرو ونافع فى رواية جماز وإسماعيل بن جعفر:«هدنى»، بـ«ياء» فى الوصل، والوقف بغير «ياء»، وفى رواية المسيبي وقالون وورش:«هدن»، بغير «ياء» فى وصل ولا وقف، وكذلك قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بغير «ياء» فى وصل ولا وقف"(٤).

قوله تعالى:{دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } [الأنعام : ١٦١]، أي:" وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام"(٥).

قال الطبري:" يقول : مستقيمًا {ملة إبراهيم}، يقول : دين إبراهيم ، {حنيفًا} يقول : مستقيمًا"(٦).

قال الأخفش:" {دينا قيما} أي: مستقيما"(٧).

قال الزجاج:" القيم: هو المستقيم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : قائمًا ثابتًا ، { مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } كقوله { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ } [البقرة : ١٣٠] ، وقوله { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ } [الحج : ٧٨] ، وقوله : { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [النحل : ١٢٠ - ١٢٣].

وليس يلزم من كونه -عليه السلام- أُمِرَ باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها ؛ لأنه ، -عليه السلام- قام بها قيامًا عظيمًا ، وأكملت له إكمالا تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال ؛ ولهذا كان خاتم الأنبياء ، وسيد ولد آدم على الإطلاق ، وصاحب المقام المحمود الذي يرهب إليه الخلق حتى إبراهيم الخليل ، عليه السلام"(٩).

وفي معنى قوله تعالى:{حَنِيفًا}[الأنعام:١٦١]، لأهل اللغة فيه قولان(١٠):

الأول: أن الحنيف هو المستقيم.

قال الطبري: "(الحنيف)، فإنه المستقيم من كل شيء"(١١).

ومنه قيل للأعرج: أحنف، تفاؤلا بالسلامة، كما قالوا للديغ: سليم، والمهلكة: مفازة، قالوا: فكل من أسلم لله ولم ينحرف عنه في شيء فهو حنيف(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢) تفسير الطبري:٢٨١/١٢-٢٨٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٨٠/٣.
(٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٤.
(٥) التفسير الميسر:١٥٠.
(٦) تفسير الطبري:٢٨٢/١٢.
(٧) معاني القرآن:٣١٨/١.
(٨) معاني القرآن:٣١٠/٢.
(٩) تفسير ابن كثير:٣٨٠/٣-٣٨١.
(١٠)انظر: مفاتيح الغيب: ٧١/٤.
(١١) تفسير الطبري: ١٠٤/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٣.

الثاني: أن الحنيف المائل، لأن الأحنف هو الذي يميل كل واحد من قدميه إلى الأخرى بأصابعها، وتحنف إذا مال. وهذا قول الزجاج.
قال الزجاج:" الحنيفية: الميل إلى الإسلام ميلا لا رجوع معه"[١].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{حَنِيفًا}[الأنعام : ١٦١]، على أقوال:
أحدها: أن الحنيفية حج البيت، والحنيف هو الحاج. وهذا قول ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وعطية[٥]، وكثير بن زياد[٦]، وعبدالله بن قاسم[٧]، والضحاك[٨]، والسدي[٩].
وقالوا: "إنما سمي دين إبراهيم الإسلام (الحنيفية)، لأنه أول إمام لزم العباد - الذين كانوا في عصره ، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة - اتباعه في مناسك الحج ، والائتمام به فيه. قالوا : فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته ، فهو (حنيف)، مسلم على دين إبراهيم"[١٠].
والثاني: أنها اتباع الحق، قاله مجاهد[١١]، والربيع بن أنس[١٢].
والثالث: اتباع إبراهيم في شرائعه التي هي شرائع الإسلام.
فقالوا: "إنما سمي دين إبراهيم (الحنيفية)، لأنه أول إمام سن للعباد الختان ، فاتبعه من بعده عليه. قالوا : فكل من اختتن على سبيل اختتان إبراهيم ، فهو على ما كان عليه إبراهيم من الإسلام ، فهو " حنيف " على ملة إبراهيم"[١٣].
والرابع: أنها: الإخلاص. قاله السدي[١٤]، ومقاتل بن سليمان[١٥]، وخصيف[١٦].
والخامس: وقيل: (الحنيفية) الإسلام. فكل من ائتم بإبراهيم في ملته فاستقام عليها ، فهو (حنيف).
قال القفال: "وبالجملة فالحنيف لقب لمن دان بالإسلام كسائر ألقاب الديانات، وأصله من إبراهيم عليه السلام"[١٧].
والسادس: أن الحنيف: المستقيم. قاله محمد بن كعب[١٨]، وروي عن عيسى بن جارية[١٩] مثله.
السابع: أن الحنيف: الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[٢٠].

---

(١) معاني القرآن:٣١١/٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٧):ص١٠٦/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، و(٦٠٠٨)ص١٠٧٤/٤، و(٨١٧٥):ص١٤٣٣/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص١٠٤/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص١٠٦/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص١٠٤/٣-١٠٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص١٠٦/٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص١٠٦/٣.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
(٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ١٠٤/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص١٠٦/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص٢٤١/١، و(٨١٧٦):ص١٤٣٣/٥.
(١٢)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص٢٤١/١.
(١٣) تفسير الطبري: ١٠٦/٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص١٠٧/٣.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤١/١.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٩) :ص١٤٣٤/٥.
(١٧) مفاتيح الغيب: ٧١/٤.
(١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٧) :ص١٤٣٣/٥.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٤٢/١.
(٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٨) :ص١٤٣٤/٥.

الثامن: أن الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا. قاله أبو العالية[1].

التاسع: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[2]، وأبو عبيدة[3].

قال أبو عبيدة:" الحنيف فى الجاهلية من كان على دين إبراهيم، ثم سمّى من اختتن وحج البيت حنيفا لما تناسخت السنون، وبقي من يعبد الأوثان من العرب قالوا: نحن حنفاء على دين إبراهيم، ولم يتمسكوا منه إلا بحج البيت، والختان والحنيف اليوم: المسلم.

قال ذو الرمة[4]:

إذا خالف الظّلّ العشىّ رأيته　　　　حنيفا ومن قرن الضّحى يتنصّر

يعنى الحرباء"[5].

والصواب: أن (الحنيفية) هو الإستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، وهذا اختيار الإمام الطبري[6]. والله أعلم.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو:{دينا قيما}، مفتوحة «القاف» مشددة «الياء»، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى :{قيما} مكسورة «القاف» مفتوحة «الياء»"[7].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٦١]، أي:" وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره"[8].

قال الطبري:" يقول : وما كان من المشركين بالله ، يعني إبراهيم صلوات الله عليه ، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام"[9].

سمعت ذر بن عبد الله الهَمْدَاني ، يحدث عن ابن أبْزَى ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال : "أصبحنا على مِلَّة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ، وملة أبينا إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين"[10].

وعن ابن عباس قال : قيل لرسول الله ﷺ : أي الأديان أحبّ إلى الله ؟ قال : "الحنيفية السمحة"[11].

عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : "وضع رسول الله ﷺ ذقني على منكبه ، لأنظر إلى زَفْن الحبشة ، حتى كنت التي مللت فانصرفت عنه".

قال عبد الرحمن ، عن أبيه قال : قال لي عروة : "إن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يومئذ : "لتعلم يَهودُ أن في ديننا فُسْحَةً ، إني أرسلت بِحَنيفيَّة سَمْحَة"[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦):ص٢٤٢/١.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١.
(٣) انظر: مجاز القرآن:٥٨/١.
(٤)ديوانه ٢٢٩، والاضداد للانبارى ١٣١، والاقتضاب: ٣٩٣، وتفسير القرطبي ٢/ ١٤٠ واللسان "حول".
(٥) مجاز القرآن:٥٨/١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٣-١٠٨.
(٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٧٤.
(٨) التفسير الميسر:١٥٠.
(٩) تفسير الطبري:٢٨٢/١٢.
(١٠) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير:٣٨١/٣، ورواه أحمد في مسنده (٤٠٦/٣) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة به ، قال الهيثمي في المجمع (١١٦/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".
(١١)المسند (٢٣٦/١) وقال الهيثمي في المجمع (٦٠/١) : "فيه ابن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع"..

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة أن ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، قال تعالى: {قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبّى إِلَى صِراطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إبْراهِيمَ حَنِيفًا}، فصرح في هذه الآية بأنها دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ، فبعد أن طال الأمد على قلوب قست ونست حقيقة دين إبراهيم، جاء محمد ليجدد البناء ويدعو إلى الله على بصيرة، فيقيم بالحق دين إبراهيم.
قال تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨] .
٢- وفي هذه الآية بيان أن حياة الرسول - ﷺ - كانت كلها توحيدا خالصا لله تعالى، كان إيمانه توحيدا، وكانت نيته توحيدا، وكانت عبادته توحيدا، وكان عمله توحيدا، وكان خلفه توحيدا.
٣- ومنها: الثناء على إبراهيم عليه السلام من وجوه ثلاثة:
- أولاً: إمامته؛ ووجهها: أننا أمرنا باتباعه؛ والمتبوع هو الإمام.
- ثانياً: أنه حنيف؛ والحنيف هو المائل عن كل دين سوى الإسلام.
- ثالثاً: أنه ليس فيه شرك في عمله -ﷺ-؛ لقوله تعالى: {وما كان من المشركين}.
٤- ومن فوائد الآية: أن الشرك ممتنع في حق الأنبياء؛ لقوله تعالى: {وما كان من المشركين}.
٥- ومنها: أن ملة إبراهيم (عليه السلام) أفضل الملل؛ وهي التوحيد، والحنيفية السمحة؛ لقوله تعالى: {ملة إبراهيم حنيفاً}.

القرآن
{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} [الأنعام : ١٦٢]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي، أي: ذبحي لله وحده، لا للأصنام، ولا للأموات، ولا للجن، ولا لغير ذلك مما تذبحونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون، وحياتي وموتي لله تعالى رب العالمين.
قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي} [الأنعام : ١٦٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن صلاتي التي أعبد بها ربي"(٢).
قال مقاتل بن حيان:" صلاتي المفروضة"(٣).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل ، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان :{إن صلاتي}"(٤).
قال ابن كثير:" يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه ، أنه مخالف لهم في ذلك ، فإن صلاته لله"(٥).
قوله تعالى:{وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]، أي:"و ذبحي"(٦).
قال الطبري:" يقول : وذبحي"(١).

---

(١)المسند (١١٦/٦).
(٢) التفسير الميسر:١٥٠، وصفوة التفاسير:٤٠٠/١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٠):ص١٤٣٤/٥.
(٤) تفسير الطبري:٨٣/١٢.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٨١/٣.
(٦) صفوة التفاسير:٤٠٠/١.

قال ابن كثير:" ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله تعالى : { فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } [الكوثر : ٢]، أي : أخلص له صلاتك وذبيحتك ، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها ، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه ، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]، أربعة أقوال:

أحدها : أنه الذبيحة في الحج والعمرة ، قاله سعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥]، والسدي[٦]، والضحاك[٧]، وابن قتيبة[٨].

والثاني : معناه: ديني ، قاله الحسن[٩].

والثالث : معناه: عبادتي، قاله الزجاج[١٠]، من قولهم فلان ناسك أي عابد ، والفرق بين الدين والعبادة : أن الدين اعتقاد ، والعبادة عمل .

والرابع: معناه: حجّي. وهذا قول مقاتل بن حيان[١١].

قال الواحدي: " و«نسك» في اللغة على معنيين: أحدهما: ذَبَح، والآخر: عَبَدَ، فلا يُدرى أيهما الأصل"[١٢].

قال ابن قتيبة:" {وَنُسُكِي} ذبائحي، جمع«نَسِيكةٍ». وأصل «النُّسُك»: ما تقربت به إلى الله"[١٣].

وقال القرطبي: " إن أصل «النسك» في اللغة:«الغسل»، يقال منه: نسك ثوبه إذا غسله، وهو في الشرع اسم للعبادة، يقال: رجل ناسك إذا كان عابدا"[١٤].

قال أبو السعود: " والنُسُك في الأصل غايةُ العبادة وشاعَ في الحج لما فيه من الكُلفة والبعد عن العادة"[١٥].

قال الفخر الرازي:" روى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل: للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة

---

(١) تفسير الطبري:٨٣/١٢.

(٢) تفسير ابن كثير:٣٨١/٣-٣٨٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٩)-(١٤٣٠٢):ص٢٨٤/١٢-٢٨٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٦):ص٢٨٤/١٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٣):ص٢٨٥/١٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٤):ص٢٨٥/١٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٥):ص٢٨٥/١٢.

(٨) انظر: غريب القرآن:١٦٤.

(٩) انظر: النكت والعيون:١٩٥/٢.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ١/ ٢٠٩.وانظر: تهذيب اللغة: ٤/ ٣٥٦٢: (نسو).

فسره بالعبادة، في تفسير قوله تعالى: {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا} [البقرة: ١٢٨]، فقال:" وكل متعبَّد فهو مَنْسَك ومَنْسِكِ، ومن هذا قيل للعابد: ناسك، وقيل للذبيحة المتقرب بها إلى الله تعالى النسيكة، كأنَّ الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة للهِ جلَّ وعزَّ".

وأما في تفسير قوله تعالى: {وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]، فقال:"النسك الذبح، والنسك ما يتقرب به إلى الله جل وعز".

وقوله "معناه عبادتي". حكاه الماوردي عن الزجاج في النكت والعيون:١٩٥/٢، ولم اجده عند الزجاج في تفسيره لآية الأنعام..

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨١٨٢):ص١٤٣٤/٥.

(١٢)التفسير البسيط: ٣/ ٣٢٢.

(١٣) غريب القرآن:١٦٤.

(١٤)تفسير القرطبي: ٢/ ١٢٨.

(١٥)تفسير أبي السعود: ١/ ١٦١.

المخلصة من الخبث وعلى هذا التأويل فـ«النسك»: كل ما تقربت به إلى الله تعالى، إلا أن الغالب عليه في العرف: الذبح"[١].

قوله تعالى:{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} [الأنعام : ١٦٢]، أي:" وحياتي ووفاتي وما أقدّمه في هذه الحياة من خيرات وطاعات"[٢].

قال الطبري:" يقول : وحياتي، ووفاتي"[٣].

قال الفخر الرازي:" أي: حياتي وموتي لله"[٤].

قال القرطبي:أي:" ما أعمله في حياتي ، وما أوصي به بعد وفاتي"[٥].

قال في التسهيل:أي:" أعمالي في حين حياتي وعند موتي خالصا لوجهه وطلب رضاه"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} [الأنعام : ١٦٢]، ثلاثة وجوه[٧]:

أحدها : أن حياته ومماته بيد الله تعالى لا يملك غيره له حياة ولا موتاً ، فلذلك كان له مصلياً وناسكاً .

والثاني : أن حياته لله في اختصاصها بطاعته ، ومماته له في رجوعه إلى مجازاته .

والثالث : أن عملي في حياتي ووصيتي عند مماتي لله. أفاده الماوردي[٨].

قال البغوي:" أي: هو يحييني ويميتني، وقيل: محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين، وقيل: طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين"[٩].

وكلهم قرأ:{ومحياي} محركة «الياء»، {ومماتي} ساكنة «الياء»، غير نافع فإنه أسكن «الياء» فى {ومحياي} ونصبها فى «مماتى»[١٠].

قوله تعالى:{لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ١٦٢]، أي:" ذلك كله لله خالصاً لله تعالى رب العالمين دون ما أشركتم به"[١١].

قال الطبري:" يعني : أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به ، أيها المشركون ، من الأوثان"[١٢].

قال القرطبي:" أي: أفرده بالتقرب بها إليه"[١٣].

قال الماوردي:" {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، صفة الله تعالى أنه مالك العالم دون غيره ، فلذلك كان أحق بالطاعة والتعبد من غيره"[١٤].

قال الفخر الرازي في تفسير الآية:" اعلم أنه تعالى كما عرفه الذين المستقيم عرفه كيف يقوم به ويؤديه فقوله: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ١٦٢]، يدل على أنه يؤديه مع الإخلاص وأكده بقوله:{لَا شَرِيكَ لَهُ} [الأنعام : ١٦٣]، وهذا يدل

---

[١] مفاتيح الغيب:١٩١/١٤.
[٢] صفوة التفاسير:٤٠٠/١.
[٣] تفسير الطبري:٨٣/١٢.
[٤] مفاتيح الغيب:١٩١/١٤.
[٥] تفسير القرطبي:١٥٢/٧.
[٦] التسهيل:٢٨٣/١.
[٧] انظر: النكت والعيون:١٩٥/٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:١٩٥/٢.
[٩] تفسير البغوي:٢١١/٣.
[١٠] انظر: السبعة في القراءات:٢٧٤.
[١١] التفسير الميسر:١٥٠، وصفوة التفاسير:٤٠٠/١.
[١٢] تفسير الطبري:٨٣/١٢.
[١٣] تفسير القرطبي:١٥٢/٧.
[١٤] النكت والعيون:١٩٥/٢.

على أنه لا يكفي في العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل يجب أن يؤتى بها مع تمام الإخلاص وهذا من أقوى الدلائل على أن شرط صحة الصلاة أن يؤتى بها مقرونة بالإخلاص"[١].

عن جابر بن عبد الله قال : "ضَحَّى رسول الله ﷺ في يوم عيدٍ بِكَبْشَيْنِ وقال حين ذبحهما :"وَجَّهْت وجهي للذي فَطَر السموات والأرض حنيفًا وَمَا أنا من المشرِكين ، { إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}"[٢].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده، {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.
٢- أن النبي محمد-ﷺ- المبعوث إلى الناس كافة وخاتم الأنبياء، وأول المسلمين على الإطلاق.
٣- إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له.

والإخلاص لله معناه: "أن يقصد المرء بعبادته التقرب إلى الله تعالى والتوصل إلى دار كرامته"[٣].

٤- دلّت الآية على إخلاص النبي ﷺ وابتغائه وجه الله بأعماله، ومن ذلك قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً} [الجن :٢٠]، {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي} [الزمر ١٤].
٥- دلّت الآية على أن الذبح عبادة، ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من ذبح لغير الله»[٤].

وعن طارق بن شهاب: أن رسول الله ﷺ قال: "دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب. قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال ليس عندي شيء أقرب، قالوا له: قرب ولو ذبابا. فقرب ذبابا، فخلوا سبيله. فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله، فضربوا عنقه؛ فدخل الجنة"[٥].

في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار، ألا ترى إلى هذا لما قرب لهذا الصنم أرذل الحيوان وأخسه وهو الذباب كان جزاؤه النار، لإشراكه في عبادة الله، إذ الذبح على سبيل القربة والتعظيم عبادة، وهذا مطابق لقوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}[المائدة:٧٢]. وفيه الحذر من الذنوب وإن كانت صغيرة في الحسبان، كما قال أنس: "إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات"[٦].

قال الطرطوشي:" فانظروا - رحمكم الله - إذا كان في ذلك الزمان طمس الحق وظهر الباطل حتى لا يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟ ! والله المستعان"[٧].

ومن ذلك قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك أنه كان لا يقصر في السفر، فيقال له: أليس قصرت مع النبي ﷺ؟ فيقول: " بلى! ولكني إمام الناس، فينظر إليَّ الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون: هكذا فرضت "[١]!

---

[١] مفاتيح الغيب:١٤/١٩١.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣/٣٨٢، وفي إسناده انقطاع ، فإن يزيد بن أبي حبيب لم يسمع يسمع من ابن عباس ، قال الدارقطني في العلل : "لم يسمع من أحد من الصحابة".
[٣] شرح كشف الشبهات، ابن عثيمين:١١٢.
[٤] رواه مسلم: الأضاحي (١٩٧٨) ، والنسائي: الضحايا (٤٤٢٢) ، وأحمد (١/١٠٨، ١/١١٨، ١/١٥٢) .
[٥]صحيح موقوفا: رواه أحمد في الزهد (١٥ ، ١٦) ، وأبو نعيم في الحلية (١/٢٠٣) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي موقوفا بسند صحيح أفاده الدوسري في النهج السديد.
[٦]رواه البخاري في: (كتاب الرقاق، باب مايتقى من محقرات الذنوب) فتح ... الباري ١١/٣٢٩، ح٦٤٩٢.
[٧] الحوادث والبدع:٤٢.

٦- مشروعية قول {إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين} في القيام للصلاة، وذلك لحديث مسلم عن عليّ بن أبي طالب، قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر استفتح ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات، والأرض حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين "[٢].

القرآن

{لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} [الأنعام : ١٦٣]

التفسير:

لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في صفاته وأسمائه، وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي جل وعلا وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة.

قوله تعالى:{لَا شَرِيكَ لَهُ} [الأنعام : ١٦٣]، أي:" لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في صفاته وأسمائه"[٣].

قال الطبري:أي:" في شيء من ذلك من خلقه ، ولا لشيء منهم فيه نصيب ، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا"[٤].

قال في التسهيل:أي:" لا أريد بأعمالي غير الله، فيكون نفيا للشرك الأصغر وهو الرياء، ويحتمل أن يريد لا أعبد غير الله فيكون نفيا للشرك الأكبر"[٥].

قال ابن كثير:" فإن جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام ، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : ٢٥] ، وقد أخبر تعالى عن نوح أنه قال لقومه : { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [يونس : ٧٢] ، وقال تعالى : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [البقرة : ١٣٠ - ١٣٢] ، وقال يوسف ، عليه السلام : { رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ

---

[١] ذكره الطرطوشي في الحوادث والبدع:٤٢، أما إتمام عثمان رضي الله عنه للصلاة بمنى: فثابت في "الصحيحين" من عدة طرق، منها: ما أخرجه البخاري (١٠٨٤)، ومسلم (٦٩٥) من طريق عبد الرحمن بن يزيد؛ قال: صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمنى أربع ركعات، فقيل ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فاسترجع! ثم قال: صليت مع رسول الله ﷺ بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمنى ركعتين، فليت حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان. وأما جعل سبب إتمام عثمان رضي الله عنه، مراعاة حال الأعراب: فأخرجه أبو داود (١٩٦٤)، والطحاوي في "شرح المعاني" (١/ ٤٢٥) من طريق أيوب، عن الزهري: أن عثمان بن عفان أتم الصلاة بمنى من أجل الأعراب، لأنهم كثروا عامئذ، فصلى بالناس أربعا ليعلمهم أن الصلاة أربع.

وأخرجه البيهقي (٣/ ١٤٤) من طريق عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عثمان: أنه أتم الصلاة بمنى، ثم خطب الناس فقال: يا أيها الناس! إن السنة سنة رسول الله ﷺ وسنة صاحبيه؛ ولكنه حدث العام من الناس [طغام] فخفت أن يستنوا.

وأخرجه عبد الرزاق (٤٢٧٧) عن ابن جريج؛ قال: بلغني أنه أوفى أربعا بمنى قط من أجل أن أعرابيا ناداه في مسجد الخيف بمنى: يا أمير المؤمنين! مازلت أصليها ركعتين منذ رأيتك عام أول صليتها ركعتين، فخشي عثمان أن يظن جهال الناس إنما الصلاة ركعتين؛ وإنما كان أوفاها بمنى قط.

قال الحافظ في "الفتح" (٢/ ٥٧١): "وهذه طرق يقوي بعضها بعضا، ولا مانع أن يكون هذا أصل سبب الإتمام".

[٢] المسند(٧٢٩):ص١٣٢/٢، ومسند أبي داود(١٤٧):ص١٢٩/١.

[٣] التفسير الميسر:١٥٠.

[٤] تفسير الطبري:٨٣/١٢.

[٥] التسهيل:٢٨٣/١.

وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } [يوسف : ١٠١] ، وَقَالَ مُوسَى { يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [يونس : ٨٤ - ٨٦] ، وقال تعالى : { إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ [بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ } الآية[المائدة : ٤٤] ، وقال تعالى : { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ } [المائدة : ١١١].

فأخبر الله تعالى أنه بعث رسله بالإسلام ، ولكنهم متفاوتون فيه بحسب شرائعهم الخاصة التي ينسخ بعضها بعضًا ، إلى أن نسخت بشريعة محمد ﷺ التي لا تنسخ أبد الآبدين ، ولا تزال قائمة منصورة ، وأعلامها مشهورة إلى قيام الساعة ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «نحن مَعاشِر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد»[١] فإن أولاد العلات هم الأخوة من أب واحد وأمهات شَتَّى ، فالدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن تنوعت الشرائع التي هي بمنزلة الأمهات ، كما أن إخوة الأخياف عكس هذا ، بنو الأم الواحدة من آباء شتى ، والأخوة الأعيان الأشقاء من أب واحد وأم واحدة"[٢].

قوله تعالى:{وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} [الأنعام : ١٦٣]، أي:" وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي جل وعلا"[٣].

قال الطبري:" يقول : وبذلك أمرني ربي"[٤].

قال الماوردي:" يعني: ما قدم ذكره" [٥].

قال صاحب الكشاف:أي:" وبذلك من الإخلاص أمرت"[٦].

قال في التسهيل:" إشارة إلى الإخلاص الذي تقتضيه الآية قبل ذلك"[٧].

قوله تعالى:{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام : ١٦٣]، أي:" وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة"[٨].

قال قتادة:" أول المسلمين من هذه الأمة"[٩].

قال الطبري:" يقول : وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك"[١٠].

قال الماوردي:" يعني: من هذه الأمة حثّاً على اتباعه والمسارعة بالإسلام " [١١].

قال في التسهيل:" لأنه صلّى الله عليه وسلّم سابق أمته"[١٢].

قال صاحب الكشاف:" لأن إسلام كل نبى متقدم لإسلام أمته"[١٣].

وقال مقاتل:" يعني: المخلصين من أهل مكة"[١].

---

[١] الحديث:« أنا أولى بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ».

أخرجه أحمد (٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٥) ، والبخارى برقم (١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم (١٨٣٧/٤، رقم ٢٣٦٥) ، وأبو داود (٢١٨/٤، رقم ٤٦٧٥)..

[٢] تفسير ابن كثير:٣٨٢/٣-٣٨٣.

[٣] التفسير الميسر:١٥٠.

[٤] تفسير الطبري:٨٣/١٢.

[٥] النكت والعيون:١٩٦/٢.

[٦] الكشاف:٨٤.

[٧] التسهيل:٢٨٣/١.

[٨] التفسير الميسر:١٥٠.

[٩] أخرجه الطبري(١٤٣٠٦):ص٢٨٥/١٢.

[١٠] تفسير الطبري:٨٣/١٢.

[١١] النكت والعيون:١٩٦/٢.

[١٢] التسهيل:٢٨٣/١.

[١٣] الكشاف:٨٤.

قال أبو الليث: أي:"من اهل مكة، ويقال: أول المسلمين يوم الميثاق "[2].
قال الآلوسي:أي:{وأنا أول} "المنقادين إلى امتثال ما أمر الله تعالى به، وقيل: المستسلمين لقضاء الله تعالى وقدره، والمراد مسلمي أمته كما قيل، وهذا شأن كل نبي بالنسبة إلى أمته"[3].

عن علي رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا كبر استفتح ، ثم قال : "{ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [الأنعام : ٧٩] ، { إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعًا ، لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت. واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت. تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك.."[4].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: توحيده سبحانه وتعالى في ألوهيته: وهو العلم بأنه تعالى هو المستحق للعبادة وحده دون سواه والقصد والتوجيه والقيام بالعبادات كلها إليه.
ولقوله - ﷺ -:" إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله"[5].

٢- أن ما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام الذي لانجاة لأحد إلا بالدخول فيه.
دلّت الآية الكريمة أن حياة الإنسان كلها خاضعة لمنهج الله سبحانه وتعالى، ويجب أن تكون وفق منهج الله سبحانه وتعالى، وإذا تصور الإنسان أنه يمكن لجوانب من حياته أن تخرج عن منهج الله فهو مخالف لنص الآية؛ لأنه تعالى قال: {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي} [الأنعام:١٦٢]، أي: كل أحوالي {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:١٦٢]، ومخالف -أيضاً- لسيرة النبي ﷺ العملية، وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم، فإن النبي ﷺ قد صبغ الحياة كلها بالإسلام، وليس هناك ميدان أبداً من الميادين لم يصبغه هذا الدين بالإسلام، وليس هناك ميدان من الميادين أبداً لم يكن فيه شرع لله عز وجل.

القرآن

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)} [الأنعام : ١٦٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلها، وهو خالق كل شيء ومالكه ومدبره؟ ولا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثمه عليه، ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين.
في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:
أحدها: نقل ابن عطية عن النقاش :" روي أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك، فنزلت هذه الآية"[1].

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٠/١.
[2] بحر العلوم:٥٠٠/١.
[3] روح المعاني:٣١٢/٤.
[4] المسند (٩٤/١) وصحيح مسلم برقم (٧٧١).
[5] رواه الترمذي (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح.

والثاني: نقل البغوي عن ابن عباس: "كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: { وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا..}"[٢].

والثالث: أنها نزلت ردا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه. ذكره القرطبي[٣].

قوله تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلها"[٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "سيدا وإلها"[٥].

قال الطبري:" قل، يا محمد ، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، الداعيك إلى عبادة الأصنام واتباع خطوات الشيطان: أسوى الله أطلب سيدًا يسودني؟"[٦].

قال في التسهيل:" تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم"[٧].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : { قُلْ} يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه : { أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا } أي : أطلب ربا سواه"[٨].

قال ابن عطية:أي:" أفيحسن عندكم أن أطلب إلها غير الله"[٩].

قوله تعالى:{وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" وهو خالق كل شيء ومالكه ومدبره؟"[١٠].

قال الطبري:" يقول : وهو سيد كل شيء دونه ومدبّره ومصلحه"[١١].

قال السعدي:أي:" والله رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره، فتعين عليّ وعلى غيري، أن يتخذ الله ربا، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين"[١٢].

قال ابن كثير:أي:"يَرُبّنِي ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري ، أي : لا أتوكل إلا عليه ، ولا أنيب إلا إليه ؛ لأنه رب كل شيء ومليكه ، وله الخلق والأمر.

هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل ، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرًا في القرآن كما قال تعالى مرشدًا لعباده أن يقولوا : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة : ٥] ، وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } [هود : ١٢٣] ، وقوله { قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا } [الملك : ٢٩] ، وقوله { رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا } [المزمل : ٩] ، وأشباه ذلك من الآيات"[١٣].

قال في التسهيل:قوله: {وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ}،" برهان على التوحيد ونفي الربوبية عن غير الله"[١٤].

---

[١] المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.
[٢] تفسير البغوي:٢١٢/٣، وتفسير القرطبي:١٥٧/٧.
[٣] تفسير القرطبي:١٥٧/٧.
[٤] التفسير الميسر:١٥٠.
[٥] تفسير البغوي:٢١٢/٣.
[٦] تفسير الطبري:٢٨٥/١٢.
[٧] التسهيل:٢٨٣/١.
[٨] تفسير ابن كثير:٣٨٣/٣.
[٩] المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.
[١٠] التفسير الميسر:١٥٠.
[١١] تفسير الطبري:٢٨٦/١٢.
[١٢] تفسير السعدي:٢٨٢.
[١٣] تفسير ابن كثير:٣٨٣/٣.
[١٤] التسهيل:٢٨٣/١.

قال الربيع:" كان في ذلك الزمان ، لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خَلَّتين : إحداهما أفضل من صاحبتها. إمَّا أمرٌ ودعاء إلى الحق ، أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل في عملهم ، وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك ، وتحبّ لله وتبغض لله ، ولا تشارك أحدًا في إثم . قال : وقد أنزل في ذلك آية محكمة : {قل أغير الله أبغي ربًا وهو رب كل شيء} ، إلى قوله : {فيه تختلفون}، وفي ذلك قال : {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ } [سورة البينة : ٤]"[١].

قوله تعالى:{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" ولا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثمه عليه"[٢].

قال ابن عباس: "عليها ما اكتسبت، من العمل"[٣].

قال محمد بن كعب القرظي: "عليها ما اكتسبت من الشر"[٤].

قال البغوي:أي:" لا تجني كل نفس إلا ما كان من إثمه على الجاني"[٥].

قال الطبري:" يقول : ولا تجترح نفس إثمًا إلا عليها ، أي : لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى ، وركبت من الخطيئة ، سواها ، بل كل ذي إثم فهو المعاقب بإثمه والمأخوذ بذنبه"[٦].

قال الماوردي:" يعني: إلا عليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها "[٧].

قال في التسهيل:" ردّ على الكفار لأنهم قالوا له: أعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وأخراك، فنزلت هذه الآية: أي: ليس كما قلتم، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة"[٨].

قوله تعالى:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى"[٩].

قال البغوي:" أي: لا تحمل نفس حمل أخرى، أي: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره"[١٠].

قال القرطبي:" أي: لا تحمل حاملة ثقل أخرى، أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها"[١١].

قال في التسهيل:أي:" لا يحمل أحد ذنوب أحد، وأصل «الوزر»: الثقل، ثم استعمل في الذنوب"[١٢].

قال الطبري:" يقول : ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها ، ولكنها تأثم بإثمها ، وعليه تعاقب ، دون إثم أخرى غيرها .

وإنما يعني بذلك المشركين الذين أمرَ الله نبيه ﷺ أن يقول هذا القول لهم. يقول : قل لهم : إنا لسنا مأخوذين بآثامكم ، وعليكم عقوبة إجرامكم ، ولنا جزاء أعمالنا . وهذا كما أمره الله جل ثناؤه في موضع آخر أن يقول لهم : {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[سورة الكافرون : ٦]"[١].

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٣٠٧):ص٢٨٦/١٢.
[٢] التفسير الميسر:١٥٠.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٨٥):ص١٤٣٥/٥.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٨٦):ص١٤٣٥/٥.
[٥] تفسير البغوي:٢١٢/٣.
[٦] تفسير الطبري:٢٨٦/١٢.
[٧] النكت والعيون:١٩٦/٢.
[٨] التسهيل:٢٨٣/١.
[٩] التفسير الميسر:١٥٠.
[١٠] تفسير البغوي:٢١٢/٣.
[١١] تفسير القرطبي:١٥٧/٧.
[١٢] التسهيل:٢٨٣/١.

قال الماوردي:" أي لا يتحمل أحد ذنب غيره فيأثم به ويعاقب عليه ، ولا يحمل ذنبه غيره ، فيبرأ منه ويسلم من عقابه "[٢].

قال ابن كثير:" قوله:{ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله ، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى ، كما قال : { وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } [فاطر : ١٨] ، وقوله { فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا } [طه : ١١٢] ، قال علماء التفسير : فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره ، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته. وقال تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ } [المدثر : ٣٨ ، ٣٩] ، معناه : كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين ، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم ، كما قال في سورة الطور : { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } [الآية : ٢١] ، أي : ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة ، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال ، بل في أصل الإيمان ، { وَمَا أَلَتْنَاهُمْ } أي : أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة ، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم ، بفضله ومنته، ثم قال : { كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ } [الطور : ٢١] ، أي : من شر"[٣].

وفي أصل «الوزر»، وجهان[٤]:

أحدهما : أصله الثقل ، من قوله :{وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ } [الشرح : ٢ - ٣]، ومنه سمي وزير الملك لتحمله الثقل عنه.

والثاني : أن أصله الملجأ من قوله:{كَلاَّ لاَ وَزَرَ} [القيامة : ١١]، ومنه سُمِّي وزير المَلِكِ لأنه يلجأ إليه في الأمور .

عروة عن أبيه قال: "سئلت عائشة عن ولد الزنا؟ فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء، وقالت: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}"[٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان : كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله ، وعليه وزره ، فاعملوا ما أنتم عاملوه {ثم إلى ربكم} ، أيها الناس {مرجعكم}، يقول : ثم إليه مصيركم ومنقلبكم"[٧].

قال ابن كثير:أي:" اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه ، فستعرضون ونعرض عليه"[٨].

قال ابن عطية:" قوله:{ثم إلى ربكم مرجعكم}، تهديد ووعيد"[٩].

قوله تعالى:{فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:٢٨٦/١٢.
(٢) النكت والعيون:١٩٦/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٣٨٣/٣-٣٨٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:١٩٦/٢، وتفسير القرطبي:١٥٧/٧
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٧):ص١٤٣٥/٥.
(٦) التفسير الميسر:١٥٠.
(٧) تفسير الطبري:٢٨٧/١٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.
(٩) المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.
(١٠) التفسير الميسر:١٥٠.

قال الربيع بن أنس:" يبعثهم من بعد الموت، فيبعث أولياءه وأعداءه فينبئهم بأعمالهم"[١].
بأعمالهم"[١].

قال الطبري:يقول:"{فينبئكم بما كنتم فيه}، في الدنيا ، {تختلفون} من الأديان والملل، إذ كان بعضكم يدين باليهودية ، وبعضٌ بالنصرانية ، وبعض بالمجوسية ، وبعض بعبادة الأصنام وادِّعاء الشركاء مع الله والأنداد ، ثم يجازي جميعَكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر ، فتعلموا حينئذ من المحسنُ منَّا والمسيء"[٢].

قال ابن كثير:أي:"وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم ، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا ، كما قال تعالى : { قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } [سبأ : ٢٥ ، ٢٦]"[٣].

قال ابن عطية:" أي: فيعلمكم أن العقاب على الاعوجاج تبيين لموضع لحق، وقوله بما كنتم فيه تختلفون يريد على ما حكى بعض المتأولين من أمري في قول بعضكم هو ساحر وبعضكم هو شاعر. وبعضكم افتراه، وبعضكم اكتتبه ونحو هذا. وهذا التأويل يحسن في هذا الموضع وإن كان اللفظ يعم جميع أنواع الاختلافات من الأديان والملل والمذاهب وغير ذلك"[٤].

ذلك"[٤].

قال النسفي:{ بما كنتم فيه تختلفون}، أي:" من الأديان التي فرقتموها"[٥].

قال الصابوني:" وهذا وعيدٌ وتهديد أي مرجعكم إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ويميز بين المحسن والمسيء"[٦].

الفوائد:

١-من فوائد الآية الكريمة: الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد، قال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ}.

والرضا: "هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل: الرّضا ارتفاع الجزع في أيّ حكم كان، وقيل الرّضا هو صحّة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرّضا.

وقيل استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنّه اختار له الأفضل. وهو ترك السّخط"[٧].

السّخط"[٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة- رحمه الله-: "من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيّما إذا قام بواجبها ومستحبّها فإنّ الله يرضى عنه، كما أنّ من لزم محبوبات الحقّ أحبّه الله. كما قال في الحديث الصّحيح الّذي في البخاريّ: «من عادى لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته ... » [٨]الحديث. وذلك أنّ الرّضا نوعان:

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٨):ص١٤٣٥/٥.

[٢] تفسير الطبري:٢٨٧/١٢.

(٣) تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.

[٤] المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.

[٥] تفسير النسفي:٥٥٣/١.

(٦) صفوة التفاسير:٤٠٠/١.

[٧]التعريفات للجرجاني : ١١١.

[٨]هذا من الأحاديث القدسية التي يذكرها الرسول - ﷺ - مضافة إلى الله تعالى أنه قالها.

أحدهما: الرّضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه. ويتناول ما أباحه الله من غير تعدّ محظور.

{وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ راغِبُونَ}[التوبة: ٥٩] . وهذا الرّضا واجب.

ولهذا ذمّ من تركه بقوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ* وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ...}[التوبة: ٥٨- ٥٩] .

والنّوع الثّاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذّلّ. فهذا رضا مستحبّ في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّه واجب، والصّحيح أنّ الواجب هو الصّبر، كما قال الحسن: الرّضا غريزة، ولكنّ الصّبر معوّل المؤمن. وقد روي في حديث ابن عبّاس أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إن استطعت أن تعمّ بالرّضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإنّ في الصّبر على ما تكره خيرا كثيرا» . وأمّا الرّضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالّذي عليه أئمّة الدين أنّه لا يرضى بذلك، فإنّ الله لا يرضاه كما قال: {وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: ٧]، وقال: وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ}[البقرة: ٢٠٥] ، وقال تعالى: فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ} [التوبة: ٩٦]"[١].

قال النبي ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[٢].

وقال: «من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، غفرت له ذنوبه»[٣].

قال ابن القيم-بعد ان ساق الحديثين السابقين-: "وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي. وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته. والرضا برسوله، والانقياد له. والرضا بدينه، والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة: فهو الصديق حقا. وهي سهلة بالدعوى واللسان. وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان. ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها. من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه به ناطقا. فهو على لسانه لا على حاله.

فالرضا بإلهيته يتضمن الرضا بمحبته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه. فعل الراضي بمحبوبه كل الرضا. وذلك يتضمن عبادته والإخلاص له.

وقد رواه البخاري مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن الله قال: من عادى في وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. . ".

صحيح البخاري(٦٥٠٢):ص٨/١٠٥ - كتاب الرقاق- باب التواضع. ويروى عن عائشة رضي الله عنها بلفظ قريب من هذا.

انظر: المسند للإمام أحمد- ٦/ ٢٥٦.

(وليا): هو العالم بدين الله تعالى المواظب على طاعته المخلص في عبادته. (آذنته بالحرب): أعلمته بالهلاك والنكال.

(مما افترضت عليه): من الفروض العينية وفروض الكفاية.[تعليق مصطفى البغا:صحيح البخاري:٨/١٠٥]

[١] الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية:١٠/٦٨١-٦٨٣.

[٢] مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣)، وأخرجه أيضا أحمد ١/ ٢٠٨، وابن حبان (١٦٩٤).

[٣] مسلم (٣٨٦)، وأبو داود (٥٢٥)، والترمذي (٢١٠)، والنسائي ٢/ ٢٦، وأخرجه ابن ماجه (٧٢١).

والرضا بربوبيته: يتضمن الرضا بتدبيره لعبده. ويتضمن إفراده بالتوكل عليه. والاستعانة به، والثقة به، والاعتماد عليه. وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به.

فالأول: يتضمن رضاه بما يؤمر به. والثاني: يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضا بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له. والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه. فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته. ولا يحاكم إلا إليه. ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة. لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله. ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته. ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه. لا يرضى في ذلك بحكم غيره. ولا يرضى إلا بحكمه. فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم. وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى: رضي كل الرضا. ولم يبق في قلبه حرج من حكمه. وسلم له تسليما. ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلده وشيخه وطائفته.

وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم. فإياك أن تستوحش من الاغتراب والتفرد. فإنه والله عين العزة، والصحبة مع الله ورسوله، وروح الأنس به. والرضا به ربا، وبمحمد ﷺ رسولا وبالإسلام دينا.

بل الصادق كلما وجد مس الاغتراب، وذاق حلاوته، وتنسم روحه. قال: اللهم زدني اغترابا، ووحشة من العالم، وأنسا بك. وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب، وهذا التفرد: رأى الوحشة عين الأنس بالناس، والذل عين العز بهم. والجهل عين الوقوف مع آرائهم وزبالة أذهانهم، والانقطاع عين التقيد برسومهم وأوضاعهم. فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدا من الخلق. ولم يبع حظه من الله بموافقتهم فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان. وغايته: مودة بينهم في الحياة الدنيا. فإذا انقطعت الأسباب. وحقت الحقائق، وبعثر ما في القبور، وحصل ما في الصدور، وبليت السرائر، ولم يجد من دون مولاه الحق من قوة ولا ناصر: تبين له حينئذ مواقع الربح والخسران. وما الذي يخف أو يرجح به الميزان. والله المستعان، وعليه التكلان"[1].

ثم قال ابن القيم:" ومن أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه. فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بد.

قيل ليحيى بن معاذ:« متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتني قبلت. وإن منعتني رضيت. وإن تركتني عبدت. وإن دعوتني أجبت» [2] .

وقال الجنيد: «الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا، وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف، فإن الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة. لا يفارقان المتلبس بهما في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة. بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه، وأمنهم مما كانوا يخافونه. وإن

---

[1] مدارج السالكين:٢/ ١٧١ - ١٧٢.

[2] نقلا عن: مدارج السالكين:١٧٣/٢.

كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائما، لكنه ليس رجاء مشوبا بشك. بل هو رجاء واثق بوعد صادق، من حبيب قادر. فهذا لون ورجاؤهم في الدنيا لون» [1] .

وقال ابن عطاء:«الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل. فيرضى به» [2] .

ثم قال ابن القيم: وهذا رضا بما منه. وأما الرضا به: فأعلى من هذا وأفضل. ففرق بين من هو راض بمحبوبه، وبين من هو راض بما يناله من محبوبه من حظوظ نفسه"[3].

وقد جاء هذا الرضا بأنواعه مبينا في سورة "الأنعام" التي هي سورة التوحيد العظمى، فقد اشتملت علي ثلاثة أنواع من الرضا هي جماع التوحيد كله:

أولا:- الرضا بالله ربا لا شريك له في التقرب والتأله والتعبد:

قال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام:١٦٤].

ثانيا:- الرضا بالله حكما لا شريك له في التشريع والطاعة:

قال تعالى:{أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً}[الأنعام:١١٤].

ثالثا:- الرضا بالله وليا لا شريك له في محبته وموالاته:

قال تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الأنعام:١٤].

٢-ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شي، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلاّ الله، ولو قال: لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصل "الله" الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم[4].

٣-ويستفاد من الآية الكريمة: أن كل الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية استفهامات تقرير، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار. لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة؛ قال تعالى: {قل أغير الله أبغى ربا}، ومنه قوله: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ} [إبراهيم : ١٠]، وإن زعم بعض العلماء أن هذا استفهام إنكار، لأن استقراء القرآن دل على أن الاستفهام المتعلق بالربوبية استفهام تقرير وليس استفهام إنكار، لأنهم لا ينكرون الربوبية، كما رأيت كثرة الآيات الدالة عليه.

٤-عدالة الجزاء يوم القيامة، إذ أن قاعدة الحساب والجزاء التي تمثل قمة العدل ومنتهاه أن الله يجازي العباد بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يحمل الحق تبارك وتعالى أحداً وزر غيره، كما قال تعالى: {وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام: ١٦٤] . وهذا هو العدل الذي لا عدل فوقه، فالمهتدي يقطف ثمار هدايته، والضال ضلاله على نفسه، {مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن

---

[1] نقلا عن: مدارج السالكين:١٧٣/٢.
[2] نقلا عن: مدارج السالكين:١٧٣/٢.
[3] مدارج السالكين:١٧٢/٢-١٧٣.
[4] انظر: تجريد التوحيد المفيد:٨.

ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء: ١٥] .

وهذه القاعدة العظيمة إحدى الشرائع التي اتفقت الرسالات السماوية على تقريرها، قال تعالى: {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى - وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى - أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى - وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى - وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى - ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى} [النجم: ٣٦-٤١].

٥-ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا يؤخذ أحد بجريرة غيره، وأن نفع العمل وضرره عائد إلى عامله لا إلى غيره، وأنه لا يجني جان إلا على نفسه. ويشهد لهذا: قول الله تعالى: {وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} .

٦-ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسم من اسمائه تعالى، وهو: "الرب": أي:"المالك والمتصرف والمدبر والسيد والمربي"[١].

و"الرب": صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، وذلك من اسمه (الرب) الثابت بالكتاب والسنة في مواضع عديدة؛ تارة وحده (الرب) ، وتارة مضافاً؛ مثل: (رب العالمين) ، و (رب المشرقين).

قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢].

وقوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧].

و"الرب": لم يأت في القرآن بدون إضافة لكن في السنة قال الرسول - ﷺ -: "أما الركوع فعظموا فيه الرب"[٢].

وقال في "السواك": "مطهرة للفم مرضاة للرب"[٣].

وعن عمرو بن عبسة مرفوعاً: ((أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة؛ فكن"[٤].

قال ابن قتيبة:"ومن صفاته (الرب) ، والرب المالك، يُقال: هذا رب الدار ورب الضيعة ورب الغلام؛ أي: مالكه، قال الله سبحانه: {ارْجِعْ إلى رَبِّك} ؛ أي: إلى سيدك. ولا يُقال لمخلوق: هذا الرَّبُّ؛ معرفاً بالألف واللام؛ كما يُقال لله، إنما يُقال: هذا رب كذا، فيُعرَّف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء. فإذا قيل: الرَّبُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: ربُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك [شيئاً] غيره"[٥].

وقال ابن القيم:" وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة، وهي (الله) ، و (الرب)، و(الرحمن) ؛ كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب، وكيف جمعت الخلق وفرقتهم؛ فلها الجمع، ولها الفرق.

---

[١] صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف:١٧١.
[٢] رواه: البخاري (٥٧٤٢)، ومسلم (٢١٩١)؛ عن عائشة رضي الله عنها.
[٣] رواه البخاري معلقًا مجزومًا (٤/ ١٥٨)، ووصله أحمد (٦/ ٦٢)، والنسائي (١/ ١٠)، وابن حبان (٢/ ٢٨٧)، وحسّنه البغوي في "شرح السنة" (١/ ٣٤٩).
[٤] صحيح سنن الترمذي: (٣٨٣٢).
[٥] غريب القرآن: ٩.

فاسم (الرب) له الجمع الجامع لجميع المخلوقات؛ فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألَّهه وحده السعداء، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلاَّ له، وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة؛ فالإلهية هي التي فرقتهم كما أنَّ الربوبية هي التي جمعتهم؛ فالدين والشرع، والأمر والنهي -مظهره وقيامه- من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك، وهو ملك يوم الدين، فأمرهم بإلهيته، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى ..."[١].

قال السعدي:"الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الإسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها والمحامد كلها له والفضل كله والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ} [الشورى : ١١] ، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعاً عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم نداً ولا شريكاً لله في عبادته وإلوهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم خلقاً ورزقاً وتدبيراً وإحياءً وإماتةً، وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً، فالإلهية حق له سبحانه على عباده بصفة ربوبيته"[٢].

٧-وفي الآية الكريمة الرد على من تأوّل "الرب" في قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا *} [الفجر: ٢٢]، بمعنى "المربي من الملائكة"[٣]!!

قال شيخ الإسلام:" «فهل يشك من له أدنى مسكة من عقل وإيمان أنه من المعلوم بالاضطرار في دين الاسلام أنَّ هذا من أعظم الافتراء على الله وعلى رسوله، وعلى كلامه، وأنَّ الله لم يجعل لمحمدٍ قط ربًا غير الله: {وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤]» [٤].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)} [الأنعام : ١٦٥]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم، ورفع بعضكم في الرزق والقوة فوق بعض درجات، ليبلوكم فيما

---

[١] مدارج السالكين:٣٤/١.

[٢] تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي:١٩٩-٢٠٠.

[٣] قال الرازي في «أساس التقديس» (ص١٤٣): «إنَّ الربَّ هو المربي، فلعلَّ ملكًا عظيمًا هو أعظمُ الملائكةِ كان مربيًا للنبيِّ ﷺ، وكانَ هو المراد من قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا *} [الفجر: ٢٢]»..

[٤] بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٠٦ - ٣٠٧) طبعة مجمع الملك فهد.

أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره. إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه، وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحا وتاب من الموبقات، رحيم به.

سبب النزول:

قال مقاتل:" لقولهم للنبي- ﷺ-: ما يحملك على الذي أتيتنا به إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا فنزلت: {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}"[1].

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" والله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها؛ لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم"[2].

قال السمعاني:" أي: يخلف بعضكم بعضا"[3].

قال مقاتل:" يعني: من بعد هلاك الأمم الخالية"[4].

قال ابن أبي زمنين:" المعنى:سكان الأرض؛ يخلف بعضكم بعضا، واحدهم: خليفة"[5].

قال البغوي:" يعني: أهلك أهل القرون الماضية وأورثكم الأرض يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم، فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأمته : والله الذي جعلكم ، أيها الناس ، {خلائفَ الأرض}، بأن أهلك مَنْ كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم ، فجعلكم خلائف منهم في الأرض"[7].

قال ابن كثير:أي:" جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل ، وقَرْنا بعد قرن ، وخَلَفا بعد سَلَف. قاله ابن زيد [8]وغيره، كما قال : { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأرْضِ يَخْلُفُونَ } [الزخرف : ٦٠] ، وكقوله تعالى : { وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ } [النمل : ٦٢] ، وقوله { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : ٣٠] ، وقوله { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } [الأعراف : ١٢٩]"[9].

وفي قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام : ١٦٥]، وجوه:

أحدها : أنه جعلهم خلفاً من الجان سكاناً للأرض ، حكاه الماتريدي[10]، والماوردي[11]، وابن الجوزي[12]، عن ابن عباس.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/١.

وهذا الخبر مروي عن ابن عباس في سبب نزول قوله تعالى:{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام : ١٣].

قال الكلبي عن ابن عباس: "إن كفار مكة أتوا رسول الله - ﷺ - فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية".

[انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٤، وتنوير المقباس: ٢/ ٧، والكشف والبيان: ١٧٦ أ، وزاد المسير:٣/ ٩ – ١٠].

(٢) التفسير الميسر:١٥٠.

(٣) تفسير السمعاني:١٦٢/٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٠/١.

(٥) تفسير ابن ابي زمنين:١١٠/٢.

(٦) تفسير البغوي:٢١٢/٣.

(٧) تفسير الطبري:٢٨٧/١٢.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٩٠):ص١٤٣٥/٥.

(٩) تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.

(١٠) انظر: تفسير الماتريدي:٣٤٣/٤.

(١١) انظر: النكت والعيون:١٩٧/٢، ولم أقف عليه في تفسير الطبري وابن ابي حاتم.

(١٢) انظر: زاد المسير:٩٩/٢.

والثاني : أن سكان الأرض يخلف بعضهم بعضا، وذلك فإن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله ، كما مضى أهل عصر خلفه أهل عصر بعده على انتظام ، حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلق عصر ، فصارت هذه الأمة خلفاً للأمم الماضية. ذكره الماوردي[١]، وهو معنى قول السدي[٢]، وابن زيد[٣]، وابن قتيبة[٤]، والنحاس[٥]، وغيرهم.

قال السدي:" أما {خلائف الأرض}، فأهلك القرون واستخلفنا فيها من بعدهم"[٦].

قال ابن زيد:" يستخلف في الأرض قوما بعد قوم، وقوما بعد قوم"[٧].

قال النحاس:" وقيل لان بعضهم يخلف بعضا حتى تقوم الساعة عليهم، والحديث يقوي هذا القول"[٨].

والثالث : جعل بعضهم خليفة لبعض ليتآلفوا بالتعاون. ذكره الزجاج[٩].

والرابع :لأنهم آخر الأمم وكانوا خلفاً لمن تقدمهم. وهذا قول أبو عبيدة[١٠]، والزجاج[١١].

قال أبو عبيدة:" جعلت أمة محمد ﷺ خلائف كل الأمم "[١٢].

قال الزجاج:" قيل خلائف الأرض أمة محمد - ﷺ - لأن النبي - ﷺ - خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الأمم"[١٣].

و«الخلائف»: جمع «خليفة»، كما «الوصائف» جمع «وصيفة»، وهي من قول القائل: خَلَف فلان فلانًا في داره يخلُفه خِلافة ، فهو خليفة فيها ، قال الشماخ[١٤] :

تُصِيبُهُمُ وَتُخْطِئُنِي المَنَايا وَأَخْلُفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ [١٥]

والخامس: أنهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها. أفاده الزمخشري[١٦].

والخامس: في بيان صحبة رسول الله - ﷺ - وحسن المعاملة معه.

يعني: أصحاب رسول الله - ﷺ - جعلهم خلائف من تقدمهم من المكذبين والصديقين؛ ليعلموا ما حل بالمكذبين برسول الله - ﷺ - ليحذروا تكذيبه والخلاف له، ويرغبوا في تصديقه

---

[١] انظر: النكت والعيون:١٩٦/٢-١٩٧.
[٢] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٨٩):ص١٤٣٥/٥.
[٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٩٠):ص١٤٣٥/٥.
[٤] انظر: غريب القرآن:١٦٤.
[٥] انظر: معاني القرآن:٥٢٦/٢.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٩):ص١٤٣٥/٥.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٩٠):ص١٤٣٥/٥.
[٨] معاني القرآن:٥٢٦/٢.
[٩] انظر: معاني القرآن:٣١٢/٢.
[١٠] انظر: مجاز القرآن:٣٦٧/١.
[١١] انظر: معاني القرآن:٣١٢/٢.
[١٢] مجاز القرآن:٣٦٧/١.
[١٣] معاني القرآن:٣١٢/٢.
[١٤]ديوانه: ٥٨ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٠٩ ، واللسان "ربع"، من قصيدته التي قالها لامرأته عائشة ، وكانت تلومه على طول تعهده ماله ، أولها :
أَعَائِشَ ، مَا لِقَوْمِكِ لا أَرَاهُمْ ... يُضِيعُونَ الهِجَانَ مَعَ المُضِيعِ
يقول : لها تلومينى على إصلاح مالي ، فمالي أرى قومك يقترون على أنفسهم ، ولا يهلكون أموالهم في الكرم والسخاء ؟ ثم يقول لها بعد أبيات :
لَمَالُ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ ، أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ
و ((القنوع)) ، السؤال . وقوله : ((وأخلف في ربوع ...)) ، ((الربوع)) جمع ((ربع وهو جماعة الناس الذين ينزلون ((ربعا)) يسكنونه ، يقول : أبقي في قوم بعد قوم.
[١٥] انظر:مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ٢٠٩، وتفسير الطبري:٢٨٨/١٢.
[١٦] انظر: الكشاف:٨٤/٢.

والموافقة له والطاعة؛ ليكون لهم بمن تقدمهم عبرة في التحذير والترغيب، ويكون لهم بمن تقدمهم قدوة وعبرة؛ ليعرفوا صحبة رسول الله - ﷺ - أن كيف يجب أن يصحبوه ويعاملوه: من الإحسان إليه، والتعظيم له والتصديق، ويجتنبوا الإساءة إليه والتكذيب. ذكره الماتريدي[١].
والسادس:في بيان وحدانية الرب.

يعني: البشر كلهم، جعل بعضهم خلائف بعض في الوجود وفي الأحوال في الحياة، والموت، والغناء، والفقر، والصحة، والسقم، وفي العز، والذل، وفي كل شيء، وفي الصغر، والكبر؛ ليكون لهم في ذلك عبر ودليل على معرفة منشئهم وخالقهم؛ لأنه لو أنشأهم جميعا معا - لم يعرفوا أحوال أنفسهم وتغيرهم من حال إلى حال، ولكن أنشأهم واحدا بعد واحد وقرنا بعد قرن؛ ليعرفوا أحوال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى حال؛ ليعرفوا أن منشئهم واحد؛ لأنهم لو كانوا جميعا معا - لم يعرفوا مبادئ أحوالهم من حال نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم من حال الصغر إلى حال الكبر، وكذلك هذا في جميع الأحوال: من الغنى والفقر، والصحة، والسقم، ولو كان كله على حالة واحدة - لم يعرفوا ذلك، لكن جعل بعضهم خلائف بعض؛ ليدلهم على ما ذكرنا. ذكره الماتريدي -أيضا-[٢].

قال في التسهيل: المعنى: "يخلف بعضكم بعضا في السكنى في الأرض أو خلائف عن الله في أرضه، والخطاب على هذا لجميع الناس، وقيل: لأمة محمد صلّى الله عليه واله وسلّم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة"[٣].

قوله تعالى:{وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" ورفع بعضكم في الرزق والقوة فوق بعض درجات"[٤].

عن السدي : "{ورفع بعضكم فوق بعض درجات}، يقول : في الرزق "[٥].

قال مقاتل بن حيان:" يعني: في الفضل والغنى"[٦].

قال مقاتل بن سليمان:" يعنى بالـ{درجات}، الفضائل والرزق"[٧].

قال الكلبي: "فضائل في المعاش"[٨].

قال النحاس:" أي: فضل بعضكم على بعض في الزرق"[٩].

قال ابن قتيبة:" أي: فضَّل في المال والشرف"[١٠].

قال الزمخشري:يعني:" في الشرف والرزق"[١١].

قال القرطبي:أي:" في الخلق والرزق والقوة والبسطة والفضل والعلم"[١٢].

قال السمعاني:" يعني: في الدنيا بالفقر والغنى، والمرض والصحة، ونحو هذا "[١٣].

قال الماوردي:" يعني: ما خالف بينهم في الغنى بالمال وشرف الآباء وقوة الأجسام ، وهذا ، وإن ابتدأه تفضلاً من غير جزاء ولا استحقاق ، لحكمه منه تضمنت ترغيباً في الأعلى وترهيباً من الأدنى ، لتدم له الرغبة والرهبة"[١].

---

[١] تفسير الماتريدي:٣٤٢/٤.
[٢] تفسير الماتريدي:٣٤٢/٤.
[٣] التسهيل:٢٨٣/١.
[٤] التفسير الميسر:١٥٠.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٣٠٩):ص٢٨٩/١٢.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٩٢):ص١٤٣٦/٥.
[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠٠/١.
[٨] التفسير البسيط، للواحدي:٥٦٥/٨، وتنوير المقباس:٧٩/٢.
[٩] معاني القرآن:٥٢٧/٢.
[١٠] غريب القرآن:١٦٤.
[١١] الكشاف:٨٤/٢.
[١٢] تفسير القرطبي:١٥٨/٧.
[١٣] تفسير السمعاني:١٦٢/٢.

قال الطبري:" يقول : وخالف بين أحوالكم ، فجعل بعضكم فوق بعض ، بأن رفع هذا على هذا ، بما بسط لهذا من الرزق ففضّله بما أعطاه من المال والغِنى ، على هذا الفقير فيما خوَّله من أسباب الدنيا ، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيْد والقوة على هذا الضعيف الواهن القُوى ، فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا ، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق ، والمحاسن والمساوي ، والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك ، كقوله : { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } [الزخرف : ٣٢] ، وقوله تعالى: { انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا } [الإسراء : ٢١]"[٣].

قال الماتريدي:" قوله - عز وجل -: {ورفع بعضكم فوق بعض درجات}، يحتمل هذا في الأحوال، ويحتمل في الخلقة جعل لبعض فضائل ودرجات على بعض، وجعل بعضا فوق بعض بدرجات في الدنيا؛ ليكتسبوا لأنفسهم في الآخرة الدرجات والفضائل، على ما رغبوا في الدنيا في فضائل الخلقة ودرجات بعضها فوق بعض، ونفروا في الدون من ذلك؛ ليرغبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الآخرة، وينفوهم عن اكتساب ما ينفرون عنه في الدنيا"[٤].

قال ابن عطية:"قوله: {ورفع بعضكم فوق بعض درجات}، لفظ عام في المال والقوة والجاه وجودة النفوس والأذهان وغير ذلك[٥].

قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" ليبلوكم فيما أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره"[٦].

قال السمعاني:" أي: ليختبركم فيما أعطاكم"[٧].

قال الزمخشري:أي:" من نعمة المال والجاه، كيف تشكرون تلك النعمة، وكيف يصنع الشريف بالوضيع، والحر بالعبد، والغنى بالفقير"[٨].

قال مقاتل بن حيان:" يقول: ليبتليكم، فيبلو الغني والفقير، والشريف والوضيع، والحر والعبد"[٩]، "{ في ما آتاكم}، يقول: فيما أعطاكم"[١٠].

قال مقاتل بن سليمان:" يقول: يبتلي بعض المؤمنين الموسر بالغني، ويبتلي بعض المؤمنين المعسر بالفاقة"[١١].

قال النحاس:" أي: ليختبركم فيما أعطاكم فينظر كيف شكركم، وقد علم ما يكون علم غيب وانما تقع المجازاة على الشهادة"[١٢].

---

[١] النكت والعيون:١٩٧/٢.
[٢] تفسير الطبري١٢/٢٨٨-٢٨٩.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.
[٤] تفسير الماتريدي:٣٤٣/٤.
[٥] المحرر الوجيز:٣٧١/٢.
[٦] التفسير الميسر:١٥٠.
[٧] تفسير السمعاني:١٦٢/٢.
[٨] الكشاف:٨٤/٢.
[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٩٣):ص١٤٣٦/٥.
[١٠] أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٩٤):ص١٤٣٦/٥.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/١.
[١٢] معاني القرآن:٥٢٧/٢.

قال الطبري:" يعني : ليختبركم فيما خوَّلكم من فضله ومنحكم من رزقه ، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه ، والعاصي ؛ ومن المؤدِّي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه ، والمفرِّط في أدائه"[1].

قال البغوي:أي:" ليختبركم فيما رزقكم، يعني: يبتلي الغني والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد، ليظهر منكم ما يكون عليه من الثواب والعقاب"[2].

قال ابن كثير:" أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره"[3].

قال القرطبي:" أي ليظهر منكم ما يكون غايته الثواب والعقاب. ولم يزل بعلمه غنيا، فابتلى الموسر: بالغنى وطلب منه الشكر، وابتلى المعسر بالفقر وطلب منه الصبر. ويقال:{ ليبلوكم}، أي: بعضكم ببعض. كما قال:{وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} [الفرقان : ٢٠] [4].

قال الماتريدي:" يحتمل: ليبلوكم فيما آتاكم من الأحوال المختلفة: من الفقر والغناء، والسقم والصحة، والصغر والكبر، وغير ذلك من الأحوال. ويحتمل: {في ما آتاكم} من النعم، أي: ليبلوكم بالشكر على ما آتاكم من النعم.. و«الابتلاء» منه هو ما بين السبيلين جميعا سبيل الحق وسبيل الباطل، وبين أن كل سبيل إلى ماذا أفضاه لو سلكه: لو سلك سبيل الحق أفضاه إلى النعم الباقية والسرور الدائم، وإن سلك سبيل الباطل أفضاه إلى عذاب شديد وحزن دائم"[5].

قال الزجاج:" فدل بهذا أنه فضل بعض الناس ليختبرهم فيما رزقهم وهو جل ثناؤه عالم بما يكون منهم قبل ذلك، إلا أنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب"[6].

قال الفخر الرازي:" والامتحان وهو المراد من قوله: {ليبلوكم في ما آتاكم}، وقد ذكرنا أن حقيقة الابتلاء والامتحان على الله محال إلا أن المراد هو التكليف وهو عمل لو صدر من الواحد منا لكان ذلك شبيها بالابتلاء والامتحان فسمى لهذا الاسم لأجل هذه المشابهة"[7].

عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الدنيا حُلْوَة خَضِرَة وإن الله مُسْتَخْلِفكم فيها لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[8].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه"[9].

قال مقاتل:أي:" لمن عصاه في فاقة أو غنى، يخوفهم كأنه قد جاء ذلك اليوم"[10].

قال عطاء:" {سريع العقاب} لأعدائه"[11].

قال النسفي:أي:" لمن كفر"[12].

قال السعدي::أي:" لمن عصاه وكذّب بآياته"[13].

---

[1] تفسير الطبري:٢٨٩/١٢.
[2] تفسير البغوي:٢١٢/٣.
[3] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.
[4] تفسير القرطبي:١٥٨/٧.
[5] تفسير الماتريدي:٣٤٣/٤-٣٤٤.
[6] معاني القرآن:٣١٢/٢.
[7] مفاتيح الغيب:١٩٣/١٤.
[8] صحيح مسلم برقم (٢٧٤٢).
[9] التفسير الميسر:١٥٠.
[10] تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/١.
[11] تفسير البغوي:٢١٢/٣.
[12] تفسير النسفي:٥٥٣/١.
[13] تفسير السعدي:٢٨٢.

قال الزمخشري:أي:" لمن كفر نعمته.. ووصف العقاب بالسرعة، لأن ما هو آت قريب"[١].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ : {إن ربك}، يا محمد ، لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه ، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطَوْله ، تولِّيًا وإدبارًا عنه ، مع إنعامه عليه ، وتمكينه إياه في الأرض ، كما فعل بالقرون السالفة "[٢].

قال ابن أبي زمنين:" {إن ربك سريع العقاب}، إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذبوا رسله"[٣].

قال ابن عطية:" لما أخبر عز وجل بهذا ففسح للناس ميدان العمل وحضهم على الاستباق إلى الخير توعد ووعد تخويفا منه وترجية، فقال: {إن ربك سريع العقاب}، وسرعة عقابه إما بأخذاته في الدنيا، وإما بعقاب الآخرة، وحسن أن يوصف عقاب الآخرة ب سريع لما كان متحققا مضمون الإتيان والوقوع، فكل آت يحكم عليه بالقرب ويوصف به [٤].

قال ابن كثير:" وقوله : { إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } ترهيب وترغيب ، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله"[٥].

فإن قيل : فكيف جعله سريعاً وهو في الآخرة . فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها : أن كل آت قريب ، كقوله :{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل : ٧٧]، وقوله:{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا(٦)وَنَرَاهُ قَرِيبًا} [المعارج :٦- ٧]. قاله الزجاج[٦]، والنحاس[٧].

قال الزجاج:" فإنما ذلك لأن أمر الساعة سريع، لأن كل ما زال وإن تطاول فهو بمنزله ما لم يحس سرعة"[٨].

قال النحاس:" فعقابه جل وعز وإن كان أكثره يوم القيامة فان كل آت قريب"[٩].

والثاني : إن ربك سريع العقاب في الدنيا لمن استحق منه تعجيل العقاب فيها. ذكره الماوردي[١٠].

والثالث : أنه إذا شاء عاقب ، فصار عقابه سريعاً لأنه يقترن بمشيئته ، وهذا قول ابن بحر[١١].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحا وتاب من الموبقات، رحيم به"[١٢].

قال مقاتل:أي:" بعد التوبة"[١٣].

قال ابن أبي زمنين:أي:" لمن تاب من شركه وآمن بربه"[١٤].

قال عطاء:" غفور لأوليائه رحيم بهم"[١٥].

قال النسفي:أي:"لمن قام بشكرها"[١].

---

[١] الكشاف:٨٤/٢.
[٢] تفسير الطبري:٢٨٩/١٢.
[٣] تفسير ابن ابي زمنين:١١٠/٢.
[٤] المحرر الوجيز:٣٧١/٢.
[٥] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.
[٦] انظر: معاني القرآن للزجاج:٣١٢/٢، والنكت والعيون:١٩٧/٢.
[٧] انظر: معاني القرآن:٥٢٧/٢.
[٨] معاني القرآن:٣١٢/٢.
[٩] معاني القرآن:٥٢٧/٢.
[١٠] انظر: النكت والعيون:١٩٧/٢.
[١١] انظر: النكت والعيون:١٩٧/٢.
[١٢] التفسير الميسر:١٥٠.
[١٣] تفسير مقاتل بن سليمان:٦٠١/١.
[١٤] تفسير ابن ابي زمنين:١١٠/٢.
[١٥] تفسير البغوي:٢١٢/٣.

قال الزمخشري:أي:" لمن قام يشكر نعته"[٢].
قال القرطبي:أي:" لمن أطاعه"[٣].
قال السعدي:أي:" لمن آمن به وعمل صالحا، وتاب من الموبقات"[٤].
قال الطبري:"{وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ} ،يقول: وإنه لساتر ذنوبَ مَنْ ابتلى منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة ، واختباره إياه بأمره ونهيه ، فمغطٍّ عليه فيها ، وتارك فضيحته بها في موقف الحساب، { رَحِيمٌ}، بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه ، إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه "[٥].
قال ابن عطية:" {وإنه لغفور رحيم}، ترجية لمن أذنب وأراد التوبة، وهذا في كتاب الله كثير اقتران الوعيد بالوعد لطفا من الله تعالى بعباده [٦].

قال في التسهيل:" جمع بين التخويف والترجية، وسرعة عقابه تعالى، إما في الدنيا بمن عجل أخذه، أو في الآخرة، لأن كل آت قريب"[٧].
عن سعيد بن جبير: قوله: "{لغفور}، يعني: غفورا للذنوب"[٨]، "{رحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"[٩].
قال محمد بن إسحاق: "{لغفور}، أي: يغفر الذنب"[١٠]، "{رحيم}، يرحم العباد على ما فيهم"[١١].
قال ابن كثير:"{ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خير وطلب.. وكثيرا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين ، كما قال تعالى: وقوله : { نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الألِيمُ } [الحجر : ٤٩ ، ٥٠]، وقوله: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } [الرعد : ٦] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها ، وتارة بهذا وبهذا لِيَنْجَع في كُلَّ بحَسَبِه. جَعَلَنا الله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزَجَر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء ، جواد كريم وهاب"[١٢].
قال الفخر الرازي:" أي يغفر الذنوب ويستر العيوب في الدنيا بستر فضله وكرمه ورحمته وفي الآخرة بأن يفيض عليه أنواع نعمه وهذا الكلام بلغ في شرح الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب إلى حيث لا يمكن الزيادة عليه"[١٣].
قال الكرماني:" قيّد قوله {غفور رحيم} بـ«اللام»، ترجيحا للغفران على العقاب"[١٤].

---

[١] تفسير النسفي:٥٥٣/١.
[٢] الكشاف:٨٤/٢.
[٣] تفسير القرطبي:١٥٩/٧.
[٤] تفسير السعدي:٢٨٢.
[٥] تفسير الطبري:٢٨٩/١٢-٢٩٠.
[٦] المحرر الوجيز:٣٧١/٢.
[٧] التسهيل:٢٨٣/١.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٥):ص١٤٣٦/٥.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٧):ص١٤٣٦/٥.
[١٠] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٦):ص١٤٣٦/٥.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٨):ص١٤٣٦/٥.
[١٢] تفسير ابن كثير:٣٨٤/٣.
[١٣] مفاتيح الغيب:١٩٣/١٤.
[١٤]أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان:١١٦.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال : "لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طَمِع بالجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قَنطَ من الجنة أحد ، خلق الله مائة رَحْمَة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها ، وعند الله تسعة وتسعون"[1].
الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة بيان حكمة الله وإرادته في خلق آدم، وأن يجعله وذريته خلفاء في الأرض؛ ليقوموا بعمارتها وفق منهج الله تعالى وشريعته، فيحققوا بذلك غاية وجودهم، توحيدا لله تعالى وعبادة له وطاعة، قال تعالى:
- {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].
- {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠].
- {هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [هود: ٦١].
- {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} [الأنعام: ١٦٥] .

٢- ومن فوائد الآية الكريمة: تفاوت الناس في الغنى والفقر والصحة والمرض، والبر والفجور وفي كل شيء مظهر من مظاهر تدبير الله تعالى في خلقه. ينتفع به الذاكرون من غير أصحاب الغفلة والنسيان.
عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله - ﷺ -: "إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه"، قالوا: وما بوائقه يا نبي الله!، قال: "غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق فيه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيىء بالسيىء، ولكن يمحو السيىء بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث"[2].

٣- ومن الفوائد الآية الكريمة: الرد على دعوى الشيوعية: بإلغاء الملكية الفردية، إذ أن تفاوت الناس في الأرزاق والحظوظ سُنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية، لا يستطيع أحد من أهل الأرض البتة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجوه، {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً} [فاطر:٤٣] [3].
يقول الشيخ عبد العزيز البدري: "وأما إلغاء الملكية الفردية جزئياً وبعبارة - كما يقولون - تحديد التملك الفردي - فإن الدارس لهذا القول يجد أنه يعني تحديد التملك الفردي بالكمية والمقدار.
وهذا - أيضاً - مناقض للفطرة البشرية، ومخالف للأحكام الشرعية كما تفهم من نصوص الشرع؛ حيث إن هذا التحديد والإلغاء الجزئي يَحُدُّ من نشاط الفرد، ويعطل جهوده، ويقتل عبقريته ومواهبه في حسن الإنتاج والإبداع فيه، وبالتالي يقلل من إنتاجه

---

[1] المسند (٤٨٤/٢) وسنن الترمذي برقم (٣٥٤٢) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٥٢) حدثنا يحيي بن أيوب وقتيبة وابن حجر ، عن إسماعيل بن جعفر به.
[2] إسناده ضعيف، أخرجه أحمد في المسند(٣٦٧٢):ص٥٣٩/٣، وهو في مجمع الزوائد ١: ٥٣ وقال: "رواه أحمد، ورجال إسناده بعضهم مستور، وأكثرهم ثقات". وذكر نحوه بمعناه أيضا عن ابن مسعود ١٠: ٢٩٢ وقال: رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم"، وعلق الحافظ ابن حجر على ذلك بخطه في نسخة الأصل من مجمع الزوائد، المحفوظة بدار الكتب المصرية، قال: (كلهم معروف، والآفة من الصباح- ابن حجر" وروى الحاكم في المستدرك ١: ٣٣ - ٣٤ بعضه بمعناه من حديث الثوري عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود، وصححه، ووافقه الذهبي .
[3] انظر: التطور والدين:١٣.

ويوقفه عند نشاط معين لا يتجاوزه. وبذلك يحرم من مواصلة نشاطه الذهني والجسمي، وعند ذاك تخسر الأمة بمجموعها كفاءة الأفراد المجدين"[١].

٤- ويستفاد من قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ}، أن "السرعة": صفة فعلية اختيارية ثابتة لله تعالى، ومنه قوله سبحانه وتعالى: قوله تعالى: {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [البقرة: ٢٠٢، النور: ٣٩].

فالله عَزَّ وجَلَّ سريعٌ في حسابه، سريعٌ عقابه، سريعٌ في إتيانه ومجيئه، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} سبحانه[٢].

ومن ذاك عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها؟! فلما أنزل الله تعالى: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ} ؛ قلت: ما أرى ربَّك إلا يسارع في هواك"[٣].

و«الهوى»[٤] في الحديث بمعنى: المحبة والميل مطلقا فيدخل فيه الميل إلى الحق[٥].

ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه في قصة المشاورة في أساري بدر، "فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر، ولم يهو ما قلت"[٦].

ومنه الحديث:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"[٧].

ومن الدليل بأن "السريع" من صفاته تعالى، حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "إن الله قال: إذا تلقَّاني عبدي بشبر؛ تلقيته بذراع، وإذا تلقاني بذراع؛ تلقيته بباع، وإذا تلقاني بباع؛ جئته أتيته بأسرع"[٨].

وقد عدَّ الحافظ أبو عبد الله بن منده رحمه الله "السريع" من أسماء الله، مستشهداً بحديث أبي هريرة السابق، ووافقه عليه محقق الكتاب، وفي ذلك نظرٌ كبيرٌ، ولكن عدُّهما له اسماً يتضمن أنه صفة عندهما[٩].

---

[١] انظر: الفكر المادي في ميزان الإسلام:٥٢. [بتصرف].

[٢] انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة:٢٠٠-٢٠١.

[٣]أخرجه البخاري (٤٧٨٨) ، ومسلم (١٤٦٤)، والنسائي في أول النكاح، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وأحمد في المسند (٦/ ١٣٤، ١٥٨، ٢٦١).

[٤] قال أهل العلم: الهوى له معنيان:

١) الميل إلى خلاف الحق - وهو المعنى إذا أطلق اللفظ -، كما في قوله تعالى {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص : ٢٦].

وكقوله تعالى أيضا { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى}[النازعات:٤٠-٤١].

٢) المحبة والميل مطلقا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، فيذم ويمدح بحسب المحبوب، ومنه الحديث:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به".

الخلاصة: أن الهوى أصلاً مذموم، وأغلب النصوص يأتي الهوى مذموماً فيها، لكن في مثل هذا النص لا يكون المقصود به الهوى المذموم.

[انظر: التوضيح الرشيد في شرح التوحيد: أبو عبدالله الحقوي:٣٢٩].

[٥] انظر: جامع العلوم والحكم (٣٩٨,٣٩٩/٢/ والعقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين:٢١١.

[٦]رواه احمد (٣١/١) ، ومسلم (١٧٦٣).

[٧]رواه البغوي في " شرح السنة " (١ / ٢١٢) (رقم: ١٠٤) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (١٥) ، والخطيب في "تاريخ بغداد" (٤ / ٣٦٩) من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عطية بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص.قال الخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح" (١ / ٥٩) : قال النووي في "أربعينه": صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

[٨]رواه مسلم (٢٦٧٥-٣) .

[٩]انظر: كتاب التوحيد:١٣٧/٢.

قال الزجاجي:" ومعنى «السريع» في صفاته تعالى عز وجل: أنه سريع الحساب لعباده وأن أفعاله تسرع فلا يبطئ منها شيء عما أراد لأنه بغير مباشرة ولا علاج، ولا كلفة وإنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له «كن فيكون» فهذا معنى «السريع» على توجيه اللغة والله أعلم وأحكم.

وتقول العرب: «سرعان ما فعل فلان كذا» بمعنى سرع كما يقولون وشكان ذلك، ومنهم من يقول: «سرع ذلك» بمعنى :سرع فيخففون، أنشد ابن السكيت[1]:

أنَورا، سَرْعَ ماذا، يا فَرُوقُ؟ وحَبلُ الوَصلِ مُنتَكِثٌ، حَذِيقُ

يريد: «سرع ذا» و «ما» زائدة[2].

٥- ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات هذين الاسمين الكريمين: «الغفور»، و«الرحيم»؛ وما تضمناه من صفة، وفعل.

- فـ«الغفور»: هو الذي تكثر منه المغفرة. وبناء فعول: بناء المبالغة في الكثرة[3].

والفرق بين صيغتي:«الغفار»، و«الغفور»: أن "«الغفار»[4]، معناه: الستار لذنوب عباده في الدنيا بأن لا يهتكهم ولا يشيدهما عليهم، ويكون معنى «الغفور»: منصرفا إلى مغفرة الذنوب في الآخرة، والتجاوز عن العقوبة فيها"[5].

- و«الرحيم»:أي: ذو الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء [6].

«آخر تفسير سورة الانعام، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «الأعراف»

سورة «الأعراف»: هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وسادسة السبع الطول، والثالثة من حيث الطول بعد سورتي البقرة والنساء، نزلت بعد سورة «ص»، وعدد آياتها: (٢٠٦) مائتان وستُّ آيات فى عدّ قرّاءِ كوفة والحجاز، و(٢٠٥) مائتان خمس فى عدّ الشَّام والبصرة، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) أَربعة عشر أَلفا وثلاثمائة وعشرة أَحرف، والآيات المختَلف فيها خمس:

---

[1] الشعر لمالك بن رغبة الباهلي، كما في اللسان :"حذق"، "سرع".

[2] اشتقاق أسماء الله:١٢٧.

[3] انظر: شأن الدعاء:٦٥/١.

[4]قال الخطابي:" الغفار: هو الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى. كلما تكررت التوبة في الذنب من العبد تكررت المغفرة. كقوله -سبحانه-: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى} [طه:٨٢].

وأصل الغفر في اللغة: الستر والتغطية، ومنه قيل لجنة الرأس: المغفر، وبه سمي زئبر الثوب غفرا وذلك لأنه يستر سداه؛ فالغفار: الستار لذنوب عباده، والمسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته. ومعنى الستر في هذا أنه لا يكشف أمر العبد لخلقه ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره فيعيونهم ويقال: إن المغفرة مأخوذة من الغفر: وهو فيما حكاه بعض أهل اللغة نبت يداوى به الجراح، يقال إنه إذا ذر عليها دملها وأبراها". [شأن الدعاء:٥٢/١-٥٣، وانظر: اللسان وتاج العروس، مادة"غفر"].

[5] شأن الدعاء:٦٥/١.

[6] انظر:تفسير ابن عثيمين: الفاتحة والبقرة:١٨٨/١، وشرح أسماء الحسنى في ضوء الكتاب والسنة:٨٤.

المص {بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} {ضِعْفاً مِّنَ النارِ} على بنى إِسرائِيل. ومجموع فواصل آياتها (م ن د ل)[١].

أسماء السورة:

ولهذه السورة أسماء أشهرها:

أولا:- اسمها التوقيفي: سورة «الأعراف»

«الأعراف» في اللغة: جمع: عُرف، وكل عال مرتفع[٢]، قال الزجاج:"الأعراف: أعالي السور، ويقال لكل عال عرف وجمعه: «أعراف»"[٣].

قال الطبري:" «الأعراف»: جمع، واحدها:«عُرْف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو«عُرْف»، وإنما قيل لعُرف الديك:«عرف»، لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشماخ بن ضرار[٤]:

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَغَالَى، كَأَنَّهَا ... رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

يعني بقوله:"بأعراف"، بنشوز من الأرض، ومنه قول الآخر[٥]:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافِ ... كَالْعَلَمِ الْمُوفِي عَلَى الأعْرَافِ

وكان السدي يقول: «إنما سمي"الأعراف" أعرافًا، لأن أصحابه يعرفون الناس»[٦]"[٧].

الناس»[٦]"[٧].

والأعراف: هو السور الذي بين الجنة والنار كما ذكره المفسرون[٨]، وهو قول ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وأبي جعفر[١١]، والضحاك[١٢].

و«الأعراف» هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة من عهد الرسول-ﷺ- في كلام أصحابه، إذ روي عن عائشة-رضي الله عنها-، أنها قالت: "قرأ رسول الله-ﷺ- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"[١٣].

وعن زيد بن ثابت: "أن رسول الله - ﷺ - كان يقرأ في المغرب بسورة الأعراف في الركعتين كلتيهما"[١].

---

[١] انظر :بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٠٣.

[٢] انظر: اللسان"عرف":ص٢٤١/٩.

[٣] معاني يالقرآن:٣٤٢/٢.

[٤] ديوانه: ٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٤٩/١٢، ورواية ديوانه وغيره "وظلت تغالي باليفاع كأنها" . وهذا البيت من آخر القصيدة في صفة حمر الوحش، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة في طلب الماء، يقودها العير، فوصفه ووصفهن، فقال:

مُحَامٍ على عَوْراتِهَا لا يَرُوعُها ... خَيَالٌ، وَلا رَامِي الوُحُوش المنَاهِزُ

وأصْبَحَ فَوْقَ النَّشْزِ، نَشْزِ حَمَامةٍ، ... لَهُ مَرْكَضٌ فِي مُسْتَوَى الأَرْضِ بَارِزُ

وَظلَّتْ تغَالَي بِاليَفَاع.......... ... .

و "تغالي الحمر": احتكاك بعضها ببعض.يصف ضمور حمر الوحش، كأنها رماح مائلة تستقبل مهب الرياح..

[٥] لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٥٠/١٢، واللسان "نوف".

و"الكناز" المجتمع اللحم القوية. و "النياف" ، الطويل، يصف جملا. و "العلم" الجبل.

[٦] أخرجه الطبري(١٤٦٧٢):٤٥٠/١٢.

[٧] تفسير الطبري:٤٤٩/١٢-٤٥٠.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٤٤٩/١٢، والنكت والعيون: ٢٢٥/٢، وزاد المسير:٢٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي:٢١٢/٧، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٩):ص٤٥١/١٢.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٧٧):ص٤٥١/١٢.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٣):ص٤٥٢/١٢.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٤):ص٤٥٢/١٢.

[١٣] أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢/ ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب. . . (٦٧). وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

وعن عروة بن الزبير: "أن مروان أخبره: أن زيد بن ثابت قال له: «ما لى أراك تقرأ فى المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - ﷺ - يقرأ فيها بطولى الطوليين» . قال ابن أبى ملكية: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف"[٢].

وبهذا الاسم دونت السورة في المصاحف وكتب التفسير والحديث، ووجه تسميته بالأعراف، لأنه ذكر فيها لفظ «الأعراف»، وهو السور الذي بين الجنة والنار، وذلك في قوله تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف : ٤٦].

ولقد تفردت بذكر شأن أهل الأعراف في الآخرة، ولك يذكر في غيرها من السور بهذا اللفظ، ولكنه بلفظ«سور» في سورة الحديد، وذلك في قوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣].

واختلف في الأعراف من هم، وفيه أقوال:

أحدها: أنهم قوم من بني آدم، استوت حسناتهم وسيئاتهم، فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم. وهذا قول حذيفة[٣]، وابن مسعود[٤]، وابن عباس[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والضحاك[٧]، والشعبي[٨]، وابي علقمة[٩]، وهو قول أكثر المفسرين[١٠].

روي عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «من زادت حسناته على سيئاته مثقال دخل الجنة، ومن زادت سيئاته على حسناته مثقال دخل النار، ومن استوت حسناته وسيئاته فأولئك من أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون»[١١].

والثاني: أنهم كانوا قتلوا في سبيل الله عصاة لآبائهم في الدنيا. وهذا قول شرحبيل بن سعد[١٢].

وروي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: "سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"[١٣].

---

[١]أخرجه الحاكم في المستدرك "٢٣٧/١"، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن لم يكن فيه إرسال ولم يخرجاه بهذا اللفظ، وقال الذهبي: فيه انقطاع.

[٢] أخرجه أحمد ١٨٨/٥ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ١٨٩/٥ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١٩٤/١ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٦)-(١٤٦٨٩):ص٤٥٣/١٢.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٠):ص٤٥٣/١٢-٤٥٤.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٢):ص١٢/ ٤٥٥، وتفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠١):ص١٤٨٥/٥.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٠):ص٤٥٦/١٢-٤٥٧.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٩):ص٤٥٦/١٢.

[٨] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٤٩٩):ص١٤٨٤/٥-١٤٨٥.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٢):ص٤٥٧/١٢.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢٢٥/٢، وزاد المسير:٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي:٢١٢/٧، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢.

[١١]مسند أبي حنيفة (ص ٢٠٣).

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٣):ص٤٥٧/١٢.

[١٣]حديث عبد الرحمن المزنى: أخرجه سعيد بن منصور (١٤٣/٥، رقم ٩٥٤) ، وابن منيع، والحارث كما فى المطالب العالية (٦٦٤/١٤، رقم ٣٦٠٨، ٣٦٠٩) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٤/٧) قال الهيثمى: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ١٠٦، رقم ١٠٤) . وأخرجه أيضا: الطبري في جامع البيان ١٤٧٠٥):ص٤٥٨/١٢-واللفظ له- ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٠٤، رقم ٢٥١) ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق الطبرانى (١٨٦٠/٤، رقم ٤٦٨٤) . وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢١٧/٢) لسعيد بن منصور، وابن مردويه، وابن جرير، وابن أبى حاتم.

والثالث: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء. قاله مجاهد[١].
والرابع: أنهم ملائكة يعرفون الفريقين جميعًا بسيماهم، أهل النار وأهل الجنة، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة. وهذا قول أبي مجلز[٢].
قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنده،ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.
فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسًا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن«الرجال» اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيّنًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ما روي عن رسول الله ﷺ في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها"[٣].
عن أبي زرعة عمرو بن جرير، قال: "سئل النبي ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر من يقضي لهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من القضاء بين العباد قال لهم: أنتم قوم أخرجتكم أعمالكم من النار وعجزت أن تدخلكم الجنة، فاذهبوا فأنتم عتقاي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"[٤].

ثانيا: اسماءها الإجتهادية:

ا-سورة«الميقات»

ذكره الفيروزآبادي وعلل تسميتها بذلك لاشتمالها على ذكر يقات موسى في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٣] [٥].

ب-سورة«الميثاق»

وتسمى بذلك لاشتمالها على حديث الميثاق في قوله تعالى: { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف : ١٧٢][٦].
وهذان الاسمان اجتهاديان ولم يثبت فيهما شيء عن رسول الله-ﷺ-، قال الفيروزآبادي:" وأشهرها الأعراف"[٧].

مكية السورة ومدنيتها:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أربعة أقوال:
أحدها: أنها مكية، وهذا قول ابن عباس[٨]، وعن عبد الله بن الزبير[٩].
والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي:{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى آخر الآية وسائرها مكية. وهذا قول قتادة[١٠].
والثالث: أنها مكية إلا ثمان آيات، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ} [الأعراف : ١٧١]. وهذا قول الإمام الشوكاني[١١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٦):ص٤٥٨/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٧)-(١٤٧١٤):ص٤٥٩/١٢-٤٦٠.
[٣] تفسير الطبري:٤٦٠/١٢-٤٦١.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٧١٥):ص٤٦١/١٢، وابن ابي حاتم(٨٥٠٠):ص١٤٨٥/٥.
[٥] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٣/١-٢٠٤.
[٦] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٤/١.
[٧] انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.
[٨] انظر: الدر المنثور:٤١٢/٣، أخرجه عنه ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
[٩]أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.
[١٠]أخرجه عنه ابن المنذر وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.
[١١] انظر: فتح القدير:٢١٣/٢.

والرابع: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف : ١٧٢]، فهذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل[١].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة نزلت بمكة إجماعاً"[٢]. وحكي الإجماع أيضا البغوي وابن الجوزي[٣].

أغراض السورة ومقاصدها:

قصدت هذه السورة الطويلة إلى تقرير جملة من المقاصد الكلية، كأصول العقائد وكليات الدين، وخاصة قضية التوحيد والشرك، قال البقاعي" :ومقصودها: إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد، والاجتماع على الخير...وتحذيره بقوارع الدارين. وأدل ما فيها على هذا المقصد: أمر الأعراف، فإن اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة والنار، والوقوف على حقيقة ما فيها، وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير، واجتناب كل شر، والاتعاظ بكل مرقق.

على الجملة، فإن المتأمل في هذه السورة الكريمة، يجد أنها تطوف حول تقرير المقاصد التالية[٤]:

أولاً :أنه سبحانه أنزل القرآن للإنذار به والتذكير؛ فهو كتاب للصدع بما فيه من الحق، ولمجابهة العقائد فاسدة، والشرائع باطلة، والتقاليد بالية، ولمعارضة نُظُم ظالمة، وأوضاع جائرة، ومجتمعات سادرة. فالحرج في طريقه كثير، والمشقة في الإنذار به قائمة.

ثانياً: وجهت السورة القلوب والعقول إلى توحيد الله تعالى إيماناً، وعبادة، وتشريعاً، وبينت صفاته سبحانه وشؤون ربوبيته، وأمرت بعبادته وحده، وترك عبادة غيره.

ثالثاً :قررت السورة أنه سبحانه خالق الأرض وخالق الناس، هو الذي مكن لهم في الأرض، وأودع فيها خصائص البقاء والحياة، التي تسمح بحياة الإنسان وتقوته وتعوله، بما فيها من أسباب الرزق والمعايش.

رابعاً :قصدت السورة إلى توجيه الأبصار والبصائر إلى مكنونات هذا الكون وأسراره، وظواهره وأحواله، وبيان سنة الله التي جرت بها مشيئته بالمكذبين، وهي سنة واحدة، يأخذ الله بها المكذبين بالبأساء والضراء؛ لعل قلوبهم ترق وتلين وتتجه إلى الله، وتعرف حقيقة ألوهيته. فإذا لم يستجيبوا، أخذهم بالنعماء والسراء، وفتح عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا انتهى بهم اليسر والعافية إلى الاستهتار وقلة المبالاة، وحسبوا أن الأمور تمضي جزافاً بلا قصد ولا غاية، أخذهم بغتة، وهم غافلون. لم يدركوا حكمة الله في الابتلاء بالضراء والسراء، ولم يتدبروا حكمته في تقلب الأمور بالعباد، ولم يتقوا غضبه على المستهترين الغافلين، وعاشوا كالأنعام، بل أضل حتى جاءهم بأس الله.

خامساً :تضمنت السورة تقرير عقيدة البعث والإعادة في الآخرة، ووزن الأعمال يوم القيامة، وترتيب الجزاء على ثقل الموازين وخفتها، وسؤال الرسل في الآخرة عن التبليغ وأثره، وسؤال الأمم عن إجابة الرسل. وبيان كون الجزاء بالعمل، جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإيراثهم الجنة وحالهم ومقالهم فيها، وإقامة أهل الجنة الحجة على أهل النار، وضرب الحجاب بين أهل الجنة وأهل النار، والتنبيه على مسألة قيام الساعة، وكونها تأتي بغتة .

سادساً :بينت السورة أصول التشريع الكلية، وبعض قواعد الشرع العامة؛ فقررت بداية أن شارع الدين هو الله تعالى، وحرمت التقليد في الدين، والأخذ فيه بآراء البشر، وبالمقابل عظمت

---

[١] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٢٧-٢٨.

[٢]بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٣/١.

[٣] انظر: تفسير البغوي:٥٥٥/٥- وزاد المسير:٣ / ٧.

[٤] انظر:مقاصد سورة الأعراف، إسلام ويب، [موقع التكروني].

من شأن النظر العقلي والتفكر؛ لتحصيل العلم بما يجب الإيمان به، ومعرفة آيات الله وسننه في خلقه وفضله على عباده .

سابعاً :الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد، والأكل والشرب من الطيبات المستلذات، والإنكار على من حرم زينة الله، التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، وبيان أنها حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا، وقيدها بعدم الاعتداء والإسراف فيها. وبيان مِنَّة الله على البشر بإنزال اللباس لستر العورات، وتيسير الزينة للتجمل بها بين الناس. وبالمقابل حصرت أنواع المحرمات الدينية العامة من الفواحش الظاهرة والباطنة، والإثم والبغي .

ثامناً :بيان أن الإيمان بما دعا الله إليه، والتقوى في العمل بشرعه فعلاً وتركاً، سبب اجتماعي طبيعي لسعة بركات السماء والأرض وخيراتها على الأمة.

تاسعاً :قررت السورة سُنَّة اجتماعية أخرى، حاصلها أن الأرض ليست رهن تصرف الملوك والدول بقدرتهم الذاتية فتدوم لهم، وإنما هي لله سبحانه، وله وحده - بمحض مشيئته وحكمته - سلبها من قوم، وجعلها إرثاً لقوم آخرين. ومدار هذه السُّنَّة على أن العاقبة في التنازع بين الأمم للمتقين، أي: الذين يتقون أسباب الضعف والخذلان والهلاك، كاليأس من روح الله، والتخاذل والتنازع والفساد في الأرض والظلم والفسق، ويتلبسون بضدها، وبسائر ما تقوى به الأمم من الأخلاق والأعمال، وأعلاها الاستعانة بالله الذي بيده ملكوت كل شيء، والصبر على المكاره مهما عظمت. وأن الأمم المستضعفة مهما يكن عدوها الظالم لها قوياً، فليس لها أن تيأس من الحياة .

عاشراً :بيان أن سنة الله في الأمم التي ترث الأرض من بعد أهلها الأصلاء، هي سُنَّته تعالى في أهلها، فإذا كان هؤلاء قد غلبوا عليها؛ بسبب ظلمهم وفسادهم وجهلهم وعمى قلوبهم، فكذلك يكون شأن الوارثين لها من بعدهم، إذا صاروا مثلهم في ذلك.

حادي عشر :بيان أصول الفضائل الأدبية والتشريعية الجامعة بأوجز عبارة معجزة، والدعوة إلى السماحة واليسر، وبالواضح من الأمر، الذي تعرفه فطرة البشر في بساطتها، بغير تعقيد ولا تشديد. والإعراض عن الجاهلين، بعدم مؤاخذتهم، أو مجادلتهم، أو الاحتفال بهم.

ثاني عشر :توجيه المؤمنين إلى أدب الاستماع لهذا القرآن؛ وأدب ذكر الله تعالى، مع التنبيه إلى مداومة هذا الذكر، وعدم الغفلة عنه.

هذه المقاصد لا تعدو كونها إشارات لكثير من المقاصد التي تضمنتها هذه السورة خصوصاً، والقرآن الكريم عموماً.

وجوه المناسبة بين سورة الأعراف والتي قبلها:

ومن وجوه المناسبة بين هذه السورة وبين سورة «المائدة» التي قبلها:

أولا:- قال تعالى في أواخر الأنعام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام : ١٥٥]، {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام : ١٦١] .

فهذه خواتيم الأنعام، وآخرها {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥].

وفي أول الأعراف، قال: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [الأعراف : ٢ - ٣].

فقوله تعالى في الأنعام: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} [الأنعام : ١٥٥]، مترابط مع قوله تعالى في الأعراف: { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}[الأعراف:٣].

إذ تناولت الآيتان قضية اتباع الوحي والعمل بما فيه.

ثانيا: ومن وجوه الترابط بين السورتين أنه سبحانه وتعالى أخذ يستدل على ما ختم به سورة الأنعام من سرعة العقاب وعموم البر والثواب[1]، وما تَقَدَّمه، فقال مخبرًا عن مبتدأ تقديره: هو {كِتَابٌ} [الأعراف : ٢]؛ أي: عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لَبسًا، ولم يَذَر خيرًا إلا أمر به، ولا شرًّا إلا نهى عنه، فإنزاله من عظيم رحمته، ثم وصفه بما أكَّد ما أشار إليه من رحمته بقوله :﴿ أُنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾؛ أي: وأنت أكرم الناس نفسًا وأوسعهم صدرًا، وأجملهم قلبًا وأعرقهم أصالة، وأعرفهم باستعطاف المباعد، واستجلاب المنافر المباغض، وهذا شيء قد خصَّك به، فرفعك على جميع الخلق درجات لا تُحصى ومُراتب لا حدَّ لها [2].

ثالثا: يقول ومن التناسب أيضا: إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده، وما يترتب عليه من عقاب أو ثواب، لا يكون إلا بعد أن تُوضَّح التكاليف الشرعية، ويُبرهن عليها ويُدلل، ولَمَّا كان ذلك في السورة نفسها :﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ ﴾]الأنعام: ١٥٥]، أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله، ولذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدَّم عن كتابه ووجوب التزامه؛ قال تعالى مدللاً على ما تقدَّم :﴿ المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾]الأعراف: ١ – ٣"[3].

رابعا: في خاتمة الأنعام قال: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[الأنعام:١٦٥].

وفي بداية الأعراف {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤].

فوجه الترابط بين الآيتين: ان الاستخلاف في الأرض يكون من خلال إهلاك القرون السابقة من الأمم الخالية، وهذا المعنى الأخير أكدته الآية الثانية التي في الأعراف، فقال: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا}، معناه: " وكم من أهل قرية أهلكناهم"[4]. ، وفي هذا من الترابط ما لا يخفى.

خامسا: قال تعالى في آخر سورة «الأنعام»: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه "[5].

وقال تعالى في الآيات الأولى في «الأعراف»:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤]، معناه:" فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا"[6].

فوجه الترابط بين الآيتين: سرعة نزول العقاب وتحققه في المستحقين.

وهذه خصائص كتاب الله المجيد وقرآنه الكريم وكلامه القديم، الذى لا يأتيه الباطل ولا يعتريه التعارض؛ بل الإحكام والإتقان، والتناسُق والتناسُب، والتمام والكمال والجمال، وهكذا في كل سورِه ونظْمِه وترتيبه المُعجِز بلفظه ومعناه، والله الموفِّق والمَرجو ثوابه .

فضائل السورة:

ورد في هذه السورة مجموعة من الفضائل، نذكر منها:

---

[1] ختَم الله تعالى سورة الأنعام باتباع كتابه والتزامه إلى أن قال تعالى :﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾]الأنعام: ١٦٥].
ثم قال في بداية سورة الأعراف :﴿ المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾]الأعراف: ١، ٢].

[2] انظر: نظم الدرر، البقاعي:٣٤٨/٧.

[3] التناسب القرآني عند البقاعي؛ للدكتور مشهور موسى، ص ١١٠ .

[4] معاني القرآن للزجاج:٣١٧/٢.

[5] تفسير الطبري:٢٨٩/١٢.

[6] تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.

أولا:- أنها من السبع الأول من القرآن، ومن الأحاديث التي بينت اشتراك هذه السورة مع غيرها في الفضل:
أ- ما رواه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال:" أعطيت مكان التوراة السبع الطول وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثانى وفضلت بالمفصل"[1].
ب- عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: "من أخذ السبع الأول فهو حبر"[2].
والأعراف من هذه السبع.
ثانيا:- ومما وردت في فضائلها ما روته عائشة رضي الله عنها، أنه "قرأ رسول الله-ﷺ- في صلاة المغرب بسورة الأعراف فرّقها في ركعتين"[3].
ثالثا:- عن مروان بن الحكم، قال: "قال لي زيد بن ثابت:«ما لى أراك تقرأ فى المغرب بقصار السور؟ قد رأيت رسول الله - ﷺ - يقرأ فيها بطولى الطوليين» . قال ابن أبى ملكية: وما طولى الطوليين؟ قال: الأعراف"[4].

عن سعيد بن جبير في هذه الآية: "{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر : ٨٧]، قال: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام، والأعراف، ويونس، فيهنّ الفرائض والحدود"[5].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

[1] أخرجه أحمد (١٠٧/٤، رقم ١٧٠٢٣) . قال الهيثمى (٤٦/٧) : فيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائى وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه الطبرانى (٧٥/٢٢ رقم ١٨٦) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٦٥/٢، رقم ٢٤١٥ مكرر) . وأخرجه أيضا: الطيالسى (ص ١٣٦ رقم ١٠١٢) وأبو نعيم فى معرفة الصحابة (٢٧١٦/٥ رقم ٦٤٨٥) . وقال المناوى (٥٦٦/١) : فيه عمرو بن مرزوق، أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: كان يحيى بن سعيد لا يرضاه.

[2] أخرجه الإمام أحمد في المسند(٢٤٥٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: "إسناده حسن"، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢٠٧٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه".
والحبر: العالم، ومعناه العالم بتحبير الكلام، والأحبار: هم العلماء، انظر: النهاية (٣٢٨/١)، واللسان مادة (ح ب ر).

[3] أخرجه النسائي في المجتبى من السنن ٢/ ١٧٠، كتاب الافتتاح (١١)، باب القراءة في المغرب. . . (٦٧).
وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٣٩٢، كتاب الصلاة، باب من لم يطيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا.

[4] أخرجه أحمد ١٨٨/٥ (٢١٩٨٠) قال: حدثنا محمد بن جعفر. وفي ١٨٩/٥ (٢١٩٨٥) قال: حدثنا عبد الرزاق، الرزاق، وابن بكر. و"البخاري" ١٩٤/١ (٧٦٤) قال: حدثنا أبو عاصم. و"أبو داود" ٨١٢ قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا عبد الرزاق.

[5] أخرجه الطبري:١٣٠/١٧.

القرآن

{المص (١)} [الأعراف : ١]

التفسير:

هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن؛ فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- على أن القرآن وحي من الله.

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {المص} [الأعراف : ١]، على أقوال:
أحدها : معناه : أنا الله أُفَضِّل ، قاله ابن عباس[١]، وسعيد بن جبير[٢].
والثاني : أنه حرف هجاء من اسم الله تبارك وتعالى الذي هو«المصوّر»، قاله السدي[٣].
والثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[٤].

قال ابن كثير: " ولعل هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه اسم، من أسماء السور، فإن كل سورة يُطْلَق عليها اسم القرآن، فإنه يبعد أن يكون: {المص} اسماً للقرآن كله، لأن المتبادر إلى فهم سامع من يقول: قرأت {المص} إنما ذلك عبارة عن سورة الأعراف، لا لمجموع القرآن"[٥].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٠):ص٢٩١/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١١):ص٢٩١/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٢):ص٢٩١/١٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٤)، و(١٤٣١٥):ص٢٩٢/١٢.
[٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٧/١ .

وحمل ابن جرير الطبري هذا القول على ظاهره فقال: "هي أسماء لكل القرآن، لا للسورة التي هي قطعة من القرآن"[١].
والرابع : أنه من الفواتح يفتح الله بها القرآن. قاله مجاهد[٢]، وأبي بن كعب[٣].
والرابع :أنه اسم للسورة. قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[٤]، وبه قال الزمخشري[٥]، والرازي[٦] واختاره سيبويه[٧]، وقد نسب الزمخشري والبيضاوي هذا الوجه إلى أكثر العلماء[٨]، كما عزاه الفخر الرازي إلى أكثر المتكلمين والمحققين[٩].
والخامس: أنه اسم السورة مفتاح لها ، قاله الحسن[١٠].
والسادس : أنه اختصار من كلام يفهمه النبي -ﷺ- ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً .
والسابع: أنه من أسماء الله تعالى. وهذا قول الشعبي [١١].
والثامن: أنه اسم من أسماء الله ، أقسم ربنا به. وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً[١٢].
والتاسع: حروف هجاء مقطعة نبه بها على إعجاز القرآن[١٣].
والعاشر: أنه من حساب الجمل المعدود استأثر الله بعلمه [١٤].
والحادي عشر: حروف تحوي معاني كثيرة دل الله تعالى خلقه بها على مراده من كل ذلك[١٥].
والثاني عشر: هي حروف اسم الله الأعظم[١٦].
والثالث عشر: أن المراد: المصير إلى كتاب أنزل إليك من ربك ، فحذف باقي الكلمة ترخيماً وعبر عنه بحروف الهجاء لأنها تذهب بالسامع كل مذهب. أفاده الماوردي[١٧].
وللعرب في الاقتصار على الحروف مذهب كما قال الشاعر[١٨]:
قلْتُ لها: قِفِي، فقالت: قاف   لا تحسبينا[١٩] قد نسينا الإيجاف
أى: قالت: وقد وقفت، فأومأ بالقاف إلى معنى الوقوف.
والرابع عشر: أن لكل كتاب سرٌّ ، وسرُّ القرآن فواتحه[٢٠].

---

(١) جامع البيان ٦٩/١ .
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٣٠):ص٢٠٦/١.
(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٦٧/١ .
(٤) انظر: تفسير الطبري(٢٣٢):ص٢٠٦/١.
(٥) ينظر: الكشاف: ٨٣/١.
(٦) التفسير الكبير: ٧/٢.
(٧) ينظر: الكتاب، أبو بشر عمر بن عثمان سيبويه، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٧: ٣٤/٢-٣٥. ٣٥.
(٨) انظر الكشاف ٧٢/١ ، وأنوار التنزيل ٨٦/١ و٨٧ .
(٩) انظر مفاتيح الغيب ٢٥٢/٢ و ٢٥٤ .
(١٠) انظر: النكت والعيون:١٩٨/٢.
(١١) انظر: تفسير الطبري(٢٣٥):٢٠٦/١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٣):ص٢٩٢/١٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٩٤/١٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٩٤/١٢.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٩٤/١٢.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٢٩٤/١٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.
(١٨) البيت للوليد بن عقبة بن أبي معيط، انظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٤، وتفسير الطبري ١/ ٢١٢، والأغاني ٥ : ١٣١ ، وشرح شواهد الشافية : ٢٧١ والخصائص: ١/ ٣٠، ٨٠، ٤٢٦، ٢/ ٣٦١، وهو في "تأويل مشكل القرآن" وفيه "... قالت لي: قاف ..." :ص ٣٠٨، وورد في :معاني القرآن للفراء:٣/ ٧٥، واللسان "وقف":ص ٨/ ٤٨٩٨، والبحر المحيط: ١/ ٣٥. والرجز للوليد بن عقبة خرج يريد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لما طلبه حين شهد عليه عنده أنه يشرب الخمر، فخرج الوليد مع بعض رفقته ونزل يسوق الإبل بهم ويرتجز بأبيات منها المذكورة هنا.
(١٩) وفي بعض الروايات:"لا تَحْسَبي أَنَّا".
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١.

والخامس عشر: أنها ضمن الفواتح التي نزلت ليستغربها المشركون فيسمعون القرآن، فتجب عليهم الحجة. ممن قال بذلك: الرازي[١] والزرقاني[٢].

قال ابن كثير مبيناً بطلان هذا القول: "وهو ضعيف، لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور، لا يكون في بعضها، بل غالبها ليس كذلك، ولو كان كذلك ـ أيضاً ـ لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك، ثم إن هذين ـ يعني سورة البقرة وآل عمران ـ مدنيتان ليستا خطاباً للمشركين، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه"[٣][٤].

والسادس عشر: ما روي عن الربيع بن أنس أنه قال: "هذه الأحرف من التسعة والعشرين حرفاً دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو مدة قوم وآجالهم[٥].

وهذا يشبه ما ذكره القرطبي عن محمد بن علي الحكيم الترمذي أنه قال: إن الله تعالى أودع جميع ما في تلك السورة من الأحكام والقصص في الحروف التي ذكرها في أول السورة، ولا يعرف ذلك إلا نبي أو ولي، ثم بين ذلك في جميع السورة ليفقه الناس[٦].

وهذا قول ضعيف، لما فيه من تحميل كلام الله ما لا يحتمل، وأيّ فائدة في أن تكون هذه الأحرف دالة على مدة قوم وآجالهم، ومدد الأقوام وآجالهم غيب لم يطلع الله أحداً من خلقه عليه: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤].

وعن بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ- قال: مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام[٧] إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله[٨].

فإذا كانت كل نفس لا تدري مكان أجلها فهي ـ من باب أولى ـ لا تدري زمان أجلها ولا أجل غيرها.

السابع عشر: أنها أقسام أقسم الله بها لإظهار شرفها وفضلها، وهذا قول ابن عباس[٩]، وعكرمة[١٠]، وبه قال الأخفش[١]، والزركشي[٢].

---

(١) ينظر: التفسير الكبير: ٨/٢.

(٢) ينظر: مناهل العرفان: ٢٣٠/١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٨/١ و٣٩ .

(٤) كما وأن وجوه هذا التضعيف فيها نظر:

أما قوله: ينبغي ذكرها في جميع السور، فليس بلازم لأن هذه الأحرف لا يقتصر معناها ولا الحكمة منها على ما ذُكِر في هذا القول فقط، بل هو معنى من معانيها إلى جانب معان أخر.

وأما قوله: ينبغي الابتداء بها في أوائل الكلام معهم، سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك، فليس بلازم ـ أيضاً ـ لأن التنبيه قد حصل في أول السورة وحصل المقصود. هذا فضلاً عن أن النبي ـ ﷺ- كان إذا خاطبهم بالقرآن كانوا يعرضون، أما إذا خاطبهم هو فليس الأمر كذلك.

واعتراضه المتعلق بذكرها في البقرة وآل عمران المدنيتين فالجواب أن هذا التنبيه ليس للمشركين فقط، بل هو لهم ولغيرهم كما سبق تقريره آنفاً.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير ٦٨/١ وابن أبي حاتم ٣٣/١ .

(٦) انظر تفسير القرطبي ١٥٦/١

(٧) ما تغيض الأرحام . معناه : ما نقص الحمل فيه عن تسعة أشهر ، وما زاد على التسعة . وقيل : ما نقص عن أن يتم حتى يموت ، وما زاد حتى يتم الحمل . انظر لسان العرب ٢٠١/٧ ، والمفردات في غريب القرآن: ٣٦٨.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه ١٧٩٣/٤ ، كتاب : التفسير ، باب : {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] ، برقم (٤٥٠٠) ، والنسائي في السنن الكبرى ٣٧٠/٦ ، كتاب : التفسير ، باب : قوله ـ تعالى ـ : {مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى} [الرعد: ٨] سورة الرعد (٧) ، برقم (١١٢٥٨) ، وأحمد في المسند ٢٤/٢ .

(٩) انظر: عزاه إليه النسفي في تفسيره : ١ /٣٩.

(١٠) انظر: عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور :١ /٥٤.

قال الزركشي: "أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذي يقرؤه محمد هو الكتاب المنـزل لا شك فيه، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان وما في كتب الله المنزلة باللغات المختلفة وهي أصول كلام الأمم بها يتعارفون، وقد أقسم الله تعالى بـ (الفجر)، و (الطور) فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها "[٣].

ومما استدل به بعضهم على هذا القول ما أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله تعالى: (كهيعص) و (طه) و (طسم) و(يس) و(ص) و(حم عسق) و(ق) ونحو ذلك قسم أقسمه الله تعالى وهي من أسماء الله عز وجل [٤].

وهذ القول فيه نظر: إذ أن صيغة القسم معروفة وتأتي معتمدة على كلمات وحروف تفيد القسم نحو: اقسم أو الواو في (والله) أو التاء وهكذا، أما أن تعد هذه الحروف قسماً فهذا ما لم يعهده العرب، ولم يجر على ألسنتهم، ويدل على بطلان هذا القول أيضاً أنه لا يوجد ما يعضده ويشهد لصحته في القرآن أو السنة الصحيحة، وما نقل عن ابن عباس فهو ضعيف[٥]،

قال القرطبي مبيناً فساد هذا القول: "لا يصح أن يكون قسماً لأن القسم معقود على حروف مثل: إن وقد ولقد وما، ولم يوجد ها هنا حرف من هذه الحروف فلا يجوز أن يكون يميناً"[٦].

القول الثامن عشر: أنها جاءت للدلالة على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر، إذ أن هذه الحروف تدل على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر، ومعنى ذلك أنه افتتح بها ليعلم أن السورة التي قبلها قد انقضت وأنه قد أخذ في أخرى، فجعل هذا علامة انقطاع ما بينهما. وهذا قول مجاهد[٧]، وأبو عبيدة[٨]، والأخفش[٩].

وهذا الكلام ليس بشيء، فلا تُعد هذه الحروف دالة على انقطاع كلام واستئناف كلام آخر، فإن هذه الحروف لم تعهد مزيدة لهذه الدلالة، فقد صح الفصل بغيرها، ثم إن هذا غير مضطرد في جميع السور، فلماذا ذكرت هذه الحروف في سور ولم تذكر في أخرى .قال ابن كثير مبيناً بطلان هذا القول: "وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة"[١٠].

القول التاسع عشر: أن هذه الحروف جاءت للدلالة على مدة بقاء هذه الأمة، وذلك بحساب الجمل ـ بضم الجيم وفتح الميم المشددة ـ ويُعْرَف بحساب (أبي جاد)[١١].

وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته، وهو عن عبدالله بن عباس عن جابر بن عبد الله أنه قال: "مر أبو ياسر بن أخطب برسول الله وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ} [البقرة:

---

(١) انظر: معاني القرآن:١ /٢٠.

(٢) انظر: البرهان: ١٧٣/١.

(٣) انظر: البرهان: ١٧٣/١.

(٤) انظر: البحر المحيط: ٥٨/١.

(٥)أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات:٢٣٠/١ ، والأثر إسناده ضعيف فهو من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وذكر ابن حجر أن علي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يره أنظر ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، تقريب التهذيب: ٣٤١.

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٦/١.

(٧)عزاه إليه الطبري في جامع البيان (١ :٦٧) وهو مجاهد بن جبير أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم تابعي مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس ولد سنة ٢١ هـ وتوفي سنة ١٠٤ هـ أنظر الزركلي، الأعلام: (٥: ٢٧٨).

(٨) انظر: مجاز القرآن ، أبو عبيدة، معمر بن مثنى التيمي، ، ٢ مج، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١٤٠١/٢ هـ-١٩٨١م) :٢٨١/١.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٢١/١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٧/١.

(١١) انظر تفسير الطبري ٦٨/١ ، ومفاتيح الغيب٢٥٣/٢ ، والتسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد بن جُزَيّ الغرناطي الكلبي ٣٥/١ ، والبحر المحيط ١٥٦/١ ، والإتقان ٢٦/٣ .

١، ٢]، فأتى أخاه حُيَيّ بن أخطب في رجال من يهود، فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله ـ عز وجل ـ عليه: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ١، ٢]. فقالوا: أنت سمعته ؟ قال: نعم.

فمشى حيي بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله، فقالوا: يا محمد، ألم يُذْكَر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ} [البقرة: ١، ٢] ؟ فقال رسول الله: بلى. فقالوا: أجاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ قال: نعم. قالوا: لقد بعث الله ـ جل ثناؤه ـ قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك. فقال حيي بن أخطب ـ وأقبل على من كان معه فقال لهم ـ: الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنة. قال: فقال لهم: أتدخلون في دين نبي إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ؟! قال: ثم أقبل على رسول الله فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره ؟ قال: نعم. قال: ماذا ؟ قال: {المص} قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة، وللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه مائة وإحدى وستون سنة، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال: نعم، قال: ماذا ؟ قال: {الر}، قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة،واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنة، فقال: هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال: نعم {الر}، قال: فهذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة.

ثم قال: لقد لُبِّس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أُعْطِيت أم كثيراً. ثم قاموا عنه، فقال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم لعله قد جُمِع هذا كله لمحمد، إحدى وسبعون، وإحدى وستون ومائة، ومائتان وإحدى وثلاثون، ومائتان وإحدى وسبعون، فذلك سبعمائة سنة وأربع وثلاثون. فقالوا: لقد تشابه علينا أمره"[١].

وهذا القول ليس بشيء والحديث الدال عليه باطل ولا يصح الاحتجاج به، وكون هذه الحروف تدل على أجل هذه الأمة ومدتها، أو على معرفة الحوادث يحتاج إلى توقيف من النبي ـ ﷺ ـ لبيان ذلك.

قال ابن كثير: "وأما من زعم أنها دالة على معرفة المُدَد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديث ضعيف، وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته"[٢].

وأما الأخذ بحساب الجمل أو(أبي جاد) فهو أمر لا يتعلق به فائدة لجاهلي ولا إسلامي، ولا يصح أن يكون مقصداً من مقاصد الرب ـ سبحانه ـ الذي أنزل كتابه للإرشاد إلى شرائعه والهداية به، وهو أقرب ما يكون إلى السحر والتنجيم.

قال الحافظ ابن حجر بعد ذكر هذا القول:"الحمل على ذلك من هذه الحيثية باطل، وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عد (أبي جاد)، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة"[٣].

---

(١) هذا حديث باطل أخرجه البخاري في التاريخ الكبير٢/٢٠٨ ، وأبو عمرو الداني في كتاب البيان في عد آي القرآن ص ٣٣٠ ، وابن جرير الطبري في تفسيره ١/٧١ و٧٢ ، كلهم من طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر.....

و محمد بن السائب الكلبي متروك ومتهم بالكذب ، كما في كتاب الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦/١١٤ ، والضعفاء والمتروكين للنسائي ص ٩١ ، والتقريب لابن حجر ص ٤٧٩ .

وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ ، وهو ضعيف جداً ، ويُرْسِل ، كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢/٦٣١ ، و التاريخ الكبير للبخاري ٢/١٤٤ ، والتقريب ص ١١٠ . قال سفيان : قال لي الكلبي : قال لي أبو صالح : كل ما حدثتك به كذب . انظر سنن البيهقي الكبرى ٨/١٢٣ ، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص ١١٧ .

وللحديث طريق أخرى في تاريخ البخاري الكبير ٢/٢٠٨ من طريق زياد بن عبد الله البكائي ، وهو متروك الحديث كما في تهذيب الكمال ٩/٤٨٥ ، ولسان الميزان ٧/٥٠٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٩ .

(٣) فتح الباري ١١/٣٥١ .

وابن حجر يشير إلى حديث ابن عباس قال: قال رسول الله - ﷺ-: رب مُعَلِّم حروف أبي جاد، دارس في النجوم ليس له عند الله خَلاق[١] يوم القيامة[٢].

أما سبب اختصاص كل سورة بالحروف التي افتتحت بها، فمرد ذلك أن هذه السور إنما جاء في أول كل سورة منها الحروف التي كثر ترددها فيما تركب من كلماتها.

ويوضح ذلك أننا إذا قارنا بين سورة من هذه السور التي افتتحت بهذه الحروف وبين سورة أخرى تماثلها أو تقاربها في الطول وعدد الكلمات لوجدنا أن الحروف المفتتح بها تلك السورة أكثر عدداً في كلماتها من السورة الأخرى.

قال الزركشي في البرهان: "ومن ذلك السور المفتتحة بالحروف المقطعة ووجه اختصاص كل واحدة بما بُدِئت به حتى لم تكن لترد {الم} في موضع {الر}، أو {حم} في موضع {طس}، وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلمها، ويوضحه أنك إذا ناظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتتح بها تلك السورة إفراداً وتركيباً أكثر عددً في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها، وقد اطرد هذا في أكثرها، فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها، فلو وضع موضع {ق} من سورة {ن} لم يمكن، لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله - تعالى-"[٣].

وخلاصة القول أن عدم ورود النقل بأن لها معاني لا يدل على انتفاء ثبوت المعاني لها في نفس الأمر. فإن عدم الدليل في أذهاننا لا يلزم منه عدم المدلول في نفس الأمر، وهذا غاية في الوضوح؛ وأقرب دليل يذكر هو ما دل على أن كل ما في القرآن له معاني بالقطع واليقين، والحروف المقطعة من القرآن، فلها معاني قطعا ويقينا، والنقل يفتقر إليه في توضيح الغامضات، أما توضيح الجليات فلا يشترط في ذلك نقل، ومن الجليات أن جميع ما في القرآن له معاني في نفس الأمر.

ثم القول بأن للحروف المقطعة حكمة وسر، وبعد ذلك ننفي المعاني عنها كليا، ففيه من التناقض ما لا يخفى، إذ الحكمة والسر لا يكونان إلا في ضمن المعاني، فإثبات الحكمة والسر للحروف المقطعة هو عين إثبات المعاني لها، وجهلنا بالحكمة والسر هو جهل بالمعاني، والعكس صحيح.

فيمكن القول بأن الحروف المقطعة لها معاني خاصة، سميت أسرارا وحكما أو غير ذلك، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه لم يكلفنا بإدراكها، بل نؤمن بتنزيلها وكونها كلام الله تعالى، ونفوض له سبحانه العلم بحقيقة ما أراد من معانيها، دون أن نزيغ بها إلى معاني باطلة كما وقع لبعض الإشراقيين والفلاسفة الإسلاميين، ودون أن نسلبها معانيها في نفس الأمر بحيث يلزم من ذلك ثبوت كلام لله تعالى لا مدلول له في نفس الأمر، تعالى كلام ربنا عن ذلك.

وهذا مرجع كلام الصحب الكرام رضوان الله تعالى عليهم[٤].

ولاشك بأن هذه الحروف للإعجاز، وإننا عندما نقول بذلك لا يعني أننا نقتصر على هذا القول، فقد يكون لنزولها حكم أخرى -كما أشرت اليه سابقا -وقد ذكر الذين ردوا هذا القول كالشيخ محمد شلتوت أن العرب قد عرفوا عجزهم عن الإتيان بمثله وسجله القرآن عليهم فليسوا بحاجة إلى مثل هذه الحروف .نقول: حقاً انهم قد عرفوا عجزهم عن ذلك ولكن ما المانع من

---

(١) الخَلاَق : الحظ والنصيب . انظر لسان العرب ٩٢/١٠ ، والنهاية في غريب الأثر لأبي السعدات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ٧٠/٢ ، ط دار الفكر - بيروت - ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ، بتحقيق/طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤١/١١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣١/٣ إلى ابن مردويه . وهو موقوف على ابن عباس في مصنف ابن أبي شيبة ٢٤٠/٥ ، والموقوف أصح إلا أن له حكم الرفع ، والله أعلم .

(٣) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي ١٦٩/١ ، ط دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١هـ ، بتحقيق/محمد أبوالفضل إبراهيم ، وانظر الإتقان ٣٣٤/٢ .

(٤) يقول الطبري: "هي حروف يشتمل كل حرف منها على معاني شتى مختلفة"(انظر: تفسيره: ٢٠٩/١).

تكرار تسجيل ذلك عليهم مـرة تلو المرة حتى يستدعي ذلك انتباههم، وحتى يذكرهم بعجزهم وضعفهم، ثـم إنـك تجـد مـن مدلولات هذا التكرار استمرارية التحدي، ألم تر أن الله تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، وكل ذلك لإظهار عجزهم مـع انهـم يعلمون من أنفسهم ذلك العجز .وهنا ضربٌ آخر لتبكيتهم وإظهار عجزهم، وهو أن يـذكر هـذه الحـروف احتجاجـاً عليهم، فإن فيها تنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، فهم قادرون عليهـا، فكـان واجب عليهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فعجزهم دال على أنه من عند الله. والله أعلم، وله الحمد في الأولى والآخرة.

جدول توزيع الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم:

١	حروف ذات الحرف الواحد والتي لم تتكرر	(ن)، (ق)، (ص).
٢	حروف ذات الحرفين والتي لم تتكرر	(طس)، (يس)، (طه).
٣	حروف ذات الحرفين والتي تكررت ٧ مرات	(حم).
٤	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت مرتان فقط	(طسم)
٥	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت ٦ مرات	(الم).
٦	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت ٥ مرات	(الر).
٧	حروف ذات أربعة أحرف ولم تتكرر	(المر)، (المص).
٨	حروف ذات الخمسة أحرف ولم تتكرر	(كهيعص)، (حمعسق)
	الحروف بعد حذف المكرر منها (أربعة عشر حرفًا فقط)، وهي نصف عدد الحروف الأبجدية، وهي:	(ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن)

القرآن

{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)} [الأعراف : ٢]

التفسير:

هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول- فلا يكن في صدرك شك منه في أنه أنزل من عند الله، ولا تتحرج في إبلاغه والإنذار به، أنزلناه إليك؛ لتخوف به الكافرين وتذكر المؤمنين.

قوله تعالى:{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} [الأعراف : ٢]، أي:" هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول-"[١].

قال ابن كثير:" أي : هذا كتاب أنزل إليك ، أي : من ربك"[٢].

قال قتادة:" وهو القرآن الذين أنزله الله على محمد ﷺ"[٣].

قوله تعالى:{فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف : ٢]، أي:" فلا يضقْ صدرك من تبليغه خوفاً من تكذيب قومك"[٤].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فلا يضق صدرك، يا محمد، من الإنذار به مَنْ أرسلتك لإنذاره به، وإبلاغه مَنْ أمرتك بإبلاغه إياه، ولا تشك في أنه من عندي، واصبر

---

[١] التفسير الميسر:١٥١.

[٢] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٠٦):ص١٤٣٨/٥.

[٤] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.

للمضيّ لأمر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة، كما صبر أولو العزم من الرسل، فإن الله معك"[١].

قال الزمخشري:" أى شك منه، كقوله: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ} [يونس : ٩٤]، وسمى «الشك»: حرجا، لأن الشاك ضيق الصدر حرجه، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه. أى لا تشك في أنه منزل من الله، ولا تحرج من تبليغه «١» لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم"[٢].

وفي تفسير «الحرج» -ها هنا- ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه الضيق ، قاله الحسن[٣]، والزجاج[٤].

وأصل الحرج: الضيق [٥]، قال الشماخ بن ضرار[٦]:

ولو ردت المعروف عندي رددتها لحاجة لا العالي ولا المتحرج

قال الماوردي:" معناه : فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه"[٧].

قال الزجاج:" أي: فلا - يضيقن صدرك من تأدية ما أرسلت به"[٨].

والثاني : أن «الحرج» هنا: الشك ، قاله ابن عباس[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، والسدي[١٣] وعكرمة[١٤]. قال الراجز[١٥]:

آليت لولا حرج يعروني ما جئت أغزوك ولا تغزوني

ومعناه : فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به[١٦].

قال الطبري:" لأن الشك فيه لا يكون إلا من ضيق الصدر به، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التي هي وجهته الصحيحة. وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى«الضيق»، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه في كلام العرب"[١٧].

قال ابن قتيبة:" أصل «الحرج»: الضيق، والشاك في الأمر يضيق صدرا؛ لأنه لا يعلم حقيقته. فسمى الشك حرجا"[١٨].

والثالث : لا يضيق صدرك بالقرآن بأن يكذبوك، كما قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف : ٦]. قاله الفراء[١٩].

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ بِهِ} [الأعراف : ٢]، أي:" لتنذر بالقرآن من يخاف الرحمن"[٢٠].

---

[١] تفسير الطبري:٢٩٥/١٢.

[٢] الكشاف:٨٥/٢-٨٦.

[٣] انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.

[٤] انظر: معاني القرآن:٣١٥/٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٢٩٥/١٢.

[٦] انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.

[٧] النكت والعيون:١٩٩/٢.

[٨] معاني القرآن:٣١٥/٢.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٦):ص٢٩٥/١٢.

[١٠] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٣٨/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٧):ص٢٩٦/١٢.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٩):ص٢٩٦/١٢.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٢١):ص٢٩٦/١٢.

[١٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٣٨/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.

[١٥] البيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:١٩٩/٢، ولم اتعرف على قائله..

[١٦] انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.

[١٧] تفسير الطبري:٢٩٦/١٢.

[١٨] غريب القرآن:١٦٥، وانظر: تأويل مشكل القرآن:٢٦٤.

[١٩] انظر: معاني القرآن:٣٧٠/١.

[٢٠] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.

قال الطبري:يعني:" هذا كتاب أنزلناه إليك، يا محمد، لتنذر به من أمرتك بإنذاره"[١].
قال ابن كثير:" أي : أنزل إليك لتنذر به الكافرين"[٢].
قوله تعالى:{وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ٢]، أي:" ولتذكر وتعظ به المؤمنين"[٣].
قال الطبري:يعني:" وتذكر به المؤمنين"[٤].
قال الماوردي:" فجعله إنذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين ليعود نفعه على الفريقين"[٥].
الفوائد:
١- القرآن الكريم هو مصدر نذارة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبشارته بما حواه من الوعد والوعيد، والذكرى والبشرى.
٢- أن الله تعالى رفع الحرج عن الصدور بكتابه، وكانت قبل إنزال الكتاب في أعظم الحرج والضيق، فلما أنزل كتابه ارتفع به عنها ذلك الحرج، وبقي الحرج والضيق على من لم يؤمن به.

القرآن
{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [الأعراف : ٣]
التفسير:
اتبعوا -أيها الناس- ما أُنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء كالشياطين والأحبار والرهبان. إنكم قليلا ما تتعظون، وتعتبرون، فترجعون إلى الحق.
قوله تعالى:{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ٣]، أي:" اتبعوا -أيها الناس- ما أُنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي"[٦].
قال قتادة:" ثم قال للمؤمنين: اتبعوا ما أنزل الله إليكم من ربكم من القرآن"[٧].
قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا، أيها الناس، ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم"[٨].
قال ابن كثير:" ثم قال تعالى مخاطبًا للعالم : { اتَّبِعُوا مَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } أي : اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كلّ شيء ومليكه"[٩].
قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [الأعراف : ٣]، أي:" ولا تتخذوا أولياء من دون الله كالأوثان والرهبان والكُهّان تولونهم أموركم وتطيعونهم فيما يشرعون لكم"[١٠].
قال الطبري:" يقول: لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الأوثان، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم"[١١].
قال ابن كثير:" أي : لا تخرجوا عما جاءكم به الرسول إلى غيره ، فتكونوا قد عدلتم عن حكم الله إلى حكم غيره "[١].

---

[١] تفسير الطبري:٢٩٧/١٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣.
[٣] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.
[٤] تفسير الطبري:٢٩٧/١٢.
[٥] النكت والعيون:٢٠٠/٢.
[٦] التفسير الميسر:١٥١.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢١٠):ص١٤٣٨/٥.
[٨] تفسير الطبري:٢٩٧/١٢-٢٩٨.
[٩] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣.
[١٠] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.
[١١] تفسير الطبري:٢٩٨/١٢.

قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف : ٣]، أي:" إنكم قليلا ما تتعظون، وتعتبرون، فترجعون إلى الحق"[٢].

قال الطبري:" يقول: قليلا ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق"[٣].

قال ابن كثير:" { قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ } كقوله : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣]. وقوله : { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [الأنعام : ١١٦] وقوله : { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } [يوسف : ١٠٦]"[٤].

الفوائد:

١- وجوب إتباع الوحي، وحرمة إتباع ما يدعو إليه أصحاب الأهواء والمبتدعة.

٢- وجوب اتباع القرآن الكريم ظاهرا وباطنا والتمسك به والقيام بحقه، وأوصى النبي ﷺ بكتاب الله فقال: «فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به» [٥].

وفي حديث علي مرفوعا: «إنها ستكون فتن»[٦]. «قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: " كتاب الله» . وذكر الحديث.

٣- ومن فوائد الآية: أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد، لا يحكمون لهم رأيا، ولا يشغلون فكرا، فلذلك تاهوا في أودية الجهالة، فأمرهم الله تعالى أن يتبعوا الحق فقال: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}.

القرآن

{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤)} [الأعراف : ٤]

التفسير:

وكثير من القرى أهلكنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذلِّ الآخرة، فجاءهم عذابنا مرة وهم نائمون ليلا ومرة وهم نائمون نهارًا.

قوله تعالى:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا} [الأعراف : ٤]، أي:" وكثير من القرى أهلكنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذلِّ الآخرة"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: حذّر هؤلاء العابدين غيري، والعادلين بي الآلهة والأوثان، سَخَطي لا أُحِلّ بهم عقوبتي فأهلكهم، كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، فكثيرًا ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصوني وكذَّبوا رسلي وعبدوا غيري "[٨].

قال ابن كثير:" } أي : بمخالفة رسلنا وتكذيبهم ، فأعقبهم ذلك خِزْيُ الدنيا موصولا بذُلِّ الآخرة ، كما قال تعالى : { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأنعام : ١٠]. وقال تعالى : { فَكَأَيِّنْ (٤) مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ } [الحج : ٤٥]، وقال تعالى : { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلا قَلِيلا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ } [القصص : ٥٨]"[٩].

---

[١] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣.

[٢] التفسير الميسر:١٥١.

[٣] تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.

[٤] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣.

[٥]رواه مسلم (فضائل الصحابة / ٣٦) ، وأحمد (٤ / ٣٦٦، ٣٦٧).

[٦]ضعيف) ، رواه أحمد (١ / ٩١) ، والترمذي (٢٩٠٦) ، والدارمي (٣٣٣٤) ، قال الإمام الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول وفي الحارث مقال. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف جدا من أجل الحارث الأعور.

[٧] التفسير الميسر:١٥١.

[٨] تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.

[٩] تفسير ابن كثير:٣٨٧/٣-٣٨٨.

قال الماوردي:"هذا إخبار من الله تعالى عن حال من أهلكه بكفر تحذيراً للمخاطبين به عن مثله "[1].

قوله تعالى:{فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا} [الأعراف : ٤]، أي:" فجاءها عذابنا وهم نائمون ليلا"[2].

قال ابن قتيبة:" يعني: العذاب، ليلا"[3].

قال الطبري:"يقول: فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا"[4].

قال ابن كثير:" أي : فكان منهم من جاءه أمر الله وبأسه ونقمته ليلا"[5].

وفي قوله:{أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً } [الأعراف : ٤]، أربعة وجوه[6]:

أحدها : معناه: أهلكناها حكماً، فجاءها بأسنا فعلاً .

والثاني : أهلكناها بإرسال الملائكة إليها بالعذاب، فجاءها بأسنا بوقوع العذاب لهم .

والثالث : أهلكناها بخذلاننا لها عن الطاعة، فجاءها بأسنا عقوبة على المعصية .

والرابع : أن البأس والهلاك وقعا معاً في حال واحدة، لأن الهلاك كان بوقوع البأس فلم يفترقا ، وليس دخول الفاء بينهما موجبة لافتراقهما بل قد تكون بمعنى الواو كما يقال أعطيت وأحسنت ، فكان الإحسان بالعطاء ولم يكن بعد العطاء ، قاله الفراء[7].

عن مالك بن دينار، قال:" قالت ابنة الربيع لأبيها: يا أبتاه، مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: إني أخاف البيات"[8].

قوله تعالى:{أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤]، أي:" أو جاءهم العذاب في وقت القيلولة وهي النوم في وسط النهار"[9].

قال ابن قتيبة:" من القائلة، نصف النهار"[10].

قال الطبري:" يعني: نهارًا في وقت القائلة"[11].

قال ابن كثير:" {قَائِلُونَ } من القيلولة ، وهي : الاستراحة وسط النهار"[12].

وفي مجيء العذاب في وقت النوم دون اليقظة، قولان[13]:

أحدهما : لأن العذاب في وقت الراحة أشد وأغلظ .

قال أبو حيان:" وخص مجيء البأس بهذين الوقتين، لأنهما وقتان للسكون والدعة والاستراحة فمجيء العذاب فيهما أقطع وأشق ولأنه يكون المجيء فيه على غفلة من المهلكين، فهو كالمجيء بغتة"[14].

والثاني : لئلا يتحرزوا منه ويهربوا عنه ، لاستسلام النائم وتحرز المستيقظ.

قال ابن كثير:" وكلا الوقتين وقت غَفْلة ولَهْو كما قال تعالى: { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُون * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ } [الأعراف : ٩٧ ، ٩٨]. وقال : { أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأرْضَ أَوْ

---

[1] النكت والعيون:٢٠٠/٢.
[2] التفسير الميسر:١٥١.
[3] غريب القرآن:١٦٥.
[4] تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.
[5] تفسير ابن كثير:٣٨٨/٣.
[6] انظر:النكت والعيون:٢٠٠/٢.
[7] انظرك معاني القرآن:٣٧١/١.
[8] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١١):ص١٤٣٨/٥.
[9] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.
[10] غريب القرآن:١٦٥.
[11] تفسير الطبري:٢٩٩/١٢.
[12] تفسير ابن كثير:٣٨٨/٣.
[13] انظر: النكت والعيون:٢٠٠/٢-٢٠١.
[14] البحر المحيط:١١/٥-١٢.

يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِين * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النحل : ٤٥ - ٤٧]"[١].

الفوائد:

١- الاعتبار بما حل بالأمم الظالمة من خراب ودمار.

٢- ويستفاد من الآية الكريمة: أن سنةَ الله لا تُحابِي أحدًا، وليس لفردٍ ولا لمُجتمعٍ حصانةٌ ذاتيةٌ، وحين تُقصِّرُ أمةٌ في توقِّي أسباب المصائبِ العامة فإن عليها أن تتقبَّل نتيجةَ التقصير، والسعيدُ من اتَّعَظَ بغيره، وليست أمةٌ بمنأًى عن العذابِ إذا عقَدَت أسبابَه، ولا في مأمنٍ من العقابِ إن سلَكَت سبيلَه وفتحَت للذنبِ أبوابَه، ولذلك أكثرَ الله تعالى من وعظِ هذه الأمةِ بمصارعِ الأمم الغابِرة، وحذَّر الآمنين من مكرِه الذين لا يُقدِّرون اللهَ حقَّ قدره، ولا يقِفون عند نهيِه وأمرِه.

القرآن

{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥)} [الأعراف : ٥]

التفسير:

فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم.

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا} [الأعراف : ٥]، أي:" فما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين شاهدوا العذاب ورأوا أماراته"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: قولهم وتداعيهم"[٣].

قال الزمخشري:يعني:" ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم"[٤].

قال الطبري:أي:" فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها، إذ جاءهم بأسنا وسطوتُنا بياتًا أو هم قائلون"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فما كان قولهم عند مجيء العذاب "[٦].

ولـ«الدعوى»، في كلام العرب، وجهان[٧]:

أحدهما: الادعاء للحق.

والثاني: الدعاء، قول الله تبارك وتعالى: (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ) [سورة الأنبياء: ١٥] ، ومنه قول كثير عزّة[٨]:

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي ... بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [الأعراف : ٥]، أي:" إلا الإقرار بالذنوب والإساءة، وأنهم حقيقون بالعذاب الذي نزل بهم"[٩].

قال الطبري:أي:" إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين، وبربهم آثمين، ولأمره ونهيه مخالفين"[١٠].

قال الزمخشري:يعني:" إلا اعترافهم ببطلانه وفساده"[١١].

---

[١] تفسير ابن كثير:٣٨٨/٣.

[٢] صفوة التفاسير:٤٠٥/١.

[٣] غريب القرآن:١٦٥.

[٤] الكشاف:٨٨/٢.

[٥] تفسير الطبري:٣٠٣/١٢.

[٦] تفسير ابن كثير:٣٨٨/٣.

[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٠٣/١٢-٣٠٤.

[٨]ديوانه ٢/ ٢٤٥، في باب الزيادات، ونهاية الأرب ٢/ ١٢٥، واللسان "مذل".

[٩] التفسير الميسر:١٥١.

[١٠] تفسير الطبري:٣٠٣/١٢.

[١١] الكشاف:٨٨/٢.

قال ابن كثير:أي:" إلا أن اعترفوا بذنوبهم ، وأنهم حقيقون بهذا. كما قال تعالى : { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْ بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ * لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ. قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِين } [الأنبياء : ١١ - ١٥]"[١].

قال عبدالله بن مسعود:" ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم، ثم قرأ: {فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين}"[٢].

الفوائد:

١- لا تنفع التوبة عند معاينة الموت أو العذاب.

٢- أن في هذه الآية الدلالةُ الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله:" لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم"[٣].

القرآن

{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)} [الأعراف : ٦]

التفسير:

فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟ ولنسْألَنَّ المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمَّا أجابتهم به أممهم.

قوله تعالى:{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ} [الأعراف : ٦]، أي:" فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟"[٤].

قال ابن عباس:" يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين"[٥].

قال السدي:" يقول فلنسألن الأمم: ما عملوا فيما جاءت به الرسل؟"[٦].

وروي عن القاسم أبي عبد الرحمن:" أنه تلا هذه الآية: {فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين}، قال: يسأل العبد يوم القيامة عن أربع خصال، يقول ربك: ألم أجعل لك جسدا، ففيم أبليته؟ ألم أجعل لك علما ففيم عملت؟ ألم أجعل لك مالا، ففيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي؟، ألم أجعل لك عمرا، ففيم أفنيته"[٧].

وقال مجاهد:" يقول: الناس يسألهم عن لا إله إلا الله"[٨].

قال القرطبي:" قوله تعالى: {فلنسئلن الذين أرسل إليهم} دليل على أن الكفار يحاسبون، وفي التنزيل: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية : ٢٦]، وفي سورة القصص: {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص : ٧٨] ،يعني: إذا استقروا في العذاب، والآخرة مواطن: موطن يسألون فيه للحساب. وموطن لا يسألون فيه. وسؤالهم تقرير وتوبيخ وإفضاح"[٩].

قوله تعالى:{وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف : ٦]، أي:" ولنسْألَنَّ المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمَّا أجابتهم به أممهم"[١٠].

قال ابن عباس:" ويسأل المرسلين عما بلغوا"[١١].

قال السدي:" ولنسألن الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به؟"[١].

---

[١] تفسير ابن كثير:٣٨٨/٣.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢١٢):ص١٤٣٨/٥-١٤٣٩.
[٣]أخرجه أحمد (٢٩٣/٥، رقم ٢٢٥٥٩) ، وأبو داود (١٢٥/٤، رقم ٤٣٤٧) .
[٤] التفسير الميسر:١٥١.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٣٢٤):ص٣٠٦/١٢، وابن ابي حاتم(٨٢١٣):ص١٤٣٩/٥.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٣٢٦):ص٣٠٦/١٢.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١٤):ص١٤٣٩/٥.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١٥):ص١٤٣٩/٥.
[٩] تفسير القرطبي:١٦٤/٧.
[١٠] التفسير الميسر:١٥١.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٣٢٤):ص٣٠٦/١٢، وابن ابي حاتم(٨٢١٣):ص١٤٣٩/٥.

قال الطبري:" يقول: ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم: هل بلغتهم رسالاتي، وأدَّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم، أم قصّروا في ذلك ففرَّطوا ولم يبلغوهم؟"[٢].

قال الشوكاني: " أي: الأنبياء الذين بعثهم الله: أي: نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم، ومن أطاع منهم ومن عصى، وقيل: المعنى فلنسألن الذين أرسل إليهم يعني الأنبياء، ولنسألن المرسلين يعني الملائكة"[٣].

وقال السفاريني عن مسألة حسابهم: "والجواب أنه لاحساب على الأنبياء عليهم السلام على سبيل المناقشة والتقريع"[٤].

قال القرطبي:" وسؤال الرسل سؤال استشهاد بهم وإفصاح، أي عن جواب القوم لهم. وهو معنى قوله: {لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ} [الأحزاب : ٨]، وقيل: المعنى:{ولنسئلن المرسلين}، أي: الملائكة الذين أرسلوا إلى الرسل، وقيل: المعنى{فلنسئلن الذين أرسل إليهم}، أي: الأنبياء، {ولنسئلن المرسلين}، أي: الملائكة الذين أرسلوا إليهم "[٥].

ويقول النسفي فيما ينقله عنه السفاريني: "الأنبياء لاحساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، وكذلك العشرة المبشرة بالجنة، هذا فى حساب المناقشة، وعموما الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب، ولهذا قال علماؤنا في عقائدهم: ويحاسب المسلمون المكلفون، إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب وكل مكلف مسؤول، ويسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل"[٦].

وعلى القول بأنهم يسألون - ومعلوم أنه لا ذنوب لهم ليحاسبوا عليها - فما المقصود من وقوع السؤال عليهم؟

أجاب الرازي عن ذلك بقوله: "فإن قيل: فما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير ألبتة؟ قلنا لأنهم إذا أثبتوا أنه لم يصدر عنهم تقصير ألبتة؛ التحق التقصير بكليته بالأمة؛ فيضاعف إكرام الله فى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير، ويتضاعف أسباب الخزي والإهانة فى حق الكفار لما ثبت أن كل التقصير كان منهم"[٧].

فالذي يظهر أن إطلاق القول بأن الأنبياء يسألون؛ أن المقصود به مساءلتهم عن تبليغهم الدعوة إلى أقوامهم، وهو مجرد مساءلة لزيادة إقامة الحجة على العصاة، وليس مساءلة مناقشة وتقريع، كما ظهر مما سبق.

وأما إطلاق القول بأنهم لا يسألون، فالمراد به ما تقدم من أنهم لا يسألون سؤال مناقشة واستظهار.

وإذا كان قد ثبت أن طائفة من أتباع الأنبياء يدخلون الجنة بغير حساب، فكيف بالأنبياء الذين لهم المزية الأولى في كل تكريم؟

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عن مساءلة الأنبياء: "وسؤال الله للرسل ماذا أجبتم [المائدة: ١٠٩]، لتوبيخ الذين كذبوهم، كسؤال الموءودة بأي ذنب قتلت لتوبيخ قاتلها"[٨].

عن ابن عمر وعائشة وأبي موسى، قال رسول الله ﷺ : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٣٢٦):ص٣٠٦/١٢.

(٢) تفسير الطبري:٣٠٦/١٢.

(٣) التذكرة:٢٤٣.

(٤)التفسير الكبير:١٤ / ٢٢.

(٥) تفسير القرطبي:١٦٤/٧.

(٦)التفسير الكبير:١٤/ ٢٤.

(٧) التفسير الكبير:٢٠٠/١٤.

(٨) أضواء البيان:٢٨٨/٩.

عن رعيته والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[١].

وفي سنن الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟ "[٢].

الفوائد:

١- تقرير عقيدة البعث والسؤال والحساب ووزن الأعمال يوم القيامة.
٢- صعوبة الموقف حيث تسأل الأمم والرسل عليهم السلام كذلك.
٣- وفي الآية الرد على الجهمية حيث أنكروا أن يكون منه سحانه وتعالى تكليم في المستقبل.
٤- الآية تدل على أنه يحاسب كل عباده، لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلا إليهم، وهذا هو ما يذهب إليه بعض العلماء[٣].

قال علماؤنا: ويحاسب المسلمون المكلفون إلا من شاء الله أن يدخل الجنة بغير حساب، وكل مكلف مسئول، يسأل من شاء من الرسل عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب الرسل.

١- والآية تدل على عموم فتنة القبر للبشر، فهي عامة في كل أحد، قال تعالى: {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}.

القرآن

{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)} [الأعراف : ٧]

التفسير:

فَلَنَقُصَّنَّ على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه، وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال.

قوله تعالى:{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ} [الأعراف : ٧]، أي:" فَلَنَقُصَّنَّ على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلنخبرن الرسل ومَنْ أرسلتهم إليه ببقين علمٍ بما عملوا في الدنيا فيما كنت أمرتهم به، وما كنت نهيتهم عنه"[٥].

قال الزمخشري:أي:" عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم"[٦].

قال ابن عباس:" يوضع الكتاب يوم القيامة، فيتكلم بما كانوا يعملون"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} [الأعراف : ٧]، أي:" وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال"[٨].

قال الطبري:"{وما كنا غائبين}، عنهم وعن أفعالهم التي كانوا يفعلونها"[١].

---

[١]حديث ابن عمر: أخرجه أحمد (٥/٢، رقم ٤٤٩٥) ، والبخارى (٨٤٨/٢، رقم ٢٢٧٨) ، ومسلم (١٤٥٩/٣، رقم ١٨٢٩) ، وأبو داود (١٣٠/٣، رقم ٢٩٢٨) ، والترمذى (٢٠٨/٤، رقم ١٧٠٥) ، وقال: حسن صحيح.
حديث عائشة: أخرجه الخطيب (٢٧٦/٥) .
حديث أبى موسى: أخرجه العقيلى (٤٩/١).

[٢]سنن الترمذي: ٢٤١٧. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وكذا رمز له الشيخ ناصر بالصحة في صحيح الجامع: (١٤٨/٦) ، ورقمه: ٧١٧٧ وهو في صحيح سنن الترمذي: ١٩٧٠.

[٣] انظر: التفسير الكبير:١٤ / ٢٢.

[٤] التفسير الميسر:١٥١.

[٥] تفسير الطبري:٣٠٧/١٢.

[٦] الكشاف:٨٨/٢.

[٧] أخرجه الطبري(١٤٣٢٥):ص٣٠٦/١٢.

[٨] التفسير الميسر:١٥١.

قال ابن كثير:" يعني : أنه تعالى يخبر عباده يوم القيامة بما قالوا وبما عملوا ، من قليل وكثير ، وجليل وحَقِير ؛ لأنه تعالى شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا يغفل عن شيء ، بل هو العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩]"[٢].

قال الزمخشري:" فإن قلت: فإذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم، فما معنى سؤالهم؟ قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم"[٣].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن للخالق جل وعلا علماً حقيقياً لائقاً بكماله وجلاله محيطاً بكل شيء. كما أن للمخلوقين علماً مناسباً لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق.

٢- أنه تعالى عالم بعلم، وأن علمه بخلاف العلوم المحدثة التي يشوبها الجهل ويدخلها التغير ويلحقها النسيان ومسكنها القلوب وتحفظها الضمائر ويقومها الفكر وتقويها المذاكرة، وعلم الله تعالى بخلاف ذلك كله صفة له لا تلحقها آفة ولا فساد ولا إبطال وليس بقلب ولا ضمير وإعتقاد ومسكن ولا علمه متغاير ولا هو غير العالم بل هو صفة من صفاته.

٣- في هذه الآية الكريمة الرد الصريح على المعتزلة النافين صفات المعاني، القائلين: إنه تعالى عالم بذاته، لا بصفة قامت بذاته، هي العلم، وهكذا في قولهم: قادر مريد، حي سميع، بصير متكلم، فإنه هنا أثبت لنفسه صفة العلم بقوله: {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ} [الأعراف : ٧]، ونظيره قوله تعالى: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} [النساء : ١٦٦]، وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه

القرآن

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)} [الأعراف : ٨]

التفسير:

ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

قوله تعالى:{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} [الأعراف : ٨]، أي:" ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه"[٤].

قال الطبري:أي:" الوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين، العدل"[٥].

قال الزمخشري:" أى: والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن العدل، يعنى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها"[٦].

قال ابن كثير:" { وَالْوَزْن}، أي : للأعمال يوم القيامة { الْحَق } أي : لا يظلم تعالى أحدا ، كما قال تعالى : { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء : ٤٧] وقال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء : ٤٠].."[٧].

---

[١] تفسير الطبري:٣٠٧/١٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٨٩/٣.
[٣] الكشاف:٨٨/٢.
[٤] التفسير الميسر:١٥١.
[٥] تفسير الطبري:٣٠٩/١٢.
[٦] الكشاف:٨٨/٢-٨٩.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٨٩/٣.

قال حذيفة:" صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام، قال: يا جبريل، زِن بينهم! فردَّ من بعضٍ على بعض. قال: وليس ثم ذهبٌ ولا فضة. قال: فإن كان للظالم حسنات، أخذ من حسناته فترد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من سيئات صاحبه، فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: {والوزن يومئذ الحق}"[1].

وفي قوله تعالى:{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} [الأعراف : ٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن الوزن ها هنا هو «القضاء» بالحق ، أي: بالعدل ، قاله مجاهد[2].

والثاني : أنه موازنة الحسنات والسيئات بعلامات يراها الناس يوم القيامة .

والثالث : أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان ، قاله الحسن[3].

قال البغوي:" قال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب"[4].

واختلف في كيفية الوزن على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن الذي يوزن هوالحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة ، قاله الحسن[5]، والسدي[6].

قال البغوي:" قيل: توزن الأعمال، روي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى"[7].

قال ابن كثير:" والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل : الأعمال وإن كانت أعراضًا ، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما"[8].

كما جاء في الصحيح من أن "البقرة" و "آل عمران" يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو : غيَايَتان - أو فِرْقَان من طير صَوَافّ[9].

ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللَّون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك [10].

وقال -ﷺ-:" يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة"[11].

وفي حديث البراء ، في قصة سؤال القبر : " إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٣٣٣):ص١٢/٣١٠-٣١١.

[2] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٢٨)، و(١٤٣٢٩):ص١٢/٣٠٩-٣١٠.

[3] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠١.

[4] تفسير البغوي:٣/٢١٤.

[5] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠١.

[6] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٠):ص١٢/٣١٠.

[7] تفسير البغوي:٣/٢١٥.

[8] تفسير ابن كثير:٣/٣٨٩.

[9]أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (٩٣/١) ، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨) ، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦) ، والطبرانى (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢) ، والحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧١) ، والبيهقى (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢) . وأخرجه أيضا: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤) ، والطبرانى فى الأوسط (١٥٠/١، رقم ٤٦٨) ، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه.

[10]أخرجه ابن ماجه (١٢٤٢/٢، رقم ٣٧٨١) قال البوصيرى (١٢٦/٤) : هذا إسناد رجاله ثقات. والحاكم (٧٤٢/١، رقم ٢٠٤٣) وقال: صحيح الإسناد.

[11]أخرجه الترمذى (١٧٨/٥، رقم ٢٩١٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٧٣٨/١، رقم ٢٠٢٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٧/٢، رقم ١٩٩٧).

كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله - ﷺ - فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط} [الأعراف: ٤٠] فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق} [الحج: ٣١] فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة"[1].

والثاني : أن الذي يوزن صحائف الأعمال ، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال ، والوزن إنما يمكن في الأجسام ، وهذا مروي عن عبد الله بن عمر، إذ قال:" عبد الله بن عمرو، قال: يُؤْتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع في الكِفّة، فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلا فيها خطاياه

[1] أخرجه الطيالسى (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣) ، وأحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧) ، وقال الهيثمى (٥٠/٣) : رجاله رجاله رجال الصحيح. وأبو داود (٢٣٩/٤، رقم ٤٧٥٣) ، والرويانى (٢٦٣/١، رقم ٣٩٢) ، وهناد (٢٠٥/١، رقم ٣٣٩) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١١٩) ، وأبو عوانة كما فى إتحاف المهرة (٤٥٩/٢، رقم ٢٠٦٣) ، وابن منده (٩٦٢/٢، رقم ١٠٦٤) ، وقال: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وهو ثابت على رسم الجماعة. والحاكم (٩٣/١ ٩٨، رقم ١٠٧، ١٠٩ ١١٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٥٥/١، رقم ٣٩٥) وقال: صحيح الإسناد.

وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنْمُلة، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ. قال: فتوضع في الكِفّة، فترجح بخطاياه وذنوبه"[1].

عن أبي هريرة، قال رسول الله-ﷺ-:" إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"[2].

والثالث : أن الذي يوزن هو الإنسان ، وهذا قول عبيد بن عمير، إذ قال " يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب، فلا يزن جناح بَعُوضة"[3].

ويقوي هذا القول ما روي في مناقب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- عن معاوية بن قرة، عن أبيه. قال: "كان ابن مسعود على شجرة يجتني لهم منها، فهبت الريح فكشفت عن ساقيه، فضحكوا من دقة ساقيه، فقال رسول الله - ﷺ -: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من أحدٍ»"[4].

قال ابن كثير:" وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها"[5].

وعند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه، وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمرا يخص الله به من يشاء من عباده[6].

وقرئ:«يومئذ القسط»[7].

قوله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٨]، أي:" فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته-"[8].

واختلف في قوله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٨]، على قولين:

أحدهما: معناه: فمن كثرت حسناته. قاله مجاهد[9].

والثاني: معناه: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته. وهذا قول عمرو بن دينار[10].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي، القول الذي ذكرناه عن عمرو بن دينار، من أن ذلك هو«الميزان» المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: {فمن ثقلت موازينه}، موازين عمله الصالح {فأولئك هم المفلحون}، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله:«ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق»[11]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٣٣٦):ص٣١٣/١٢.

[2]أخرجه البخارى (١٧٥٩/٤، رقم ٤٤٥٢) ، ومسلم (٢١٤٧/٤، رقم ٢٧٨٥) .

[3] أخرجه الطبري(١٤٣٣١):ص٣١٠/١٢.

[4]المعجم الكبير(٥٩)ص: ٢٨/١٩، قال الهيثمي في المجمع، ٢٨٩/٩: رواه الطبراني والبزار ورجالهما رجال الصحيح. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٢٧/١).

[5] تفسير ابن كثير:٣٩٠/٣.

[6] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:١٤٣/٢.

[7] انظر: الكشاف:٨٩/٢.

[8] التفسير الميسر:١٥١.

[9] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

[10] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٥):ص٣١١/١٢.

[11] رواه الترمذي رقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود رقم (٤٧٩٩) في الأدب، باب حسن الخلق، وإسناده حسن، وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وقد ذكر الرواية الثانية المنذري في " الترغيب والترهيب " ٣ / ٢٥٦ من رواية البزار باسناد جيد.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وِجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله:وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[١].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٨]، أي:" فأولئك هم الناجون غداً من العذاب، الفائزون بجزيل الثواب"[٢].

عن ابن عباس: "{فأولئك هم المفلحون}، أي: الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا"[٣].

الفوائد:

١- أن ثقل الميزان وخفته حق قال الله تعالى: {وَالْوَزْن يَوْمئِذٍ الْحق}.

٢- أن الفلاح مبني على الكسب في الدنيا فمن كسب خيراً نجا.

٣- أنه في القيامة تنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد، والظاهر أنها موازين حسية، وأن الوزن يكون على حسب المعهود بالراجح والمرجوح، وذلك لأن الأصل في الكلمات الواردة في الكتاب والسنة حملها على المعهود المعروف؛ إلا إذا قام دليل على أنها خلاف ذلك، والمعهود المعروف عند المخاطبين منذ نزول القرآن الكريم إلى اليوم أن الميزان حسي، وأن هناك راجحا ومرجوحا.

وخالف في ذلك المعتزلة، حيث قالوا: إنه ليس هناك ميزان حسي، ولا حاجة له؛ لأن الله تعالى قد علم أعمال العباد وأحصاها، ولكن المراد بالميزان: الميزان المعنوي الذي هو العدل.

ولا شك أن قول المعتزلة باطل؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، ولأننا إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل؛ فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان؛ بل نعبر بالعدل؛ لأنه أحب إلى النفس من كلمة (ميزان)، ولهذا قال الله تعالى: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان} [النحل: ٩٠].

وقال بعض العلماء: إن الرجحان للعالي؛ لأنه يحصل فيه العلو، لكن الصواب أن نجري الوزن على ظاهره، ونقول: إن الراجح هو الذي ينزل، ويدل لذلك حديث صاحب البطاقة[٤]، فإن فيه أن السجلات تطيش وتثقل البطاقة، وهذا واضح، بأن الرجحان يكون بالنزول[٥].

---

[١] تفسير الطبري:٣١٢/١٢-٣١٣.

[٢] صفوة التفاسير:٤٠٥/١-٤٠٦.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٢٧):ص١٤٤١/٥.

[٤]رواه أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في "المستدرك" (١/ ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٣٥)، وللحافظ حمزة الكناني "جزء البطاقة"..

[٥] انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:١٤٠/٢.

القرآن

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)} [الأعراف : ٩]

التفسير:

ومن خَفَّتْ موازين أعماله -لكثرة سيئاته- فأولئك هم الذين أضاعوا حظَّهم من رضوان الله تعالى، بسبب تجاوزهم الحد بجحد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها.

قوله تعالى:{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٩]، أي:" ومن خَفَّتْ موازين أعماله -لكثرة سيئاته-"[١].

قال مجاهد:"من خفت حسناته"[٢].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: ومن خفت موازين أعماله الصالحة، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله، واتباع أمره ونهيه"[٣].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [الأعراف : ٩]، أي:" فأولئك هم الذين أضاعوا حظَّهم من رضوان الله تعالى"[٤].

قال الطبري:أي:" فأولئك الذين غَبَنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته"[٥].
وكرامته"[٥].

قال عبيد الله بن الغيزار: "إن الأقدام يوم القيامة لمثل النبل في القرن، والسعيد من وجد لقدميه موضعا، وعند الميزان ملك ينادي: ألا أن فلان بن فلان ثقلت موازينه، سعد سعادة لن يشقى بعدها أبدا، ألا أن فلان بن فلان خفت موازينه، شقي لن يسعد بعدها أبدا"[٦].

قوله تعالى:{بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} [الأعراف : ٩]، أي:" بسبب تجاوزهم الحد بجحد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها"[٧].

قال الطبري:"يقول: بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون، فلا يقرّون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها"[٨].

الفوائد:

١- أن الخسران مبني على الكسب في الدنيا فمن كسب شراً هلك.
٢- في الآية والتي قبلها ترجيح مقياس غلبة الصغائر لتفسيق المكلف، ووجه الدلالة: أنَّ من غلبت حسناتُه سيئاتِه كان من الناجين، ومن غلبت سيئاتُه حسناتِه فهو من الخاسرين، فالحكم للأغلب.

القرآن

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠)} [الأعراف : ١٠]

التفسير:

ولقد مكَّنَّا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قرارًا لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشكركم لنعم الله قليل.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٠]، أي:" ولقد مكَّنَّا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قرارًا لكم"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٥١.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٢٨):ص١٤٤١/٥، والطبري(١٤٣٣٧):ص٣١٥/١٢.
[٣] تفسير الطبري:٣١٥/١٢.
[٤] التفسير الميسر:١٥١.
[٥] تفسير الطبري:٣١٥/١٢.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٢٩):ص١٤٤١/٥.
[٧] التفسير الميسر:١٥١.
[٨] تفسير الطبري:٣١٥/١٢.

قال الزمخشري:يعني:" جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا"[٢].
قال القرطبي:" أي: جعلناها لكم قرارا ومهادا"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد وطَّأْنا لكم، أيها الناس، في الأرض، وجعلناها لكم قرارًا تستقرُّون فيها، ومهادًا تمتهدونها، وفراشًا تفترشونها"[٤].
قال السعدي:" أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها"[٥].
عن قتادة: قوله: "{ولقد مكناكم في الأرض}، يقول: أعطيناهم"[٦].
قال ابن كثير:" يقول تعالى ممتنا على عبيده فيما مكن لهم من أنه جَعَل الأرض قرارًا ، وجعل لها رواسي وأنهارًا ، وجعل لهم فيها منازل وبيوتًا ، وأباح منافعها ، وسَخَّر لهم السحاب لإخراج أرزاقهم منها "[٧].
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٠]، قولان[٨]:
أحدهما : سهلنا عليكم التصرف فيها حتى وصلتم إلى مرادكم منها .
والثاني : ملكناكم إياها حتى صرتم أحق بها .
قال الزجاج:" معنى «التمكين في الأرض»: التمليك والقدرة"[٩].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} [الأعراف : ١٠]، أي:" وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب"[١٠].
قال الطبري:أي:" تعيشون بها أيام حياتكم، من مطاعم ومشارب، نعمة مني عليكم، وإحسانًا مني إليكم"[١١].
قال القرطبي:أي:" وهيأنا لكم فيها أسباب المعيشة. و«المعايش»: جمع معيشة، أي: ما يتعيش به من المطعم والمشرب وما تكون به الحياة"[١٢].
قال ابن كثير :" أي : مكاسب وأسبابًا يتجرون فيها ، ويتسببون أنواع الأسباب ، وأكثرهم مع هذا قليل الشكر على ذلك ، كما قال تعالى : { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } [إبراهيم : ٣٤]"[١٣].
قال السعدي: أي: " مما يخرج من الأشجار والنبات، ومعادن الأرض، وأنواع الصنائع والتجارات، فإنه هو الذي هيأها، وسخر أسبابها"[١٤].
وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} [الأعراف : ١٠]، وجوه:
أحدها : يعني: الأنعام سخرها لكم. قاله الضحاك[١٥].
والثاني: ما تعيشون به من نبات وحيوان[١٦].

---

[١] التفسير الميسر:١٥١.
[٢] الكشاف:٨٩/٢.
[٣] تفسير القرطبي:١٦٧/٧.
[٤] تفسير الطبري:٣١٥/١٢.
[٥] تفسير السعدي:٢٨٤.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٣٠):ص١٤٤١/٥.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٩٠/٣.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٠٢/٢.
[٩] معاني القرآن:٣٢٠/٢.
[١٠] التفسير الميسر:١٥١.
[١١] تفسير الطبري:٣١٦/١٢.
[١٢] تفسير القرطبي:١٦٧/٧.
[١٣] تفسير ابن كثير:٣٩٠/٣.
[١٤] تفسير السعدي:٢٨٤.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٢٣١):ص١٤٤١/٥.
[١٦] انظر: النكت والعيون:٢٠٢/٢.

قال الزجاج:" معنى: «المعايش»: يحتمل أن يكون ما يعيشون به"[١].
والثالث: ما تتوصلون به إلى معايشكم فيها من زراعة أو عمل[٢].
قال الزمخشري:" {معايش}، جمع: معيشة، وهي: ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها. وما يتوصل به إلى ذلك"[٣].
وقرأ عبد الرحمن الأعرج:«مَعَائِشَ»، ممدودة مهموزة[٤].
قال أبو بكر:"وهو غلط"[٥].
قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [الأعراف : ١٠]، أي:" ومع هذا الفضل والإنعام فشكركم لنعم الله قليل"[٦].
قال الطبري:" يقول: وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التي أنعمتها عليكم لعبادتكم غيري، واتخاذكم إلهًا سواي"[٧].
الفوائد:
١- تمكين الله تعالى لنا في الأرض، بأن جعل الأرض صالحةً لحياتنا، وأوجد فيها ما يقيم حياتنا، وأقدرنا على السَّعي فيها، والاستفادة من خيراتها.
٢- وجوب شكر النعم بالإيمان والطاعة لله ورسوله.

القرآن
{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)} [الأعراف : ١١]
التفسير:
ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صوَّرناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق، ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكرامًا واحترامًا وإظهارًا لفضل آدم- فسجدوا جميعًا، لكنَّ إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لآدم؛ حسدًا له على هذا التكريم العظيم.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} [الأعراف : ١١]، أي:" ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صوَّرناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق"[٨].
وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} [الأعراف : ١١]، وجوه من التفسير:
أحدها : ولقد خلقناكم في ظهر آدم، أيها الناس ، ثم صورناكم في أرحام النساء. خلقًا مخلوقًا ومثالا ممثلا في صورة آدم. وهذا قول ابن عباس[٩]، والربيع بن أنس[١٠]، وقتادة[١١]، والضحاك[١٢]، والسدي[١٣].

---

[١] معاني القرآن:٢/٣٢٠.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠٢.
[٣] الكشاف:٢/٨٩.
[٤] انظر: السبعة في القراءات:٢٧٨، وتفسير الطبري:١٢/٣١٦.
[٥] السبعة في القراءات:٢٧٨.
[٦] انظر: صفوة التفاسير:١/٤٠٦، والتفسير الميسر:١٥١.
[٧] تفسير الطبري:١٢/٣١٦.
[٨] التفسير الميسر:١٥١.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٨)، و(١٤٣٣٩):ص١٢/٣١٨.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٠)، و(١٤٣٤١):ص١٢/٣١٨.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٣):ص١٢/٣١٨.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٥)، و(١٤٣٤٦):ص١٢/٣١٨-٣١٩.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٢):ص١٢/٣١٨.

والثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء ، قاله عكرمة[١]، والأعمش[٢].
والثالث : ولقد خلقناكم، يعني: آدم، ثم صورناكم في ظهره ، قاله مجاهد[٣].
والرابع : خلقناكم نطفاً في أصلاب الرجال وترائب النساء ، ثم صورناكم عند اجتماع النطفتين في الأرحام ، وهو معنى قول الكلبي[٤].
والخامس : خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر ، قاله معمر[٥].

قال ابن كثير:دلّ قوله تعالى"{ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ } على أن المراد بذلك آدم ، وإنما قيل ذلك بالجمع لأنه أبو البشر ، كما يقول الله تعالى لبني إسرائيل الذين كانوا في زمن الرسول ﷺ : { وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى } [البقرة : ٥٧] والمراد : آباؤهم الذين كانوا في زمن موسى -عليه السلام- ولكن لما كان ذلك مِنَّةً على الآباء الذين هم أصلٌ صار كأنه واقع على الأبناء. وهذا بخلاف قوله تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} [المؤمنون : ١٢ - ١٣] فإن المراد منه آدم المخلوق من السلالة وذريته مخلوقون من نطفة ، وصح هذا لأن المراد من خلقنا الإنسان الجنس ، لا معينا"[٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: {ولقد خلقناكم}، ولقد خلقنا آدم {ثم صورناكم} ، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}، [سورة البقرة: ٦٣] . وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم}، معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.
وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله: {ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم}، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم.
و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل:"قمت ثم قعدت"، لا يكون"القعود" إذ عطف به بـ«ثم» على قوله:«قمت» إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل:«قمت وقعدت»، فجائز أن يكون«القعود» في هذا الكلام قد كان قبل«القيام»، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفًا، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين، أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا إنّ قوله: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم}، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا.
فإن ظن ظانّ أن العربَ، إذ كانت ربما نطقت بـ«ثم» في موضع«الواو» في ضرورة شعره، كما قال بعضهم[٧]:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا ... أَبًا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ؟

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٧)، و(١٤٣٤٨):ص٣١٩/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٩):ص٣١٩/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٠)-(١٤٣٥٣):ص٣٢٠/١٢.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢٠٣/٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٤):ص٣٢٠/١٢.
[٦] تفسير ابن كثير:٣٩١/٣-٣٩٢.
[٧] البيت من شواهد الطبري في تفسيره:٣٢٢/١٢، ولم أتعرف على قائله.

بمعنى: أبًا وأمًّا، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف"(1).

قوله تعالى:{ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الأعراف : 11]، أي:" ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكرامًا واحترامًا وإظهارًا لفضل آدم-"(2).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: فلما صوّرنا آدم وجعلناه خلقًا سويًّا، ونفخنا فيه من روحنا، قلنا للملائكة:{اسجدوا لآدم}، ابتلاء منا واختبارًا لهم بالأمر، ليعلم الطائع منهم من العاصي"(3).

قال ابن كثير:" ينبه تعالى بني آدم في هذا المقام على شرف أبيهم آدم ، ويبين لهم عداوة عدوهم إبليس ، وما هو مُنْطَوٍ عليه من الحسد لهم ولأبيهم آدم ، ليحذروه ولا يتبعوا طرائقه ، فقال تعالى : { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا } وهذا كقوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ } الآية [الحجر : 28 - 30] ، وذلك أنه تعالى لما خلق آدم ، عليه السلام ، بيده من طين لازب ، وصوره بشرًا سويا ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لشأن الرب تعالى وجلاله"(4).

قال ابن عثيمين: "و«السجود»، هو السجود على الأرض بأن يضع الساجد جبهته على الأرض خضوعاً، وخشوعاً؛ وليس المراد به هنا الركوع؛ لأن الله تعالى فرَّق بين الركوع والسجود، كما في قوله تعالى: {تراهم ركعاً سجداً} [الفتح: 29] ، وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا} [الحج: 77]" (5).

و «السجود»، معناه في كلام العرب التذلل والخضوع، قال الشاعر(6):

يجمع تضل البلق في حجراته ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

الأكم : الجبال الصغار، جعلها سجدا للحوافر لقهر الحوافر إياها وأنها لا تمتنع عليها. وعين ساجدة، أي فاترة عن النظر، وغايته وضع الوجه بالأرض(7).

و«السجود» أصله: الانحناء والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله: {فاسجدوا لله واعبدوا} [النجم:62]، أي: تذللوا له، وسجود تسخير، وهو للإنسان، والحيوانات، والنبات، وعلى ذلك قوله: {ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال} [الرعد:15]، وقوله: {يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله} [النحل:48]، فهذا سجود تسخير، وهو الدلالة الصامتة الناطقة المنبهة على كونها مخلوقة، وأنها خلق فاعل حكيم، وقوله: {ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون} [النحل:49]، ينطوي على النوعين من السجود، التسخير والاختيار، وقوله: {والنجم والشجر يسجدان} [الرحمن:6]، فذلك على سبيل التسخير، وقوله: {اسجدوا لآدم} [البقرة/34]، قيل: أمروا بأن يتخذوه قبلة، وقيل: أمروا بالتذلل له، والقيام بمصالحه، ومصالح أولاده، فائتمروا إلا إبليس، وقوله: {ادخلوا الباب سجدا} [النساء:154]، أي: متذللين منقادين، وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة، وما يجري مجرى ذلك من سجود القرآن، وسجود الشكر، وقد يعبر به عن الصلاة بقوله: {وأدبار السجود}

---

(1) تفسير الطبري:12/321-322.

(2) التفسير الميسر:151.

(3) تفسير الطبري:12/322-323.

(4) تفسير ابن كثير:3/391.

(5) تفسير ابن عثيمين: 1/125.

(6) البيت ورد في اللسان: مادة (س ج د).

(7) انظر: تفسير القرطبي: 1/291.

[ق:٤]، أي: أدبار الصلاة، ويسمون صلاة الضحى: سبحة الضحى، وسجود الضحى، {وسبح بحمد ربك} [طه:١٣٠] قيل: أريد به الصلاة[١]، والمسجد: موضع الصلاة اعتبارا بالسجود، وقوله: {وأن المساجد لله} [الجن:١٨]، قيل: عني به الأرض، إذ قد جعلت الأرض كلها مسجدا وطهورا كما روي في الخبر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "نصرت بالرعب، وأوتيت جوامع الكلم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتح خزائن الأرض فتلت في يدي"[٢].

وقيل: المساجد: مواضع السجود: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان، وقوله: {ألا يسجدوا لله} [النمل/٢٥][٣] أي: يا قوم اسجدوا، وقوله: {وخروا له سجدا} [يوسف/١٠٠]، أي: متذللين، وقيل: كان السجود على سبيل الخدمة في ذلك الوقت سائغا، ومنه قول الشاعر[٤]:

وافى بها لدراهم الإسجاد　　　من خمر ذي نطف أغن منطق

عنى بها دراهم عليها صورة ملك سجدوا له[٥].

والإسجاد : إدامة النظر، قال أبو عمرو: وأسجد إذا طأطأ رأسه، قال[٦]:

فضول أزمتها أسجدت　　　سجود النصارى لأحبارها

يقول: لما ارتحلن ولوين فضول أَزِمَّة جمالهن على معاصمهن أَسْجدت لهن.

قال أبو عبيدة : وأنشدني أعرابي من بني أسد[٧]:

وقلن له أسجد لليلى فأسجدا

يعني بعيرها أنه طأطأ رأسه لتركبه[٨].

وأخرج الطبري: " عن قتادة ، قوله : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}، فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٩].

وقد استدل من فضل آدم وبنيه بقوله تعالى للملائكة :{اسْجُدُوا لآدَمَ}، قالوا: وذلك يدل على أنه كان أفضل منهم، وهذا القول فيه نظر.

وحكى النقاش عن مقاتل: "أن الله إنما أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يخلقه"[١٠].قال ابن عطية: "والقرآن يرد على هذا القول"[١١].

وقال قوم: "سجود الملائكة كان مرتين"[١٢]. قال ابن عطية: "والإجماع يرد هذا"[١٣].

واختلف اهل العلم في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفاقهم على أنه لم يكن سجود عبادة، وذكروا وجوها في ذلك[١٤]:

أحدها: كان هذا أمرا للملائكة بوضع الجباه على الأرض، كالسجود المعتاد في الصلاة، لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع، وعلى هذا قيل : كان ذلك السجود تكريما لآدم

---

(١)(أخرج عبد الرزاق وغيره عن ابن عباس في الآية قال: هي الصلاة المكتوبة).

(٢)أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ٢٠٩/١٣؛ وانظر: شرح السنة ١٩٨/١٣).

(٣)(هي بتخفيف ألا، على أنها للاستفتاح، وبها قرأ الكسائي ورويس وأبو جعفر. الإتحاف ٣٣٦).

(٤) البيت للأسود بن يعفر، ورد في المفضليات ص ٢١٨؛ والمجمل ٤٨٦/٢).

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٥٨/١.

(٦) البيت لحميد بن ثور يصف النساء، انظر: اللسان: مادة (س ج د). قال ابن بري صواب إنشاده:

فلما لَوَيْنَ على مِعْصَمٍ　　　وكَفٍّ خضيبٍ وأَسوارِها،

فُضولَ أَزِمَّتِها، أَسْجدت　　　سجودَ النصارى لأَحْبارِها

(٧) انظر: اللسان مادة(س ج د)، والمزهر: ٢٣٨/١.

(٨) انظر: اللسان: مادة(س ج د)، و تفسير القرطبي: ٢٩١/١.

(٩) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.

(١٠) نقلا عن: المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

(١١) المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

(١٢) المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

(١٣) المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

(١٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٣/١.

وإظهارا لفضله، وطاعة لله تعالى، وكان آدم كالقبلة لنا، ومعنى "لآدم" : إلى آدم، كما يقال صلى للقبلة، أي إلى القبلة. وهذا قول الجمهور.

والثاني: لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم الذي هو وضع الجبهة على الأرض، ولكنه مبقى على أصل اللغة، فهو من التذلل والانقياد، أي اخضعوا لآدم وأقروا له بالفضل، {فَسَجَدُوا} أي امتثلوا ما أمروا به.

قال ابن عطية: " وفي هذه الوجوه كلها كرامة لآدم عليه السلام"[1].

واختلف أيضا هل كان ذلك السجود خاصا بآدم عليه السلام أم كان مباحا إلى عصر الرسول-ﷺ-، وفيه قولين:

أحدهما: أن ذلك السجود كان خاصا بآدم فلا يجوز السجود لغيره من جميع العالم إلا لله تعالى.

والثاني: أن ذلك السجود كان جائزا بعد آدم إلى زمان يعقوب عليه السلام، لقوله تعالى : {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً} [يوسف : ١٠٠] فكان آخر ما أبيح من السجود للمخلوقين.

والصحيح: أن سجود التحية والإكرام كان مباحا إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مباحا في الشرائع السابقة إلى أن نسخ في شريعتنا، ومن المعلوم أن السجود لغير الله على وجه العبادة لم يكن مباحاً في أية شريعة فكل الأنبياء نهوا عن ذلك وبلغوا أقوامهم، روي عن عبدالله بن أبي أوفى أنه: لمَّا قدِمَ معاذٌ منَ الشَّامِ سجدَ للنَّبيِّ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ قالَ ما هذا يا مُعاذُ قالَ أتيتُ الشَّامَ فوافقتُهُم يسجُدونَ لأساقفتِهِم وبطارقتِهِم فوَدِدْتُ في نَفسي أن نفعلَ ذلِكَ بِكَ فقالَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ-:" فلا تفعَلوا فإنِّي لو كُنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُدَ لغيرِ اللَّهِ لأمَرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها والَّذي نَفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتَّى تؤدِّيَ حقَّ زوجِها ولو سألَها نفسَها وَهيَ علَى قتَبٍ لم تمنعْهُ"[2].

ومعنى القتب أن العرب يعز عندهم وجود كرسي للولادة فيحملون نساءهم على القتب عند الولادة، وفي بعض طرق معاذ : ونهى عن السجود للبشر وأمر بالمصافحة[3].

والذي عليه جمهور أهل العلم بلا خلاف ولا نزاع بينهم أن هذا السجود من معاذ – رضي الله عنه- كان سجود تحية لا عبادة إذ كيف يجهل هذا الصحابي الجليل أن سجود العبادة لا ينبغي إلا لله.

وتجدر الاشارة بأن السجود كان فيما مضى يستعمل تحية وإكراما كما فعل أبوا يوسف وإخوته وكما فعلت الملائكة لآدم هذا من باب التحية والإكرام وليس من باب العبادة، وأما في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام فإن الله -عز وجل- منع من ذلك وجعل السجود لله وحده سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسجد لأحد لا للأنبياء ولا غيرهم، حتى محمد عليه الصلاة والسلام منع أن يسجد له أحد وأخبر أن السجود لله وحده سبحانه وتعالى، فعلم بهذا أن جميع أنواع العبادة كلها لله وحده سبحانه وتعالى، ومن أعظمها السجود فإنه ذلك وانكسار لله سبحانه وتعالى فهو من أفضل العبادات فلا يصرف لغيره من الناس لا للأنبياء ولا للجن ولا للإنس ولا لغيرهم، والله المستعان.

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [الأعراف : ١١]، أي:" فسجدوا جميعًا، لكنَّ إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لآدم؛ حسدًا له على هذا التكريم العظيم"[4].

قال الطبري:" يقول: فسجد الملائكة، إلا إبليس فإنه لم يكن من الساجدين لآدم، حين أمره الله مع مَنْ أمرَ من سائر الملائكة غيره بالسجود"[1].

---

(1) المحرر الوجيز: ١٢٤/١.

(2) صحيح ابن ماجة(١٥١٥)، حديث حسن صحيح.

(3) انظر: تفسير القرطبي: ٢٩٣/١.

(4) التفسير الميسر:١٥١.

قال ابن عطية: "وتلك معصية كفر لأنها عن معتقد فاسد صدرت"[٢].
قال ابن عثيمين:" {فسجدوا}، أي: من غير تأخير؛ فالفاء هنا للترتيب، والتعقيب"[٣].
قال ابن كثير:" فسمعوا كلهم وأطاعوا ، إلا إبليس لم يكن من الساجدين"[٤].
ولفظة «إبليس» لغة : أبلس الرجل قُطِع به، وأبلس سكت، وأبلس من رحمة الله يئس وندم ومنه سُمِّي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله وقيل : إبليس لا ينصرف لأنه أعجمي معرفة، والمبلس الساكت من الحزن أو الخوف،والإبلاس الحَيْرة[٥].
فيمكن القول بأن (إبليس) (إفعِيل)، من الإبلاس، وهو الإياس من الخير والندمُ والحزن[٦]، ومن ذلك قوله جل ثناؤه : (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) [سورة الأنعام : ٤٤]، أي: " أنهم آيسون من الخير، نادمون حزنًا"[٧]، كما قال العجَّاج[٨]:

يَا صَاحِ، هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا؟ قَالَ : نَعَمْ، أَعْرِفُهُ! وَأَبْلَسَا

وقال رؤبة [٩]:

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الأَخْمَاسْ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِبْلاسْ

يعني به اكتئابًا وكسوفًا.
وأخرج الطبري " عن السُّدّيّ ، قال : كان اسم إبليس (الحارث)، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[١٠].
وقال ابن عباس:" إبليس ، أبلسه الله من الخير كله ، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته"[١١].
وفي مفهوم الشرع لا يُوجد تعريف اصطلاحي لإبليس في الشرع، إذ هو مخلوق معروف لدى الأديان الأخرى، وهو رمزُ الشرّ عند كل شعب من الشعوب ودين من الأديان وطائفة من الطوائف، وعليه نعرّف إبليس بأنه : الجانّ الذي أبى السجود لآدم حين خلقه الله، فاستحق لعنته، وطُرِد من جنته، ووجبت له النار بعد إنظار الله له إلى يوم القيامة، وأُوتِي من وسائل الإغواء ما لم يُؤتَ أحد من العالمين .
وقد اختلف العلماء هل إبليس من الجن أم من الملائكة، على أربعة أقوال:
القول الأول: أنه كان من الملائكة:
ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة، وقال به من العلماء: ابن عباس[١٢] في رواية عنه وابن مسعود[١٣]، وقتادة[١٤]،

---

(١) تفسير الطبري:٣٢٣/١٢.
(٢) المحرر الوجيز: ١٢٥/١.
(٣) تفسير ابن عثيمين:١٢٥/١.
(٤) تفسير ابن كثير:٣٩١/٣.
(٥)لسان العرب:٢٩/٦- ٣٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/١.
(٧) تفسير الطبري: ٥٠٩/١.
(٨)ديوانه ١ : ٣١ ، والكامل ١ : ٣٥٢ ، واللسان : (بلس) ، (كرس) . المكرس : الذي صار فيه الكرس ، وهو أبوال الإبل وأبعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار . وأبلس الرجل : سكت غما وانكسر وتحير ولم ينطق .
(٩) ديوانه : ٦٧ ، واللسان (بلس) ، ورواية ديوانه " وعرفت يوم الخميس " . وبين البيتين بيت آخر هو : " وَقَدْ نَزَتْ بَيْنَ التَّرَاقِي الأَنْفَاسْ "
(١٠)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(١١)تفسير الطبري(٧٠٣):ص٩٩/١
(١٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٨٦):ص٥٠٢/١، وابن أبي حاتم(٣٦١):ص٨٤/١.
(١٣) أنظر: تفسير الطبري(٦٨٨):ص٥٠٣/١.
(١٤) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.

ومحمد بن إسحاق[1]، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب[2]، ورجحه ابن جرير الطبري بل وانتصر له، ورجحه البغوي، ونسبه ابن عطية والقرطبي والشوكاني إلى أنه قول الجمهور[3].
واستدلوا أولئك بقول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة : ٣٤]، فلو لم يكن إبليس من الملائكة لم يؤمر بالسجود ولم يؤاخذ بالعصيان.
وهذا الاستدلال ضعيف جداً، فتنوعت إجابات العلماء عن هذا الدليل:
- قال ابن تيمية عن إبليس : " كان منهم (أي من الملائكة) باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله "[4].
- وقال ابن كثير: "وذلك أنه (أي إبليس) كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة"[5].
- وقال ابن عثيمين : "وإنما استثناه الله من الملائكة لأنه كان معهم وليس منهم يبين ذلك آية الكهف (وكان من الجن) .. ثم قال : وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعا،كما تقول : (جاء القوم إلا حمارا) وهو كلام عربي فصيح فاستثنى الحمار من القوم وإن لم يكن منهم"[6].
القول الثاني: أنه من الجن: وقال به من العلماء :ابن عباس"[7] في رواية أخرى والحسن البصري"[8]- صححه عنه ابن كثير- وسعد بن مسعود[9] و شَهر بن حَوْشب[10] وابن زيد[11]، ورجحه ابن تيمية والسيوطي والزمخشري وابن كثير والشنقيطي - صاحب الأضواء - وابن عثيمين والشيخ أبو بكر الجزائري[12].
ولهذا ذهب عامة أهل العلم إلى أن إبليس وذريته لم يكونوا قط من الملائكة، ويدل على ذلك عدة أدلة:
أحدها: قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، فبين الله أن سبب فسقه كونه من الجن،أي أنه من عنصر أو من جنس آخر غير الملائكة، أما الاستثناء في قوله تعلى:(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)، فإنه استثناء منقطع أي أن (إلا) هنا بمعنى (لكن)، وهو كقوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)} [النبأ : ٢٤ - ٢٥]، هذا الاستثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليس من البرد والشراب والمعنى: لكن يطعمون الحميم والغساق.
والثاني: وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠].

---

(١) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص١/٥٠٥.
(٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٢):ص١/٥٠٤.
(٣)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف .مع كتاب الدر المنثور للسيوطي : ٩/ ٥٦٥.
(٤) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٥.
(٦) الفتاوى لابن عثيمين: رقم الفتوى: (١٠٨).
(٧) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٦)، و(٦٩٧):ص١/٥٠٦، و(٧٠٠):ص١/٥٠٧.
(٨) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.
(٩) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٩):ص١/٥٠٧.
(١٠) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص١/٥٠٦-٥٠٧.
(١١) أنظر: تفسير الطبري(٧٠١):ص١/٥٠٨.
(١٢)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف كما سبق ويضاف إلى هذه المصادر كتاب السيوطي الدر المنثور وتفسير ابن جرير ، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكر رأيه في مجموع الفتاوى ٤/ ٣٤٦ وابن عثيمين في كتابه الذي أفرده لسورة الكهف عند آيتها التي تحدثت عن قصة آدم وإبليس وكذا في فتاويه ورقم الفتوى ١٠٨،أما السيوطي فذكر رأيه في (تفسير الجلالين).

وهنا نص الله أن له ذرية يعني (نسل) وهم الجن، والملائكة لانسل لهم .فلو كان ملكا لم يكن له نسل.

والثالث: أن إبليس مخلوق من نار كما قال تعالى حاكيا عن إبليس: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، والملائكة مخلوقة من نور لما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"(١). ففرق الرسول ﷺ بين خلق الملائكة وخلق الجن.

والرابع: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]. فلو كان إبليس ملكا ماعصى الله.

والخامس: أن الجن الذين هم ذرية إبليس، لهم شهوة للطعام والشراب وغيره، وليس للملائكة شهوة دل على ذلك عدة نصوص منها:

ـ أن الجن سألوا الرسول ﷺ لما اجتمعو به عن طعامهم فقال: "كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم..فلاتستنجو بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن "(٢).

ـ قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، والذرية لابد لها من شهوة.

ـ قوله تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]

ـ حديث: "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله"(٣).

فالملائكة من صفتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسبحون الليل ولا يفترون، وما فعله إبليس يعد معصية ولا يتناسب مع صفات الملائكة.

والقول الثالث: أن إبليس كان أصله من الملائكة فمسخه الله من الجن لما عصاه. قال به من العلماء: ابن عباس في رواية(٤)، ودليل هذا القول : أنه تفسير صحابي.

والقول الرابع: وهو قول أشار إليه الشيخ ابن تيمية- رحمه الله- في هذه المسألة، فقال:" الشيطان كان من الملائكة باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله"(٥)، ولكن هذا القول ليس عليه دليل.

والراجح : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم-والله تعالى أعلم-.

الفوائد:

---

(١)مسلم (٢٩٩٦)، وأحمد (٦/ ١٥٣)، وابن حبان (٦١٥٥).

(٢)أخرجه مسلم (٢/٣٦) وابن خزيمة في " صحيحه " (رقم ٨٢) والبيهقي (١٠٨/١ - ١٠٩) من طريق طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن داود عن عامر قال: سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال : لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا : استطير أواغتيل، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل (حراء)، قال : فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد، فقال : فذكره، فقال رسول الله ﷺ : فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم من الجن" .(وضعفه الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة " (٣ / ١٣٣).

(٣)رواه مسلم برقم ٢٠٢٠.

(٤) الدر المنثور للسيوطي: ٩/ ٥٦٥.

(٥) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.

١- من فوائد الآية: أن عنصر أجسامنا مخلوق منذ أول خلقه تعالى السموات وأن أرواحنا وهي أنفسنا مخلوقة منذ أخذ الله تعالى عليها العهد وهكذا، ولا تدل على خلق الأرواح قبل الأجساد خلقا مستقرا، وإنما غايتها أن تدل على إخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم إلى أصلهم أن صح الخبر بذلك والذي صح إنما هو إثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "ورح الآدمي مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين"[2].

وقال تلميذه العلامة ابن القيم: "والذي يدل على خلقها وجوه". وذكر اثني عشر وجها[3].

٢- ومنها: أن الصراع بين الحق والباطل منذ خلق الله آدم- عليه السلام- فقد كان في صراع مع إبليس الذي أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر وتوعد بإغواء آدم وذريته.

٣- ومنها:خطر الكبر على الإنسان.

٤- ومنها: بيان فضل آدم على الملائكة؛ وجهه أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا له تعظيما له.

٥- ومنها: أن السجود لغير الله إذا كان بأمر الله فهو عبادة؛ لأن لله تعالى أن يحكم بما شاء؛ ولذلك لما امتنع إبليس عن هذا كان من الكافرين؛ وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على كفر تارك الصلاة؛ قال: لأنه إذا كان إبليس كفر بترك سجدة واحدة أمر بها، فكيف عن ترك الصلاة كاملة؟ ! وهذا الاستدلال إن استقام فهو هو؛ وإن لم يستقم فقد دلت نصوص أخرى من الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة على كفر تارك الصلاة كفرا أكبر مخرجا عن الملة.

ويدل على أن المحرم إذا أمر الله تعالى به كان عبادة قصة إبراهيم عليه السلام، حين أمره الله أن يذبح ابنه إسماعيل فامتثل أمر الله؛ ولكن الله رحمه، ورحم ابنه برفع ذلك عنهما، حيث قال تعالى: {فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين} [الصافات: ١٠٣. ١٠٥]؛ ومن المعلوم أن قتل الابن من كبائر الذنوب، لكن لما أمر الله عز وجل به كان امتثاله عبادة.

٦- ومن فوائد الآية: أن إبليس. والعياذ بالله. جمع صفات الذم كلها: الإباء عن الأمر؛ والاستكبار عن الحق، وعلى الخلق؛ والكفر؛ إبليس استكبر عن الحق؛ لأنه لم يمتثل أمر الله؛ واستكبر على الخلق؛ لأنه قال: {أنا خير منه} [الأعراف: ١٢]؛ فاستكبر في نفسه، وحقر غيره؛ و"الكبر" بطر الحق، وغمط الناس.

- تنبيه:

إن قال قائل: في الآية إشكال. وهو أن الله تعالى لما ذكر أمر الملائكة بالسجود، وذكر أنهم سجدوا إلا إبليس؛ كان ظاهرها أن إبليس منهم؛ والأمر ليس كذلك؟ .

والجواب: أن إبليس كان مشاركا لهم في أعمالهم ظاهرا، فكان توجيه الأمر شاملا له بحسب الظاهر؛ وقد يقال: إن الاستثناء منقطع؛ والاستثناء المنقطع لا يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه.

القرآن

[1] انظر الروح، لابن قيم:١٧١.
[2] مجموع الفتاوى: ٤/ ٢١٦.
[3] انظر: الروح:١٤٦ وما بعدها.

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)} [الأعراف : ١٢]

التفسير:

قال تعالى منكرًا على إبليس تَرْكَ السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقًا؛ لأني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين. فرأى أن النار أشرف من الطين.

قوله تعالى:{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} [الأعراف : ١٢]، أي:" قال تعالى منكرًا على إبليس تَرْكَ السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟"[١].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس، إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له. يقول: قال الله لإبليس: أيّ شيء منعك أن تدع السجود لآدم {إذ أمرتك}، أن تسجد"[٢].

قال صاحب الكشاف:" فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود، وقد علم ما منعه؟

قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم، وأنه خالف أمر ربه معتقدا أنه غير واجب عليه، لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب"[٣].

قوله تعالى:{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ} [الأعراف : ١٢]، أي:" فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقًا"[٤].

قال الطبري:" يقول: قال إبليس: أنا خير من آدم"[٥].

قوله تعالى:{خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، أي:" لأني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين"[٦].

قال الطبري:" إنه خبرٌ من الله جل ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله: ما الذي منعه من السجود لآدم، فأحوجه إلى أن لا يسجد له، واضطره إلى خلافه أمرَه به، وتركه طاعته أنّ المانعَ كان له من السجود، والداعيَ له إلى خلافه أمر ربه في ذلك: أنه أشد منه أيْدًا، وأقوى منه قوة، وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذي منه خلق، وهو النارُ، على الذي خلق منه آدم، وهو الطين. فجهل عدوّ الله وجه الحق، وأخطأ سبيل الصواب. إذ كان معلومًا أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوًّا، والذي في جوهرها من ذلك هو الذي حملَ الخبيث بعد الشقاء الذي سبق له من الله في الكتاب السابق، على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه، فأورثه العطبَ والهلاكَ. وكان معلومًا أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبُّت، وذلك الذي هو في جوهره من ذلك، كان الداعي لآدم بعد السعادة التي كانت سبقت له من ربه في الكتاب السابق، إلى التوبة من خطيئته، ومسألته ربَّه العفوَ عنه والمغفرة. ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان: «أول مَنْ قاسَ إبليس»، يعنيان بذلك: القياسَ الخطأ، وهو هذا الذي ذكرنا من خطأ قوله، وبعده من إصابة الحق، في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه: من خلقه إياه بيده، ونفخه فيه من روحه، وإسجاده له الملائكة، وتعليمه أسماء كلِّ شيء، مع سائر ما خصه به من كرامته. فضرب عن ذلك كلِّه الجاهلُ صفحًا، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خُلق من نار وخلق آدم من طين!! وهو في ذلك أيضًا له غير كفء، لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شيء غيره، فكيف والذي خصّ به من كرامته يكثر تعداده، ويملّ إحصاؤه؟"[٧].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٢.

[٢] تفسير الطبري:٣٢٣/١٢.

[٣] الكشاف:٨٩/٢-٩٠.

[٤] التفسير الميسر:١٥٢.

[٥] تفسير الطبري:٣٢٣/١٢.

[٦] التفسير الميسر:١٥٢.

[٧] تفسير الطبري:٣٢٦/١٢-٣٢٧.

قال ابن سيرين:" أوّل من قاس إبليس، وما عُبِدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"[١]. وروي عن الحسن نحو ذلك"[٢].

قال ابن عباس:" لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة، دون الملائكة الذين في السموات:{اسجدوا لآدم}، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر، لما كان حدَّث نفسه، من كبره واغتراره، فقال: لا أسجد له، وأنا خير منه، وأكبر سنًّا، وأقوى خلقًا، خلقتني من نار وخلقته من طين! يقول: إنّ النار أقوى من الطين"[٣].

وروي عن مجاهد قوله: "{خلقتني من نار}، قال: ثم جعل ذريته من ماء"[٤].

قال صاحب الكشاف:" فإن قلت: كيف يكون قوله أنا خير منه جوابا لما منعك، وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا؟

قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم، وبعلة فضله عليه، وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين، فعلم منه الجواب وزيادة عليه، وهي إنكار للأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله، كأنه يقول: من كان على هذه الصفة كان مستبعدا أن يؤمر بما أمر به"[٥].

قال ابو الحسن الأشعري:" وأجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلق الاعتراض على الله تعالى في شيء من تدبيره، ولا إنكار لشيء من فعله إذْ كان مالكاً لما يشاء منها غير مملوك وأنه تعالى حكيم قبل أن يفعل سائر الأفعال، وأن جميع ما يفعله لا يخرجه عن الحكمة، وأن من يعترض عليه في أفعاله متبع لرأي الشيطان حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وزعم أن ذلك فساد في التدبير وخروج من الحكمة حين قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ}"[٦].

الفوائد:

١- ضرر القياس الفاسد، يؤخذ من ردّ ابليس لعنه الله الامتناع والاستكبار مستخدماً في ذلك قياسه الفاسد: إن النار أشرف من الطين! وهو بهذا ينصب نفسه نداً لله سبحانه وتعالى: الله يقول كذا. فيقول إبليس أنا أرى كذا. ولذلك استحق اللعنة والطرد من رحمة الله.

وهنا بدأ انقسام الناس إلى فريق الهدى وفريق الضلال كما ذكر ذلك المولى سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ { [سورة التغابن: ٢]، فأما الفريق الذي أجاب دعوة الرسل وآمن بكتب الله المنزلة ورسله المبعوثين رحمة للناس فهؤلاء أولياء الرحمن، وأما الفريق الذي أعرض واستكبر فهم أولياء الشيطان.

٢- ومن الفوائد: أن الفرق الثلاث التي انحرفت في القدر، هم:

- أولا:- المجوسية: وهم الذين أنكروا القدر وأقروا بالشرع، وسُمّوا بذلك لأنهم أثبتوا خالقاً غير الله وهو العبد؛ حيث زعموا أنه خالق لفعله.
- ثانيا:- المشركية: وهم الذين أقروا بالقدر ولكنهم غلوا فيه حتى أنكروا الأمر والنهي، فصادموا الشرع بالقدر وسموا بذلك لأنهم احتجوا على تعطيل الشرع بالقدر، كما قال المشركون فيما حكى الله عنهم: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: ١٤٨] .
- ثالثا:- الإبليسية: وهم الذين أقروا بالأمرين ـ الشرع والقدر ـ ولكنهم طعنوا في حكمة الله تعالى وعدله، وسموا بذلك لمشابهتهم لإبليس في طعنه في حكمة الله تعالى وعدله، حيث

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٣٥٥):ص٣٢٧/١٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٦):ص٣٢٧/١٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٧):ص٣٢٧/١٢.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٨):ص٣٢٧/١٢.

[٥] الكشاف:٩٠/٢.

[٦]رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب:١٥٤.

قال الله تعالى حكاية عن إبليس: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢] ، وكذلك: {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} [الإسراء: ٦١] ، فهنا أقر إبليس بخلق الله تعالى وقدرته،

وكذلك أقر بشرعه، ولكنه طعن في حكمة الله وعدله؛ لأنه أمره بالسجود لمن هو دونه بزعمه.

٣- أن سبب الانحراف هو الإعراض عن تدبر كلام الله ورسوله.

قال ابن أبي العز: "وكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} "سورة الأعراف: الآية١٢". وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} "سورة النساء: الآية٨٠". وقال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} "سورة آل عمران: الآية٣١". وقال تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} "سورة النساء: الآية٦٥".

أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليما" [١].

لكن ليس معنى ذلك أن السلف يرفضون العقل [٢] ويهملونه، بل يعملونه في عالم الشهادة لا في عالم الغيب إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل، ولا يثبتون بالعقل حكما شرعيا، فعندهم للعقل مع الشرع حالتان لا ثالث لهما:

- الحالة الأولى: أن يدل على ما دل عليه الشرع فيكون شاهدا أو مؤيدا ومصدقا فيحتجون حينئذ بدلالة العقل على من خالف الشرع. وفي القرآن من هذا النوع أي من الأدلة العقلية شيء كثير كأدلة التوحيد والنبوة والمعاد، فتلك الأدلة هي عقلية شرعية.

قال ابن تيمية: " إن كثيرا مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضا، والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه كما ذكر الله ذلك في غير موضع.

فإنه سبحانه وتعالى بين من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك ما أرشد العباد إليه، ودلهم عليه، كما بين أيضا ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد وإمكانه، فهذه المطالب هي شرعية من جهتين:

من جهة أن الشارع أخبر بها.

ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليها، والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسة عقلية، وقد بسطت في غير هذا الموضع، وهي أيضا عقلية من جهة أنها تعلم بالعقل أيضا"[٣].

- الحالة الثانية: أن لا يدل على ما دل عليه الشرع لا نفيا ولا إثباتا، فحكم العقل إذا جواز ما جاء به الشرع. أما أن يدل العقل على خلاف ما جاء به الشرع فيكون معارضا له فهذا ما لا يكون مع صحة النقل، ولهذا قال أهل السنة: إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وقالوا: "إن الرسل جاؤوا بمحارات العقول لا بمحالات العقول".

أي أن الرسل لا يخبرون بما يحيله العقل، ولكن يخبرون بما يجيزه العقل ويحار فيه، وهذا تحديد موقف أهل السنة من العقل مع الشرع[٤].

٤- ومن الفوائد: أن إبليس هو أبو الجن وذلك هو ظاهر القرآن ولا معارض له مقبول فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه عن إبليس أنه اعترض على السجود بقوله: {قَالَ أَنَا خَيْرٌ

---

[١] شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠، ١٩١.

[٢] العقل عند السلف آلة التمييز والإدراك والعلم والعمل.

[٣] مجموع الفتاوى :٨٨/٣.

[٤] انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة:٥٨٠-٥٨٢.

مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف:١٢]، فهو يتحدث عن خلقه هو لا عن غيره من أب أو جد فأول الجن خلقا هو إبليس وهو أبوهم {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف:٥٠] ،كما أن أول الإنس خلقا هو آدم وهو أبوهم وإبليس قد خلق قبل آدم {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)} [الحجر:٢٦ - ٢٧]

قال الحسن البصري رحمه الله:" ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس"[١].

قال ابن كثير:" وهذا إسناد صحيح عن الحسن "[٢].

قال ابن القيم-رحمه الله-[٣]:

واسأل أبا الجن اللعين أتعرف الخلاق أم أصبحت ذا نكران

وقال ابن حجر في الفتح:" إبليس لأنه أبو الجن كلهم "[٤].

وكل قول غير هذا غير فإنه معارض لظاهر القرآن كما أن مستنده النقل عن بني إسرائيل فمرة ينسب إلى حي من الملائكة وأخرى إلى الجن ولكن اصطفى فكان بين الملائكة ... إلى غير ذلك من الأقوال، والمسألة سمعية لا مجال للرأي فيها، ومثلها لا يستند فيه على الإسرائيليات، وتجدر الإشارة إلى أنها قد وردت مجموعة من الروايات عن المتقدمين في إبليس وكيفية نسبته إلى الجن، وتحديد مهمته، وذكر عبادته، وكيفية انتقاله، إلى السماء وتسميته، وغير ذلك، ومصدر ذلك والله أعلم الإسرائيليات.

قال ابن كثير في تفسيره:" قد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف، وغالبها من الإسرائيليات التي تنقل لينظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها. ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وضع فيها أشياء كثيرة"[٥].

وحينئذ فلا داعي للعدول عن ظاهر القرآن.

وبهذا القول يزول الإشكال عن كيفية وجود إبليس بين الملائكة وهو ليس منهم، فالله قد خلقه وجعله بينهم، كما أنه خلق آدم وجعله في الجنة ثم أنزل الجميع إلى الأرض جزاءا وابتلاء، هذا بالنسبة لأبي الجن[٦].

القرآن

{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)} [الأعراف : ١٣]

التفسير:

قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين.

قوله تعالى:{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} [الأعراف : ١٣]، أي:" قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة"[٧].

قال الطبري:" يعني: من الجنة"[٨].

---

[١] أخرجه الطبري(٦٩٦):ص١/٥٠٦.

[٢]تتفسير ابن كثير :١/ ٢٣١.

[٣] نونية ابن القيم (الكافية الشافية):٩.

[٤]فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (٦/ ٣٦٩.

[٥]تفسير ابن كثير : ٥/ ١٦٨.

[٦] انظر: الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل:٥٥-٥٦.

[٧] التفسير الميسر:١٥٢.

[٨] تفسير الطبري:٣٢٩/١٢.

قال الزمخشري:أي:" من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة، إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخاطبًا لإبليس بأمر قدري كوني:{ فَاهْبِطْ مِنْهَا }، أي : بسبب عصيانك لأمري، وخروجك عن طاعتي"[٢].

وفي قوله تعالى:{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} [الأعراف : ١٣]، أربعة وجوه:

أحدهما : أنه أُهْبِط من السماء لأنه كان فيها ، قاله الحسن[٣].

والثاني : أراد به: من الجنة[٤].

والثالث : أنه أهبط من المنزلة الرفيعة التي استحقها بطاعة الله إلى المنزلة الدَّنِيَّةِ التي استوجبها لمعصيته ، قاله ابن بحر[٥].

والثالث: أراد به: من الأرض؛ فإن الله - تعالى - لما طرده؛ أخرجه من الأرض إلى جزائر البحر، وكان من قبل له ملك الأرض، حتى قيل: إنه لا يدخل الأرض إلا خائفا، سارقا، على هيئة شيخ عليه أطمار. ذكره السمعاني[٦].

قوله تعالى:{فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا} [الأعراف : ١٣]، أي:" فما يصح لك أن تتكبر في الجنة"[٧].

قال الطبري:" يقول: فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري، فإن قال قائل: هل لأحد أن يتكبر في الجنة؟ قيل: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ، وإنما معنى ذلك: فاهبط من الجنة، فإنه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله، فأما غيرها، فإنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله، والمستكين لطاعته"[٨].

قال ابن كثير:" قال كثير من المفسرين : الضمير –في قوله:{ فِيهَا}-عائد إلى «الجنة»، ويحتمل أن يكون عائدًا إلى المنزلة التي هو فيها في الملكوت الأعلى "[٩].

قوله تعالى:{فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف : ١٣]، أي:" فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فاخرج من الجنة، إنك من الذين قد نالهم من الله الصَّغَار والذلّ والمَهانة"[١١].

قال ابن كثير:" أي : الذليلين الحقيرين ، معاملة له بنقيض قصده ، مكافأة لمراده بضده"[١٢].

قال الزمخشري:أي:" من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك، كما تقول للرجل: قم صاغرا، إذا أهنته. وفي ضده: قم راشدا. وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار. وعن عمر رضى الله عنه: «من تواضع لله رفع الله حكمته [١٣]، وقال: انتعش أنعشك الله. ومن تكبر وعدا طوره وهصه[١٤] الله إلى الأرض»[١]"[٢].

---

[١] الكشاف:٩٠/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.
[٣] انظر: النكت والعيون:٢٠٤/٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري:٣٢٩/١٢.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٠٤/٢.
[٦] تفسير السمعاني:١٦٨/٢.
[٧] التفسير الميسر:١٥٢.
[٨] تفسير الطبري:٣٢٩/١٢.
[٩] تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.
[١٠] التفسير الميسر:١٥٢.
[١١] تفسير الطبري:٣٣٠/١٢.
[١٢] تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.
[١٣]في الصحاح: حكمة اللجام ما أحاط بالحنك..
[١٤]أى غمزه إلى الأرض والوهص: كسر الشيء الرخو وشدة الوطء على الأرض، كذا في الصحاح..

قال السدي:" «الصغار»، هو الذل"[3].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: ان عاقبة استكبار إبليس: الذل الأبدي الذي لا عز بعده: {قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين} [الأعراف: ١٣].

٢- ومن الفوائد: أن الله سبحانه وتعالى تكلم الله مع اللعين إبليس، فقال الله تعالى: الله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا} [الأعراف:١٣].

فهذا إثبات واضح جلي بنص قطعي متواتر على أن الله تكلم مع مخلوقاته، وأن الله جل وعلا يسمع من يشاء بصوته جل وعلا.

القرآن

{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤)} [الأعراف : ١٤]

التفسير:

قال إبليس لله -جل وعلا- حينما يئس من رحمته: أمهلني إلى يوم البعث؛ وذلك لأتمكن من إغواء مَن أقدر عليه من بني آدم.

قوله تعالى:{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الأعراف : ١٤]، أي:" قال إبليس لله -جل وعلا- حينما يئس من رحمته: أمهلني إلى يوم البعث"[4].

قال السمعاني:" أي: أمهلني ، سأل المهلة إلى القيامة"[5].

قال القرطبي:" سأل النظرة والإمهال إلى يوم البعث والحساب. طلب ألا يموت، لأن يوم البعث لا موت بعده"[6].

قال الطبري:" أي: أخّرني وأجّلني، وأنسئْ في أجلي، ولا تمتني إلى يوم يبعث الخلق...وهذه أيضًا جَهْلة أخرى من جَهَلاته الخبيثة. سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إليه. وذلك أنه سأل النَّظِرة إلى قيام الساعة، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق. ولو أعطي ما سأل من النَّظِرة، كان قد أعطي الخلودَ وبقاءً لا فناء معه، وذلك أنه لا موت بعد البعث"[7].

قال أبو السعود:" أراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث"[8].

وفي قوله تعالى:{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الأعراف : ١٤]، وجهان:

أحدهما : أنه سأله الإنظار بالعقوبة إلى البعث وهو يوم القيامة .

والثاني : أنه سأله الإنظار بالحياة إلى يوم يبعثون وهو يوم القيامة لئلا يذوق الموت ، فَأُجِيْبَ بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين، وهو أربعون سنة ، قاله الكلبي [9].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الاعتقاد فرع من المعرفة.

---

[1] مصنف ابن ابي شيبة(٣٤٤٦١):ص٩٦/٧.

عن عبيد الله بن عدي بن الخيار، قال: قال عمر: " إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته ، وقال: انتعش نعشك الله ، فهو في نفسه صغير وفي أنفس الناس كبير ، وإن العبد إذا تعظم وعدا طوره رهصه الله إلى الأرض وقال اخسأ أخسأك الله ، فهو في نفسه كبير وفي أنفس الناس صغير حتى لهو أحقر عنده من خنزير ".

[2] الكشاف:٩٠/٢.

[3] أخرجه الطبري(١٤٣٥٩):ص٣٣٠/١٢.

[4] التفسير الميسر:١٥٢.

[5] تفسير السمعاني:١٦٩/٢.

[6] تفسير القرطبي:١٧٣/٧.

[7] تفسير الطبري:٣٣٠/١٢-٣٣١.

[8] تفسير أبي السعود:٧٧/٥.

[9] انظر: النكت والعيون:٢٠٥/٢.

٢- في الآية الرد على الجمهمية في قولهم بأن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ولو فعل جميع المنكرات وجميع أنواع الردة، نعوذ بالله.

لقد اقترفت الجهمية عن أهل السنة في مقصودهم بالمعرفة، فبينما ذكر أهل السنة أن المعرفة - بمعنى العلم أو الإعلام بالموضوع - لا يستلزم التصديق أو التكذيب، وإنما إن كان العلم بمعنى تحقق المعرفة بالشئ على ما هو عليه في الحقيقة فإنه متضمن للتصديق بطريق اللزوم، ولا محالة ولا يتصور مع هذه الحالة - وهي تحقق العلم النفسي بالموضوع على حقيقته - أن يصير معها تكذيب في النفس - وإن أمكن التكذيب في الظاهر باللسان جحوداً - بينما أثبت الجهمية إمكان تحقق العلم النفسي بالشئ على ما هو عليه في حقيقته ثم تكذيبه في نفس الأمر تكذيباً نفسياً. وهو ما لا يمكن تصوره أو إمكان حدوثه كما قرر هذا الإمام ابن تيمية عن أهل السنة والجماعة[١].

يقول ابن حزم: "ذهب قوم إلى أن الإيمان إنما هو معرفة الله تعالى بالقلب فقط، وإن أظهر اليهودية أو النصرانية وسائر أنواع الكفر بلسانه وعبادته. فإذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من أهل الجنة" [٢] .

وهذا القدر وحده لا يكفي لإثبات الإيمان - حتى دون إظهار الكفر باللسان - وإلا كان إبليس مؤمناً، فقد قال الله تعالى على لسانه: {قال أنظرني إلى يوم يبعثون}، وقال تعالى حاكياً عن إبليس: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦]، وهذا القدر لا خلاف فيه بين أهل السُّنَّة[٣] .

فلو كان القول لا يحتاج إليه ويكتفى بالمعرفة لكان من جحد الله باللسان وعرفه بقلبه مؤمنا، ولكان إبليس مؤمنا لأنه عارف بربه يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه قال: {قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين}[الحجر: ٣٩]. وقال تعالى: {قال أنظرني إلى يوم يبعثون}.

وقال تعالى: {قال ما منعك أا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين} [الأعراف: ١٢].

ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم ربهم وإن أنكروا بلسانهم. قال الله تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين} "سورة النمل: الآية ١٤".

فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم.

وما ذكر من الأدلة غايتها أن تدل على أن القول باللسان من الإيمان، وأن أصل الإيمان الذي هو الدخول في الإسلام لا يحصل إلا بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان لا تدل على أن الأعمال ليست من الإيمان.

القرآن

{قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥)} [الأعراف : ١٥]

التفسير:

قال الله تعالى: إنك ممن كتبتُ عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى في القرن، إذ يموت الخلق كلهم.

---

[١] انظر: "الرسالة التسعينية" بالفتاوى الكبرى ٥/ ١٦٣.

[٢] الملل والنحل لابن حزم ١٨٨/٣.

[٣] .

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } [الأعراف : ١٥]، أي:" قال الله تعالى: إنك ممن كتبتُ عليهم تأخير الأجل إلى النفخة الأولى في القرن"[١].

قال الطبري:أي:" إلى يوم ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله"[٢].

قال ابن كثير:" أجابه تعالى إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ، ولا مُعَقِّبَ لحكمه ، وهو سريع الحساب"[٣].

قال القرطبي:" وكان طلب الإنظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين، فأبى الله ذلك عليه. وقال:{إلى يوم يبعثون}، ولم يتقدم من يبعث، لأن القصة في آدم وذريته، فدلت القرينة على أنهم هم المبعوثون"[٤].

قال السمعاني:" هذا الإنظار إلى النفخة الأولى، كما قال في موضع آخر مقيدا: {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [الحجر : ٣٨، ص:٨١]، وأراد به: النفخة الأولى، فإن قيل: وهل يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر؛ حيث أجاب دعوة اللعين؟ قيل: يجوز على طريق الاستدراج والمكر والإملاء لا على سبيل الكرامة"[٥].

فإن قال قائل: "فهل أحَدٌ مُنْظَرٌ إلى ذلك اليوم سوى إبليس، فيقال له:«إنك منهم»؟

قيل: نعم، مَنْ لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم، ممن تقوم عليه الساعة، فهم من المنظرين بآجالهم إليه. ولذلك قيل لإبليس: {إنك من المنظرين} ، بمعنى: إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم"[٦].

قال صاحب الكشاف:" فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره، وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم ؟

قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي، وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده"[٧].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة، أن إبليس-عليه اللعنة- سيبقى حيّاً إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى:{ قال إنَّك من المنظرين}، إذ حصل على وعد من الله بإبقائه حيّاً إلى يوم القيامة.

٢- في الآية إشارة إلى إحتمال أن يكون بعض الجن منظرين مع إبليس-عليه اللعنة-، والجن مخلوقات تموت كما يموت الإنس.

قال الألوسي: "واستدل بقوله عز وجل: {في أمم قد خلت} [الأحقاف: ١٨]. الآية على أن الجن يموتون قرنا بعد قرن كالأنس"[٨].

وروي عن الحسن في بعض مجالسه: أن الجن لا يموتون، فاعترضه قتادة بهذه الآية فسكت[٩].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٢.

[٢] تفسير الطبري:٣٣٢/١٢.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.

[٤] تفسير القرطبي:١٧٤/٧.

[٥] تفسير السمعاني:١٦٩/٢.

[٦] تفسير الطبري:٣٣٢/١٢.

[٧] الكشاف:٩١/٢.

وقال محقق الكشاف:" وهذا السؤال إنما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في أفعاله. وأما أهل السنة فقد أصغوا حق الإصغاء إلى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده".

[٨]روح المعاني:٢٦/ ٢١.

[٩]روح المعاني:٢٦/ ٢١.

ويقول ابن حجر الهيتمي معلقا على قول الحسن هذا: "الآية دليل على أنهم يموتون، فإن أراد الحسن أنهم لا يموتون مثلنا، بل ينظرون مع إبليس، فإذا مات ماتوا معه، قلنا: إن أراد ذلك في بعضهم كشياطين إبليس وأعوانه فهو محتمل، وإن أراد ذلك نافاه ما ورد من الوقائع الكثيرة في موتهم"[١].

قال القاضي بدر الدين الشبلي: "ومعنى قول الحسن أن الجن لا يموتون أنهم منظرون مع إبليس، فإذا مات ماتوا معه، وظاهر القرآن يدل على أن إبليس غير مخصوص بالانظار إلى يوم القيامة، أما ولده وقبيله فلم يقم دليل على أنهم منظرون معه، وظاهر قوله تعالى: {قال إنك من المنظرين} [الأعراف: ١٥]. يدل على أن ثم منظرين غير إبليس، وليس في القرآن ما يدل على أن المنظرين هم الجن كلهم، فيحتمل أن يكون بعض الجن منظرين، أما كلهم فلا دليل عليه"[٢].

وسئل ابن حجر عن موت الجن فقال: "كل الحيوانات يموتون، وكذلك سائر العالم، لقوله تعالى: {كل من عليها فان} [الرحمن: ٢٦]. مع قوله تعالى: {كل شيء هالك إلا وجهه [القصص: ٨٨].

وأما الدليل من السنة على موتهم:

فعن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"[٣]. وهو أصرح الأحاديث الدالة على موت الجن .

وأخرج عن ابن جرير عن ابن عباس قال: "وكل ملك الموت بقبض أرواح المؤمنين والملائكة، وملك بالجن، وملك بالشياطين، وملك بالطير والوحوش والسباع والحيات، فهم أربعة أملاك"[٤].

... حديث الفتى الذي صرعه الجني، وفيه دليل على أن الجن يموتون، فقد ورد في الحديث: "فما يدرى أيهما أسرع موتا الحية أم الفتى"[٥].

وقد كانت تلك الحية من الجن الذين يسكنون المدينة، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث: "إن في المدينة جنا قد أسلموا .. "[٦].

وأما عن بعثهم بعد الموت فإن كثيرا من الآيات القرآنية التي توعدت العصاة والكفرة، قد دلت على بعثهم بعد الموت ومحاسبتهم على أعمالهم، قال الله تعالى في سؤال الكفرة من الجنسين في الآخرة: {يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى} [الأنعام: ١٣٠]. وقوله تعالى: {وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} [هود: ١١٩][٧].

القرآن

{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)} [الأعراف : ١٦]

التفسير:

قال إبليس لعنه الله: فبسبب ما أضللتني لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدَّنَّهم عن الإسلام الذي فطرتهم عليه.

قوله تعالى:{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الأعراف : ١٦]، أي:" قال إبليس لعنه الله: فبسبب غوائك وإضلالك لي"[٨].

---

[١] الفتاوى الحديثية: ٧١.
[٢] آكام المرجان في أحكام الجان: ١٥٢.
[٣] رواه البخاري (٧٣٨٣)، ومسلم (٢٧١٧).
[٤] الفتاوى الحديثية: ٧١.
[٥] رواه مسلم (٢٢٣٦). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
[٦] رواه مسلم (٢٢٣٦). من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
[٧] انظر: عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة لعبد الكريم عبيدات :٥٢.
[٨] انظر: صفوة التفاسير:٤٠٧/١، والتفسير الميسر:١٥٢.

قال الطبري:" يقول: فبما أضللتني"[١].
قال الزمخشري:أي:" فبسبب إغوائك إياى"[٢].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه لما أنظر إبليس { إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } واستوثق إبليس بذلك ، أخذ في المعاندة والتمرد ، فقال : { فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } أي : كما أغويتني"[٣].

قال القرطبي:" أي: فبما أوقعت في قلبي من الغي والعناد والاستكبار. وهذا لأن كفر إبليس ليس كفر جهل، بل هو كفر عناد واستكبار، قيل: معنى الكلام القسم، أي فبإغوائك إياي لأقعدن لهم على صراطك، أو في صراطك، فحذف. دليل على هذا القول قوله في «ص»: {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [ص : ٨٢]، كأن إبليس أعظم قدر إغواء الله إياه لما فيه من التسليط على العباد، فأقسم به إعظاما لقدره عنده. وقيل: الباء بمعنى اللام، كأنه قال: فلإغوائك إياي. وقيل: هي بمعنى مع، والمعنى فمع إغوائك إياي. وقيل: هو استفهام، كأنه سأل بأي شي أغواه؟. وكان ينبغي على هذا أن يكون: فبم أغويتني؟"[٤].

ولأهل اللغة في معنى قوله تعالى:{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الأعراف : ١٦]، قولان:
أحدهما : أنه على معنى القسم، وتقديره : فبإغوائك لي لأقعدن لهم صراطك المستقيم[٥].

قال الطبري:" وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية، من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسبابَ ذلك إليه، وأن السبب الذي به يصل المؤمن إلى الإيمان، هو السبب الذي به يصل الكافر إلى الكفر. وذلك أنّ ذلك لو كان كما قالوا: لكان الخبيث قد قال بقوله: {فبما أغويتني} ،فبما أصلحتني، إذ كان سبب«الإغواء» هو سبب«الإصلاح»، وكان في إخباره عن الإغواء إخبارٌ عن الإصلاح، ولكن لما كان سبباهما مختلفين، وكان السبب الذي به غوَى وهلك من عند الله. أضاف ذلك إليه فقال: {فبما أغويتني}"[٦].

قال أبو مودود، سمعت محمد بن كعب القرظي يقول: "قاتل الله القدريّة، لإبليس أعلمُ بالله منهم!"[٧].

والثاني : أنه على معنى المجازاة، تقديره : فلأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم[٨].
وفي معنى قوله:{ أَغْوَيْتَنِي} [الأعراف : ١٦]، أربعة أقوال:
أحدها : معناه أضللتني ، قاله ابن عباس[٩]، وابن زيد[١٠].
قال القرطبي:"و«الإغواء»: الإضلال والإبعاد"[١١].
والثاني : معناه خيبتني من جنتك، او من رحمتك، ومنه قول الشاعر[١٢] :
فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَد النَّاس أمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيّ لائما
أي: ومن يخب[١].

---

[١] تفسير الطبري:٣٣٢/١٢.
[٢] الكشاف:٩١/٢.
[٣] تفسير ابن كثير:٣٩٣/٣.
[٤] تفسير القرطبي:١٧٤/٧.
[٥] انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢.
[٦] تفسير الطبري:٣٣٤/١٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٣٦٣):ص٣٣٤/١٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٠٥/٢-٢٠٦.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦١):ص٣٣٢/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٢):ص٣٣٢/١٢-٣٣٣.
[١١] تفسير القرطبي:١٧٤/٧.
[١٢]البيت للمرقش الأصغر: ربيعة بن سليمان بن سعد بن مالك ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد (المفضليات، طبع القاهرة ص ١١٨) . وفي (اللسان: غوى) قال: الغي: الضلال والخيبة. غوى (بالفتح) غيا، وغوى (بالكسر) غواية. الأخيرة عن أبي عبيد: ضل. ورجل غاو، وغو، وغوى، وغيان: ضال. وأغواه هو. وأنشد للمرقش: " فمن يلق. . . البيت ".

والثالث : معناه: عذبتني، كقوله تعالى:{فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً} [مريم : ٥٩] أي عذاباً ، قاله الحسن[٢].
والرابع : معناه: أهلكتني بلعنك لي[٣].
قال القرطبي:"و«الإغواء»: الإهلاك، قال الله تعالى: {فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَياً} [مريم : ٥٩]، أي: هلاكا"[٤].
يقال: غوى الفصيل إذا أشفى على الهلاك بفقد اللبن ، قال الشاعر [٥]:
مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا بِرَازِئِهَا دَرًّا وَلا مَيِّتٍ غَوَى[٦]
وأصل «الإغواء» في كلام العرب: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسّنه عنده، غارًّا له، وقد حكي عن بعض قبائل طيئ، أنها تقول:"أصبح فلان غاويًا"، أي: أصبح مريضًا[٧].
قوله تعالى:{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف : ١٦]، أي:" لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدَّنَّهم عن الإسلام الذي فطرتهم عليه"[٨].
قال الصابوني:أي:" لأقعدنَّ لآدم وذريته على طريق الحق وسبيل النجاة الموصل للجنة كما يقعد القُطّاع للسابلة"[٩].
قال الطبري:" يقول: لأجلسن لبني آدم"صراطك المستقيم"، يعني: طريقك القويم، وذلك دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه، وإنما معنى الكلام: لأصدَّن بني آدم عن عبادتك وطاعتك، ولأغوينهم كما أغويتني، ولأضلنهم كما أضللتني"[١٠].
عن سبرة بن أبي الفاكه أنه سمع النبي ﷺ يقول: إن الشيطان قعد لابن آدم بأطْرِقَةٍ، فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتذرُ دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر وتذر أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطِّوَل؟ فعصاه وهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد، وهو جَهْدُ النفس والمال، فقال: أتقاتل فتقتل، فتنكح المرأة، ويقسم المال؟ قال: فعصاه فجاهد"[١١].
وفي قوله تعالى:{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف : ١٦]، تأويلان:
أحدهما : طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة ، قاله عون بن عبدالله[١٢].
قال الطبري: وهذا القول"وإن كان من صراط الله المستقيم، فليس هو الصراط كله. وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم، ولم يخصص منه شيئًا دون شيء. فالذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ، أشبهُ بظاهر التنزيل، وأولى بالتأويل، لأن الخبيث لا يألو عباد الله الصدَّ عن كل ما كان لهم قربة إلى الله"[١٣].
والثاني : طريق الحق ليصد عنها بالإغواء ، قاله مجاهد[١٤]، واختاره الطبري[١].

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢٠٦/٢، وتفسير القرطبي:١٧٤/٧.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢٠٦/٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢، وتفسير القرطبي:١٧٤/٧.
[٤] تفسير القرطبي:١٧٤/٧.
[٥] البيت لمدرج الريح الجرمي، ، واسمه "عامر بن المجنون"كما في الشعر والشعراء: ٧١٣، وفي الوحشيات رقم: ٣٨٠، والأغاني ٣/ ١١٥، وجاء في المعاني الكبير: ١٠٤٧ "عامر المجنون" ، صوابه ما أثبت.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢.
[٨] التفسير الميسر:١٥٢.
[٩] صفوة التفاسير:٤٠٧/١.
[١٠] تفسير الطبري:٣٣٤/١٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٣٦٤):ص٣٣٤/١٢-٣٣٥.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٥):ص٣٣٥/١٢.
[١٣] تفسير الطبري:٣٣٦/١٢.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٦)-(١٤٣٦٨):ص٣٣٦/١٢.

الفوائد:

١- من فوائد الآية:أن بليس-عليه اللعنة- نسب إغواءه إلى بارئه وخالقه دون نفسه، وهما يتبين قبح عقيدة القدرية التي تقول: إن ضللت فأنا الذي أضل نفسي وأنا خالق لفعلي وإغوائي وضلالي وقد أبا ذلك مقدمهم في الضلال والاضلال إبليس اللعين ونسب الاغواء إلى من خلقه فيه وزينه له حتى غوى واغوى وضل وأضل.

٢- ومنها: توعد عدو الله بأن يصد الناس عن الصراط المستقيم الذي أمرنا الله بسلوكه، فقال :{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ}.

وحذرنا المولى سبحانه من الحياد عنه واتخاذ السبل والضلالات مكانه كما قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "إن الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبدالله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله هو كتاب الله"[٢].

القرآن

{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)} [الأعراف : ١٧]

التفسير:

ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب، فأصدهم عن الحق، وأُحسّن لهم الباطل، وأرغبهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك.

قوله تعالى:{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف : ١٧]، أي:"ثم آتي عبادك من كل جهة من الجهات الأربع لأصدّهم عن دينك"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف : ١٧]، سبعة أقوال:

أحدها : {مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ}، أي: أشككهم في آخرتهم ،{ وَمِنْ خَلْفِهِمْ }، أرغبهم في دنياهم، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}: أي من قبل حسناتهم، {وَعَن شَمَآئِلِهِم }، من قبل سيئاتهم ، قاله ابن عباس[٤]، وروي عن قتادة نحو ذلك[٥].

والثاني : {مِنّ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ}: يعني من الدنيا،{وَمِنْ خَلْفِهِمْ}: من الآخرة ،{وَعَنْ أَيْمَأنِهِمْ}: من قبل حسناتهم،{وَعَن شَمَآئِلِهِم}: من قبل سيئاتهم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[٦]، وإبراهيم[٧]، والحكم[٨]، وابن جريج[٩].

والثالث : {مِنّ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ}: من قبل ، دنياهم ،{وَمِنْ خَلْفِهِمْ}: من قبل آخرتهم ،{وَعَنْ أَيْمَأنِهِمْ}: الحق أشككهم فيه فأصدهم عنه،{وَعَن شَمَآئِلِهِم}: الباطل أرغبهم فيه وأزينه لهم، قاله السدي[١٠]، وإبراهيم[١١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٣٣٦/١٢.
[٢]تفسير الطبري:(٧٥٦٦):ص٧٢/٧، والشريعة للاجري (١/ ٢٩٧)..
[٣] صفوة التفاسير:٤٠٧/١.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٩):ص٣٣٨/١٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٢):ص٣٣٩/١٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٠):ص٣٣٨/١٢-٣٣٩.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٣):ص٣٣٩/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٤):ص٣٤٠/١٢
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٧):ص٣٤٠/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٦):ص٣٤٠/١٢
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٥):ص٣٤٠/١٢

والرابع :{مِنّ بَيْنِ أَيْدِيهِم }{ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ} من حيث ينظرون ، {وَمِنْ خَلْفِهِم }{وَعَنْ شَمَائِلِهِم}: من حيث لا يبصرون ، قاله مجاهد[1].
والخامس : أراد من كل الجهات التي يمكن الاحتيال عليهم منها ، ولم يذكر من فوقهم لأن رحمة الله تصده ، ولا من تحت أرجلهم لما فيه التنفير ، قاله بعض المتأخرين [2].
والسادس:{مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم} : فيما بقي من أعمارهم فلا يقدمون على طاعة ،{وَمِنْ خَلْفِهِم}: فيما مضى من أعمارهم فلا يتوبون عن معصية، {وَعَنْ أَيْمَانِهِم} : من قبل غناهم فلا ينفقونه في مشكور،{وَعَن شَمَائِلِهِم}: من قبل فقرهم فلا يمتنعون فيه عن محظور . أفاده الماوردي[3].
والسابع:{مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِم}: بسط أملهم ، {وَمِنْ خَلْفِهِم}، تحكيم جهلهم، {وعن أيمانهم}: فيما ييسر لهم، {وَعَن شَمَائِلِهِم}: فيما تعسر عليهم. أفاده الماوردي[4].
قال القرطبي:" ومن أحسن ما قيل في تأويل: {ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم}، أي: لأصدنهم عن الحق، وأرغبنهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة. وهذا غاية في الضلالة. كما قال: {وَلأُضِلَّنَّهُمْ } [النساء : ١١٩] حسب ما تقدم"[5].
قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل، فأصدّهم عن الحق، وأحسِّن لهم الباطل. وذلك أن ذلك عَقِيب قوله: {لأقعدن لهم صراطك المستقيم}، فاخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرَهم الله أن يسلكوه، وهو ما وصفنا من دين الله دينِ الحق، فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه، من الوجه الذي أمرهم الله به، فيصدّهم عنه، وذلك«من بين أيديهم وعن أيمانهم» ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه، فيزيّنه لهم ويدعوهم إليه، وذلك«من خلفهم وعن شمائلهم»"[6].
قال ابن عباس:" ولم يقل: «من فوقهم»، لأن الرحمة تنزل من فوقهم"[7].
قوله تعالى:{وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف : ١٧]، أي:" ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك"[8].
قال الطبري:" يقول: ولا تجد، ربِّ، أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتَك التي أنعمت عليهم، كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به، من إسجادك له ملائكتك، وتفضيلك إياه عليَّ و«شكرهم إياه»، طاعتهم له بالإقرار بتوحيده، واتّباع أمره ونهيه"[9].
وعن ابن عباس قوله: "{ولا تجد أكثرهم شاكرين}، يقول: موحِّدين"[10].
فإن قيل : فكيف علم إبليس ذلك ؟ فعنه جوابان [11]:
أحدهما : أنه ظن ذلك فصدق ظنه ، كما قال تعالى :{وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِم إِبْلِيس ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، وسبب ظنه أنَّه لما أغوى آدم واستزله قال : ذرية هذا أضعف منه ، قاله الحسن .
والثاني : أنه يجوز أن يكون علم ذلك من جهة الملائكة بخبر من الله .
الفوائد:
١- أن من أسباب الضلال الخطيرة والتي ضل بها كثير من الخلق، اتباع الشيطان الذي نذر نفسه وبذل عمره لإغواء بني آدم.
٢- خطر إبليس وذريته على بني آدم، والنجاة منهم بذكر الله تعالى وشكره.

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٨)-(١٤٣٨١):ص١٢/٣٤٠-٣٤١.
[2] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠٧.
[3] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠٧.
[4] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠٧.
[5] تفسير القرطبي:٧/١٧٦.
[6] تفسير الطبري:١٢/٣٤١.
[7] أخرجه الطبري(١٤٣٨٢):ص١٢/٣٤٢.
[8] التفسير الميسر:١٥٢.
[9] تفسير الطبري:١٢/٣٤٢.
[10] أخرجه الطبري(١٤٣٨٣):ص١٢/٣٤٢.
[11] انظر: النكت والعيون:٢/٢٠٧.

٣- أن الشكر هو الإيمان والطاعة لله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
٤- أن الخير والرشد في الناس قليل والشر والضلالة كثير، يدل عليه قوله: {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} وقوله تعالى في سورة بني إسرائيل: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٦٢] .إذ نقل الله تعالى قول الشيطان، وهذا قاله إبليس على الظن فأصاب كما قال تعالى في سورة سبأ: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٢٠].

القرآن

{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)} [الأعراف : ١٨]

التفسير:

قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة ممقوتًا مطرودًا، لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

قوله تعالى:{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا} [الأعراف : ١٨]، أي:" قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة ممقوتًا مطرودًا"[١].

قال قتادة:" يقول: اخرج منها لعينًا منفيًّا"[٢].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إحلاله بالخبيث عدوِّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته، وطرده إياه عن جنته، إذ عصاه وخالف أمره، وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به. يقول: قال الله له عند ذلك: {اخرج منها}، أي من الجنة ، {مذؤومًا مدحورًا}، يقول: مَعِيبًا"[٣].

وفي قوله تعالى:{مَذْءُومًا} [الأعراف : ١٨]، خمسة أقوال:

أحدها : يعني مذموماً ، قاله ابن زيد [٤]، وقرأ الأعمش«مذوماً»[٥].

والثاني : لئيماً ، قاله الكلبي[٦].

والثالث : مقيتا، قاله ابن عباس[٧].

صغيرا منفيا. مروي عن ابن عباس أيضا[٨].

والرابع : منفياً ، قاله مجاهد[٩]، والربيع[١٠]، والسدي[١١].

والخامس : أنه شدة العيب، وهو أسوأ حالاً من المذموم ، قاله الطبري[١٢]، والأخفش[١٣]، قال الشاعر [١٤]:

---

[١] التفسير الميسر:١٥٢.

[٢] اخرجه الطبري(١٤٣٨٤):ص٣٤٣/١٢.

[٣] تفسير الطبري:٣٤٢/١٢.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٩١):٣٤٤/١٢.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٠٨/٢.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٠٨/٢.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٥)، و(١٤٣٩١):ص٣٤٣/١٢-٣٤٤

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٦)، و(١٤٣٩٠):٣٤٣/١٢-٣٤٤.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٨):٣٤٣/١٢.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٩):٣٤٣/١٢-٣٤٤.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٧):٣٤٣/١٢.

[١٢] انظر: تفسير الطبري:٣٤٢/١٢-٣٤٣.

[١٣] انظر: النكت والعيون:٢٠٨/٢. ولم اجده في معاني القرآن.

[١٤]ورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣١، وتفسير الطبري:٣٤٣/١٢، و"العقد الفريد" ١/ ٣٠٣، و"الأغاني" ٣/ ٣١٤، و"تفسير القرطبي" ٩/ ١٩١، و"اللسان" (غشا) ٦/ ٣٢٦١، و"الدر المصون" ١/ ١١٥، ورواية المجاز والدر: (تبغتُك) بدل (صَحِبَتْك).

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ   فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا

وقال عامر بن جذامة[1]:

جذامة لم يأخذوا الحق بل   زاغت قلوبهم قبل القتال ذأماً

وفي قوله تعالى:{مَدْحُورًا} [الأعراف : ١٨]، وجوه:

أحدها : المدفوع[2].

الثاني : المطرود ، قاله مجاهد[3]، والسدي[4].

والثالث: المصغر. قاله الربيع[5].

قال الطبري:" «المدحور»: فهو المُقْصَى، يقال:دحره يدحَرُه دَحْرًا ودُحُورًا، إذا أقصاه وأخرجه، ومنه قولهم:ادحَرْ عنكَ الشيطان"[6].

قوله تعالى:{لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف : ١٨]، أي:" لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين"[7].

قال الطبري:" وهذا قسم من الله جل ثناؤه. أقسم أن مَنْ اتبع من بني آدم عدوَّ الله إبليس وأطاعه وصَدَّق ظنه عليه، أن يملأ من جميعهم، يعني: من كفرة بني آدم تُبّاع إبليس، ومن إبليس وذريته جهنم. فرحم الله امرأً كذّب ظن عدوِّ الله في نفسه، وخيَّب فيها أمله وأمنيته، ولم يمكّن من طمعَ طمعٍ فيها عدوَّه، واستغشَّه ولم يستنصحه، فإن الله تعالى ذكره إنما نبّه بهذه الآيات عباده على قِدَمِ عداوة عدوِّه وعدوهم إبليس لهم، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم، وبغيه عليه وعليهم، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديمًا في أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته، وليتذكر أولو الألباب، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته ويُنيبوا إليها"[8].

الفوائد:

١- أن إبليس-عليه اللعنة- مطرود من رحمته تعالى بسبب استكباره، فأن أخرجه الله خروجا مبعدا عن الله وعن رحمته وعن كل خير.

٢- أن النار دار العصاة، لا بد أن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس، قال تعالى:{ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ}.

القرآن

{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)} [الأعراف : ١٩]

التفسير:

ويا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكُلا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عَيَّنها لهما) ، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى:{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} [الأعراف : ١٩]، أي:" وقلنا يا آدم اسكن مع زوجك حواء الجنة"[9].

والبيت منسوب للحارث بن خالد المخزومي.

[1] البيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٢٠٨/٢.

[2] انظر: النكت والعيون:٢٠٨/٢.

[3] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٨):٣٤٣/١٢.

[4] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٧):٣٤٣/١٢.

[5] انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٩):٣٤٣/١٢-٣٤٤.

[6] تفسير الطبري:٣٤٣/١٢.

[7] التفسير الميسر:١٥٢.

[8] تفسير الطبري:٣٤٥/١٢.

[9] صفوة التفاسير:٤٠٧/١.

قال القرطبي:" قال لآدم بعد إخراج إبليس من موضعه من السماء: اسكن أنت وحواء الجنة"[1].

قال الطبري:" فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها"[2].

و«الجنة»: هي "البستان الكثير الأشجار، وسمي بذلك لأنه مستتر بأشجاره"[3].

وفي الجنة التي أمر بسكناها قولان[4]:

أحدهما : أنها في السماء في جنة الخلد التي وعد المتقون ، وجاز الخروج منها لأنها لم تجعل ثواباً فيخلد فيها ولا يخرج منها. وهذا قول الأكثرين[5].

والثاني : أنها جنة من جنات الدنيا لا تكليف فيها وقد كان مكلفاً. وحكي القرطبي عن المعتزلة والقدرية القول بأنها في الأرض[6].

قال ابن عثيمين:" ظاهر الكتاب، والسنة أنها جنة الخلد، وليست سواها؛ لأن "أل" هنا للعهد الذهني"[7].

وإن قيل: "كيف يكون القول الصحيح أنها جنة الخلد مع أن من دخلها لا يخرج منها. وهذه أُخرج منها آدم؟

فالجواب: أن من دخل جنة الخلد لا يخرج منها: بعد البعث؛ وفي هذا يقول ابن القيم في الميمية المشهورة"[8].

قوله تعالى:{فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} [الأعراف : ١٩]، أي:" فكلا من ثمارها من أي مكان شئتما"[9].

قال البغوي:أي:" كيف شئتما ومتى شئتما وأين شئتما"[10].

قال الطبري:" وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها من أيّ مكان شاءا منها"[11].

وفي قوله تعالى:{فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا} [الأعراف : ١٩]،، وجهان[12]:

أحدهما : من حيث شئتما من الجنة كلها .

والثاني : ما شئتما من الثمار كلها لأن المستثنى بالنهي لمَّا كان ثمراً كان المأمور به ثمراً .

قال ابن عثيمين:المعنى: "في أيّ مكان من هذه الجنة، ونقول أيضاً: وفي أيّ زمان؛ لأن قوله تعالى: {كُلا} فعل مطلق لم يقيد بزمن"[13].

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ١٩]، أي:" ولا تأكلا من ثمرة هذه الشجرة -عَيَّنها لهما"[14].

قال الطبري: " ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها"[1]، "والشجر في كلام العرب : كلّ ما قام على ساق ، ومنه قول الله جل ثناؤه : {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}[الرحمن : ٦] ، يعني بـ«النجم»: ما نَجمَ من الأرض من نَبت ، وبالشجر ما استقلّ على ساق"[2].

---

[1] تفسير القرطبي:١٧٧/٧.
[2] تفسير الطبري:٣٤٥/١٢-٣٤٦.
[3] تفسير ابن عثيمين:١٢٨/١.
[4] انظر: النكت والعيون:٢٠٩/٢.
[5] انظر: تفسير ابن كثير: ٢٣٣/١.
[6] انظر: تفسير القرطبي: ٣٠٢/١-٣٠٣.
[7] تفسير ابن عثيمين:١٢٨/١-١٢٩.
[8] تفسير ابن عثيمين:١٢٨/١-١٢٩.
[9] صفوة التفاسير:٤٠٧/١.
[10] تفسير البغوي: ٨٢/١.
[11] تفسير الطبري:٣٤٦/١٢.
[12] انظر: النكت والعيون:٢٠٩/٢.
[13] تفسير ابن عثيمين:١٢٨/١.
[14] التفسير الميسر:١٥٢.[بتصرف]

قال ابن كثير:" يذكر تعالى أنه أباح لآدم ، عليه السلام ، ولزوجته حواء الجنة أن يأكلا منها من جميع ثمارها إلا شجرة واحدة "[٣].

اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهِيا عنها ، على أقوال:

أحدها : أنها البُرُّ ، وهذا قول ابن عباس[٤].

والثاني : أنها الكَرْمُ ، وهذا قول السُّدِّيِّ [٥]، وجعدة بن هبيرة[٦] .

والثالث : أنها التِّين ، وهذا قول ابن جريجٍ [٧]، ويحكيه عن بعض الصحابة .

والرابع : أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة . قاله يعقوب بن عتبة[٨].

والصواب: أن هذه الشجرة غير معلومة النوع، وأنه لا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يَضَع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة[٩]، فتبقى على إبهامها. والله أعلم.

قوله تعالى:{فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ١٩]، "أي: فتصيروا من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فتكونا ممن خالف أمر ربِّه، وفعل ما ليس له فعله"[١١].

قال ابن عثيمين:" أي: من المعتدين لمخالفة الأمر"[١٢].

قال البغوي: أي: فتصيرا من الضارين بأنفسكما بالمعصية"[١٣].

وأصل " الظلم " في كلام العرب، وضعُ الشيء في غير موضعه، ومنه قول نابغة بني ذبيان[١٤] :

إِلا أُوَارِيَّ لأيًا مَا أُبَيِّنُهَا وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ

فجعل الأرض مظلومة، لأن الذي حفر فيها النؤى حَفر في غير موضع الحفر، فجعلها مظلومة، لموضع الحفرة منها في غير موضعها، ومن ذلك قول ابن قَميئة في صفة غيث [١٥]:

ظَلَمَ الْبِطَاحَ بِهَا انْهِلالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ الْمُقْلَعِ

---

[١] تفسير الطبري:٣٤٦/١٢.

[٢] تفسير الطبري: ٥١٦/١.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٩٧/٣.

[٤] انظر: تفسير الطبري(٧٢٤):ص ٥١٨/١.

[٥] انظر: تفسير الطبري(٧٣١):ص ٥١٩/١.

[٦] انظر: تفسير الطبري(٧٣٣):ص ٥١٩/١.

[٧] انظر: تفسير الطبري(٧٤٠):ص ٥٢٠/١.

[٨] انظر: تفسير الطبري(٧٢٧):ص ٥١٨/١.

[٩] انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/١-٥٢١.

[١٠] صفوة التفاسير: ٤٣/١.

[١١] تفسير الطبري:٣٤٦/١٢.

[١٢] تفسير ابن عثيمين:١٢٩/١.

[١٣] تفسير البغوي: ٨٣/١.

[١٤]ديوانه : ٢٣. يقال : لقيته أصيلالا وأصيلانًا ، إذا لقيته بالعشي . وذلك أن الأصيل هو العشي ، وجمعه أُصُل (بضمتين) وأصلان (بضم فسكون) ، ثم صغروا الجمع فقالوا : أصيلان ، ثم أبدلوا من النون لامًا . فعلوا ذلك اقتدارا على عربيتهم ، ولكثرة استعمالهم له حتى قل من يجهل أصله ومعناه . وعى في منطقه : عجز عن الكلام .

[١٥] والبيت جاء في بعض كتب التفاسير منسوبًا لعمرو بن قميئة (انظر: تفسير القرطبي: ٥٠/٢). وصحة نسبته إلى الحادرة الذبياني ، وهو في ديوان الحادرة ، قصيدة : ٤ ، البيت رقم : ٧ ، وشرح المفضليات : ٥٤ . والبطاح جمع بطحاء وأبطح : وهو بطن الوادي . وأنهل المطر انهلالا : اشتد صوبه ووقعه . والحريصة والحارصة : السحابة التي تحرص مطرتها وجه الأرض ، أي تقشره من شدة وقعها . والنطاف جمع نطفة : وهي الماء القليل يبقى في الدلو وغيره . وقوله : " بعيد المقلع " : أي بعد أن أقلعت هذه السحابة . ورواية المفضليات : " ظلم البطاح له " وقوله : " له " : أي من أجله .

قوله ظلمه إياه : مجيئه في غير أوانه، وانصبابه في غير مصبِّه. ومنه : ظَلَم الرجلُ جَزوره، وهو نحره إياه لغير علة. وذلك عند العرب وَضْع النحر في غير موضعه[1].

وذكروا في قوله تعالى {فَتَكُونا مِنَ الظَّالِمِينَ }[الأعراف:١٩]، وجهان[2] :

أحدهما : من المعتدين في أكل ما لم يُبَحْ لكما .

والثاني : من الظالمين لأنفسكما في أكلكما .

واختلفُوا في معصية آدم بأكله من الشجرة ، على أي وجهٍ وقعت منه ، على أربعة أقاويل[3]:

أحدها : أنه أكل منها وهو ناسٍ للنهي لقولِهِ تعالى:{ولقد عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ}[طه : ١١٥]، وزعم صاحب هذا القول ، أن الأنبياء يلزمهم التحفظ والتيقُّظُ لكثرة معارفهم وعُلُوِّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم ، فيكون تشاغله عن تذكُّر النهي تضييعاً صار به عاصياً .

والقول الثاني : أنه أكل منها وهو سكران فصار مؤاخذاً بما فعله في السُّكْرِ ، وإن كان غير قاصدٍ له ، كما يؤاخَذُ به لو كان صاحياً ، وهو قول سعيد بن المسيب[4].

والقول الثالث : أنه أكل منها عامداً عالماً بالنهي ، وتأول قوله:{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ} [طه : ١١٥] أي فَزَلَّ ، ليكون العَمْدُ في معصيةٍ يستحق عليها الذمَّ .

والرابع : أنه أكل منها على جهة التأويل ، فصار عاصياً بإغفال الدليل ، لأن الأنبياء لا يجوز أن تقع منهم الكبائر ، ولقوله تعالى في إبليس:{فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف : ٢٢] وهو ما صرفهما إليه من التأويل .

واختلف من قال بهذا في تأويله الذي استجاز به الأكل ، على ثلاثةِ أقاويلَ [5]:

أحدها : أنه تأويل على جهةِ التنزيه دون التحريم .

والثاني : أنه تأويل النهي عن عين الشجرة دون جنسها ، وأنه إذا أكل من غيرها من الجنسِ لم يعصِ .

والثالث : أن التأويل ما حكاه الله تعالى عن إبليس في قوله:{مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف : ٢٣] .

الفوائد:

١- من فوائد الآية: إثبات القول لله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: :{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}.

٢- ومن فوائد الآية: منّة الله عزّ وجلّ على آدم، وحواء حيث أسكنهما الجنة.

٣- ومن فوائد الآية: أن الأمر يأتي للإباحة؛ لقوله تعالى: { وكُلا منها }؛ فإن هذه للإباحة بدليل قوله تعالى: { حيث شئتما }: خيَّرهما أن يأكلا من أيّ مكان؛ ولا شك أن الأمر يأتي للإباحة؛ ولكن الأصل فيه أنه للطلب حتى يقوم دليل أنه للإباحة.

٤- ومنها: أن ظاهر النص أن ثمار الجنة ليس له وقت محدود؛ بل هو موجود في كل وقت؛ لقوله تعالى: { حيث شئتما }؛ فالتعميم في المكان يقتضي التعميم في الزمان؛ وقد قال الله تعالى في فاكهة الجنة: {وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة} [الواقعة: ٣٢، ٣٣].

٥- ومنها: أن الله تعالى قد يمتحن العبد، فينهاه عن شيء قد تتعلق به نفسه؛ لقوله تعالى: { ولا تقربا هذه الشجرة }؛ ووجه ذلك أنه لولا أن النفس تتعلق بها ما احتيج إلى النهي عن قربانها.

---

(1)انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/١.

(2)انظر: النكت والعيون: ١٠٥/١.

(3)انظر: النكت والعيون: ١٠٥/١-١٠٦.

(4)انظر:تفسير الطبري(٧٤٩):٥٣٠/١.

(5)انظر: النكت والعيون: ١٠٦/١.

٦- ومنها: النهي يقتضي التحريم إلا أن توجد قرينة تصرف عنه إلى الكراهة.
فقد يُنهى عن قربان الشيء والمراد النهي عن فعله؛ للمبالغة في التحذير منه؛ فإن قوله تعالى: { ولا تقربا هذه الشجرة }: المراد: لا تأكلا منها، لكن لما كان القرب منها قد يؤدي إلى الأكل نُهي عن قربها.

٧- ومنها: إثبات الأسباب؛ لقوله تعالى: :{وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}.

٨- ومنها: أن معصية الله تعالى ظلم للنفس، وعدوان عليها؛ لقوله تعالى: :{وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}.

القرآن

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)} [الأعراف : ٢٠]

التفسير:

فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها؛ لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل مِن ثمر هذه الشجرة مِن أجل أن لا تكونا ملَكين، ومِن أجل أن لا تكونا من الخالدين في الحياة.

قوله تعالى:{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} [الأعراف : ٢٠]، أي:" فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها"[١].

قال الطبري:أي:" فوسوس إليهما"[٢].

قال ابن كثير:" حسدهما الشيطان ، وسعى في المكر والخديعة والوسوسة ليُسلبا ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن "[٣].

و«الوسوسة»: الوسوسة: "حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان "[٤]، وهي إخفاء الصوت بالدعاء ، يقال: وسوس له إذا أوهمه النصيحة ، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنى ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجاج[٥] :

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ   سراً وقد أوّن تأوين العقق[٦]

فإن قيل : فكيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو خارج عنها ؟ فعنه ثلاثة أجوبة هي أقاويل اختلف فيها أهل التأويل[٧]:

أحدها : أنه وسوس إليها وهما في الجنة في السماء ، وهو في الأرض ، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم الجنة ، قاله الحسن[٨].

والثاني : أنه كان في السماء وكانا يخرجان إليه فيلقاهما هناك .

والثالث : أنه خاطبهما من باب الجنة وهما فيها .

قوله تعالى:{لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} [الأعراف : ٢٠]، أي:" لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر من عوراتهما"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٢.

[٢] تفسير الطبري:٣٤٦/١٢.

[٣] تفسير ابن كثير:٣٩٧/٣.

[٤] تفسير السمعاني:١٧٠/٢.

[٥]ديوانه: ١٠٨، اللسان (وسس) ، وهذا بيت من أرجوزته التي مضت منها أبيات كثيرة. وهذا البيت من أبيات في صفة الصائد المختفي، يترقب حمر الوحش، ليصيب منها. يقول لما أحس بالصيد وأراد رميه، وسوس نفسه بالدعاء حذر بالدعاء حذر الخيبة ورجاء الإصابة.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٠٩/٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٢١٠/٢.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢١٠/٢.

قال الطبري:" معنى الكلام: فجذب إبليس إلى آدم حوّاء، وألقى إليهما: ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، ليبدي لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذي ستره عليهما"[٢].

روي عن ابن منبه، في قوله: {فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا}[٣]، قال: كان عليهما نور، لا ترى سوءاتهما"[٤].

قوله تعالى:{وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف : ٢٠]، أي:" وقال في وسوسته لهما في محاولة المكر بهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من الشجرة إلا كراهية أن تكونا مَلَكَين أو تصبحا من المخلّدين في الجنة"[٥].

قال الطبري:" وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرَها، إلا لئلا تكونا ملكين"[٦].

قال ابن كثير:" وقال كذبا وافتراء : ما نهاكما ربكما عن أكل الشجرة إلا لتكونا ملكين أي : لئلا تكونا ملكين ، أو خالدين هاهنا ولو أنكما أكلتما منها لحصل لكما ذلكما كقوله : { قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى } [طه : ١٢٠] أي : لئلا تكونا ملكين ، كقوله : { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا } [النساء : ١٧٦] أي : لئلا تضلوا ، { وَأَلْقَى فِي الأرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ } [النحل : ١٥] أي : لئلا تميد بكم"[٧].

قال الماوردي:" وهذا هو الذي ألقى به من الوسوسة إليهما استغواءً لهما بالترغيب في فضل المنزلة ونعيم الخلود .

فإن قيل : هل تصورا ذلك مع كمال معرفتهما ؟

قيل : إنما كملت معرفتهما بالله تعالى لا بأحكامه"[٨].

وفي قول إبليس ذلك قولان[٩]:

أحدهما : أنه أوهمهما أن ذلك في حكم الله جائز أن يقلب صورتهما إلى صور الملائكة وأن يخلدهما في الجنة .

والثاني : أنه أوهمهما أنهما يصيران بمنزلة الملائكة في علو المنزلة مع علمهما بأن قلب الصور لا يجوز .

وكان ابن عباس[١٠]، ويحيى بن ابي كثير[١١] يقرءان:«إلا أَنْ تَكُونَا مَلِكَيْنِ»، بكسر «اللام»".

قال الطبري:" وكأنَّ ابن عباس ويحيى وجَّها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين من الملوك وأنهما تأوّلا في ذلك قول الله في موضع آخر: {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى} ، [سورة طه: ١٢٠] ، والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها، القراءةُ التي عليها قرأة الأمصار وهي، فتح«اللام» من: «مَلَكَيْنِ»، بمعنى: ملكين، من الملائكة، لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضًا في قرأة الإسلام من القراءة، فهو الصواب الذي لا يجوزُ خلافه"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٢.
[٢] تفسير الطبري:٣٤٧/١٢.
[٣][طه : ١٢١].
[٤] أخرجه الطبري(١٤٣٩٣):ص٣٤٧/١٢.
[٥] انظر: صفوة التفاسير:٤٠٧/١، والتفسير الميسر:١٥٢.
[٦] تفسير الطبري:٣٤٨/١٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٣٩٧/٣.
[٨] النكت والعيون:٢١٠/٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٣٤٦/١٢، والنكت والعيون:٢١٠/٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٣٩٤):ص٣٤٨/١٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٣٩٥):ص٣٤٩/١٢.
[١٢] تفسير الطبري:٣٤٩/١٢.

الفوائد:
١- من فوائد الآية: أن سلاح إبليس الذي يحارب به ابن آدم هو الوسوسة والتزيين لا غير.
٢- ومنها: تقرير عداوة الشيطان للإنسان.
٣- ومنها: أن الشيطان يغر بني آدم كما غر أباهم حين وسوس لآدم، وحواء، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين، وقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؛ فالشيطان قد يأتي الإنسان، فيوسوس له، فيصغر المعصية في عينه؛ ثم إن كانت كبيرة لم يتمكن من تصغيرها؛ مناه أن يتوب منها، فيسهل عليه الإقدام؛ ولذلك احذر عدوك أن يغرك.
٤- ومن فوائد الآية: أن الشيطان عدو للإنسان؛ لقوله تعالى: {{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا }؛ وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر : ٦].
٥- وجوب ستر العورة من الرجال والنساء سواء.

القرآن

{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)} [الأعراف : ٢١]

التفسير:

وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك.

قوله تعالى:{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف : ٢١]، أي:" وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك "[(١)].

قال السدي:" وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين"[(٢)]. وروي عن محمد بن كعب نحو نحو ذلك[(٣)].

عن قتادة عن مطرف،:"يعني قوله: {وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين}- قال لهما: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما. وإنما يخدع المؤمن- بالله.

قال قتادة: وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله- خدعنا"[(٤)].

قال ابن كثير:" أي : حلف لهما بالله : { إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } فإني من قَبْلكما هاهنا ، وأعلم بهذا المكان ، وهذا من باب المفاعلة والمراد أحد الطرفين"[(٥)].

قال الطبري:أي:" وحلف لهما، كما قال في موضع آخر: {تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ} [سورة النمل: ٤٩] ، بمعنى تحالفوا بالله، وكما قال خالد بن زهير ابن عمّ أبي ذويب[(٦)]:

---

(١) التفسير الميسر:١٥٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٥):ص١٤٥١/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١٤٥١/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٦):ص١٤٥١/٥.
(٥) تفسير ابن كثير:٣٩٧/٣.
(٦)ديوان الهذلين ١: ١٥٨، من قصائده التي تقارضها هو وأبو ذؤيب في المرأة التي كانت ضصديقة عبد عمرو عمرو بن مالك، فكان أبو ذؤيب رسوله إليها، فلما كبر عبد عمرو احتال لها أبو ذؤيب فأخذها منه وخادنها. وغاضبها أبو ذؤيب، فكان رسوله إلى هذه المرأة ابن عمه خالد بن زهير، ففعل به ما فعل هو ببعد عمرو بن مالك، أخذ منه المرأة فخادنه، فغاضبه أبو ذؤيب وغاضبها، وقال لها حين جاءت تعتذر إليه: تُرِيدينَ كَيْمَا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا! ... وَهَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ وَيْحَكِ فِي غِمْدِ!
أَخَالِدُ، مَا رَاعَيْتَ من ذِي قَرَابَةٍ ... فَتَحْفَظَنِي بِالْغَيْبِ، أَوْ بَعْضَ مَا تُبْدِي
دَعَاكَ إِلَيْهَا مُقْلَتَاها وَجِيدُهَا ... فَمِلْتَ كَمَا مَالَ المُحِبُّ عَلَى عَمْدِ

وَقَاسَمَهَا بِاللهِ جَهْدًا لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

بمعنى: وحالفهما بالله، وكما قال أعشى بني ثعلبة[١]:

رَضِيعَيْ لِبَانٍ، ثَدْيَ أُمٍّ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ

بمعنى :تحالفا.

وقوله: {إني لكما لمن الناصحين}، أي: لممن ينصح لكما في مشورته لكما، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتما عن أكل ثمرها، وفي خبري إياكما بما أخبركما به، من أنكما إن أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين "[٢].

قال الماوردي:" أي: حلق لهما على صدقه في خبره ونصحه في مشورته ، فقبلا قوله وتصورا صدقه لأنهما لم يعلما أن أحداً يجترىء على الحلف بالله كاذباً .

ويحتمل وجهاً آخر : أن يكون معنى قوله:{وَقَاسَمَهُمَا}، أي: قال لهما : إن كان ما قلته خيراً فهو لكما دوني وإن كان شراً فهو عليّ دونكما ومن فعل ذلك معكما فهو من الناصحين لكما ، فكانت هذه مقاسمتهما أن قسم الخير لهما والشر له على وجه الغرور لتنتفي عنه التهمة ويسرع إليه القبول "[٣].

قال الآلوسي:" وإنما عبر بصيغة «المفاعلة» للمبالغة، لأن من يباري أحدا في فعل يجد فيه فاستعمل في لازمه، وقيل: المفاعلة على بابها، والقسم وقع من الجانبين لكنه اختلف متعلقه فهو أقسم لهما على النصح وهما أقسما له على القبول.

وتعقب بأن هذا إنما يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه وهو النصيحة أما حيث ذكر فلا يتم إلا أن يقال: سمي قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل في قوله تعالى: {وَواعَدْنا مُوسى} [الأعراف: ١٤٢] أنه سمي التزام موسى عليه السلام الوفاء والحضور للميعاد ميعادا فأسند التعبير بالمفاعلة، وقيل: قالا له أتقسم بالله تعالى إنك لمن الناصحين؟ وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة. وعلى هذا فيكون- كما قال ابن المنير- في الكلام لف لأن آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان بلفظ التكلم بل بلفظ الخطاب، وقيل: إنه إلى التغليب أقرب، وقيل: إنه لا حاجة إليه بأن يكون المعنى حلفا عليه بأن يقول لهما: إني لكما لمن الناصحين"[٤].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الشيطان يدعو المرء إلى المعصية، يزعم أنه ينصح له ويريد خيره، وقد أقسم لأبينا على أنه ناصح له: {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}.

ثم قال لخالد: رَعَى خَالِدٌ سِرّي، لَيَالِيَ نَفْسُهُ ... تَوَالَى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمُورُهَا
فَلَمَّا تَرَامَاهُ الشَّبَابُ وَغَيُّهُ، ... وَفِي النَّفْسِ مِنْهُ فِتْنَةٌ وَفُجُورُهَا
لَوَى رَأْسَهُ عَنِّي، ومَالَ بِوُدِّه ... أَغَانِيجُ خَوْدٍ كَانَ قِدْمًا يَزُورُهَا
فأجابه خالد من أبيات: فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها ... وَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا
فَإِنَّ الَّتِي فِينَا زَعَمْتَ، ومِثْلَهَا ... لَفِيكَ، وَلَكِنِّي أَرَاكَ تَجُورُهَا
تَنَقَّذْتَهَا مِنْ عَبْدِ عَمْرِو بن مَالِكٍ ... وأَنْتَ صَفِيُّ النَّفْسِ مِنْهُ وَخِيرُها
يُطِيلُ ثَوَاءً عِنْدَها لِيَرُدَّهَا ... وَهَيْهَاتَ مِنْهُ دُورُهَا وقُصُورها
وَقَاسَمَهَا بالله.............. ... .
و "السلوى" ، العسل. "شار العسل يشوره" ، أخذ من موضعه في الخلية.

[١] ديوانه: ١٥٠، واللسان "عوض" "سحم".
و "الأسحم" ، الضارب إلى السواد، و "عوض" لما يستقبل من الزمان بمعنى: "أبدًا" . واختلفوا في معنى "بأسحم داج" ، وإقسامه به. فقالوا: أراد الليل. وقالوا: أراد سواد حلمة سدي أمه. وقيل أراد الرحم وظلمته. قيل: أراد الدم، لسواده، تغمس فيه اليد عند التحالف.

[٢] تفسير الطبري:١٢/٣٤٩-٣٥١.

[٣] النكت والعيون:٢/٢١٠.

[٤] روح المعاني:٤/٣٤٠.

وقد روى وهب بن منبه هذه القصة الطريفة عن أهل الكتاب (١) ، نسوقها لنعلم أسلوباً من أساليب الشيطان في إضلاله العباد، وكي نحذر نصحه، ونخالفه فيما يدعونا إليه.

يقول وهب: " إن عابداً كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة، لهم أخت، وكانت بكراً، ليس لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا من يأمنونه عليها، ولا عند من يضعونها.

قال: فأجمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه عن أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم، وتعوذ بالله منهم ومن أختهم، قال: فلم يزالوا به حتى أطاعهم.

فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي. فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها.

فمكثت في جوار ذلك العابد زمناً ينزل إليها بالطعام من صومعته، فيضعه عند باب الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد إلى الصومعة، ثم يأمرها فتخرج من بيتها، فتأخذ ما وضع لها من الطعام، قال: فتلطف له الشيطان، فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهاراً، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم أجراً. قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها، ووضعه على باب بيتها، ولم يكلمها.

قال: فلبث على هذه الحال زماناً، ثم جاءَه إبليس فرغّبه في الخير والأجر وحضه عليه، وقال: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك، فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام، ثم وضعه في بيتها، فلبث على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغّبه في الخير وحضّه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، فلم يزل به حتى حدثها زماناً يطّلع إليها من فوق صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فقال: لو كنت تتنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها، وتقعد هي على باب بيتها، فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، فلبثا زماناً يتحدثان.

ثم جاءَه إبليس فرغبه في الأجر والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك، ثم جلست قريباً من بيتها، فحدثتها كان آنس لها، فلم يزل به حتى فعل. فلبثا زمناً على ذلك.

ثم جاءه إبليس، فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها، ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها، نهارها كله، فإذا مضى النهار صعد صومعته.

ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه، ويسول له حتى وقع عليها، فأحبلها فولدت له غلاماً، فجاء إبليس فقال: أرأيت إن جاء إخوة الجارية، وقد ولدت منك فكيف تصنع؟ لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك، فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها، ففعل.

فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، خذها واذبحها، وادفنها مع ابنها، فلم يزل به حتى ذبحها، وألقاها في الحفرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرة عظيمة، وسوّى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبد فيها، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاؤوا فسألوه عنها، فنعاها لهم، وترحم عليها

وبكاها. وقال: كانت خير امرأة، وهذا قبرها، فانظروا إليه. فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم، وترحموا عليها، فأقاموا على قبرها أياماً، ثمّ انصرفوا إلى أهاليهم.

فلما جنّ عليهم الليل، وأخذوا مضاجعهم، جاءَهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم، فسأله عن أختهم، فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها فأكذبه الشيطان. وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً، فذبحه وذبحها معه فزعاً منكم، وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله، فإنكم ستجدونها كما أخبرتكم هناك جميعاً. وأتى الأوسط في منامه، فقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم، أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم: لقد رأيت الليلة عجباً، فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى.

فقال كبيرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم، قال أصغرهم: والله لا أمضي حتى آتي هذا المكان، فأنظر فيه. قال: فانطلقوا حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب، وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة، كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدّق قول إبليس فيما صنع بهما، فاستَعْدَوْا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته، وقدّم ليصلب.

فلما أوثقوه على الخشبة، أتاه الشيطان، فقال له: قد علمت أني أنا صاحبك الذي فتنتك بالمرأة، حتى أحبلتها، وذبحتها وابنها، فإن أنت أطعتني اليوم، وكفرت بالله الذي خلقك وصوّرك، خلصتك مما أنت فيه، فكفر العابد، فلما كفر بالله تعالى، خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه "[١].

٢- ومن فوائد الآية: عدم الإغترار بحلف الكذابين، فقد حلف إبليس اللعين لأبوينا على أنه لهما من الناصحين وهو أعظم الخائنين وأكذب الكذابين كما حكى الله عنه ذلك: {وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}.

٣- ومنها: جواز الاقسام بالله تعالى، ولكن لا يحلف إلا صادقاً.

القرآن

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢)} [الأعراف : ٢٢]

التفسير:

فجرَّأهما وغرَّهما، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فلما أكلا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترهما الله به قبل المخالفة، فأخذا يلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما، وناداهما ربهما جل وعلا ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟

قوله تعالى:{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" أي خدعهما بما غرهما به من القسم بالله"[٢].

قال الطبري:أي:" فخدعهما بغرور"[٣].

قال الماوردي:" معناه: فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية"[٤].

فإن قيل : "فهل علما عند أكلهما أنها معصية ؟

---

[١] تلبيس إبليس:٣٩.

[٢] صفوة التفاسير:٤٠٧/١.

[٣] تفسير الطبري:٣٥١/١٢.

[٤] النكت والعيون:٢١١/٢.

قيل : لا، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة ، والأنبياء معصومون من الكبائر ، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور"[١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "خلق الله آدم في آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ثم عهد إليه فنسي فسمي الإنسان"[٢].

وفي رواية أخرى عنه أيضا:" خلق آدم من صلصال من حمأ ومن طين لازب، وأما اللازب: فالجيد، وأما الحمأ: فالحمأة، وأما الصلصال: فالتراب المرقق، وإنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي"[٣].

ولقد قال بعض الشعراء[٤]:

وما سُمِّي الإنسانُ إلا لنسيهِ   ولا القلبُ إلا أنه يَتَقَلَّبُ

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [الأعراف : ٢٢]، أي:" فلما أكلا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترهما الله به قبل المخالفة"[٥].

قال الطبري:" يقول: فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة، يقول: طعماه، انكشفت لهما سوءاتهما، لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ والمعصية التي ركبا"[٦].

قال السدي:" فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت: يا آدم، كل فإني قد أكلت فلم تنظرني. فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما"[٧].

عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة، فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الرحمن: يا آدم، مني تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن قال: يا رب لا، ولكن استحياء، أرأيت إن تبت ورجعت أعائد إلى الجنة؟ قال: نعم، فذلك قوله: {فتلقى آدم من ربه كلمات} الآية"[٨].

قال ابن عباس:" لما أسكن الله آدم الجنة كساه سربالا من الظفر، فلما أصاب الخطيئة سلبه السربال فبقي في أطراف أصابعه"[٩].

فإن قيل : فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل ؟ ففي ذلك ثلاثة أجوبة[١٠]:

أحدها : أنهما كانا مستورين بالطاعة فانكشف الستر عنهما بالمعصية .

والثاني : أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذلك المهانة .

والثالث : أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة ، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة.

قوله تعالى:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" فأخذا يلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما"[١١].

---

[١] النكت والعيون:٢١١/٢.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١٥١١٣):ص٢٦٨٧/٨.

[٣] أخرجه الطبري:٩٦/١٧. والحديث رجاله ثقات إلا أنه معلول بعنعنة الأعمش؛ لأنه مدلسا.

[٤] لم أعرف قائله، والبيت من شواهد الشنقيطي في أضواء البيان:١٠٤/٤، وانظر: تفسير القرطبي:١٩٣/١، والدر المصن/١١٩، وعمدة الحفاظ:٣٣٠/٣، واللباب:٣٢٨/١، وتفسير البيضاوي:٣٠١/١، وفيها: " لأُنْسِهِ" أي: لأنه أنس ب «حواء».

قال القرطبي:١٩٣/١:" وقيل: سمي إنسانا لأنسه بحواء. وقيل: لأنسه بربه، فالهمزة أصلية".

[٥] التفسير الميسر:١٥٢.

[٦] تفسير الطبري:٣٥١/١٢-٣٥٢.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٨):ص١٤٥١/٥.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٩):ص١٤٥٢/٥.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٠٠):ص١٤٥٢/٥.

[١٠] انظر: النكت والعيون:٢١١/٢.

[١١] التفسير الميسر:١٥٢.

قال ابن عباس:" ينزعان ورق التين ويجعلانه على سوءاتهما"[١].
قال السدي:" أقبلا يغطيان عليهما من ورق الجنة، التين"[٢].
قال قتادة:" يوصلان عليهما من ورق الجنة"[٣].
قال محمد بن كعب:" يأخذان ما يواريان به عورتهما"[٤].
قال مجاهد:" يرقعان، كهيئة الثوب"[٥].
قال الطبري:" يقول: أقبلا وجعلا يشدَّان عليهما من ورق الجنة، ليواريا سوءاتهما"[٦].
قال القرطبي:" المعنى: يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به، ومنه خصف النعل"[٧].
وفي {مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ } [الأعراف : ٢٢]، قولان:
أحدهما : ورق الموز[٨].
والثاني : ورق التين ، قاله ابن عباس[٩]، والسدي[١٠].
قال وهب بن منبه:" كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورًا على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا. فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوءاتهما"[١١].
قوله تعالى:{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" وناداهما ربهما جل وعلا ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة"[١٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ونادى آدمَ وحواءَ ربُّهما: ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التي أكلتما ثمرها"[١٣].
قوله تعالى:{وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟"[١٤].
قال الطبري: أي:" وأعلمكما أن إبليس لكما عدو مبين، يقول: قد أبان عداوته لكما، بترك السجود لآدم حسدًا وبغيًا"[١٥].
عن محمد بن قيس قوله: "{وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين} ، لم أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا رب، أطعمتني حواء! قال لحواء: لم أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية! قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس! قال: ملعون مدحور! أما أنت يا حواء فكما دمَّيت الشجرة تَدْمَيْن كل شهر. وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك، وسيشدخُ رأسك من لقيك، اهبطوا بعضكم لبعض عدو"[١٦].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٢):ص٥/١٤٥٢.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص٥/١٤٥٢.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٥):ص٥/١٤٥٣.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٦):ص٥/١٤٥٣.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٤٠٠):ص١٢/٣٥٣.
[٦] تفسير الطبري:١٢/٣٥٢.
[٧] تفسير القرطبي:٧/١٨١.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢/٢١١.
[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٠٢)، و(٨٣٠٧):ص٥/١٤٥٢-١٤٥٣.
[١٠] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص٥/١٤٥٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٤٠٨):ص١٢/٣٥٥.
[١٢] التفسير الميسر:١٥٢.
[١٣] تفسير الطبري:١٢/٣٥٥.
[١٤] التفسير الميسر:١٥٢.
[١٥] تفسير الطبري:١٢/٣٥٥.
[١٦] أخرجه الطبري(١٤٤٠٩):ص١٢/٣٥٥-٣٥٦.

قال ابن عباس:" لما أكل آدم من الشجرة قيل له: لم أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ قال: حواء أمرتني! قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كَرْهًا، ولا تضع إلا كرها. قال: فرنَّت حواء عند ذلك، فقيل لها: الرنّة عليك وعلى ولدك"[1].

الفوائد:

١- في هذه الآية دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور، وأنه كان ولم يزل مستهجَنًا في الطباع، مستقبَحًا في العقول.

قال القرطبي:"وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة، كما قيل لهما:{ولا تقربا هذه الشجرة}، وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك، لأنه سترة ظاهرة يمكنه التستر بها، كما فعل آدم في الجنة"[2].

القرآن

{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} [الأعراف : ٢٣]

التفسير:

قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأخراهم.

قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} [الأعراف : ٢٣]، أي:" قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة"[3].

قال الطبري:أي:" قال: آدم وحواء لربهما: يا ربنا، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك، وبطاعتنا عدوَّنا وعدوَّك، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه، من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها.

وهذا خبرٌ من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به، واعترافِهما على أنفسهما بالذنب، ومسألتهما إياه المغفرة منه والرحمة، خلاف جواب اللعين إبليس إياه"[4].

قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : ٢٣]، أي:" وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأخراهم"[5].

قال الطبري:" يقول: وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه {وترحمنا}، بتعطفك علينا، وتركك أخذنا به، لنكونن من الهالكين"[6].

قال قتادة:" قال آدم عليه السلام: يا رب، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال: إذًا أدخلك الجنة. وأما إبليس فلم يسأله التوبة، وسأل النَّظِرة، فأعطى كلَّ واحد منهما ما سأل"[7].

عن الضحاك في قوله: "{ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا}، الآية، قال: هي الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربه"[8].

الفوائد:

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٤١٠):ص٣٥٦/١٢.
[2] تفسير القرطبي:١٨١/٧.
[3] التفسير الميسر:١٥٣.
[4] تفسير الطبري:٣٥٦/١٢.
[5] التفسير الميسر:١٥٣.
[6] تفسير الطبري:٣٥٦/١٢-٣٥٧.
[7] أخرجه الطبري(١٤٤١١):ص٣٥٧/١٢.
[8] أخرجه الطبري(١٤٤١٢):ص٣٥٧/١٢.

١- من فوائد الآية: منة الله سبحانه وتعالى على أبينا آدم حين وفقه لهذه الكلمات التي كانت بها التوبة.
٢- ومنها: أن منة الله على أبينا هي منة علينا في الحقيقة؛ لأن كل إنسان يشعر بأن الله إذا منَّ على أحد أجداده كان مانّاً عليه.
٣- ومنها: أن قول الإنسان: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين}، سبب لقبول توبة الله على عبده؛ لأنها اعتراف بالذنب؛ وفي قول الإنسان: {ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين} أربعة أنواع من التوسل:
- الأول: التوسل بالربوبية.
- الثاني: التوسل بحال العبد: {ظلمنا أنفسنا}.
- الثالث: تفويض الأمر إلى الله؛ لقوله: {وإن لم تغفر لنا..} إلخ.
- الرابع: ذكر حال العبد إذا لم تحصل له مغفرة الله ورحمته؛ لقوله تعالى: {لنكونن من الخاسرين}، وهي تشبه التوسل بحال العبد؛ بل هي توسل بحال العبد؛ وعليه فيكون توسل العبد بحاله توسلاً بحاله قبل الدعاء، وبحاله بعد الدعاء إذا لم يحصل مقصوده.

٤- ومنها: أن شرط التوبة الاعتراف بالذنب وذلك بالاستغفار أي طلب المغفرة.
٥- ومن فوائد الآية: أن الإنسان إذا صدق في تفويض الأمر إلى الله، ورجوعه إلى طاعة الله فإن الله تعالى يتوب عليه؛ وهذا له شواهد كثيرة أن الله أكرم من عبده؛ من تقرب إليه ذراعاً تقرب الله إليه باعاً، ومن أتاه يمشي أتاه الله هرولة؛ فكرم الله عزّ وجلّ أعلى، وأبلغ من كرم الإنسان.

القرآن

{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤)} [الأعراف : ٢٤]

التفسير:

قال تعالى مخاطبًا آدم وحواء لإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًا، ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه، وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

قوله تعالى:{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" قال تعالى مخاطبًا آدم وحواء لإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًا"[(١)].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذريته، وآدم وولده، والحية، يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية: اهبطوا من السماء إلى الأرض، بعضكم لبعض عدوّ"[(٢)].

قال الماوردي:" قيل: أسكنهما الجنة لثلا ساعات خلت من يوم الجمعة ، وأخرجهما لتسع ساعات خلت من ذلك اليوم "[(٣)].

و«الهبوط»: النزول من فوق إلى أسفل[(٤)]، يقال هَبط فلان أرضَ كذا ووادِيَ كذا، إذا حلّ ذلك كما قال الشاعر[(٥)]:

---

(١) التفسير الميسر:١٥٣.
(٢) تفسير الطبري:٣٥٧/١٢.
(٣) النكت والعيون:٢١٢/٢.
(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣١٩/١.
(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ٣٧ ، أرمقهم : يعني أحبابه الراحلين ، وينظر إليهم حزينًا كئيبًا ، والركاب : الإبل التي يرحل عليها . وراكس : واد في ديار بني سعد بن ثعلبة ، من بني أسد . وفلق وفالق :

مَا زِلْتُ أَرْمُقُهُمْ، حَتَّى إِذَا هَبَطَتْ أَيْدِي الرِّكَابِ بِهِمْ مِنْ رَاكِسٍ فَلَقَا

فإن قيل : فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم ، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع ؟ فعن ذلك خمسة أجوبة :

أحدها : أنهم آدم، وحواء، وإبليس، والحية. قاله ابن عباس[١]، والسدي[٢]، واختاره الطبري[٣].

قال السدي:" فلعنَ الحية، وقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبطوا إلى الأرض: آدم، وحواء، وإبليس، والحية"[٤].

والثاني : أنهم آدم وحواء والحية. قاله أبو صالح مولى أم هانئ[٥]، واختاره البغوي[٦].

قال الماوردي:" فهبط آدم بأرض الهند على جبل يقال له واسم ، وهبطت حواء بجدة ، وهبطت الحية بأصفهان"[٧].

والثالث : أنهم آدم وحواء والوسوسة ، قاله الحسن[٨].

والرابع: أن المقصود: آدم وحواء وإبليس وذريتهم. اختاره ابن عطية واحتج بأن: " إبليس مخاطب بالإيمان بإجماع"[٩].

والخامس: أن الخطاب، ظاهره العموم، ومعناه الخصوص في آدم وحواء، لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما. ذكره ابن عطية[١٠].

والصحيح هو أن آدم وزوجته ممن عُني به في قوله:{اهبطوا}، وهو قول الجمهور[١١]. والله أعلم.

قال ابن كثير:" العمدة في العداوة آدم وإبليس ؛ ولهذا قال تعالى في سورة "طه" قال : { اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا } [الآية : ١٢٣] وحواء تبع لآدم. والحية - إن كان ذكرها صحيحا - فهي تبع لإبليس"[١٢].

واختلف في «مهبط آدم» على ثلاثة وجوه:

أحدها: أنه أهبط بالصفا. قاله ابن عمر[١٣].

والثاني: أنه هبط بالهند. ، قاله ابن عباس[١٤]، والحسن[١٥]، والسدي[١٦].

قال ابن عباس:"إن أول ما أهبط الله آدم إلى الأرض أهبطه بدحناء أرض بالهند"[١٧].

قال السدي:" قال الله: {اهبطوا منها جميعا}، فهبطوا: فنزل آدم بالهند وأنزل معه بقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبتت شجرة الطيب فإنما أصل ما يجاء به من الهند من الطيب من

المطمئن من الأرض بين ربوتين أو جبلين أو هضبتين ، وقالوا : فالق وفلق ، كما قالوا : يابس ويبس (بفتحتين).

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٣٢٠):ص١٤٥٥/٥.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٤١٣):ص٣٥٨/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري:٣٥٧/١٢.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٤١٣):ص٣٥٨/١٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٤١٤):ص٣٥٨/١٢.
(٦) انظر: تفسير البغوي: ٨٤/١.
[٧] النكت والعيون:٢١٢/٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢١٢/٢.
([٩]) المحرر الوجيز: ١٣١/١.
([١٠]) أنظر: المحرر الوجيز: ١٣١/١.
([١١]) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/١.
[١٢] تفسير ابن كثير:٣٩٩/٣.
[١٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٤):ص١٤٥٤/٥.
[١٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٥):ص١٤٥٤/٥.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٧):ص١٤٥٤/٥-١٤٥٥.
[١٦] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٨):ص١٤٥٥/٥.
[١٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٥):ص١٤٥٤/٥.

قبضة الورق التي هبط بها آدم، وإنما قبضها آدم حين أخرج من الجنة أسفا على الجنة حين أخرج منها"[١].
والثالث: أهبط آدم -عليه السلام- إلى أرض يقال لها دحنا، بين مكة والطائف. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[٢].
وفي «مهبط حواء» قولان:
أحدهما: أنها هبطت بالمروة. قاله ابن عمر[٣].
والثاني: أنها هبطت بجدة. قاله الحسن[٤].
وفي «مهبط إبليس»، قولان[٥]:
أحدهما: بالأبلة .
والثاني : بالمدار .
قال رجاء بن أبي سلمة: "أهبط آدم يديه على ركبتيه مطأطئا رأسه، وأهبط إبليس مشبكا بين أصابعه رافعا رأسه إلى السماء"[٦].
قال النسري بن يحيى: "أهبط آدم من الجنة ومعه البذور، فوضع إبليس عليها يده، فما أصاب يده ذهب منفعته"[٧].
وتلك الروايات التي ذكرها ابن أبي حاتم هي روايات لا أعلم درجة صحتها، وقد قال ابن كثير:"وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها. ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم ، أو دنياهم ، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله -ﷺ-"[٨].
قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه"[٩].
قال ابن كثير:" أي : قرار"[١٠].
وفي معنى« المستقر» وجوه:
أحدها : أنه موضع الاستقرار ، قاله أبو صالح[١١].
قال الزجاج: "أي: مُقَام وثبوت"[١٢].
قال أبو العالية:" هو قوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشًا}[البقرة:٢٢]"[١٣].
قال الطبري:" يعني: بذلك أنه جعل لكم الأرض مهادا موطأ وقرارا يستقر عليها"[١٤].
والثاني: أنه القبور. قاله ابن مسعود[١٥]، وابن عباس[١٦]، والسدي[١٧].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٨):ص١٤٥٥/٥.
[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٦):ص١٤٥٤/٥.
[٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٤):ص١٤٥٤/٥.
[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٧):ص١٤٥٤/٥-١٤٥٥.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢١٢/٢.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٣):ص١٤٥٤/٥.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٩):ص١٤٥٥/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.
[٩] التفسير الميسر:١٥٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢١٢/٢.
[١٢] معاني القرآن: ١١٥/١.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٢٣):ص١٤٥٥/٥.
[١٤] تفسير الطبري:٣٦٥/١.
[١٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٥٥/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
[١٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٣٢١):ص١٤٥٥/٥.
[١٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٥٥/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

والثالث: المراد: مستقر فوق الأرض ومستقر تحت الأرض. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١].

قوله تعالى:{وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم"[٢].
آجالكم"[٢].

عن ابن عباس: "{ومتاع إلى حين}، قال: إلى يوم القيامة وإلى انقطاع الدنيا"[٣].

قال الطبري:أي:" تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا، وذلك هو الحين الذي ذكره"[٤].

قال ابن كثير:أي:" أعمار مضروبة إلى آجال معلومة ، قد جرى بها القلم ، وأحصاها القدر ، وسطرت في الكتاب الأول "[٥].

قال الماوردي:" يعني: إلى انقضاء الدنيا"[٦].

قال الثعلبي:" الى حين اقتضاء آجالكم ومنتهى أعماركم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : إلى وقت مؤقت ومقدار معين ، ثم تقوم القيامة"[٨].

قال أبو حيان:" «المتاع»: ما استمتع به من المنافع ، أو الزاد ، أو الزمان الطويل ، أو التعمير"[٩].

قال الماوردي:" «المتاع»: فهو المنتفع به من عروض الدنيا التي يستمتع بها"[١٠].

واختلف في قوله تعالى: {إِلَى حِينٍ} [الأعراف : ٢٤]، على وجوه:

أحدها: إلى الموت. قاله السدي[١١].

والثاني: {إلى حين}: أي: الحياة. قاله ابن عباس[١٢].

والثالث: معناه: إلى قيام الساعة. قاله ابن عباس[١٣]، ومجاهد[١٤].

قال ابن عباس:" حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار"[١٥].

والرابع: إلى أجل. قاله الربيع[١٦].

والخامس: أن «الحين»الذي لا يدرك. قاله عكرمة[١٧].

والسادس: أن «الحين»: الوقت البعيد، قال خويلد [١٨]:

كأبي الرماد عظيم القدر جفنته   حين الشتاء كحوض المنهل اللقف

يقال: لقف الحوض لقفا، أي: تهور من أسفله واتسع.

والسابع: أن«الحين»: وقت مجهول القدر ينطلق على طويل الزمان وقصيره، وإن كان موضوعاً في الأغلب للتكثير، قال جرير[١]:

---

[١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٣٢٢):ص١٤٥٥/٥.

[٢] التفسير الميسر:١٥٣.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٤١٧):ص٣٥٩/١٢.

[٤] تفسير الطبري:٣٥٩/١٢

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.

[٦]النكت والعيون:٢١٢/٢.

([٧]) تفسير الثعلبي: ١٨٣/١.

([٨]) تفسير ابن كثير: ٢٣٦/١.

([٩]) البحر المحيط: ١٣٧/١.

[١٠] النكت والعيون:٢١٢/٢.

([١١]) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٢):ص٩٠/١، و(٨٣٢٤):ص١٤٥٦/٥.

[١٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٢٥):ص١٤٥٦/٥.

([١٣]) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٤):ص٩٠/١.

([١٤]) انظر: تفسير الطبري(٧٧٢):ص٥٤٠/١.

[١٥] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٢٦):ص١٤٥٦/٥.

([١٦]) انظر: تفسير الطبري(٧٧٣):ص٥٤٠/١.

[١٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٢٧):ص١٤٥٦/٥.

([١٨])ديوان الهذليين ٢ / ١٥٦ برواية: " عند الشتاء " وجاء في تفسيره: والحوض اللقف: الذي يتهدم من أسفله، وبهامشه عن الأغاني في تفسير اللقف: اللقف: الذي يضرب الماء أسفله فيتساقط وهو ملان.

وَمَا مِرَاحُكَ بَعْدَ الْحِلْمِ وَالدِّينِ   وَقَدْ عَلاكَ مَشِيبٌ حِينَ لا حِينِ
أي: وقت لا وقت [٢].

وقال القرطبي: "و«الحين» أيضا : المدة ومنه قوله تعالى : {هَلْ أَتَى عَلَى الأِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} [الإنسان : ١]، والحين الساعة قال الله تعالى {أو تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ} [الزمر : ٥٨]، قال ابن عرفة الحين القطعة من الدهر كالساعة فما فوقها وقوله "فذرهم في غمرتهم حتى حين} [المؤمنون : ٥٤] أي حتى تفنى آجالهم وقوله تعالى {تؤتي أكلها كل حين} [إبراهيم : ٢٥] أي كل سنة وقيل بل كل ستة أشهر وقيل بل غدوة وعشيا، والحين الغدوة والعشية قال الله تعالى {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ} [الروم : ١٧] ويقال عاملته محاينة من الحين وأحينت بالمكان إذا أقمت به حينا وحان حين كذا أي قرب، قالت بثينة[٣] :

وإنَّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ   من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حان حِينُها" [٤]

وقد ذكر أهل التفسير أن لكلمة«حين» في القرآن الكريم، دلالات[٥]:

أحدها: «حين»بمعنى : **ستة أشهر**، ومنه قوله تعالى : {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [إبراهيم : ٢٥] [٦].

والثاني: «حين»بمعنى : **منتهى الآجال**، ومنه قوله تعالى : {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة : ٣٦]، وقوله تعالى : {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} [يونس : ٩٨].

والثالث: «حين» بمعنى : **الساعات**، ومنه قوله تعالى:{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} [الروم :١٧- ١٨].

والرابع: «حين»بمعنى : **وقت منكر**، ومنه قوله تعالى: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} [ص : ٨٨].

والخامس: «حين»بمعنى : **أربعون سنة**، ومنه قوله تعالى : {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١].

والسادس: «حين»بمعنى : **ثلاثة أيام**، ومنه قوله تعالى في الذاريات : {وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ} [الذاريات : ٤٣].

والسابع: «حين»بمعنى : **نصف النهار**، ومنه قوله تعالى : {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى

---

[١]ديوانه: ٥٨٦، وسيبويه ١: ٣٥٨، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٢، والخزانة ٢: ٩٤، وغيرها. مطلع قصيدة في هجاء الفرزدق، ورواية الديوان، وسيبويه: * ما بالُ جَهْلِكَ بَعْدَ الْحِلْمِ والدِّينِ *
وبعده: لِلْغَانِيَاتِ وِصَالٌ لَسْتُ قَاطِعَهُ ... عَلَى مَوَعِدِهِ مِنْ خُلْفٍ وَتَلْوِينِ
إِنِّي لأَرْهَبُ تَصْدِيقَ الْوُشَاةِ بِنَا ... أَوْ أَنْ يَقُولَ غَوِيٌّ للنَّوَى: بِينِي
و "المراح" (بكسر الميم) : المرح والاختيال والتبختر، وذلك من جنون الشاباب واعتداده بنفسه. وكأن رواية الديوان هي الجودي.
وأنشده سيبويه شاهدًا على إلغاء "لا" وإضافة "حين" الأولى إلى "حين" الثانية، قال: فإنما هو حين حين، و "لا" بمنزلة "ما" إذا ألغيت.
وذكره أب عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢١٢.

[٢] انظر: مجاز القرآن:٢١٢/١، وتفسير الطبري:٣٥٩/١٢، والنكت والعيون:٢١٢/٢.

[٣] ديوانه: ٢٢٤، بثينة هي صاحبة جميل بن معمر الشاعر المعروف بحميل بثينة، والبيت في أمالي القالي: ٢٠١/١، والمجمل:٢٤٤، واللسان والتاج: (ح ي ن).

[٤] انظر: تفسير القطبي: ٣٢٢/١-٣٢٣.

[٥] انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: ابن الجوزي: ٢٥٥، ومعاني القرآن للزجاج: ١١٦/١.

[٦] قال الزجاج: "وإنما {كل حين}، ههنا جُعِلَ لمدة معلومة، والحين يصلح للأوقات كلها، إلا أنه - في الاستعمال - في الكثير منها أكثر، يقال ما رأيتُكَ منذُ حين، تريد منذ حين طويل".[معاني القرآن: ١١٦/١].

الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ} [القصص : ١٥] .

والثامن: «حين»بمعنى : **خمس سنين**، ومنه قوله تعالى : {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} [يوسف : ٣٥] [١]. على أن نهاية سجن يوسف بوقت خروجه.

والتاسع: «حين»: ابتداء القتال يوم بدر، ومنه قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ} [الصافات : ١٧٤]. على أن نهاية الاعراض عن المشركين بوقت الأمر بقتالهم.

الفوائد:

١- من فوائد الآية: أن الشيطان عدو للإنسان؛ لقوله تعالى: { بعضكم لبعض عدو }؛ وقد صرح الله تعالى بذلك في قوله تعالى: { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً } [فاطر: ٦].

٢- ومنها: أن قول الله تعالى يكون شرعياً، ويكون قدرياً؛ فقوله تعالى: { يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها }: هذا شرعي؛ وقوله تعالى: { وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو }: الظاهر أنه كوني؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أنه لو عاد الأمر إليهما لما هبطا؛ ويحتمل أن يكون قولاً شرعياً؛ لكن الأقرب عندي أنه قول كوني . والله أعلم.

٣- ومنها: شؤم الخطيئة كان سبب طرد إبليس من الرحمة، وإخراج آدم من الجنة.

٤- ومنها: أن الجنة في مكان عالٍ؛ لقوله تعالى: { اهبطوا }؛ والهبوط يكون من أعلى إلى أسفل.

٥- ومنها: أنه لا يمكن العيش إلا في الأرض لبني آدم؛ لقوله تعالى: { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }؛ ويؤيد هذا قوله تعالى: {فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون} [الأعراف: ٢٥] ؛ وبناءً على ذلك نعلم أن محاولة الكفار أن يعيشوا في غير الأرض إما في بعض الكواكب، أو في بعض المراكب محاولة يائسة؛ لأنه لابد أن يكون مستقرهم الأرض.

٦- ومنها: أنه لا دوام لبني آدم في الدنيا؛ لقوله تعالى: { ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين }.

القرآن

{قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)} [الأعراف : ٢٥]

التفسير:

قال الله تعالى لآدم وحوَّاء وذريتهما: فيها تحيون، أي: في الأرض تقضون أيام حياتكم الدنيا، وفيها تكون وفاتكم، ومنها يخرجكم ربكم، ويحشركم أحياء يوم البعث.

قوله تعالى:{قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ} [الأعراف : ٢٥]، أي:" قال الله تعالى لآدم وحوَّاء وذريتهما: فيها تحيون، أي: في الأرض تقضون أيام حياتكم الدنيا"[٢].

قال الطبري:" يقول: في الأرض تحيون، يقول: تكونون فيها أيام حياتكم"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه يجعل الأرض دارًا لبني آدم مدة الحياة الدنيا ، فيها محياهم"[٤].

قوله تعالى:{وَفِيهَا تَمُوتُونَ} [الأعراف : ٢٥]، أي:" وفيها تكون وفاتكم"[٥].

قال الطبري:" يقول: في الأرض تكون وفاتكم"[٦].

([١]) وانظر: الأشباه والنظائر: ٢٣٨، والوجوه والنظائر: ٣٥، وجوه القرآن:٤٤، وإصلاح الوجوه: ١٤٩، وكشف السرائر: ٣٩٧.

[٢] التفسير الميسر:١٥٣.

[٣] تفسير الطبري:٣٦٠/١٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.

[٥] التفسير الميسر:١٥٣.

قال ابن كثير:أي:" وفيها مماتهم وقبورهم "[2].

قوله تعالى:{وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} [الأعراف : ٢٥]، أي:" ومنها يخرجكم ربكم، ويحشركم أحياء يوم البعث"[3].

قال الطبري:" يقول: ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء"[4].

قال ابن كثير:أي:" ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، ويجازي كلا بعمله "[5].

وقرأ حمزة والكسائى: {ومنها تخرجون}، بفتح التاء وضم الراء[6].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: أنه لا تَتِمُّ حياةٌ للإنسان على غير الأرض، لقوله: {فيها تَحْيَوْن} .
٢- ومنها: أن الإنسان لا يدفن بعد موته إلا في الأرض لدلالة آية {وفيها تموتون}.
٣- ومن الفوائد: أن الله يبعث الموتى من القبور، ويعيدهم معادا جسمانيا، بأن يجمع ما تفرق من أجسامهم، ثم ينشئهم نشأة أخرى، ثم يعيد أرواحهم ، دل على ذلك قوله تعالى:{ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}.

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} [الأعراف : ٢٦]

التفسير:

يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم. ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده؛ لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا لله عليها.

سبب النزول:

قال الماوردي:" نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة"[7].

قال أبو سعد المدني :"سمعت مجاهدا يقول في قوله: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا}، قال: أربع آيات نزلت في قريش. كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة"[8].

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا} [الأعراف : ٢٦]، أي:" يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم"[9].

قال ابن كثير:" يمتن تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات - وهي السوآت والرياش والريش : هو ما يتجمل به ظاهرًا ، فالأول من الضروريات ، والريش من التكملات والزيادات"[1].

---

[1] تفسير الطبري:٣٦٠/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.
[3] التفسير الميسر:١٥٣.
[4] تفسير الطبري:٣٦٠/١٢.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.
[6] انظر: السبعة في القراءات:٢٧٩.
[7] النكت والعيون:٢١٣/٢.
[8] أخرجه الطبري(١٤٤٢٠):ص٣٦٢/١٢.
[9] التفسير الميسر:١٥٣.

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف، اتباعا منهم أمر الشيطان، وتركا منهم طاعة الله، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءاتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به، وأنهم قد سار بهم سيرته في أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوءاتهما فعراهما منه: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا}، يعني: بإنزاله عليهم ذلك، خلقه لهم، ورزقه إياهم، و«اللباس»: ما يلبسون من الثياب ، {يواري سوءاتكم} ، يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم، وكنى بـ«السوءات»، عن: العورات"[2].

عن مجاهد، في قول الله: "{لباسا يواري سوءاتكم}، قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة، ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه"[3].

و«السوءات»: واحدتها:«سوءة»، من «السوء»، وسميت العورة: «سوءة»، لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده، كما قال الشاعر[4]:

خرقوا جيب فتاتهم لم يبالوا سوءة الرجله[5]

عن معبد الجهني: "{يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم} ، قال: اللباس الذي يواري سوءاتكم: وهو لبوسكم هذه"[6].

عن الضحاك قوله: "{قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم}، قال: يعني ثياب الرجل التي يلبسها"[7].

عن السدي: "{لباسا يواري سوءاتكم}، قال: هي الثياب"[8].

عن عروة بن الزبير قال:" اللباس: الثياب"[9].

وفي دخول الشبهة عليهم في ذلك وجهان [10]:

أحدهما : أن الثياب قد دنستها المعاصي فخرجوا عنها .

والثاني : تفاؤلاً بالتعري من الذنوب فقال الله تعالى :{قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً}، أي: ما تلبسون من الثياب .

فإن قيل : فليس ذلك بمنزل من السماء . فعنه جوابان[11]:

أحدهما : أنه لما كان ينبت من المطر الذي نزل من السماء صار كالمنزل من السماء ، قاله الحسن[12].

والثاني : أن هذا من بركات الله ، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء ، كما قال تعالى:{وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ} [الحديد : ٢٥] .

---

(1) تفسير ابن كثير:٣/٣٩٩-٤٠٠.

(2) تفسير الطبري:١٢/٣٦٠.

(3) أخرجه الطبري(١٤٤١٨):ص١٢/٣٦١.

(4) لم أعرف قائله، والبيت من شزواهد الطبري في تفسيره:١٢/٣٦١، وانظر: البيت في الكامل ١/ ١٦٥، وشرح الحماسة ١/ ١١٧، واللسان "رجل" ، وغيرها، وقبل البيت: كل جار ظل مغتبطا ... غير جيراني بني جبله.

وروايتهم: "لم يبالوا حرمة الرجله" . وكنى بقوله: "جيب فتاتهم"، عن عورتها وفرجها. وانث "الرجل"، فجعل المرأة: "رجلة".

(5) انظر: تفسير الطبري:١٢/٣٦١.

(6) أخرجه الطبري(١٤٤٢٣):ص١٢/٣٦٢.

(7) أخرجه الطبري(١٤٤٢٦):ص١٢/٣٦٢-٣٦٣.

(8) أخرجه الطبري(١٤٤٢٤):ص١٢/٣٦٢.

(9) أخرجه الطبري(١٤٤٢٥):ص١٢/٣٦٢.

(10) انظر: النكت والعيون:٢/٢١٣.

(11) انظر: النكت والعيون:٢/٢١٣.

(12) انظر: النكت والعيون:٢/٢١٣.

وفي قوله تعالى:{ وَرِيشًا} [الأعراف : ٢٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه المعاش ، قاله معبد الجهني[١].
والثاني : أنه اللباس والعيش والنعيم ، قاله ابن عباس[٢].
قال الزجاج:" والريش: اللباس. العرب تقول: أعطيته بريشته، أي بكسوته، والريش: كل ما ستر الرجل في جسمه ومعيشته"[٣].
قال النحاس:"الريش: عند أكثر أهل اللغة ما ستر من لباس أو معيشة"[٤].
والثالث : أنه الجمال والزينة ، قاله ابن زيد[٥]، ومنه قوله رؤبة[٦]:
إِلَيكَ أشْكُو شِدَّةَ المَعِيشِ وَجَهد أَعْوَامٍ نَتَفْنَ رِيشي
يريد: أذهبن جمالي وزينتي .
والرابع : أنه المال : قاله ابن عباس[٧]، ابن الزبير[٨]، ومجاهد[٩]، والضحاك[١٠]، والسدي[١١]، والسدي[١١]، قال الشاعر[١٢]:
فَرِيشي مِنْكُمُ وَهَوايَ مَعْكُمْ وإنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا
والخامس: أنه المعيشة والمال. قاله الكلبي[١٣].
والسادس: أن الريش والرياش: ما ظهر من اللباس، وريش الطائر ما ستره الله به. قاله عبد الله بن مسلم[١٤]، وهو قول أهل اللغة[١٥].
قال شيخ الإسلام : "الصحيح أن الريش هو الأثاث والمتاع"[١٦].
وقرأ زر بن حبيش والحسن البصري:«ورياشا»[١٧].
قال الطبري:" وقد روي عن النبي ﷺ خبر في إسناده نظر: أنه قرأه:«ورياشا»"[١٨].
وفي «الريش» و«الرياش»، وجهان[١٩]:

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٥):ص٣٦٥/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٣):ص٣٦٥/١٢.
[٣] معاني القرآن:٣٢٨/٢.
[٤]معاني القرآن: ٣/ ٢٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٧):ص٣٦٦/١٢.
[٦]ديوانه: ٧٨، من قصيدة يمدح فيها الحارث بن سليم الهجيمي، وبين البيتين في الديوان: * دهرا تنفى المخ بالتمشيش *
ورواية الديوان، بعده: وجهد أعوام برين ريشي ... نتف الحبارى عن قرى رهيش.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٢٨):ص٣٦٤/١٢-٣٦٥.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٢):ص٣٦٥/١٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٢٩):ص٣٦٥/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٣):ص٣٦٥/١٢.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣١):ص٣٦٥/١٢.
[١٢]الشاهد لجرير في "ديوانه" ص ٤١٠، وللراعي النميري، أيضًا في "ديوانه" ص ٢٤٣، و"الكتاب" ٣/ ١٨٧، وبلا نسبة في: "الزاهر" ١/ ٢٥٠، و"معاني النحاس" ٣/ ٢٣، و"الماوردي" ٢/ ٢١٤، و"أمالي ابن الشجري" ١/ ٣٧٥، و"ابن الجوزي" ٣/ ١٨٢، و"القرطبي" ٧/ ١٨٤، و"رصف المباني" ص ٣٩٤، و"اللسان" ٧/ ٤٢٣٤ (معع)، و"الدر المصون" ٥/ ٢٨٧، واللَّمام: الشيء اليسير، انظر: "لسان العرب" ٧/ ٤٠٧٩ (لمم).
[١٣]انظر: تنوير المقباس: ٢/ ٨٦، والتفسير البسيط للواحدي:٨٧/٩.
[١٤]تفسير غريب القرآن" ص ١٧٦، ونحوه ذكر اليزيدي في "غريب القرآن" ص ١٤٥، ومكي في "تفسير المشكل" ص ٨٤.
[١٥]انظر: "العين" ٢/ ٢٨٣، و"الجمهرة" ٢/ ٧٣٦، و"الصحاح" ٣/ ١٠٠٨، و"مقاييس اللغة" ٢/ ٤٦٦، و"المجمل" ٢/ ٤٠٩، و"المفردات" ص ٣٧٢، و"اللسان" ٣/ ١٧٩٢ (ريش).
[١٦]الفتاوى: ١٢/ ٢٥٥.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٢٧):ص٣٦٣/١٢.
[١٨] تفسير الطبري:٣٦٣/١٢، وانظر: الخبر في تفسيره(١٤٤٤٦):ص٣٦٧٦/١٢-٣٦٧.
[١٩] انظر: تفسير الطبري:٣٦٣/١٢-٣٦٤، والنكت والعيون:٢١٤/٢.

أحدهما : أن معناهما واحد وإن اختلف لفظهما.
قال ابن الجوزي:" على قول الأكثرين الريش والرياش بمعنى"[١].
قال الطبري:" فمن قرأ ذلك:«ورياشا»، فإنه محتمل أن يكون أراد به جمع«الريش»، كما تجمع:الذئب، ذئابا، والبئر: بئارا.
ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا، من قول القائل:راشه الله يريشه رياشا وريشا، كما يقال:لبسه يلبسه لباسا ولبسا"، وقد أنشد بعضهم[٢]:
فلما كشفن اللبس عنه مسحنه بأطراف طفل زان غيلا موشما
بكسر"اللام" من"اللبس"[٣].
والوجه الثاني : أن معناهما مختلف ، فالريش ما بطن ، والرياش ما ظهر.
قال الطبري:" و«الرياش»، في كلام العرب، الأثاث، وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار.
و«الريش»: إنما هو المتاع والأموال عندهم. وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال. يقولون:أعطاه سرجا بريشه، ورحلا بريشه، أي: بكسوته وجهازه. ويقولون:إنه لحسن ريش الثياب، وقد يستعمل:«الرياش» في الخصب ورفاهة العيش"[٤].
قوله تعالى:{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف : ٢٦]، أي:" ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن"[٥].
وفي«لباس التقوى»، سبعة تأويلات :
أحدها : أنه الإيمان ، قاله قتادة[٦]، والسدي[٧]، وابن جريج[٨].
الثاني : الحياة ، قاله معبد الجهني[٩].
والثالث : أنه العمل الصالح ، قاله ابن عباس[١٠].
والرابع : أنه السمت الحسن ، قاله عثمان بن عفان[١١]، وهو مروي عن ابن عباس ايضا[١٢].
والخامس : خشية الله ، قاله عروة بن الزبير[١٣].
السادس : ستر العورة للصلاة التي هي التقوى ، قاله ابن زيد[١٤].

---

[١]زاد المسير: ٣/ ١٨٢.
[٢] البيت لحميد بن ثور الهلالي، والبيت في: ديوانه: ١٤، ومعاني القرآن للفراء ١: ٣٧٥، واللسان (لبس) (طفل) ، والمخصص ٤: ٣٥، وغيرها. وهذا بيت من قصيدة له طويلة في ديوانه، أرجح أنها مختلطة الترتيب، وهذا البيت مما اختلط. فإنه في صفة الرجل، فقال فيه (كما ورد في الديوان البيت رقم: ٣٧) ، بعد أن زينته الجواري (والشعر في الديوان كثير الخطأ، فصححته) . تناهى عليه الصانعات، وشاكلت ... به الخيل حتى هم أن يتحمحما
ثم قال بعد رقم: ٤٠. تخال خلال الرقم لما سدلنه ... حصانا تهادى سامي الطرف ملجما
وقال قبل البيت (وهما في ترتيب الديوان: ٣٢، ٣٣) : فزينه بالعهن حتى لو انه ... يقال له: هاب، هلم! لأقدما جعل الهودج قد صار كأنه فرس عليه زينته وجلاله وسرجه. وقوله: (فلما كشفن اللبس عنه" ، يعني الهودج. و "مسحنه" يعني الجواري.
[٣] تفسير الطبري:٣٦٣/١٢.
[٤] تفسير الطبري:٣٦٤/١٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٣.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٨):ص٣٦٦/١٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٩):ص٣٦٦/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٠):ص٣٦٦/١٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤١):ص٣٦٦/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٤):ص٣٦٧/١٢.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٦):ص٣٦٧/١٢-٣٦٨.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٥):ص٣٦٧/١٢.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٧):ص٣٦٨/١٢.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٨):ص٣٦٨/١٢.

والسابع : لبس ما يُتَّقَى به الحر والبرد ، قاله ابن بحر[1].

قال ابن كثير:" وكل هذه متقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير..« عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، على منبر رسول الله ﷺ عليه قميص قُوهي محلول الزرّ ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام. ثم قال : يا أيها الناس ، اتقوا الله في هذه السرائر ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : "والذي نفس محمد بيده ، ما عمل أحد قط سرا إلا ألبسه الله رداء علانية ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر". ثم تلا هذه الآية : "ورياشًا" ولم يقرأ : وريشًا - { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ } قال : "السمت الحسن"»[2]" هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف [3].

وفي قوله تعالى:{ ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف : ٢٦]، وجهان :

أحدهما : أنه راجع إلى «لباس التقوى»، ومعنى الكلام: أن لباس التقوى خير من الرياش واللباس ، قاله قتادة[4]، والسدي[5].

والثاني : أنه راجع إلى جميع ما تقدم من:{قَدْ أَنزَلْنَا علَيكُمْ لِبَاساً يُوارِي سَوْءَاتِكُم وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوى}، ثم قال : {ذَلِكَ} الذي ذكرته هو {خَيْرٌ} كله[6].

قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة {ولباس التقوى} رفعا، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي {ولباس التقوى} نصبا[7].

قوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ} [الأعراف : ٢٦]، أي:" ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده"[8].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم، أيها الناس، من اللباس والرياش، من حجج الله وأدلته التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة"[9].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف : ٢٦]، أي:" لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا لله عليها"[10].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت، ليذكروا فيعتبروا وينيبوا إلى الحق وترك الباطل، رحمة مني بعبادي"[11].

الفوائد:

١- من فوائد الآية: التذكير بنعم الله تعالى المقتضي للشكر عك ذلك بالإيمان والتقوى.

٢- ومنها: أمر الإسلام بستر العورة، وأخذ الزينة.

٣- أن الأعمال تسمى الثياب، قال الله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}، سمى التقوى لباسا.

القرآن

---

[1] انظر: النكت والعيون:٢/٢١٤.
[2] أخرجه الطبري(١٤٤٤٦):ص١٢/٣٦٧-٣٦٨.
[3] تفسير ابن كثير:٣/٤٠١.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٠):ص١٢/٣٧٢.
[5] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٩):ص١٢/٣٧٢.
[6] انظر: النكت والعيون:٢/٢١٥.
[7] انظر: السبعة في القراءات:٢٨٠.
[8] التفسير الميسر:١٥٣.
[9] تفسير الطبري:١٢/٣٧٢.
[10] التفسير الميسر:١٥٣.
[11] تفسير الطبري:١٢/٣٧٢.

{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)} [الأعراف : ٢٧]

التفسير:

يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه.

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} [الأعراف : ٢٧]، أي:" يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان بإضلاله وفتنته"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يا بني آدم، لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم"[٢].

قوله تعالى:{كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ} [الأعراف : ٢٧]، أي:" كما أغوى أبويكم بالأكل من الشجرة حتى أخرجهما من الجنة"[٣].

قال الطبري:أي:" فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه، من الجنة"[٤].

قوله تعالى:{يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} [الأعراف : ٢٧]، أي:" ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به؛ لتنكشف لهما عوراتهما"[٥].

قال الطبري:أي:" ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس، ليريهما سوءاتهما بكشف عورتهما، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة"[٦].

و«الفتنة»: "الاختبار والابتلاء"[٧].

وفي قوله تعالى:{يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} [الأعراف : ٢٧]، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن لباسهما كان أظفاراً تستر البدن فنزعت عنهما وتركت زينة وتبصرة ، قاله ابن عباس[٨]، وعكرمة[٩].

الثاني : أن لباسهما كان نوراً ، قاله وهب بن منبه[١٠].

والثالث : أن نزع عنهما لباسهما من تقوى الله وطاعته ، قاله مجاهد[١١].

قال الطبري:" والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء، وأن يجردهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما."اللباس" المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس، وهو ما اجتاب فيه اللابس من أنواع الكسي، أو غطى بدنه أو بعضه.

وإذ كان ذلك كذلك، فالحق أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما.

---

[١] انظر: صفوة التفاسير:١/٤٠٨، والتفسير الميسر:١٥٣.
[٢] تفسير الطبري:١٢/٣٧٣.
[٣] صفوة التفاسير:١/٤٠٨.
[٤] تفسير الطبري:١٢/٣٧٣.
[٥] التفسير الميسر:١٥٣.
[٦] تفسير الطبري:١٢/٣٧٣.
[٧] تفسير الطبري:١٢/٣٧٣.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥١)-(١٤٤٥٣):ص١٢/٣٧٣-٣٧٤.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٤):ص١٢/٣٧٤.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٥):ص١٢/٣٧٤.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٧)-(١٤٤٥٩):ص١٢/٣٧٥.

وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرا، ويجوز أن يكون كان ذلك نورا ، ويجوز أن يكون غير ذلك، ولا خبر عندنا بأي ذلك تثبت به الحجة، فلا قول في ذلك أصوب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: {ينزع عنهما لباسهما}"[1].

وفي قوله تعالى:{لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} [الأعراف : ٢٧]، قولان:

أحدهما : أجسادهما من العورة حين خرجا من لباسهما ، وهو مقتضى قول ابن عباس .

والثاني : سوأة معصيتهما حتى خرجا من تقوى الله وطاعته ، وهو معنى قول مجاهد .

قوله تعالى:{إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف : ٢٧]، أي:" إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم"[2].

وفي قوله تعالى:{وَقَبِيلُهُ} [الأعراف : ٢٧]، وجوه:

أحدهما : قومه ، وهو قول الجمهور[3].

والثاني : جيلُهُ ، قاله السدي [4].

والثالث: الجن والشياطين. قاله مجاهد[5].

والرابع: نسله. قاله ابن زيد[6].

قال الطبري:" و{قبيله}، يعني: وصنفه وجنسه الذي هو منه واحد جمع جيلا، وهم الجن"[7].

وقوله تعالى:{ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف : ٢٧]، يحتمل وجهين[8]:

أحدهما : من حيث لا تبصرون أجسادهم .

والثاني : من حيث لا تعلمون مكرهم وفتنتهم .

عن قتادة: قوله: "{إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم}، قال: والله إن عدو الله يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله"[9].

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٢٧]، أي:" إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه"[10].

قال الطبري:" يقول: جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله"[11].

الفوائد:

١- التحذير من الشيطان وفتنته لاسيما وأنه يرى الإنسان والإنسان لا يراه.

وقد أطال القرآن في تحذيرنا من الشيطان لعظم فتنته، ومهارته في الإضلال، ودأبه وحرصه على ذلك: {يا بني آدم لا يفتننَّكم الشَّيطان} [الأعراف: ٢٧] .

وقال: {إنَّ الشَّيطان لكم عدٌّ فاتَّخذوه عدوّاً} [فاطر: ٦] ، وقال: (ومن يتَّخذ الشَّيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مُّبيناً) [النساء: ١١٩] . وعداوة الشيطان لا تحول ولا تزول؛ لأنه يرى أن طرده ولعنه وإخراجه من الجنة كان بسبب أبينا آدم، فلا بدّ أن ينتقم من آدم وذريته من بعده: {قال أَرَأَيْتَكَ هذا الَّذي كرَّمت عَلَيَّ لئِن أَخَّرتن إلى يوم القيامة لأَحْتَنِكَنَّ ذريَّته إلاَّ قليلاً} [الإسراء: ٦٢] .

---

[1] تفسير الطبري:١٢/٣٧٥-٣٧٦.

[2] التفسير الميسر:١٥٣.

[3] انظر: النكت والعيون:٢/٢١٥.

[4] حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢/٢١٥.

[5] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٠):ص١٢/٣٧٦.

[6] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦١):ص١٢/٣٧٧.

[7] تفسير الطبري:١٢/٣٧٦.

[8] انظر: النكت والعيون:٢/٢١٦.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٥٣):ص٥/١٤٦٠.

[10] التفسير الميسر:١٥٣.

[11] تفسير الطبري:١٢/٣٧٧.

وأرباب السلوك اعتنوا بذكر النفس وعيوبها وآفاتها، ولكنهم قصّروا في التعرف على عدوهم اللدود.

٢- أن كيان الجن غير مرئي للبشر، في حين أن كيان الإنس مرئي للجن.

٣- أن إبليس-عليه اللعنة- أبو الشياطين والمحرك لهم لفتنة الناس وإغوائهم.، وقد أطلق عليه القرآن اسم الشيطان، فقال:{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ}.

٤- أن القلوب الكافرة هي الآثمة، وكذلك تتم الولاية بين الشياطين والكافرين.

٥- ومن الفوائد: ان من معاني الفتنة: الإضلال بدليل قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ}.

القرآن

{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)} [الأعراف : ٢٨]

التفسير:

وإذا أتى الكفار قبيحًا من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول-: إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها، أتقولون على الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذبًا وافتراءً؟

قوله تعالى:{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} [الأعراف : ٢٨]، أي:" وإذا أتى الكفار قبيحًا من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم"[١].

قال الطبري:أي:" وإذا فعل الذين لا يؤمنون بالله، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء، قبيحا من الفعل، وهو«الفاحشة»، وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له، فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه، قالوا:«وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون، ونقتدي بهديهم، ونستن بسنتهم، والله أمرنا به، فنحن نتبع أمره فيه»"[٢].

قال ابن كثير:" كانت العرب - ما عدا قريشًا - لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها ، يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش - وهم الحُمْس - يطوفون في ثيابهم ، ومن أعاره أحمسي ثوبًا طاف فيه ، ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد ، فمن لم يجد ثوبًا جديدًا ولا أعاره أحمسي ثوبًا ، طاف عريانًا. وربما كانت امرأة فتطوف عريانة ، فتجعل على فرجها شيئًا يستره بعض الشيء وتقول[٣]:

اليوم يبدُو بعضُه أو كلّه وما بدَا منه فلا أحلّهُ

وأكثر ما كان النساء يطفن عراة بالليل ، وكان هذا شيئًا قد ابتدعوه من تلقاء أنفسهم ، واتبعوا فيه آباءهم ويعتقدون أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع ، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك ، فقال : { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا }"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} [الأعراف : ٢٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة ، والفاحشة التي فعلوها: كشف العورة. قاله ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وسعيد بن جبير[٧]، والشعبي[١]، والسدي[٢]، وهو قول قول أكثر المفسرين[٣].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٣.

[٢] تفسير الطبري:٣٧٩/١٢.

[٣]البيت منسوب لضباعة بنت عامر بن قرط ، وله قصة ذكرها ابن حبيب البغدادي في المنمق (ص٢٧٠).

[٤] تفسير ابن كثير:٤٠٢/٣.

[٥]انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٦):ص٣٧٨/١٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٢)-(١٤٤٦٣):ص٣٧٧/١٢-٣٧٨.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٤):ص٣٧٨/١٢. [تكرر في التفسير:الرقم(١٤٤٦٤) مرتين].

قال مجاهد:" كانوا يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء، فتقول[٤]:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله"[٥]

والثاني: أنها في عبدة الأوثان ، والفاحشة التي فعلوها: الشرك ، قاله الحسن[٦].

والثالث: أنها اتخاذ البَحِيْرَةِ والسائبة والوصيلة والحام ، قاله الكلبي[٧].

قال شيخ الإسلام: "والفاحشة أريد بها: كشف السوءات، فيستدل به على أن في الأفعال السيئة من الصفات ما يمنع أمر الشرع بها، فإنه أخبر عن نفسه في سياق الإنكار عليهم أنه لا يأمر بالفحشاء، فدل ذلك على أنه منزه عنه، فلو كان جائزاً عليه لم يتنزه عنه.

فعلم أنه لا يجوز عليه الأمر بالفحشاء؛ وذلك لا يكون إلا إذا كان ال الفعل في نفسه سيئاً، فعلم أن كلما كان في نفسه فاحشة فإن الله لا يجور عليه الأمر به، وهذا قول من يثبت للأفعال في نفسها صفات الحسن والسوء، كما يقوله أكثر العلماء كالتميميين وأبي الخطاب؛ خلاف قول من يقول: إن ذلك لا يثبت قط إلا بخطاب.

وكذلك قوله {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}[الإسراء:٣٢] علل النهي عنه بما اشتمل عليه أنه فاحشة، وأنه ساء سبيلاً، فلو كان إنما صار فاحشة وساء سبيلا بالنهي لما صح ذلك، لأن العلة تسبق المعلول لا تتبعه. ومثل ذلك كثير في القرآن"[٨].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا} [الأعراف : ٢٨]، أي:"وقالوا: والله أمرنا بالتجرد من الثياب إذ كيف نطوف في ثيابٍ عصينا فيها الله!"[٩].

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} [الأعراف : ٢٨]، أي:" قل لهم يا محمد: الله منزّه عن النقص لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئ الخصال"[١٠].

قال الطبري:" يقول الله جل ذكره لنبيه محمد ﷺ:{قل}، يا محمد، لهم:{إن الله لا يأمر بالفحشاء}، يقول: لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها "[١١].

قال ابن كثير:" أي : قل يا محمد لمن ادعى ذلك : { إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } أي : هذا الذي تصنعونه فاحشة منكرة ، والله لا يأمر بمثل ذلك"[١٢].

قال ابن القيم: "فقوله: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} دليل على أنها في نفسها فحشاء، وأن الله لا يأمر بما يكون كذلك، وأنه يتعالى ويتقدس عنه، ولو كان كونه فاحشة إنما علم بالنهي خاصة كان بمنزلة أن يقال: إن الله لا يأمر بما ينهى عنه. وهذا كلام يصان عنه آحاد العقلاء فكيف بكلام رب العالمين"[١٣].

قوله تعالى:{أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٢٨]، أي:" أتكذبون على الله وتنسبون إليه القبيح دون علمٍ ونظرٍ صحيح؟"[١٤].

---

[١]انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٤):ص٣٧٨/١٢.

[٢]انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٥):ص٣٧٨/١٢.

[٣] انظر: النكت والعيون:٢١٦/٢.

[٤] سبق تخريجه.

[٥] أخرجه الطبري(١٤٤٦٢):ص٣٧٧/١٢.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢١٦/٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٢١٦/٢.

[٨]مجموع الفتاوى :١٥/ ٨-٩.

[٩] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.

[١٠] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.

[١١] تفسير الطبري:٣٧٩/١٢.

[١٢] تفسير ابن كثير:٤٠٢/٣.

[١٣]مفتاح دار السعادة:٣٢٧.

[١٤] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.

قال الطبري:" يقول: أتروون على الله أنه أمركم بالتعري والتجرد من الثياب واللباس للطواف، وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك؟"[١].

قال ابن كثير:" أي : أتسندون إلى الله من الأقوال ما لا تعلمون صحته "[٢].

الفوائد:

١- قبح الفواحش وحرمتها.

٢- أن من خصال الجاهلية التعبُّد بما لم يأذن به الله، مثل تعبدهم بكشف العورات، قال تعالى:{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا}.

٣- أن مرتكب الخطيئة لا يرتكبها بأمر الله ولكن بأمر الشيطان.

٤- بطلان الاحتجاج بفعل الناس إذ لا حجة إلا في الوحي الإلهي.

٥- تنزه الرب تعالى عن الرضا بالفواحش فضلاً عن الأمر بها.

٦- ومن الفوائد: ان الله تعالى سمى كشف العورة «فاحشة»، وهي ما تناهى قبحه، بخلاف ما جرى عليه العصرانيون اليوم يسمون كشف العورة «تَمَدُّنًا» و«حضرية» ونحو ذلك.

القرآن

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)} [الأعراف : ٢٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

قوله تعالى:{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل"[٣].

قال ابن كثير:" أي : بالعدل والاستقامة"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: {قل}، يا محمد، لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله: ما أمر ربي بما تقولون، بل {أمر ربي بالقسط}، يعني: بالعدل"[٥].

قال مجاهد[٦]، والسدي[٧]:" والقسط: العدل"

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد"[٨].

قال ابن كثير:" أي : أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها ، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى وما جاءوا به عنه من الشرائع ، وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة ، وأن يكون خالصًا من الشرك"[٩].

---

[١] تفسير الطبري:٣٧٩/١٢.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٠٢/٣.

[٣] التفسير الميسر:١٥٣.

[٤] تفسير ابن كثير:٤٠٢/٣.

[٥] تفسير الطبري:٣٧٩/١٢.

[٦] أخرجه الطبري(١٤٤٦٩):ص٣٧٩/١٢-٣٨٠.

[٧] أخرجه الطبري(١٤٤٧٠):ص٣٨٠/١٢.

[٨] التفسير الميسر:١٥٣.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٠٣/٣.

وفي قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٢٩]، أربعة تأويلات:
أحدها : معناه: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله مجاهد[١]، والسدي[٢]، وابن زيد[٣].
والثاني : معناه: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون ما سواه من الأوثان والأصنام ، قاله الربيع بن أنس[٤].
والثالث : معناه: اقصدوا المسجد في وقت كل صلاة ، أمراً بالجماعة لها ، ندباً عند الأكثرين ، وحتماً عن الأقلين[٥].
والرابع : أن أي موضع أدركت فيه وقت الصلاة فصل فيه فإنه مسجد ولا تؤخرها إلى حضور المسجد[٦].

قال الطبري: والراجح، "ما قاله الربيع: وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا، لا مكاء ولا تصدية، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب، لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين. فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعة:وجه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة"[٧].

قوله تعالى:{وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" واعبدوه مخلصين له العبادة والطاعة"[٨].

قال الربيع:" أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام"[٩].

قال الطبري: " يقول: واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها ، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى وما جاءوا به عنه من الشرائع ، وبالإخلاص له في عبادته ، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين : أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة ، وأن يكون خالصًا من الشرك"[١١].

قال ابن القيم: " أخبر أنه يتعالى عن الأمر بالفحشاء. بل أوامره كله حسنة في العقول، مقبولة في الفطر، فإنه أمر بالقسط لا بالجور، وبإقامة الوجوه له عند مساجده لا لغيره، وبدعوته وحده مخلصين له الدين لا بالشرك. فهذا هو الذي يأمر به تعالى لا بالفحشاء.
أفلا تراه كيف يخبر بحسن ما يأمر به ويحسنه وينزه نفسه عن الأمر بضده وأنه لا يليق به تعالى"[١٢].

قوله تعالى:{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى"[١٣].

وفي قوله تعالى:{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف : ٢٩]، أربعة وجوه:

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧١):٣٨٠/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٣):٣٨٠/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٥):٣٨٠/١٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٦):٣٨١/١٢.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٨١/١٢.
[٨] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٤٧٧):ص٣٨١/١٢.
[١٠] تفسير الطبري:٣٨١/١٢.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٠٣/٣.
[١٢]مفتاح دار السعادة:٣٢٧.
[١٣] التفسير الميسر:١٥٣.

أحدها : كما بدأكم شقياً وسعيداً ، كذلك تبعثون يوم القيامة ، قاله ابن عباس[1]، وهو معنى قول جابر[2]، ومجاهد[3]، وسعيد بن جبير[4]، وأبي العالية[5]، والسدي[6]، ومحمد بن كعب[7].

قال ابن كثير:" ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: «فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخل الجنة»[8]"[9].

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : "إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل الجنة ، وإنه من أهل النار. وإنه ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم"[10].

ثم قال ابن كثير:" ولا بد من الجمع بين هذا القول - إن كان هو المراد من الآية - وبين قوله تعالى : { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } [الروم : ٣٠] وما جاء في الصحيحين ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يُهَوِّدانه ويُنَصِّرانه ويُمَجِّسانه»[11].

وفي صحيح مسلم ، عن عِياض بن حمَار قال : قال رسول الله ﷺ : «يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حُنَفَاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[12] الحديث.

ووجه الجمع على هذا أنه تعالى خلقهم ليكون منهم مؤمن وكافر ، في ثاني الحال ، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده ، والعلم بأنه لا إله غيره ، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق ، وجعله في غرائزهم وفطرهم ، ومع هذا قدر أن منهم شقيًا ومنهم سعيدًا : { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ } [التغابن : ٢] وفي الحديث : «كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمُعْتِقُهَا ، أو مُوبِقها»[13] وقدر الله نافذ في بريته ، فإنه هو { الَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } [الأعلى : ٣] و { الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } [طه : ٥٠].

وفي الصحيحين : "فأما من كان منكم من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة»[14]"[15].

الثاني : معناه: كما بدأكم فآمن بعضكم وكفر بعضكم ، كذلك تبعثون يوم القيامة[1].

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٨):ص٣٨٢/١٢.
[2] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٠):ص٣٨٢/١٢.
[3] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٤)، و(١٤٤٨٥):ص٣٨٣/١٢.
[4] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٦):ص٣٨٣/١٢.
[5] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨١)، و(١٤٤٨٢):ص٣٨٢/١٢-٣٨٣.
[6] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٨):ص٣٨٤/١٢.
[7] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٣):ص٣٨٣/١٢.
[8]صحيح البخاري برقم (٣٢٠٨).
[9]تفسير ابن كثير:٤٠٤/٣.
[10]رواه البغوي في تفسيره (٢٢٤/٣) من طريق عبد الرحمن بن أبي شريح ، عن أبي القاسم البغوي به.
[11]صحيح البخاري برقم (١٣٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).
[12]أخرجه أحمد (١٦٢/٤ رقم ١٧٥١٩) ومسلم (٢١٩٧/٤ رقم ٢٨٦٥) وأخرجه أيضا: الطبرانى (٣٥٨/١٧ رقم ٩٨٧) .
ومن غريب الحديث: "فاجتالتهم": أى أضلتهم. "يثلغوا": أى يكسروا. "زبر": أى عقل.
[13] قطعة من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.
[14]متفق عليه، أخرجه: البخاري في الصحيح ٣/ ٢٢٥، كتاب الجنائز (٢٣)، باب موعظة المحدِّث عند القبر، وقعود أصحابه حوله (٨٢)، الحديث (١٣٦٢)، وفي ٨/ ٧٠٨ - ٧٠٩، كتاب التفسير (٦٥)، تفسير سورة {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}، الأحاديث (٤٩٤٥ - ٤٩٤٩). ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٣٩، كتاب القدر (٤٦)، باب كيفية الخلق الآدمي. . . (١)، الحديث (٦/ ٢٦٤٧)..
[15] تفسير ابن كثير:٤/٣-٤٠٤-٤٠٥.

روى أبو سفيان عن جابر عن النبي -ﷺ- قال : "تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ"[٢].
والثالث : كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء ، قاله الحسن[٣]، وابن زيد[٤]، وهو مروي عن ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧] ايضا.
والرابع : كما بدأكم لا تملكون شيئاً ، كذلك تبعثون يوم القيامة[٨].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، القول الذي قاله من قال: معناه: كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيئا، تعودون بعد فنائكم خلقا مثله، يحشركم إلى يوم القيامة، لأن الله تعالى ذكره: أمر نبيه ﷺ أن يعلم بما في هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية، لا يؤمنون بالمعاد، ولا يصدقون بالقيامة. فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة، ومثيب من أطاعه، ومعاقب من عصاه. فقال له: قل لهم: أمر ربي بالقسط، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وأن ادعوه مخلصين له الدين، وأن أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر"وأن أقروا بأن". كما ترك ذكر«أن» مع«أقيموا»، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات، إلى الإقرار بالصفة التي عليها ينشر من نشر، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدقا، فأما من كان له جاحدا، فإنما يدعى إلى الإقرار به، ثم يعرف كيف شرائط البعث، على أن في الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ « يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. ثم قرأ: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ، [سورة الأنبياء: ١٠٤]»[٩]... ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك، من أن معناه: أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقا أحياء، كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء"[١٠].

وفي رواية أخرى عن النبي-ﷺ-:" ..ويجاء بكم عراة حفاة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أكسى على أثره فأقوم عن يمين الله مقاما لا يقومه غيرى يغبطنى فيه الأولون والآخرون ويشق لى نهر من الكوثر إلى حوضى يجرى فى حال من المسك ورضراض نباته قضبان الذهب ثمارها اللؤلؤ والجوهر شرابه أشد بياضا من اللبان وأحلى من العسل من سقاه الله منه شربة لم يظمأ بعدها ومن حرمه لم يرو بعدها"[١١].

الفوائد:

١- وجوب العدل في القول وفي الحكم.
٢- أن الله تعالى أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته.

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٤٨٩):ص٣٨٤/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٤):ص٣٨٥/١٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٩):ص٣٨٥/١٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٧):ص٣٨٥/١٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٨):ص٣٨٥/١٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٦):ص٣٨٥/١٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٥٠٠):ص٣٨٦/١٢.
[١٠] تفسير الطبري:٣٨٦/١٢-٣٨٧.
[١١]أخرجه أحمد (٣٩٨/١، رقم ٣٧٨٧) ، وابن جرير فى التفسير (١٤٦/١٥) ، والحاكم (٣٩٦/٢، رقم ٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضا: البزار (٣٣٩/٤، رقم ١٥٣٤) ، والطبرانى (٨٠/١٠، رقم ١٠٠١٧) قال الهيثمى
(٣٦٢/١٠) : فى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف.
ومن غريب الحديث: "غرلا": جمع أغر وهو الذى لم يحقق. "بريطتين": الريطة هى الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة ولم تكن لفقين. "حال": الحال الطين الأسود. "رضراض": هو الحصى الصغار.

٣- أن المساجد وأنها خالصة له، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، وهذه المساجد من شعائر الإسلام، فواجب تعظيمها، ورعاية حرمتها، وعمارتها.
٤- إخلاص الأعمال لله تعالى، وذلك لا يكون إلا بالنية، قال تعالى: وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}.

وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[١].

القرآن

{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠)} [الأعراف : ٣٠]

التفسير:

جعل الله عباده فريقين: فريقًا وفَّقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقًا وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم، إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، فأطاعوهم جهلا منهم وظنًا بأنهم قد سلكوا سبيل الهداية.

قوله تعالى:{فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} [الأعراف : ٣٠]، أي:" جعل الله عباده فريقين: فريقًا وفَّقهم للهداية إلى الصراط المستقيم، وفريقًا وجبت عليهم الضلالة عن الطريق المستقيم

قال الطبري:أي:" كما بدأكم في الدنيا صنفين: كافرا، ومؤمنا، كذلك تعودون في الآخرة فريقين: فريقا هدى، وفريقا حق عليهم الضلالة"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأعراف : ٣٠]، أي:" اتخذوا الشياطين نصراء من دون الله"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة، إنما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله، وظهراء"[٤].

قال الصابوني:" هذا تعليل للفريق الذين حقت عليهم الضلالة"[٥].

قوله تعالى:{وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأعراف : ٣٠]، أي:" يظنون أنهم على بصيرة وهداية"[٦].

قال الطبري:يقول" فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق، وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، فيركبها عنادا منه لربه فيها. لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضل وهو يحسب أنه هاد. وفريق الهدى، فرق. وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية"[٧].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن أكساب العباد مخلوقة لله تعالى ، وفيه الرد على القدرية، القائلين بأن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم.

---

[١] رواه البخاري ورقمه (١) ومسلم ورقمه (١٩٠٧).
[٢] تفسير الطبري:٣٨٨/١٢.
[٣] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.
[٤] تفسير الطبري:٣٨٨/١٢.
[٥] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.
[٦] صفوة التفاسير:٤٠٩/١.
[٧] تفسير الطبري:٣٨٨/١٢.

قال تعالى:{ {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ }، فإن الله جعلهم فريقين، ففريقاً هداه الله وفريقاً أضله، فالله هو الهادي والمضل.

قال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة: "ويقولون: إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عز وجل، وإن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عز وجل ولا عذر، كما قال الله عز وجل: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام:١٤٩] ، وقال: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ} [الأعراف:٢٩-٣٠] ، وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ} [الأعراف:١٧٩] ، وقال: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد:٢٢] ، ومعنى {نبرأها} : نخلقها. بلا خلاف في اللغة، وقال مخبراً عن أهل الجنة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف:٤٣] ، وقال: {لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد:٣١] ، وقال: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [هود:١١٨-١١٩] .

ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله عز وجل أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وإنهم فقراء إلى الله عز وجل لا غنى لهم عنه في كل وقت"[1].

٢- ومن فوائد الآية إثبات الولاية الدنيوية الناقصة بين الكفار والشياطين، إذ أثبتها الله تعالى بينهم على معنى الذم لهم، فقال: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}، وقال: {إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: ٢٧]، وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال: ٧٣].

وهذا الضرب من الولاية موالاة دنيوية غير خالصة ولا نافعة في الأخرى؛ لقوله تعالى في أهلها: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر: ١٤]، {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ} [الحشر: ١٦]، {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا} [الدخان: ٤١].

٣- ومنها: أنه تعالى جعل بين الكافرين والشياطين موالاة في الدنيا، ونفى بينهم الموالاة في الآخرة قال سبحانه في الموالاة بينهم في الدنيا: { إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ }، ولما جعل بينهم وبين الشيطان موالاة، جعل للشيطان في الدنيا عليهم سلطانا، ومن نفي الموالاة بينهم في الآخرة قوله سبحانه: {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [الدخان : ٤١].

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الأعراف : ٣١]

التفسير:

يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك.

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: «من يعيرُني تِطْوافًا؟»، تجعله على فرجها، وتقول:

---

[1] إعتقاد أهل السنة، ابن جبرين:الدرس:٢/٧.[مرقم آليا].

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}"[١].[صحيح]

وفي السياق نفسه أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: قوله: "{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد"[٢].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:" كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة بالليل، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا"[٣].

وفي السياق نفسه قال قتادة:" : كان حي من أهل اليمن ، كان أحدهم إذا قدم حاجًّا أو معتمرًا يقول : لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنِسْتُ فيه، فيقول : من يعيرني مئزرًا ؟ فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عريانًا ، فأنزل الله فيه ما تسمعون : (خذوا زينتكم عند كل مسجد}"[٤].

وروي عن الزهري : أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْس ، قريش وأحلافهم. فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه. فإن لم يجد من يعيره من الحمس ، فإنه يلقي ثيابه ويطوف عريانًا. وإن طاف في ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يحرِّمها ، فيجعلها حرامًا عليه. فلذلك قال الله : {خذوا زينتكم عند كل مسجد}"[٥].

وعن ابن زيد في قوله : "{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[٦]، قال كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها. فإن وجدوا مَنْ يُعيرهم ثيابًا ، وإلا طافوا بالبيت عراة. فقال : {من حرم زينة الله} ، قال : ثياب الله التي أخرج لعباده ، الآية"[٧].

والثاني: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: "كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى لا يصلح لأحد منهم في دينهم الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فأيهم طاف ألقاهما حتى يقضي طوافه وكان أتقى، فأنزل الله تعالى فيهم: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[٨]، أنزلت في شأن الذين يطوفون بالبيت عراة"[٩].[مرسل]

والثالث: قال الكلبي:"كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى: {وَكُلُوا}، أي: اللحم والدسم، {وَاشْرَبُوا}"[١٠].

قال ابن قتيبة:" كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة بالنهار والنساء منهم بالليل إلا الحمس-وهم قريش ومن دان بدينهم- ولا يأكلون من الطعام إلا اليسير إعظاما لحجهم. فأنزل الله هذه الآية"[١].

---

(١)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢٣٢٠ رقم ٣٠٢٨)، واستدركه الحاكم (٢/ ٣١٩، ٣٢٠) على الشيخين ووافقه الذهبي، وقد وهما في ذلك؛ فهو في مسلم كما ترى. وأخرجه الطبري(١٤٥٠٣):ص٣٨٩/١٢، و(١٤٥٠٦):ص٣٩١/١٢، وابن ابي حاتم(٨٣٧٥):ص١٤٦٤/٥، والواحدي في اسباب النزول:٣٢٥، وفي آخرها:" فأمروا بلبس الثياب"، كما أخرج الواحدي في رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:" كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله......... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وَنَزَلَتْ: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ} الْآيَتَانِ". [أسباب النزول:٢٢٥-٢٢٦].

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٨٣٧٧):ص١٤٦٤/٥، وانظر: الدر المنثور: ٣/ ٤٣٩.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٧٦):ص١٤٦٤/٥. وقال:" وروي عن عطاء بن أبي رباح نحو ذلك".

(٤) أخرجه الطبري(١٤٥٢٢):ص٣٩٣/١٢.

(٥) أخرجه الطبري(١٤٥٢٤):ص٣٩٤/١٢.

(٦) [الأعراف:٣٢].

(٧) أخرجه الطبري(١٤٥٢٨):ص٣٩٤/١٢.

(٨) [الأعراف:٣٢].

(٩) أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٢٦، و إسناده لا بأس به، وهو مرسل.

(١٠) أسباب النزول:٢٢٦.

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٣١]، أي:" يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك"[٢].

قال الصابوني:" أي: البسوا أفخر ثيابكم وأطهرها عند كل صلاة أو طواف"[٣].

قال الزمخشري: أى: ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم أو طفتم، وكانوا يطوفون عراة. وعن طاوس، لم يأمرهم بالحرير والديباج، وإنما كان أحدكم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت عنه، لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها: وقيل: تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب"[٤].

وفي قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٣١]، أربعة أقوال:

أحدها : أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره ، قاله ابن عباس[٥]، والحسن[٦]، ومجاهد[٧]، والضحاك[٨]، وعطاء[٩]، وقتادة[١٠]، وسعيد بن جبير[١١]، وإبراهيم[١٢]، وابن زيد[١٣]، والزهري[١٤]، وطاوس[١٥].

والثاني : أنه وارد في ستر العورة في الصلاة ، قاله مجاهد أيضا[١٦]، به قال الزجاج[١٧].

وقال السدي:" ما يواري العورة عند كل مسجد"[١٨].

قال الزجاج:" هذا أمر بالاستتار في الصلوات، وكان أهل الجاهلية يطوفون عراة. ويقولون: لا نطوف حول البيت في ثياب قد أذنبنا فيها، وكانت المرأة تطوف عريانة أيضا إلا أنها كانت تشد في حقويها أشياء من سيور مقطعة، تسمي العرب ذلك الرهط، قالت امرأة تطوف وعليها رهط:

اليوم يبدو بعضه أوكله   فما بدا منه فلا أحله

تعني: الفرج، لأن السيور لا تستر سترا تاما.

فأمر الله بعد ذكره عقوبة آدم وحواء في أن بدت لهما سوءاتهما بالاستتار في وقت كل صلاة، بعد أن أعلم أن التعري وظهور السوءة مكروه من لدن آدم"[١٩].

والثالث : أنه وارد في التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد[٢٠].

والرابع : أنه أراد به المشط لتسريح اللحية، وأن الزينة: المشط. قاله ابن قتيبة[١].

---

(١) غريب القرآن:١٦٧.

(٢) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣) صفوة التفاسير:٤١١/١-٤١٢.

(٤) الكشاف:١٠٠/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٠٣):ص٣٨٩/١٢، و(١٤٥٠٦):ص٣٩١/١٢.

(٦) انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٦):ص٣٩٢/١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٦):ص٣٩٣/١٢-٢٩٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٠٩)-(١٤٥١١):ص٣٩١/١٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٢):ص٣٩٣/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٨)، و(١٤٥٢١):ص٣٩٢/١٢، ٣٩٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٢)، و(١٤٥١٣):ص٣٩١/١٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٧):ص٣٩٤/١٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٤):ص٣٩٣/١٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٩)، و(١٤٥٢٠):ص٣٩٢/١٢.

(١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٤)، و(١٤٥١٥):ص٣٩٢/١٢.

(١٧) انظر: معاني القرآن:٣٣٢/٢.

(١٨) أخرجه الطبري(١٤٥٢٣):ص٣٩٣/١٢.

(١٩) معاني القرآن:٣٣٢/٢.

(٢٠) انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.

قوله تعالى:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} [الأعراف : ٣١]، أي:" وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك"[٢].

قال الماوردي:" يعني: ما أحله الله لكم، ويحتمل أن يكون هذا أمر بالتوسع في الأعياد"[٣].

قال مجاهد:" أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله[٤].

قال ابن عباس:" : أحل الله الأكل والشرب ، ما لم يكن سَرَفًا[٥] أو مَخِيلة"[٦].

وروي عن النبي ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة»[٧].

قال الزجاج:" قوله بعقب الاستتار:{وكلوا واشربوا}، لأنهم ادعوا أن الله جل ثناؤه قد حرم عليهم شيئا مما في بطون الأنعام، وحرم عليهم البحيرة والسائبة، وكانوا يزعمون فيما يأتون من الفحشاء كالتعري وما أشبهه - أن الله جل ثناؤه - أمرهم بذلك فأمرهم الله بالاستتار، وأن يأكلوا - ما زعموا أن الله عز وجل حرمه مما لم يحرمه، وأن يشربوا مما زعموا أن الله - جل وعز - حرم عليهم شربه، لأن ألبان البحيرة والسائبة كانت عندهم حراما"[٨].

وفي قوله تعالى:{ وَلَا تُسْرِفُوا} [الأعراف : ٣١]، أقوال:

أحدها : لا تسرفوا في التحريم ، قاله السدي[٩].

والثاني : معناه: لا تأكلوا حراماً فإنه إسراف ، قاله ابن زيد[١٠].

والثالث :معناه: لا تسرفوا في الطعام والشراب. والسرف: هو مجاوزة الحد. وهذا معنى قول ابن عباس[١١].

وقد جاء في الحديث : «أَصْلُ كُلِّ دَاءٍ البردة»[١٢]، يعني: التخمة[١٣].

والخامس: معناه: لا تسرفوا في الإنفاق . أفاده الماوردي[١٤].

---

(١) انظر: غريب القرآن:٥.

(٢) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣) النكت والعيون:٢١٨/٢.

(٤) أخرجه الطبري(١٤٥٣٣):ص٣٩٥/١٢.

(٥) السرف: (بفتحتين) : وهو الإسراف ، ومجاوزة القصد . و «المخيلة»- بفتح الميم وكسر الخاء-: الاختيال والكبر ، وحديث ابن عباس المعروف : « كل ماشئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خلتان : سرف ومخيلة» ، رواه البخاري١٤٠/٧.

(٦) أخرجه الطبري(١٤٥٢٩):ص٣٩٤/١٢.

(٧) صحيح البخاري:١٤٠/٧. "مخيلة": من الخيلاء وهو التكبر. "إسراف": هو تجاوز الحد في كل فعل أو قول واستعماله في الإنفاق أشهر من غيره وهو فيه الإنفاق زائدا عما ينبغي ويليق.

(٨) معاني القرآن:٣٣٢/٢-٣٣٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣١):ص٣٠٤/١٢-٣٩٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٣):ص٣٩٥/١٢.

(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٠)، و(١٤٥٢٩):ص٣٩٤/١٢.

(١٢) أخرجه (الدارقطنى فى العلل عن أنس. ابن السنى، وأبو نعيم معا فى الطب عن على. ابن السنى، وأبو نعيم، وتمام، وابن عساكر عن أبى سعيد. العقيلى وقال منكر عن أبى الدرداء)

حديث أنس: أخرجه أيضا: الديلمى (٤١٩/١، رقم ١٦٩٨) وأورده ابن حبان فى الضعفاء (٢٠٤/١، ترجمة ١٦١) وابن عدى (٨٣/٢، ترجمة ٣٠٤) كلاهما فى ترجمة تمام بن نجيح الأسدى الدمشقى. قال ابن حبان: منكر الحديث جدا، يروى أشياء موضوعة عن الثقات كأنه المتعمد لها. وابن الجوزى فى العلل المتناهية من طريق الدارقطنى (٦٦٧/٢، رقم ١١١٠) .

حديث على: قال الغمارى فى المداوى (٥٨١/١، ٥٨٢) : عزا المصنف الحديث إلى ابن السنى وأبى نعيم فى الطب، فهذا وهم من المصنف فإن الحديث لابن عباس لا لعلى.

حكم الألباني: ضعيف جدا. انظر: ضعيف الجامع(٨٩٣)

(١٣)البردة: هي التخمة وثقل الطعام على المعدة سميت بذلك لأنها تبرد المعدة فلا تستمرئ الطعام. النهاية ١١٥/١ ب.

(١٤) انظر: النكت والعيون:٢١٨/٢.

قال الزجاج:" «الإسراف»: أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله تعالى أن يؤكل شيء منه، أو تأكل مما أحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم الله عز وجل أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحببه الله عز وجل فهو في النار"[1].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف : ٣١]، أي:" إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك"[2].

ويحتمل قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف : ٣١]، وجهين[3]:

أحدهما : لا يحب أفعالهم في السرف .

والثاني : لا يحبهم في أنفسهم لأجل السرف .

الفوائد:

١- وجوب ستر العورة في الصلاة.
٢- حرمة الإسراف في الأكل والشرب وفي كل شيء.
٣- ومن الفوائد: إثبات محبة الله - أي أن الله يحب -؛ لقوله تعالى: {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}؛ وجه الدلالة: أنه لو كان لا يحب أبدا ما صح أن ينفي محبته عن المسرفين فقط؛ فما انتفت محبته عن هؤلاء إلا وهي ثابتة في حق غيرهم.

القرآن

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)} [الأعراف : ٣٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجهلة من المشركين: مَن الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟ قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة. مثل ذلك التفصيل يفصّل الله الآيات لقوم يعلمون ما يبيِّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجهلة من المشركين: مَن الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت، ويحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق: من حرم، أيها القوم، عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها"[5].

قال ابن كثير:" يقول تعالى ردًا على من حَرَّم شيئًا من المآكل أو المشارب ، والملابس ، من تلقاء نفسه ، من غير شرع من الله : { قُلْ } يا محمد ، لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما يحرمون بآرائهم الفاسدة وابتداعهم : { مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ}"[6].

قوله تعالى:{وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟"[7].

وفي قوله تعالى: {وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف : ٣٢]، قولان:

---

(١) معاني القرآن:٣٣٣/٢.

(٢) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣) انظر: النكت والعيون:٢١٨/٢.

(٤) التفسير الميسر:١٥٤.

(٥) تفسير الطبري:٣٩٥/١٢.

(٦) تفسير ابن كثير:٤٠٨/٣.

(٧) التفسير الميسر:١٥٤.

أحدهما : أنهم كانوا يحرمون في الإحرام أكل اللحم والسمن واللبن ، قاله ابن زيد[١]، والسدي[٢].
والثاني : أنها البحَيْرَةُ والسائبة التي حرموها على أنفسهم ، قاله ابن عباس[٣]، والحسن[٤]، وقتادة[٥].

قوله تعالى:{قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة"[٦].

قال الزمخشري:أي:" غير خالصة لهم، لأن المشركين شركاؤهم فيها خالصة لهم يوم القيامة لا يشركهم فيها أحد"[٧].

قال ابن كثير:" أي : هي مخلوقة لمن آمن بالله وعبده في الحياة الدنيا ، وإن شركهم فيها الكفار حسًا في الدنيا ، فهي لهم خاصة يوم القيامة ، لا يَشْرَكهم فيها أحد من الكفار ، فإن الجنة محرّمة على الكافرين "[٨].

قال الحسن:" هي للمؤمنين خالصة في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار، فأما في الدنيا فقد شاركوهم"[٩].

قال ابن عباس:" يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا، وليس للمشركين منها شيء"[١٠].

قال عكرمة:" الزينة تخلص يوم القيامة لمن آمن اليوم في الدنيا"[١١].

عن الضحاك، في قوله:"{قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة}، قال: اليهود والنصارى يشاركونهم في هذه الدنيا، وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة"[١٢].

قال قتادة:" من عجل الإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة، ومن ترك الإيمان في الدنيا نزع الله منه كرامة الآخرة ثم لقي الله لا عذر له"[١٣].

وقرئ: «خالصة»، بالنصب على الحال، وبالرفع على أنها خبر بعد خبر[١٤].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" مثل ذلك التفصيل يفصِّل الله الآيات لقوم يعلمون ما يبيّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم"[١٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كما بينت لكم الواجب عليكم في اللباس والزينة، والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها، وميزت بين ذلك لكم، أيها الناس، كذلك أبين جميع أدلتي وحججي، وأعلام حلالي وحرامي وأحكامي، لقوم يعلمون ما يبين لهم، ويفقهون ما يميز لهم"[١٦].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٦):ص٣٩٦/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٤):ص٣٩٦/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٩):ص٣٩٨/١٢.
[٤] انظر: النكت والعيون:٢١٩/٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٨):ص٣٩٨/١٢.
(٦) التفسير الميسر:١٥٤.
[٧] الكشاف:١٠١/٢.
[٨] تفسير ابن كثير:٤٠٨/٣.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٣):ص١٤٦٨/٥.
[١٠] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٤):ص١٤٦٨/٥.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٥):ص١٤٦٩/٥.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠١):ص١٤٦٨/٥.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٢):ص١٤٦٨/٥.
[١٤] انظر: الكشاف:١٠١/٢.
(١٥) التفسير الميسر:١٥٤.
[١٦] تفسير الطبري:٤٠٢/١٢.

عن قتادة: "قوله:{كذلك نفصل الآيات}، نبين الآيات"[١].
قال سعيد بن جبير:" كذلك يعني: هكذا"[٢].
الفوائد:
١- الإنكار الشديد على من يحرم ما أحل الله من الطيبات كبعض المتنطعين١.
٢- المستلذات من الطعام والشراب والمزينات من الثياب وغيرها المؤمنون أولى بها من غيرهم لأنهم يحسنون العمل، ويبذلون الجهد لاستخراجها والانتفاع بها. بخلاف أهل الجهالات فإنهم عمي لا يبصرون ومقعدون لا يتحركون. وإن قيل العكس هو الصحيح فإن أمم الكفر وأوربا وأمريكا هي التي تقدمت صناعيا وتمتعت بما يتمتع به المؤمنون؟ فالجواب: أن المؤمنين صرفوا عن العلم والعمل وأقعدوا عن الإنتاج والاختراع بإفساد أعدائهم لهم عقولهم وعقائدهم، فعوقوهم عن العمل مكرا بهم وخداعا لهم. والدليل أن المؤمنين لما كانوا كاملين في إيمانهم كانوا أرقى الأمم وأكملها حضارة وطهارة وقوة وإنتاجا مع أن الآية تقول { ... لقوم يعلمون} فإذا حل الجهل محل العلم فلا إنتاج ولا اختراع ولا حضارة.

القرآن
{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)} [الأعراف : ٣٣]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما حَرَّم الله القبائح من الأعمال، ما كان منها ظاهرًا، وما كان خفيًّا، وحَرَّم المعاصي كلها، ومِن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك مجانب للحق، وحرَّم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنَزِّل به دليلا وبرهانًا، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرَّم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرعه افتراءً وكذبًا، كدعوى أن لله ولدًا، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمآكل.
قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف : ٣٣]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما حَرَّم الله القبائح من الأعمال، ما كان منها ظاهرًا، وما كان خفيًّا"[٣].
قال الطبري:" ي يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل، يا محمد، لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت، ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه: أيها القوم، إن الله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيبه لهم، وإنما حرم ربي القبائح من الأشياء وهي{الفواحش} ، {ما ظهر منها}، فكان علانية، {وما بطن}، منها فكان سرا في خفاء"[٤].
وفي قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف : ٣٣]، وجوه[٥]:
أحدها : أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة[٦]، واختاره الطبري"[٧].
والثاني : أن الفواحش : الزنى خاصة، {ما ظهر منها} : ذوات الحوانيت ، {وما بطن}: ذوات الاستسرار ، قاله ابن عباس[٨]، والحسن[١]، والضحاك[٢]، والسدي[٣].

---
[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٧):ص١٤٦٩/٥.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٦):ص١٤٦٩/٥.
(٣) التفسير الميسر:١٥٤.
[٤] تفسير الطبري:٤٠٢/١٢.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٣):ص٢١٩/١٢.
[٧] تفسير الطبري:٢١٨/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٢):ص٢١٩/١٢.

والثالث: أن الفواحش : الزنى خاصة، {ما ظهر}، جمعٌ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى. قاله مجاهد[٤].
وروي عن علي بن حسين:، قال:"{ما بطن}: نكاح امرأة الأب"[٥].
والرابع: {ما ظهر منها}،: نكاح الأمهات والبنات. وما بطن: الزنا. وهو مروي عن ابن عباس -أيضا-[٦]. وروي عن عن سعيد بن جبير [٧]، نحو ذلك في تفسيره:{ماظهر منها}.
والخامس : أن {ما ظهر منها} :الخمر ، {وما بطن}: الزنى ، وهو مروي الضحاك-أيضا[٨].
والسادس: ما ظهر منها:الظلم، يعني: ظلم الناس، {وما بطن} من الفواحش: الزنا والسرقة. وهذا قول عكرمة[٩].
والسابع: {ما ظهر منها}: العري، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، {وما بطن}، الزنى . وهذا قول مجاهد[١٠]، والزهري[١١].
والثامن: أن {ما ظهر منها} أفعال الجوارح ، {وما بطن} منها اعتقاد القلوب. وهذا قول سهل التستري[١٢]، وذكره الماوردي[١٣].
قوله تعالى:{ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ٣٣]، أي:" وحَرَّم المعاصي كلها، والاعتداء على الناس"[١٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إنما حرم ربي الفواحش مع الإثم والبغي على الناس"[١٥].
قال الشوكاني:" {والبغي بغير الحق}، أي: الظلم المجاوز للحد، وأفرده بالذكر بعد دخوله فيما قبله لكونه ذنبا عظيما كقوله: {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل : ٩٠]"[١٦].
وفي قوله تعالى:{ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ٣٣]، وجوه:
أحدها : أن {الإثم}: الخيانة في الأمور ، {والبغي}: التعدي في النفوس .
والثاني : أن {الإثم}: الخمر، قاله الحسن[١٧]، {والبغي} : السكر ، قال الشاعر[١٨]:
شربت الإثم حتى ضَلَّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول
وسمي الخمر بالإثم ، والسكر بالبغي لحدوثه عنهما [١٩].

---

[١] انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤١):ص٢١٩/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٠):ص٢١٨/١٢-٢١٩.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٥):ص٢٢٠/١٢.
[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٣):ص١٤١٧/٥.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٧):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.
[٧] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٦/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٦):ص٢٢٠/١٢.
[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٩):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٤):ص١٤١٧/٥.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥١):ص٤٠٢/١٢-٤٠٣.
[١١] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٧٠):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.
[١٢] انظر: تفسير التستري:٦٣.
[١٣] انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
[١٤] التفسير الميسر:١٥٤.[بتصر بسيط]
[١٥] تفسير الطبري:٤٠٣/١٢.
[١٦] فتح القدير:٢٢٩/٢.
[١٧] انظر: الكشف والبيان:٢٣١/٤.
[١٨]بلا نسبة في لسان العرب (٦/ ١٢) "إثم"، وتهذيب اللغة (١٥/ ١٦١)، وتاج العروس "إثم"، وفي البحر (٢/ ١٥٧)، والدر المصون (١/ ٤٧٩) وغيرهم.
[١٩] انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٢.

والثالث:أن {الإثم}: المعصية ، {والبغي}: الاستطالة على الناس. وهذا قول مجاهد[١]، والسدي[٢]، واختيار الطبري[٣].

قال ابن كثير:" وحاصل ما فُسّر به «الإثم» أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه ، و«البغي» هو التعدي إلى الناس ، فحرم الله هذا وهذا"[٤].

قوله تعالى:{وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا} [الأعراف : ٣٣]، أي:" وحرَّم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنَزِّل به دليلا وبرهانًا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : تجعلوا له شريكا في عبادته[٦].

قال الشوكاني:" أي: وأن تجعلوا الله شريكا لم ينزل عليكم به حجة. والمراد التهكم بالمشركين، لأن الله لا ينزل برهانا بأن يكون غيره شريكا له"[٧].

قوله تعالى:{وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٣]، أي:" وحرَّم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرعه افتراءً وكذبًا"[٨].

قال ابن كثير:" أي : وأن تقولوا عليه من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولدًا ونحو ذلك ، مما لا علم لكم به"[٩].

قال البغوي:أي:" في تحريم الحرث والأنعام [والألبان والثياب]، في قول مقاتل[١٠]. وقال غيره: هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين"[١١].

قال الشوكاني:"هذا مثل ما كانوا ينسبون إلى الله سبحانه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها"[١٢].

الفوائد:

١- بيان أصول المفاسد وهي الفواحش وما ذكر بعدها إلى {.....وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} .

٢- ذكرت هذه المفاسد بطريق التدلي آخرها أخطرها وهكذا أخفها أولها.

٣- ومن الفوائد: تحريم الفتوى بلا علم؛ فإن المفتي يقول على الله، ويعبر عن شرع الله؛ قال تعالى: { وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [الأعراف: ٣٣].

والقول على الله سبحانه وتعالى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: أن يقول على الله ما يعلم أن الله قاله؛ هذا جائز؛ ويصل إلى حد الوجوب إذا دعت الحاجة إليه.
- القسم الثاني: أن يقول على الله ما يعلم أن الله قال خلافه؛ فهذا حرام؛ وهذا أشد الأقسام لما فيه من محادة الله.
- القسم الثالث: أن يقول على الله ما لا يعلم أن الله قاله؛ وهذا حرام أيضا.

فصار القول على الله حراما في حالين؛ إحداهما: أن يقول على الله ما لا يعلم أن الله قاله، أم لم يقله؛ والثانية: أن يقول على الله ما يعلم أن الله قال خلافه.

القرآن

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٣):ص٤٠٣/١٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٢):ص٤٠٣/١٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري:٤٠٣/١٢.

[٤] تفسير ابن كثير:٤٠٩/٣.

(٥) التفسير الميسر:١٥٤.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٠٩/٣.

[٧] فتح القدير:٢٢٩/٢.

(٨) التفسير الميسر:١٥٤.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٠٩/٣.

[١٠] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣٤/٢.

[١١] تفسير البغوي:٢٢٦/٣.

[١٢] فتح القدير:٢٢٩/٢.

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)} [الأعراف : ٣٤]

التفسير:

ولكل جماعة اجتمعت على الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وقت لحلول العقوبة بهم، فإذا جاء الوقت الذي وقَّته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه.

قوله تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ} [الأعراف : ٣٤]، أي:" لكل أمة كذبت رسلها مدة مضروبة لهلاكها"[١].

قال الطبري:" يقول: ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله، ورد نصائحهم، والشرك بالله، مع متابعة ربهم حججه عليهم وقت لحلول العقوبات بساحتهم، ونزول المثلات بهم على شركهم"[٢].

قال الزمخشري:هذا" وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم"[٣].

قال أبو حيان:"هذا وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم، أي: أجل مؤقت لمجيء العذاب إذا خالفوا أمر ربهم فأنتم أيتها الأمة كذلك"[٤].

قال ابن كثير:{ أُمَّةٍ}: أي:" قرن وجيل"[٥].

قال القرطبي:"{ أَجَلٌ}، أي: وقت مؤقت"[٦].

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، أي:" فإذا جاء الوقت الذي وقَّته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه"[٧].

قال الطبري:" يقول: فإذا جاء الوقت الذي وقته الله لهلاكهم، وحلول العقاب بهم لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا، ولا يمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم، ساعة من ساعات الزمان، ولا يتقدمون بذلك أيضا عن الوقت الذي جعله الله لهم وقتا للهلاك"[٨].

قال ابن كثير:{أَجَلُهُمْ}" أي : ميقاتهم المقدر لهم"[٩].

قال الزمخشري:" وقال {ساعة}، لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس. يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة، يريد أقصر وقت وأقربه"[١٠].

قال القرطبي: {أَجَلُهُمْ}" أي: الوقت المعلوم عند الله عز وجل،لا يستأخرون عنه ساعة ولا أقل من ساعة، إلا أن الساعة خصت بالذكر لأنها أقل أسماء الأوقات، وهي ظرف زمان. ولا يستقدمون فدل بهذا على أن المقتول إنما يقتل بأجله. وأجل الموت هو وقت الموت، كما أن أجل الدين هو وقت حلوله. وكل شي وقت به شي فهو أجل له. وأجل الإنسان هو الوقت الذي يعلم الله أنه يموت الحي فيه لا محالة وهو وقت لا يجوز تأخير موته عنه، لأمن حيث إنه ليس مقدورا تأخيره. وقال كثير من المعتزلة إلا من شذ منهم: إن المقتول مات بغير أجله الذي ضرب له، وإنه لو لم يقتل لحيي. وهذا غلط، لأن المقتول لم يمت من أجل قتل غيره له، بل من أجل ما فعله الله من إزهاق نفسه عند الضرب له. فإن قيل: فإن مات بأجله فلم تقتلون ضاربه وتقتصون منه؟. قيل له: نقتله لتعديه وتصرفه فيما ليس له أن يتصرف فيه، لا لموته وخروج

---

(١) صفوة التفاسير:٤١٢/١.

(٢) تفسير الطبري:٤٠٥/١٢.

(٣) الكشاف:١٠١/٢.

(٤) البحر المحيط:٤٥/٥.

(٥) تفسير ابن كثير:٤٠٩/٣.

(٦) تفسير القرطبي:٢٠٢/٧.

(٧) التفسير الميسر:١٥٤.

(٨) تفسير الطبري:٤٠٥/١٢.

(٩) تفسير ابن كثير:٤٠٩/٣.

(١٠) الكشاف:١٠١/٢.

الروح إذ ليس ذلك من فعله. ولو ترك الناس والتعدي من غير قصاص لأدى ذلك إلى الفساد ودمار العباد. وهذا واضح "[١].

عن سعيد بن أبي عروبة قال: "كان الحسن يقول: ما أحمق هؤلاء القوم! يقولون: اللهم أطل عمره، والله يقول: {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}"[٢].

وقرئ: «فإذا جاء آجالهم»[٣].

الفوائد:

١- أن للموت أجلا محددا، وأن الله ﷻ أجل لكل مخلوق أجلا، وأن نفسا لن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا، فإذا انقضى الأجل فليس إلا الموت وليس منه فوت، قال الله تعالى: {ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} [الأعراف: ٣٤]، وإن مات أو قتل فقد انتهى أجله المسمى له قال الله تعالى: {قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم} [آل عمران: ١٥٤]، وقال تعالى: {أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} [النساء: ٧٨].

٢- أن أجل الأمم كأجل الأفراد يتم الهلاك عند انتظام المرض كامل الأمة أو أكثر أفرادها كما يهلك الفرد عندما يستشري المرض في كامل جسمه.

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥)} [الأعراف : ٣٥]

التفسير:

يا بني آدم إذا جاءكم رسلي من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤوكم به فأطيعوهم، فإنه من اتقى سخطي وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} [الأعراف : ٣٥]، أي:" يا بني آدم إذا جاءكم رسلي من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤوكم به"[٤].

وقرئ: «تأتينكم»، بالتاء [٥].

قوله تعالى:{فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ} [الأعراف : ٣٥]، أي:" فمن اتقى منكم ربه بفعل الطاعات وترك المحرمات وأصلح عمله"[٦].

قال الطبري: "يقول: فمن آمن منكم بما أتاه به رسلي مما قص عليه من آياتي وصدق، واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله، وأصلح أعماله التي كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصي الله بالتحوب منها "[٧].

فأما «المتقون»: "فهم الذين اتقوا الله في أمره ونهيه وحدوده ، فقاموا بها على ما كلفهم القيام بها خشية منهم له ، ووجلا منهم من عقابه"[٨].

---

(١) تفسير القرطبي:٢٠٢/٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٢٥):ص١٤٧١/٥.
(٣) انظر: الكشاف:١٠١/٢.
(٤) التفسير الميسر:١٥٤.
(٥) انظر: الكشاف:١٠٢/٢.
(٦) انظر: التفسير الميسر:١٥٤، وصفوة التفاسير:٤١٢/١.
(٧) تفسير الطبري:٤٠٦/١٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٦٥/٥.

و«التقوى»: هي القيام بطاعة الله على علم وبصيرة؛ وما أحسن ما قاله بعضهم: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك ما نهى الله على نور من الله تخشى عقاب الله[1].

روي "عن ابن عباس :{المتقين}، أي: الذين يحذرون من الله عقوبته وترك ما يعرفون من الهوى، ويرجون رحمته، بتصديق ما جاء منه"[2].

عن سعيد بن جبير، في قول الله: "{وأصلح}، يعني: العمل"[3].

قوله تعالى:{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف : ٣٥]، أي:" فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا"[4].

قال الطبري: " يقول: فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه = (ولا هم يحزنون) ، على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها، وشهواتهم التي تجنبوها، اتباعا منهم لنهي الله عنها، إذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك"[5].

عن سعيد بن جبير:"{فلا خوف عليهم}، يعني: في الآخرة"[6]، "{ولا هم يحزنون}، يعني: لا يحزنون للموت"[7].

الفوائد:

١- قطع حجة بني آدم بإرسال الرسل إليهم.
٢- أول ما يبدأ به في باب التقوى الشرك بأن يتخلى عنه الإنسان المؤمنين أولا.
٣- الإصلاح يكون بالأعمال الصالحة التي شرعها الله مزكية للنفوس مطهرة لها.
٤- ومنها :أن التقوى تحمل على طاعة الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)} [الأعراف : ٣٦]

التفسير:

والكفار الذين كذَّبوا بالدلائل على توحيد الله، واستعلَوا عن اتباعها، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا} [الأعراف : ٣٦]، أي:" والكفار الذين كذَّبوا بالدلائل على توحيد الله، واستعلَوا عن اتباعها"[8].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وأما من كذب بإيتاء رسلي التي أرسلتها إليه، وجحد توحيدي، وكفر بما جاء به رسلي، واستكبر عن تصديق حججي وأدلتي"[9].

قال ابن عباس:" هم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة"[10].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف : ٣٦]، أي:" أولئك أصحاب النار ماكثين فيها"[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن عثيمين: ١٩٠/٣.

(٢) تفسير ابن ابي حاتم(٢٤٠٦):ص٤٥٥/٢.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٢٩):ص١٤٧٢/٥.

(٤) التفسير الميسر:١٥٤.

(٥) تفسير الطبري:٤٠٦/١٢.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٠):ص١٤٧٢/٥. قال ابن ابي حاتم:" وروي عن مقاتل بن حيان نحو ذلك". انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٧٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣١):ص١٤٧٢/٥.

(٨) التفسير الميسر:١٥٤.

(٩) تفسير الطبري:٤٠٧/١٢.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٢):ص١٤٧٢/٥.

قال الطبري:" يقول: هم في نار جهنم ماكثون، لا يخرجون منها أبدا"[٢].
قال أبو مالك:" فهم أصحاب النار يعذبون فيها"[٣].
قال ابن عطية: " والصحبة الاقتران بالشيء في حالة ما، في زمن ما، فإن كانت الملازمة والخلطة فهو كمال الصحبة، وهكذا هي صحبة أهل النار لها، وبهذا القول ينفك الخلاف في تسمية الصحابة رضي الله عنهم إذ مراتبهم متباينة، أقلها الاقتران في الإسلام والزمن، وأكثرها الخلطة والملازمة"[٤].
قوله تعالى:{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف : ٣٦]، أي:" لا يخرجون منها أبدًا"[٥].
قال الطبري:" يقول: لا يخرجون منها أبدا"[٦].
قال ابن عباس:" أي: خالدا أبدا لا انقطاع له"[٧].
قال سعيد بن جبير:" يعني: لا يموتون"[٨].
قال ابن عثيمين: " أي ماكثون؛ والمراد بذلك المكث، الدائم الأبدي؛ ودليل ذلك ثلاث آيات في كتاب الله؛ آية في النساء، وآية في الأحزاب، وآية في الجن؛ أما آية النساء فقوله تعالى: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا} [النساء: ١٦٨، ١٦٩]؛ وأما آية الأحزاب فقوله تعالى: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا * خالدين فيها أبدا} [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]؛ وأما آية الجن فقوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا} [الجن: ٢٣] "[٩].
وروي عن أنس مرفوعا، أنه قال: "المخلدون في النار في توابيت من حديد مطبقة"[١٠].
الفوائد:
١- أن التكذيب كالاستكبار كلاهما مانع من التقوى والعمل الصالح. ولذا أصحابهما هم أصحاب النار.
٢- ومن فوائد الآية: أن أهل النار خالدون في جهنم أبد الآباد.
٣- أن قوله تعالى: {أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}: حكم القرآن بالخلود الأبدي على الكفار، إذ يرى أهل السنة والجماعة بأنه لا يبقى في النار إلا من حكم عليه القرآن بالخلود الأبدي وهم الكفار، وقد استدل العلماء بآيات وأحاديث عديدة جدا على قولهم بخروج العصاة من أهل الإيمان من النار بعدما ردوا على معظم هذه الأدلة التي ساقوها بآيات كثيرة جدا منها قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما} [النساء: ٤٨]، وكذلك بأحاديث الشفاعة الكثيرة التي تبين أن الله تعالى يخرج من النار من يشاء من العصاة المسلمين.

القرآن
{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)} [الأعراف : ٣٧]

---
(١) التفسير الميسر:١٥٤.
(٢) تفسير الطبري:٤٠٧/١٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٣):ص١٤٧٣/٥.
(٤) المحرر الوجيز: ١/ ١٣٢.
(٥) التفسير الميسر:١٥٤.
(٦) تفسير الطبري:٤٠٧/١٢.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٤):ص١٤٧٣/٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٥):ص١٤٧٣/٥.
(٩) تفسير ابن عثيمين: ١/ ١٤١.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٢): ص ١/ ٩٤.

التفسير:
لا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذَّب بآياته المنزلة، أولئك يصل إليهم حظُّهم من العذاب مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلِّصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعترفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذبين وحدانية الله تعالى.
سبب النزول:
عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات، فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}"[١].
قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" لا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذَّب بآياته المنزلة"[٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا وأبعد ذهابا عن الحق والصواب ممن اختلق على الله زورا من القول، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها، أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه، فجحد حقيقتها ودافع صحتها"[٣].
قوله تعالى:{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" أولئك يصل إليهم حظُّهم من العذاب مما كتب لهم في اللوح المحفوظ"[٤].
قال الطبري:" يقول: من فعل ذلك، فافترى على الله الكذب وكذب بآياته [أولئك] يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ"[٥].
واختلف في قوله تعالى:{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [الأعراف : ٣٧]، على وجوه:
أحدها : هو عذاب الله الذي أعده لمن أشرك ، قاله الحسن[٦]، والسدي[٧]، وأبو صالح[٨].
والثاني : ما سبق لهم من الشقاء والسعادة ، قاله ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وسعيد[١١]، وعطية[١٢].
والثالث : نصيب من كتابهم الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر ، قاله الضحاك[١٣]، وقتادة[١٤]، وهو مروي عن ابن عباس[١٥]، ومجاهد[١٦] أيضا.
والرابع : نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل ، قاله الربيع بن أنس[١٧]، وابن زيد[١٨]، والقرظي[١].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٣٦):ص١٤٧٣/٥.
[٢] التفسير الميسر:١٥٤.
[٣] تفسير الطبري:٤٠٨/١٢.
[٤] التفسير الميسر:١٥٤.
[٥] تفسير الطبري:٤٠٨/١٢.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٨):ص٤٠٩/١٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٧):ص٤٠٩/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٥):ص٤٠٨/١٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧١):ص٤١٠/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦٣)-(١٤٥٦٧):ص٤٠٩/١٢-٤١٠.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦١):ص٤٠٩/١٢.
[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦٨):ص٤١٠/١٢.
[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٨):ص٤١٠/١٢-٤١١.
[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٥)-(١٤٥٧٧):ص٤١١/١٢.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٣):ص٤١١/١٢.
[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٤):ص٤١١/١٢.
[١٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٩):ص٤١٣/١٢.
[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٩١):ص٤١٤/١٢.

والخامس : نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ، وهو مروي عن ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والضحاك[٤] أيضا.
والسادس: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذي كتبه الله على من افترى عليه. وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضا[٥].
قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: {حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله}، فأبان بإتباعه ذلك قوله: {أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب}، أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيا عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب، أو مما قد أعد لهم في الآخرة، لم يكن محدودا بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه. فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه"[٦].
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم"[٧].
وفي قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ} [الأعراف : ٣٧]، وجهان[٨]:
احدهما: أن المعنى: حتى إذا جاءتهم ملائكة الموت يتوفونهم سألوهم عند المعاينة.
فيعرفون عند موتهم أنهم كانوا كافرين.
والثاني: معناه: حتى إذا جاءتهم رسلنا ملائكة العذاب يتوفونهم، فيكون {يتوفونهم} في هذا الموضع على ضربين:
أحدهما: يتوفونهم عذابا، وهذا كما تقول: قد قتلت فلانا بالعذاب وإن لم يمت، ودليل هذا القول قوله عز وجل: { وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ} [إبراهيم : ١٧].
وجائز -وهو أضعف الوجهين- أنهم يتوفون عدتهم.
قوله تعالى:{قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلِّصوكم مما أنتم فيه؟"[٩].
قال ابن أبي زمنين:" يعني: شركاؤكم"[١٠].
قال الواحدي:" سؤال توبيخ وتبكيت وتقريع"[١١].
قال السمعاني:" يعني: الرسل يقولون للكفار: أين الذين كنتم تدعون من دون الله من الأصنام؟"[١٢].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٩٠):ص٤١٣/١٢.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٩):ص٤١٢/١٢.
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٠)-(١٤٥٨٢):ص٤١٢/١٢.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٤):ص٤١٢/١٢.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٨):ص٤١٣/١٢.
[٦] تفسير الطبري:٤١٤/١٢.
[٧] التفسير الميسر:١٥٤.
[٨] انظر: معاني القرآن:٣٣٥/٢-٢٣٦.
[٩] التفسير الميسر:١٥٤.
[١٠] تفسير ابن ابي زمنين:١٢١/٢.
[١١] الوجيز: ٣٩٣، والتفسير البسيط:١١٨/٩.
[١٢] تفسير السمعاني:١٨٠/٢.

قال الطبري:" يقول: قالت الرسل: أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم، لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذي هو خالقكم وخالقهم، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء؟ وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه؟"[١].

قوله تعالى:{قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} [الأعراف : ٣٧]، أي:" قالوا: لقد غابوا عنا"[٢].

قال الزجاج:" أي بطلوا وذهبوا"[٣].

قال الطبري:" فأجابهم الأشقياء فقالوا: ضل عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله. يعني بقوله: {ضلوا}، جاروا وأخذوا غير طريقنا، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا"[٤].

قوله تعالى:{وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" واعترفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذبين وحدانية الله تعالى"[٥].

قال الطبري:" يقول الله جل ثناؤه: وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله، جاحدين وحدانيته"[٦].

قال البغوي:" اعترفوا عند معاينة الموت، {أنهم كانوا كافرين}"[٧].

الفوائد:

١- يخبر سبحانه وتعالى أن الملائكة إذا توفت المشركين تفزعهم عند الموت وقبض أرواحهم ويقولون لهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الدنيا وتدعونهم وتعبدونهم من دون الله ادعوهم يخلصونكم مما أنتم فيه الآن من الفزع والموت الواقع بكم، قالوا: ذهبوا عنا فلا نرجو نفعهم ولا ضرهم، وأقروا واعترفوا على أنفسهم بالكفر والضلال

٢- تقرير فتنة القبر وعذابه.

٣- شر الظلم ما كان كذبا على الله وتكذيبا بشرائعه.

القرآن

{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨)} [الأعراف : ٣٨]

التفسير:

قال الله تعالى -لهؤلاء المشركين المفترين-: ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس، كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة لعنت نظيرتها التي ضلَّتْ بالاقتداء بها، حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم جميعًا، قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق، فآتهم عذابًا مضاعفا من النار، قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار، ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام.

قوله تعالى:{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ} [الأعراف : ٣٨]، أي:" قال الله تعالى -لهؤلاء المشركين المفترين-: ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس"[٨].

---

[١] تفسير الطبري:٤١٥/١٢.
[٢] صفوة التفاسير:٤١٢/١.
[٣] معاني القرآن:٣٣٥/٢.
[٤] تفسير الطبري:٤١٥/١٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٤.
[٦] تفسير الطبري:٤١٥/١٢.
[٧] تفسير البغوي:٢٢٧/٣.
[٨] التفسير الميسر:١٥٥.

قال الطبري:" هذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه، المكذبين آياته يوم القيامة. يقول تعالى ذكره: قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة، ادخلوا، أيها المفترون على ربكم، المكذبون رسله، في جماعات من ضربائكم قد سلفت من قبلكم {من الجن والإنس في النار}، ومعنى ذلك: ادخلوا في أمم هي في النار، قد خلت من قبلكم من الجن والإنس وإنما يعني بـ"الأمم"، الأحزاب وأهل الملل الكافرة"[١].

قوله تعالى:{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف : ٣٨]، أي:" كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة لعنت نظيرتها التي ضلَّتْ بالاقتداء بها"[٢].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها، يقول: شتمت الجماعة الأخرى من أهل ملتها، تبريا منها"[٣].

قال السدي:" يقول: كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين، يلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى"[٤].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا} [الأعراف : ٣٨]، أي:" حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم جميعًا"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: حتى إذا تداركت الأمم في النار جميعا، يعني اجتمعت فيها، يقول: اجتمع فيها الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم"[٦].

قوله تعالى:{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا} [الأعراف : ٣٨]، أي:" قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق"[٧].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة في النار يوم القيامة. يقول الله تعالى ذكره: فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة في النار فاداركوا، قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا في الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا وإماما في الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم في الدنيا: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك، ودعونا إلى عبادة غيرك، وزينوا لنا طاعة الشيطان"[٨].

عن السدي:{قالت أخراهم}، الذين كانوا في آخر الزمان ، {لأولاهم}، الذين شرعوا لهم ذلك الدين {ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار}"[٩].

قوله تعالى:{فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ} [الأعراف : ٣٨]، أي:" فآتهم عذابًا مضاعفا من النار"[١٠].

قال الطبري:أي:" فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا"[١١].

قوله تعالى:{قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ} [الأعراف : ٣٨]، أي:" قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار"[١٢].

قال الطبري:أي:" لكلكم، أولكم وآخركم، وتابعوكم ومتبعوكم {ضعف}، يقول: مكرر عليه العذاب، و«ضعف الشيء»، مثله مرة"[١].

---

[١] تفسير الطبري:١٢/٤١٥-٤١٦.
[٢] التفسير الميسر:١٥٥.
[٣] تفسير الطبري:١٢/٤١٦.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٥٩٢):ص١٢/٤١٦.
[٥] التفسير الميسر:١٥٥.
[٦] تفسير الطبري:١٢/٤١٦-٤١٧.
[٧] التفسير الميسر:١٥٥.
[٨] تفسير الطبري:١٢/٤١٧.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٥٩٣):ص١٢/٤١٧.
[١٠] التفسير الميسر:١٥٥.
[١١] تفسير الطبري:١٢/٤١٧.
[١٢] التفسير الميسر:١٥٥.

عن السدي قال الله: "{لكل ضعف}، للأولى، وللآخرة ضعف"[2].
عن مجاهد في قول الله: "{عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف}، مضعف"[3].
وعن عن مرة، عن عبد الله: "{فآتهم عذابا ضعفا من النار}، قال: حيات وأفاعي"[4].
قوله تعالى:{وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٨]، أي: "ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام"[5].
قال الصابوني:" أي: لا تعلمون هوله ولهذا تسألون لهم مضاعفة العذاب"[6].
قال الطبري:" يقول: ولكنكم، يا معشر أهل النار، لا تعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب، فلذلك تسأل الضعف منه الأمة الكافرة الأخرى لأختها الأولى"[7].
الفوائد:
١- لعن أهل النار بعضهم بعضا حنقا على بعضهم بعضا إذ كان كل واحد سببا في عذاب الآخرة.
٢- أن من مطالب أهل النار في الآخرة: طلب الانتقام من الأولياء.
٣- بين ـ تعالى ـ أن الأمم الداخلة في جهنم يلعن بعضها بعضاً وأن الأتباع يلقون باللائمة على المتبوعين وقد صوّر هذا المشهد في هذه البية أنه كلما دخلت أمة من الأمم تابعة، أو متبوعة في النار فإنها تلعن أختها بمعنى: تدعو على نظيرتها في الدين، فتلعن التابعة المتبوعة التي أضلتها، وتلعن المتبوعة التابعة التي زادت في ضلالها.

القرآن
{وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)} [الأعراف : ٣٩]
التفسير:
وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم لأتباعهم: نحن وأنتم متساوون في الغيِّ والضلال، وفي فِعْلِ أسباب العذاب فلا فَضْلَ لكم علينا، قال الله تعالى لهم جميعًا: فذوقوا العذاب أي عذاب جهنم؛ بسبب ما كسبتم من المعاصي.
قوله تعالى:{وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} [الأعراف : ٣٩]، أي:" وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم لأتباعهم: نحن وأنتم متساوون في الغيِّ والضلال، وفي فِعْلِ أسباب العذاب فلا فَضْلَ لكم علينا"[8].
قال القرطبي:" أي: قد كفرتم وفعلتم كما فعلنا، فليس تستحقون تخفيفا من العذاب"[9].
قال ابن مجلز:" يقول: فما فضلكم علينا وقد تبين لكم ما صنع بنا وحذرتم"[10].
عن مجاهد قوله: "{فما كان لكم علينا من فضل}، تخفيف العذاب"[11].
عن السدي: قوله: "{وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل}، وقد ضللتم كما ضللنا"[12].

---
[1] تفسير الطبري:٤١٨/١٢.
[2] أخرجه الطبري(١٤٥٩٦):ص٤١٨/١٢.
[3] أخرجه الطبري(١٤٥٩٤):ص٤١٨/١٢.
[4] أخرجه الطبري(١٤٥٩٨):ص٤١٨/١٢.
[5] التفسير الميسر:١٥٥.
[6] صفوة التفاسير:٤١٣/١.
[7] تفسير الطبري:٤١٩/١٢.
[8] التفسير الميسر:١٥٥.
[9] تفسير القرطبي:٢٠٥/٧.
[10] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٨):ص١٤٧٦/٥.
[11] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٦):ص١٤٧٦/٥.
[12] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٧):ص١٤٧٦/٥.

قوله تعالى:{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} [الأعراف : ٣٩]، أي:" قال الله تعالى لهم جميعًا: فذوقوا العذاب، أي: عذاب جهنم؛ بسبب ما كسبتم من المعاصي"[١].

قال الصابوني:" أي: فذوقوا عذاب جهنم بسبب إجرامكم، قالوه لهم على سبيل التشفي لأنهم دعوا عليهم بمضاعفة العذاب"[٢].

الفوائد:

١- في الآية بيان ما يقوله الأتباع للقادة والرؤساء منهم، وما يجيبونهم به، وهم في النار.
٢- إثبات عذاب الآخرة، لقوله: {فَذُوقُوا الْعَذَابَ}.
٣- في الآية: الرد عى منكري الأسباب، لقوله: {بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ}، لأن الباء سببية.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)} [الأعراف : ٤٠]

التفسير:

إن الكفار الذين لم يصدِّقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبرًا واستعلاءً، لا تُفتَّح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات أبواب السماء، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل. ومثل ذلك الجزاء نجزي الذين كثر إجرامهم، واشتدَّ طغيانهم.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا} [الأعراف : ٤٠]، أي:" إن الكفار الذين لم يصدِّقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبرًا واستعلاءً"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها، ولم يتبعوا رسلنا، وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا"[٤].

قوله تعالى:{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف : ٤٠]، أي: "لا تُفتَّح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات أبواب السماء" [٥].

قال الطبري::" {لاتفتح لهم}: لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم، {أبواب السماء}، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح، كما قال جل ثناؤه: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه} [سورة فاطر: ١٠] "[٦].

وفي قوله تعالى:{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف : ٤٠]، وجوه:

أحدها : أي لا تفتح لأرواحهم، لأنها تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن ، قاله ابن عباس[٧]، عباس[٧]، والسدي[٨].

قال السدي:" إن الكافر إذا أخذ روحه، ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين. وإذا كان مؤمنا نفخ روحه، وفتحت له أبواب السماء، فلا يمر بملك إلا حياه وسلم عليه، حتى ينتهي إلى الله، فيعطيه حاجته،

---

[١] التفسير الميسر:١٥٥.
[٢] صفوة التفاسير:٤١٣/١.
[٣] التفسير الميسر:١٥٥.
[٤] تفسير الطبري:٤٢١/١٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٥.
[٦] تفسير الطبري:٤٢١/١٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٣):ص٤٢١/١٢-٤٢٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٥):ص٤٢٢/١٢.

ثم يقول الله: ردوا روح عبدي فيه إلى الأرض، فإني قضيت من التراب خلقه، وإلى التراب يعود، ومنه يخرج"[١].

والثاني : لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، قاله مجاهد[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وإبراهيم [٤]، وهو مروي عن ابن عباس أيضا [٥].

وقال الحسن:" لا تفتح لدعائهم" [٦].

والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم. قاله ابن جريج [٧].

والرابع: لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة، لأن الجنة في السماء ، وهذا قول بعض المتاخرين[٨].

والخامس : لا تفتح لهم أبواب السماء لنزول الرحمة عليهم ، قاله ابن بحر[٩].

والسادس: وقيل: لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون، قال تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ} [القمر : ١١]. ذكره الزمخشري[١٠].

والصواب -والله أعلم- أن المعنى: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، وذلك لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم. ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء، مع تأييد الخبر عن رسول الله ﷺ ما قلنا في ذلك، إذ روي عن البراء: «أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا:"ما هذا الروح الخبيث"؟ فيقولون:"فلان"، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}»[١١].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا:"اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان"، قال: فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال:"من هذا"؟ فيقولون:"فلان". فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان"، فيقال لها حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله. وإذا كان الرجل السوء قال:"اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج"، فيقولون ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال:"من هذا"؟ فيقولون:"فلان". فيقولون:"لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء"، فترسل بين السماء والأرض، فتصير إلى القبر»[١٢].

---

[١] أخرجه الطبري(١٣٦٠٥):ص٤٢٢/١٢.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٩)، و(١٤٦٠٨):ص٤٢٣/١٢.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٢):ص٤٢٣/١٢.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٠):ص٤٢٢/١٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٦) - (١٤٦٠٨):ص٤٢٢/١٢.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٢٢/٢.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٣):ص٤٢٣/١٢.

[٨] انظر: الكشاف: ١٠٣/٢، والنكت والعيون:٢٢٢/٢.

[٩] انظر: النكت والعيون:٢٢٢/٢.

[١٠] انظر: الكشاف:١٠٣/٢.

[١١] أخرجه الطبري(١٤٦١٤):ص٤٢٤/١٢.

[١٢] أخرجه الطبري(١٤٦١٥):ص٤٢٤/١٢-٤٢٥.

وقرئ: «لا تفتّح»، بالتاء وتشديد التاء الثانية، بمعنى: لا يفتح لهم باب بعد باب، وشيء بعد شيء[1].

قوله تعالى:{وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف : ٤٠]، أي:" ، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة" [2].

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه: ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، الجنة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا، كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدا، وذلك ثقب الإبرة"[3].

قال الصابوني:" وهذا تمثيل لاستحالة دخول الكفار الجنة كاستحالة دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة على دقته مبالغة في التصوير"[4].

وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه: "سما" وتجمعه: "سموما"، و"السمام"، في جمع "السم" القاتل، أشهر وأفصح من"السموم". وهو في جمع"السم" الذي هو بمعنى الثقب أفصح، وكلاهما في العرب مستفي، ومن "السم" الذي بمعنى: "الثقب"، قول الفرزدق[5]:

فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له: لا تخش شيئا ورائيا

يعني بسميه، ثقبي أنفه.

وأما «الخياط» فإنه «المخيط»، وهي الإبرة[6].

وعن ابن مسعود أنه كان يقرأ:«حتى يلج الجمل الأصفر»[7].

وفي قوله تعالى:{ سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف : ٤٠]، قولان:

أحدهما : أن «سم الخياط»، هو ثقب الإبرة، قاله ابن عباس[8]، الحسن[9]، ومجاهد[10]، وعكرمة[11]، والسدي[12]. .

والثاني : أن «سم الخياط»: هو السم القاتل الداخل في مسام الجسد، أي: ثقبه. ذكره الماوردي[13].

وفي {الْجَمَلِ}[الأعراف : ٤٠]، قراءتان[14]:

إحداهما : وعليها الجمهور ، «الجَمَل» -بفتح الجيم وتخفيف الميم- وهو ذو القوائم الأربع.

---

[1] انظر: تفسير الطبري:٤٢٦/١٢.

[2] التفسير الميسر:١٥٥.

[3] تفسير الطبري:٤٢٧/١٢.

[4] صفوة التفاسير:٤١٣/١.

[5]ديوانه: ٨٩٥، النقائض: ١٦٩، واللسان (سمم) ، من أول قصيدة هاجى بها جريرا، ونصر البعيث وهجاه معا. وكان الذي هاج الهجاء بين جرير والفرزدق، أن البعيث المجاشعي، سرقت إبله، سرقها ناس من بني يربوع، من رهط جرير، فطلبها البعيث حتى وجدها في أيديهم، فأرسل لسانه في بني يربوع، فاعترضه جرير، فهجاه، فانبعث الشر بالبعيث، فانطلق الفرزدق بعد قليل ينصره، فقال هذه القصيدة يهجو جريرا، وينصر البعيث ويهجوه، فيقول للبعيث: دعاني ابن حمراء العجان ولم يجد ... له إذ دعا، مستأخرا عن دعائيا

فنفست عن سميه.............. ... .

"نفس عنه"، فرج عنه كربته إذ أطبق عليه جرير، فاستنقذه من تحت وطأته. فاستطاع أن يتنفس. وقوله: "لا تخش شيئا ورائيا" ، أي: لا تخش ما دمت درعا لك وأنت من ورائي تحتمي بلساني وهجائي جريرا.

[6] انظر: تفسير الطبري:٤٢٧/١٢.

[7] أخرجه الطبري(١٤٦٣٢):ص٤٣٠/١٢.

[8] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٣):ص٤٣٥/١٢.

[9] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٤):ص٤٣٥/١٢.

[10] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٢):ص٤٣٥/١٢.

[11] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٠):ص٤٣٤/١٢-٤٣٥.

[12] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٢):ص٤٣٥/١٢.

[13] انظر: النكت والعيون: ٢/ ٢٢٣.

[14] انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.

عن عبد الله في قوله: "{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: الجمل ابن الناقة، أو: زوج الناقة"[١].

وعن ابن عباس: "{حتى يلج الجمل في سم الخياط} ، وهو الجمل العظيم، لا يدخل في خرت الإبرة، من أجل أنه أعظم منها"[٢].

عن أبي العالية: "{حتى يلج الجمل}، قال: الجمل الذي له أربع قوائم"[٣]. وروي عن الضحاك مثله[٤].

عن الحسن: "{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: حتى يدخل البعير في خرت الإبرة"[٥].

ووفي رواية أخرى عن الحسن قال: "هو الجمل! فلما أكثروا عليه قال: هو الأشتر"[٦].

و«الأشتر»: هو الجمل، بالفارسية والكردية.

والثانية: «الجُمَّل» -بضم الجيم وتشديد الميم- وهو: القلس الغليظ[٧]، وهذه قراءة سعيد بن جبير[٨]، وعكرمة[٩]، وإحدى قراءتي ابن عباس[١٠]، وكان ابن عباس يتأول أنه «حبل السفينة»[١١].

عن ابن عباس في قوله:"{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: هو قلس السفينة"[١٢].

عن مجاهد في قوله:"{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: حبل السفينة في سم الخياط"[١٣].

وروي أن عكرمة كان يقرأ: "«الجمل» مثقلة، ويقول: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل"[١٤].

قال الطبري:" وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في«الميم» ويقول: إنما أراد الراوي«الجمل» بالتخفيف، فلم يفهم ذلك منه فشدده"[١٥].

ثم أخرج الطبري عن الكسائي أنه قال: "الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميا"[١٦].

ومعنى الكلام أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يدخل الجمل في سم الخياط أبداً ، وضرب المثل بهذا أبلغ في إياسهم من إرسال الكلام وإطلاقه في النفي ، والعرب تضرب هذا للمبالغة ، قال الشاعر[١٧]:

إذا شَابَ الغُرابُ أَتَيْتُ أهْلي وصارَ القارُ كاللَّبنِ الحليبِ

قال الزمخشري:{الجمل}" معناها القلس الغليظ ، لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة. وعن ابن عباس رضى الله عنه: إن الله أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل، يعنى أن الحبل

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٦١٧):ص٤٢٨/١٢.
(٢) أخرجه الطبري(١٤٦٣٥):ص٤٣١/١٢.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٦٢٧):ص٤٢٩/١٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٢٩):ص٤٣٠/١٢.
(٥) أخرجه الطبري(١٤٦٢٣):ص٤٢٩/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤٦٢٤):ص٤٢٩/١٢.
(٧)القلس: -بفتح فسكون- : هو حبل ضخم غليظ من ليف أو خوص، وهو من حبال السفن.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٢، والكشاف:١٠٣/٢..
(٩) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٢، والكشاف:١٠٣/٢..
(١٠) انظر:تفسير الطبري(١٤٦٣٧):ص٤٣١/١٢، و الكشاف:١٠٣/٢..
(١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٣٨)-(١٤٦٤٠):ص٤٣١/١٢.
(١٢) أخرجه الطبري(١٤٦٣٦):ص٤٣١/١٢.
(١٣) أخرجه الطبري(١٤٦٤٦):ص٤٣٣/١٢.
(١٤) أخرجه الطبري(١٤٦٤٤):ص٤٣٢/١٢.
(١٥) تفسير الطبري:٤٣٣/١٢.
(١٦) أخرجه الطبري(١٤٦٤٨):ص٤٣٣/١٢.
(١٧)البيت في النكت والعيون: ٢/ ٢٢٣، ووضح البرهان للغزنوي ٢/ ٧٣، وتفسير الخازن: ٢/ ٢٢٩، والدر المصون: ٥/ ٣٢٠ من غير نسبة، وفي حاشية وضح البرهان أفاد أنه للقارظ العنزي ونسب لتميم الداري.

مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه، إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الابرة مثل في ضيق المسلك. يقال: أضيق من خرت الابرة. وقالوا للدليل الماهر: خريت، للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات الإبر، قال[1]:
جسم الجمال وأحلام العصافير
«إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام»[2]، فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا يكون يكون أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع، في ثقب الإبرة، والجمل: مثل في عظم الجرم"[3].

قوله تعالى:{وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف : ٤٠]، أي:" ومثل ذلك الجزاء نجزي الذين كثر إجرامهم، واشتدَّ طغيانهم" [4].

قال الطبري:" يقول: وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم في الآخرة"[5].

قال الزمخشري:أي:" ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل إلى العقاب، وأن كل من أجرم عوقب"[6].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الجنة محرمة على الكفار، قال تعالى:{ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}.
٢- بيان جزاء المكذبين بآيات الله والمستكبرين عنها وهو الحرمان من دخول الجنة وكذلك المجرمون والظالمون.
٣- منها صعود الأرواح إلى الله عز وجل أعني أرواح المؤمنين.

وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح وفيه قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج كما فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعة فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى"[7].

---

[1] الشعر لحسان، وهو في ديوانه: ص١٢٩، والمثبت في الديوان: «جسم البغال» وصدره: «لا بأس بالقوم من من طول ومن عظم».
أي عقولها. يقال: حلم يحلم حلمًا، وحلمه العقل. وتحلم: إذا تكلف ذلك وتحلمت المرأة: ولدت أولادًا حلماء.

[2] انظر: المثل في فصل المقال: ١٣٥، والأمثال للميداني ١: ٨٦ وجمهرة العسكري ١: ٢٦٦ وجمهرة ابن دريد دريد ٢: ٢٨٣ والفاخر: ٥٣ والشعر والشعراء: ٥٣٢ وقال أبو عبيد كان الكسائي يدخل فيه " أن " وفي الزاهر ٢: ٢٤٧ لأن تسمع (وروايته عن المفضل) والبيان والتبيين ١: ١٧١، ٢٣٧ والعقد ٣: ٩٣ والوسيط: ٨٣ والخزانة ١: ١٥١ والعبدري: ٢١٨.

[3] الكشاف:٢/١٠٣-١٠٤.

[4] التفسير الميسر:١٥٥.

[5] تفسير الطبري:١٢/٤٣٤.

[6] الكشاف:٢/١٠٤.

[7] أحمد "٤/ ٢٨٧-٢٨٨، ٢٨٨" والطيالسي "ح٧٥٣" وأبو داود "٤/ ٢٤٠/ ح ٤٧٥٣ و٤٧٥٤" والحاكم "١/ ٣٧-٣٨ و٣٨و ٣٩" وصححه ووافقه الذهبي.

٤- أن من فتحت له أبواب السماء دخل الجنة.
قال ابن قيم: وهذه الآية " دليل على أن المؤمنين تفتح لهم أبواب السماء وهذا التفتيح هو تفتيحها لأرواحهم عند الموت كما تقدم في الأحاديث المستفيضة أن السماء تفتح لروح المؤمن حتى ينتهي بها إلى بين يدي الرب تعالى وأما الكافر فلا تفتح لروحه أبواب السماء ولا تفتح لجسده أبواب الجنة"[١].

٥-

القرآن

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)} [الأعراف : ٤١]

التفسير:

هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم مِن جهنم فراش مِن تحتهم، ومن فوقهم أغطية تغشاهم. وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعصَوْه.

قوله تعالى:{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ} [الأعراف : ٤١]، أي:" هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم مِن جهنم فراش مِن تحتهم" [٢].

قال الطبري:"{ مِهَادٌ}: وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع، كالفراش الذي يفرش، والبساط الذي يبسط"[٣].

عن محمد بن كعب: "{لهم من جهنم مهاد}، قال: الفراش"[٤].

قال الضحاك:"«المهاد»، الفرش"[٥].

قال السدي:" «المهاد»: كهيئة الفراش"[٦].

قوله تعالى:{وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف : ٤١]، أي:" ومن فوقهم أغطية تغشاهم"[٧]. تغشاهم"[٧].

عن محمد بن كعب: " {ومن فوقهم غواش}، قال: اللحف"[٨].

قال الضحاك:"«الغواشي»، اللحف"[٩].

قال السدي:" «الغواشي»، تتغشاهم من فوقهم"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف : ٤١]، ثلاثة أقوال[١١]:

أحدها : أنها اللحف. قاله الضحاك[١٢]، ومحمد بن كعب[١٣].

والثاني : اللباس . ذكره الماوردي[١٤].

والثالث : الظلل ، قاله الحسن [١٥].

---

[١] الروح: ١٩٢-١٩٣.
[٢] التفسير الميسر:١٥٥.
[٣] تفشسير الطبري:٤٣٥/١٢.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٦٥٧):ص٤٣٦/١٢.
[٧] التفسير الميسر:١٥٥.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٦٥٧):ص٤٣٦/١٢.
[١١] انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
[١٣] أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.
[١٥] انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.

قال الماوردي:" المراد بذلك أن النار من فوقهم ومن تحتهم ، فعبر عما تحتهم بالمهاد ، وعما فوقهم بالغواش"[١].

قال الطبري:" معنى الكلام: لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش، ومن فوقهم منها لحف، وإنهم بين ذلك"[٢].

وقرئ: «غواش»، بالرفع[٣].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ٤١]، أي:" وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعصَوْه" [٤].

قال الطبري:" يقول: وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه، فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه، وتكذيبه أنبياءه"[٥].

قال الزمخشري:" لأن كل مجرم ظالم لنفسه"[٦].

الفوائد:

١- أن جهنم تحيط بالمعذبين من كل جانب، فهي فراش وغطاء.

٢- أنه لما كانت الخطايا والذنوب تحيط بالكافر إحاطة السوار بالمعصم، فإن الجزاء من جنس العمل، ولذا فإن النار تحيط بالكافر من كل جهة، كما قال تعالى: {لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش}.

و«المهاد» ما يكون من تحتهم، و«الغواش» جمع غاشية، وهي التي تغشاهم من فوقهم، والمراد أن النيران تحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم، كما قال تعالى: {يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجهل} [العنكبوت: ٥٥] ، وقال في موضع آخر: {لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل} [الزمر: ١٦] ، وقد صرح بالإحاطة في موضع آخر: {وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} [التوبة: ٤٩] . وقد فسر بعض السلف المهاد بالفرش، والغواش باللحف[٧].

وتأتي الإحاطة من ناحية أخرى، ذلك أن للنار سوراً يحيط بالكفار، فلا يستطيع الكفار مغادرتها أو الخروج منها، كما قال تعالى: {إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا} [الكهف: ٢٩] . وسرادق النار سورها وحائطها الذي يحيط بها.

٣- أن الكفار بجميع أنواعهم من اليهود والنصارى والوثنيين والمجوس والمنافقين وغيرهم ممن مات على الكفر، فهؤلاء هم أصحاب النار تغشاهم النار وتصلاهم من جميع النواحي نعود بالله، {لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف:٤١] ولا يخرجون منها أبداً.

٤- أن من أسماء يوم القيامة: «الغاشية»، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} [الغاشية: ١] ، سميت بذلك لأنها تغشى الناس بأفزاعها وتغمهم، ومن معانيها أن الكفار تغشاهم النار، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [العنكبوت: ٥٥] . وقال: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف: ٤١] .

---

[١] النكت والعيون:٢٢٣/٢.

[٢] تفسير الطبري:٤٣٦/١٢.

[٣] انظر: الكشاف:١٠٤/٢.

[٤] التفسير الميسر:١٥٥.

[٥] تفسير الطبري:٤٣٦/١٢.

[٦] الكشاف:١٠٤/٢.

[٧] انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٨/٣.

٥- أن «جهنم» اسم لدار العذاب والشقاء، قيل: أعجمي، وقيل: مأخوذ من قولهم: ركية [(١)] جهنام -بتثليث الجيم وتشديد النون- أي: بعيدة القعر[(٢)].

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)} [الأعراف : ٤٢]

التفسير:

والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة في حدود طاقاتهم -لا يكلف الله نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق- أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبدًا لا يخرجون منها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الأعراف : ٤٢]، أي:" والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة" [(٣)].

قوله تعالى:{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [الأعراف : ٤٢]، أي:" لا يكلف الله نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق" [(٤)].

قال الطبري:" يقول: لا نكلف نفسا من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرج فيه"[(٥)].

قال ابن عباس:" هم المؤمنون، وسع الله عليهم أمر دينهم فقال: ما جعل عليكم في الدين من حرج"[(٦)].

عن سعيد بن جبير، في قول الله: "{إلا وسعها}، يعني: إلا طاقتها"[(٧)].

وعن عامر الشعبي: "{لا نكلف نفسا إلا وسعها}، إلا ما عملت لها"[(٨)].

وعن سفيان، في قوله: "{لا نكلف نفسا إلا وسعها}، قال: أداء الفرائض"[(٩)].

قال أبو حيان:" تكون جملة {لا نكلف} اعتراضا بين المبتدأ والخبر، وفائدته أنه لما ذكر قوله وعملوا الصالحات نبه على أن ذلك العمل وسعهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محالها يوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة"[(١٠)].

وقال الزمخشري:قوله{ لا نكلف نفسا إلا وسعها }" جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح"[(١١)].

وقرأ الأعمش: «لا تكلف نفس»[(١٢)].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [الأعراف : ٤٢]، أي:" أولئك أهل الجنة"[(١٣)].

قال الطبري:" يقول: هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، هم أهل الجنة الذين هم أهلها، دون غيرهم ممن كفر بالله، وعمل بسيئاتهم"[(١٤)].

[(١)]الركية بالتشديد ـ كقضية ـ هي: البئر. ابن الأثير: غريب الحديث :٢٦١/٢.

[(٢)] انظر: تفسير المنار:٤١٩/٨.

[(٣)] التفسير الميسر:١٥٥.

[(٤)] التفسير الميسر:١٥٥.

[(٥)] تفسير الطبري:٤٣٧/١٢.

[(٦)] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٤):ص١٤٢٠/٥.

[(٧)] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٥):ص١٤٢٠/٥.

[(٨)] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٦):ص١٤٢٠/٥.

[(٩)] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٧):ص١٤٢١/٥.

[(١٠)] البحر المحيط:٥٢/٥.

[(١١)] الكشاف: ١٠٤/٢.

[(١٢)] انظر: الكشاف: ١٠٤/٢.

[(١٣)] التفسير الميسر:١٥٥.

[(١٤)] تفسير الطبري:٤٣٧/١٢.

قوله تعالى:{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف : ٤٢]، أي:" أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبدًا لا يخرجون منها"[١].

قال الطبري:" يقول : هم في الجنة ماكثون، دائم فيها مكثهم، لا يخرجون منها، ولا يسلبون نعيمها"[٢].

الفوائد:

١- الإيمان والعمل الصالح موجبان لدخول الجنة مقتض للكرامة في الدارين.
٢- لا مشقة لا تحتمل في الدين الصحيح الذي جاءت به الرسل إلا ما كان عقوبة.

القرآن

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)} [الأعراف : ٤٣]

التفسير:

وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفَّق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أَنْ هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، ووفَّقنا للثبات عليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، ونُودوا تهنئة لهم وإكرامًا: أن تلكم الجنة أورثكم الله إياها برحمته، وبما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح.

قوله تعالى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم، وأخبر أنهم أصحاب الجنة، ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم في الدنيا على بعض، فجعلهم في الجنة إذا أدخلهموها على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الأعراف : ٤٣]، أقوال[٥]:

أحدها : الأهواء والبدع ، قاله سهل بن عبد الله[٦].

والثاني : التباغض والتحاسد .

والثالث : الحقد .

والرابع : العداوة. قاله الضحاك[٧].

والخامس: نزع من نفوسهم أن يتمنوا ما لغيرهم .

وفي نزعه وجهان[٨]:

أحدهما : أن الله نزع ذلك من صدورهم بلطفه .

والثاني : ان ما هداهم إليه من الإيمان هو الذي نزعه من صدورهم .

وفي هذا الغل قولان :

---

[١] التفسير الميسر:١٥٥.
[٢] تفسير الطبري:٤٣٧/١٢.
[٣] التفسير الميسر:١٥٥.
[٤] تفسير الطبري:٤٣٧/١٢-٤٣٨.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٢٤/٢.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢٢٤/٢.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٨):ص٤٣٨/٢.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٢٤/٢.

أحدهما : أنه غل الجاهلية ، قاله الحسن[١].
والثاني : أنهم لا يتعادون ولا يتحاقدون بعد الإيمان[٢].
وقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : "إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم :{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}"[٣].
وعن علي أيضا، قال: "فينا والله أهل بدر نزلت: {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين} [سورة الحجر: ٤٧]"[٤].
قال السدي:" إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل، فهو «الشراب الطهور»، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم"نضرة النعيم"، فلم يشعثوا ولم يتسخوابعدها أبدا"[٥].
عن أبي نضرة قال:" يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه. ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه"[٦].
قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" ، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم"[٧].
قال الطبري:أي:" تجري من تحتهم أنهار الجنة"[٨].
قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف : ٤٣]، أي:" وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم"[٩].
قال الطبري:" يقول: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الذي أكسبنا هذا الذي نحن فيه من كرامة الله وفضله، وصرف عذابه عنا"[١٠].
قال ابن عباس:" «الحمد لله»: هو الشكر لله الاستحذاء له والإقرار له بنعمه وابتدائه، وغير ذلك"[١١].
قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"[١٢].
قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"[١٣].
وفي قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف : ٤٣]، ثلاثة وجوه[١٤]:
أحدهما : هدانا لنزع من صدورنا .
والثاني : هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا حتى نزع الغل من صدورنا .
والثالث : قال جويبر : هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة.

---

[١] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٤.
[٢] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٤.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٦٦٢):ص١٢/٤٣٨.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٦٦٠):ص١٢/٤٣٨.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٦٦٣):ص١٢/٤٣٨-٤٣٩.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٦٦٤):ص١٢/٤٣٩.
[٧] التفسير الميسر:١٥٥.
[٨] تفسير الطبري:١٢/٤٣٨.
[٩] التفسير الميسر:١٥٥.
[١٠] تفسير الطبري:١٢/٤٤٠.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٣):ص٥/١٤٧٩.
[١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص٥/١٤٧٩.
[١٣] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص٥/١٤٧٩.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٥.

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" وما كنا لنوفَّق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أنْ هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، ووفَّقنا للثبات عليه"[١].

قال الطبري:"يقول: وما كنا لنرشد لذلك، لولا أن أرشدنا الله له ووفقنا بمنه وطوله"[٢].

عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ: "كل أهل النار يرى منزله من الجنة، فيقولون:"لو هدانا الله"، فتكون عليهم حسرة. وكل أهل الجنة يرى منزله من النار، فيقولون:"لولا أن هدانا الله"! فهذا شكرهم"[٣].

قوله تعالى:{لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته"[٤].

قال علي بن أبي طالب:" وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة:
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، ويلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة: أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، فينطلق من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين فيقول: هذا فلان، باسمه في الدنيا. فيقلن:
أنت رأيته؟ فيقول: نعم. فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أسكفة الباب فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابي مبثوثة، ثم نظر إلى تأسيس بنائه فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلولا أن الله قدر له لألم أن يذهب ببصره، ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه ثم يقول: {الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق} إلى آخر الآية"[٥].

قوله تعالى:{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ٤٣]، أي:"ونُودوا تهنئة لهم وإكرامًا: أن تلكم الجنة أورثكم الله إياها برحمته، وبما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح"[٦].

قال السدي:" ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ودخلوا منازلهم، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم:«هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله»، ثم يقال:«يا أهل الجنة، رثوهم بما كنتم تعملون»، فتقسم بين أهل الجنة منازلهم"[٧].

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: "{ونودوا أن تلكم الجنة}، قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا"[٨].

وقال الأغر:" نودوا أن صحوا فلا تسقموا، واخلدوا فلا تموتوا، وانعموا فلا تبأسوا"[٩].
تبأسوا"[٩].

الفوائد:

١- لا عداوة ولا حسد في الجنة.
٢- الهداية هبة من الله فلا تطلب إلا منه، ولا يحصل عليها إلا بطلبها منه تعالى.

---

[١] التفسير الميسر:١٥٥.
[٢] تفسير الطبري:٤٤٠/١٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٦٦٥):ص٤٤٠/١٢.
[٤] التفسير الميسر:١٥٥.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٧٦):ص١٤٧٩/٥-١٤٨٠.
[٦] التفسير الميسر:١٥٥.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٦٦٧):ص٤٤٣/١٢.
[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٧):ص١٤٨٠/٥.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٦٦٨):ص٤٤٣/١٢.

٣- صدقت الرسل فيما أخبرت به من شأن الغيب وغيره.

القرآن

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)} [الأعراف : ٤٤]

التفسير:

ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهلَ النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله حقًّا من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنة رسله حقًّا من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا. فأذَّن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أنْ لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

قوله تعالى:{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف : ٤٤]، أي:" ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهلَ النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله حقًّا من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنة رسله حقًّا من عقاب أهل معصيته؟"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها: يا أهل النار، قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا في الدنيا على ألسن رسله، من الثواب على الإيمان به وبهم، وعلى طاعته، فهل وجدتم ما وعدنا ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه من العقاب؟"[٢].

قوله تعالى:{قَالُوا نَعَمْ} [الأعراف : ٤٤]، أي:" فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا"[٣].

قال الطبري:" فأجابهم أهل النار: بأن نعم، قد وجدنا ما وعد ربنا حقا"[٤].

قال السدي:" وجد أهل الجنة ما وعدوا من الثواب، وأهل النار ما وعدوا من عذاب"[٥].

عذاب"[٥].

وقرئ:«نعم» بكسرالعين[٦].

قوله تعالى:{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ٤٤]، أي:" فأذَّن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أنْ لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله"[٧].

قال الطبري:" يقول: فنادى مناد، وأعلم معلم بينهم {أن لعنة الله على الظالمين} ، يقول: غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به"[٨].

قال ابن عباس:" وذلك أن الله وعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه، وذكر قوله: {وآخر من شكله أزواج}[٩]، قال: فـ {نادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قالوا: نعم. يقول: من الخزي

---

[١] التفسير الميسر:١٥٦.

[٢] تفسير الطبري:١٢/٤٤٥-٤٤٦.

[٣] التفسير الميسر:١٥٦.

[٤] تفسير الطبري:١٢/٤٤٦.

[٥] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٨١):ص١٤٨٢/٥.

[٦] انظر: تفسير الطبري:١٢/٤٤٦.

[٧] التفسير الميسر:١٥٦.

[٨] تفسير الطبري:١٢/٤٤٧.

[٩] [سورة ص: ٥٨].

والهوان والعذاب. قال أهل الجنة: فإنا قد وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة. فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين"[1].

عن ميمون بن مهران قال: "إن الرجل ليصلي ويلعن نفسه في قراءته فيقول: ألا لعنة الله على الظالمين وإنه لظالم"[2].

الفوائد:

١- وجود اتصال كامل بين أهل الجنة وأهل النار متى أراد أحدهم ذلك بحيث إذا أراد من في الجنة أن ينظر إلى من في النار ويخاطبه تم له ذلك.

٢- يجوز إطلاق لفظ الوعد على الوعيد للمشاكلة أو التهكم.

القرآن

{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)} [الأعراف : ٤٥]

التفسير:

هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضون عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة -وما فيها- جاحدون.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف : ٤٥]، أي:" هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضون عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد"[3].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: إن المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول: أن لعنة الله على الظالمين، الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله، {ويبغونها عوجا}، يقول: حاولوا سبيل الله وهو دينه، أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامته"[4].

والعرب تقول للميل في الدين والطريق: "عوج" بكسر"العين"، وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليه:"عاج إليه يعوج عياجا وعوجا وعوجا"، بالكسر من"العين" والفتح، كما قال الشاعر[5]:

قفا نسأل منازل آل ليلى ... على عوج إليها وانثناء[6]

قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} [الأعراف : ٤٥]، أي:" ، وهم بالآخرة -وما فيها- جاحدون"[7].

قال الطبري:" يقول: وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون"[8].

الفوائد:

١- أن الله سبحانه ذم من ذمه من أهل الكفر على أنهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا.

٢- التنديد بالصد عن سبيل الله، والظلم والكفر بالآخرة وهي أسباب الشقاء في الدار الآخرة.

٣- أن سبيل الله هو ما بعث به رسله مما أمر به وأخبر عنه، فمن نهى الناس نهياً مجرداً عن تصديق رسل الله وطاعتهم، فقد صدهم عن سبيل الله، فكيف إذا نهاهم عن التصديق

---

[1] أخرجه ابن أبي يحاتم(٨٤٨١):ص١٤٨٢/٥.
[2] أخرجه ابن أبي يحاتم(٨٤٨٤):ص١٤٨٢/٥.
[3] التفسير الميسر:١٥٦.
[4] تفسير الطبري:٤٤٨/١٢.
[5] لم أتعرف على قائله، والبيت من شواهد الطبري في تفسيره:٤٤٨/١٢، واللسان، مادة"عوج".
[6] انظر: تفسير الطبري:٤٤٨/١٢.
[7] التفسير الميسر:١٥٦.
[8] تفسير الطبري:٤٤٨/١٢.

بما أخبرت به الرسل، وبين أن العقل يناقض ذلك، وأنه يجب تقديمه على ما أخبرت به الرسل؟!.

ومعلوم أن من زعم أن العقل الصريح الذي يجب اتباعه، يناقض ما جاء به الرسل، وذلك هو سبيل الله، فقد بغى سبيل الله عوجاً، أي طلب لها العوج، فإنه طلب أن يبين اعوجاج ذلك وميله عن الحق، وأن تلك السبيل الشرعية السمعية المروية عن الأنبياء عوجا لا مستقيمة، وأن المستقيم هو السبيل التي ابتدعها من خالف سبيل الأنبياء.

٤- الإرتباط الوثيق بين الإنحراف عن شرع الله والصَّدِّ عن دينه.

القرآن

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)} [الأعراف : ٤٦]

التفسير:

وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كبياض وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها.

قوله تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف"[١].

قال الطبري:أي:" وبين الجنة والنار حجاب، يقول: حاجز، وهو: السور الذي ذكره الله تعالى فقال: {فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب} ، [سورة الحديد: ١٣] . وهو"الأعراف" التي يقول الله فيها: {وعلى الأعراف رجال}"[٢].

قال مجاهد:" {لأعراف}، حجاب بين الجنة والنار"[٣].

عن السدي: "{وبينهما حجاب}، وهو «السور»، وهو«الأعراف»"[٤].

قوله تعالى:{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم"[٥].

و«الأعراف»:" جمع، واحدها «عرف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو«عرف»، وإنما قيل لعرف الديك «عرف»، لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشماخ بن ضرار[٦]:

وظلت بأعراف تغالى، كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

يعني بقوله:"بأعراف"، بنشوز من الأرض، ومنه قول الآخر[٧]:

---

[١] التفسير الميسر:١٥٦.

[٢] تفسير الطبري:٤٤٩/١٢.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٦٧١):ص٤٤٩/١٢.

[٤] أخرجه الطبري(١٤٦٧٢):ص٤٤٩/١٢.

[٥] التفسير الميسر:١٥٦.

[٦]ديوانه: ٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٥، ورواية ديوانه وغيره ((وظلت تغالي باليفاع كأنها)) . وهذا البيت من آخر القصيدة في صفة حمر الوحش، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة في طلب الماء، يقودها العير، فوصفه ووصفهن، فقال: محام على عوراتها لا يروعها ... خيال، ولا رامي الوحوش المناهز

وأصبح فوق النشز، نشز حمامة، ... له مركض في مستوى الأرض بارز

وظلت تغالي باليفاع......... ... .

و ((تغالي الحمر)) احتكاك بعضها ببعض.يصف ضمور حمر.

[٧] لم أتعرف على قائله، وانظر: البيت في مجاز القرآن أبي عبيدة ١/ ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٥٠/١٢،

كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفي على الأعراف"[١]

قال ابن عباس:" {الأعراف}، هو الشيء المشرف"[٢].

وعن ابن عباس أيضا:" {الأعراف}، سور كعرف الديك"[٣].

وروي عن ابن عباس كذلك:" إن الأعراف تل بين الجنة والنار، حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار"[٤].

قال مجاهد:"{الأعراف}، حجاب بين الجنة والنار، سور له باب"[٥].

وفي الذين على «الأعراف»، أقوال:

أحدها : أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم ، قاله الحسن ، ومجاهد[٦]، قال أمية بن أبي الصلت[٧]:

وَآخَرُونَ عَلَى الأعْرَافِ قَدْ طَمِعُوا فِي جَنَّةٍ حَفَّهَا الرُّمَّانُ والخَضِرُ

وهذا وإن كان شعراً جاهلياً وحال «الأعراف» منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين[٨]:

- الأول: أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية .
- والثاني : أن يكون الله قد انطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن .

والثاني : أنهم ملائكة يُرَون في صور الرجال ، قاله أبو مجلز[٩].

والثالث : أنهم قوم بطأت بهم صغائرهم إلى آخر الناس ، قاله حذيفة[١٠].

والرابع : أنه قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضى الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة ، وهذا قول ابن مسعود[١١]، وابن عباس[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣]، والضحاك[١٤]، والشعبي[١٥]، وأبي علقمة[١٦]، وهو قول أكثر المفسرين[١٧].

والخامس : أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم ، قيل إنهم غزوا بغير إذنهم. وهذا قول شرحبيل بن سعد[١٨].

وروي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: "سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"[١٩].

واللسان مادة "نوف".

[١]تفسير الطبري:١٢/٤٥٠.

[٢] أخرجه الطبري(١٤٦٧٣):ص١٢/٤٥٠.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٦٧٥):ص١٢/٤٥٠.

[٤] أخرجه الطبري(١٤٦٧٧):ص١٢/٤٥١.

[٥] أخرجه الطبري(١٤٦٧٧):ص١٢/٤٥١.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٦):ص١٢/٤٥٨.

[٧] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٥، والبحر المحيط: ٥/٥٧، واللباب:٥/٣٢٨.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٥.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٧)-(١٤٧١٤):ص١٢/٤٥٩-٤٦٠.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٨٥)-(١٤٦٨٩):ص١٢/٤٥٢-٤٥٣.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٠):ص١٢/٤٥٣-٤٥٤.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٢):ص١٢/ ٤٥٥، وتفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠١):ص٥/١٤٨٥.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٠):ص١٢/٤٥٦-٤٥٧.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٩):ص١٢/٤٥٦.

[١٥] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٤٩٩):ص٥/١٤٨٤-١٤٨٥.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٢):ص١٢/٤٥٧.

[١٧] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٥، وزاد المسير:٣/٢٠٤، وتفسير القرطبي:٧/٢١٢، وتفسير ابن كثير:٢/٣٤٦.

[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٣):ص١٢/٤٥٧.

[١٩]حديث عبد الرحمن المزنى: أخرجه سعيد بن منصور (٥/١٤٣، رقم ٩٥٤) ، وابن منيع، والحارث كما فى المطالب العالية (١٤/٦٦٤، رقم ٣٦٠٨، ٣٦٠٩) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٧/٢٤) قال الهيثمى: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ١٠٦، رقم ١٠٤) . وأخرجه أيضا: الطبري

قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يصح سنده،ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسًا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن«الرجال» اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيِّنًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله ﷺ، ومع ما روي عن رسول الله ﷺ في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها"[١].

عن أبي زرعة عمرو بن جرير، قال: "سئل النبي ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر من يقضي لهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من القضاء بين العباد قال لهم: أنتم قوم أخرجتكم أعمالكم من النار وعجزت أن تدخلكم الجنة، فاذهبوا فأنتم عتقاي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"[٢].

قال الماوردي:" ومعنى قوله :{يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ}، يعني: يعرفون أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها ، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم"[٣].

قال الحسن البصري : "علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون ، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون"[٤].

قال الماوردي: "فإن قيل في أصحاب «الأعراف»: إنهم فضلاء المؤمنين كان ذلك زيادة في ثوابهم ومبالغة في كرامتهم لأنهم يرون منازلهم في الجنة فيستمتعون بها ، ويرون عذاب النار فيفرحون بالخلاص منها .

وإن قيل : إنهم المفضلون وأصحاب الصغائر من المؤمنين كان ذلك لنقص ثوابهم عن استحقاق الدخول للجنة.

وإن قيل : إنهم الملائكة ، احتمل أمرهم ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يؤمروا بذلك حمداً لأهل الجنة وذماً لأهل النار وزيادة في الثواب والعقاب .

والثاني : أن يكونوا حفظة الأعمال في الدنيا الشاهدين بها عند الله في الآخرة أمروا بذلك ، ما أدوه من الشهادة تبشيراً لأهل الجنة وتوبيخاً لأهل النار .

والثالث : أن يكونوا خزنه الجنة والنار ، فإن من الملائكة من أفرد لخزنة الجنة ، ومنهم من أفرد لخزنة النار ، ويكون هؤلاء قد جمع لهم بين الأمرين ، والله أعلم بغيب ذلك .

وحكى ابن الأنباري أن قوله:{وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ}، معناه: على معرفة أهل الجنة والنار رجال ، وأن قوله :{ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوفٌ عَلَيكُم} الآية، من قول أصحاب الأعراف ، وهو مخالف لقول جميع المفسرين"[٥].

قوله تعالى:{وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم"[٦].

قوله تعالى:{لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها"[١].

في جامع البيان ١٤٧٠٥):ص٤٥٨/١٢-واللفظ له- ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٠٤، رقم ٢٥١) ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق الطبرانى (١٨٦٠/٤، رقم ٤٦٨٤) . وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢١٧/٢) لسعيد بن منصور، وابن مردويه، وابن جرير، وابن أبى حاتم.

[١] تفسير الطبري:٤٦٠/١٢-٤٦١.

[٢] أخرجه الطبري(١٤٧١٥):ص٤٦١/١٢، وابن ابي حاتم(٨٥٠٠):ص١٤٨٥/٥.

[٣] النكت والعيون:٢٢٦/٢.

[٤] النكت والعيون:٢٢٦/٢.

[٥] النكت والعيون:٢٢٦/٢-٢٢٧.

[٦] التفسير الميسر:١٥٦.

الفوائد:

١- تقرير مبدأ ثقل الحسنات ينجي وخفتها تردي، ومن استوت حسناته وسيئاته ينجو آخر من ينجو من دخول النار.
٢- مشروعية الطمع إذا كان مقتضاه موجودا.

القرآن

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)} [الأعراف : ٤٧]

التفسير:

وإذا حُوِّلَتْ أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار قالوا: ربنا لا تُصيّرنا مع القوم الظالمين بشركهم وكفرهم.[١]

قوله تعالى:{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ} [الأعراف : ٤٧]، أي:" وإذا حُوِّلَتْ أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا صرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار، يعني: حيالهم ووجاههم، فنظروا إلى تشويه الله لهم"[٣].

قوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ٤٧]، أي:" النار قالوا: ربنا لا تُصيّرنا مع القوم الظالمين بشركهم وكفرهم"[٤].

قال الطبري:{ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، أي:" الذين ظلموا أنفسهم، فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه"[٥].

قال ابن عباس:" إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم، قالوا: {ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين"[٦].

قال السدي:" وإذا مروا بهم - يعني بأصحاب الأعراف- بزمرة يذهب بها إلى النار، قالوا: {ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}"[٧].

قال عكرمة:" تحرد وجوههم للنار، فإذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم"[٨].

قال ابن زيد:" فرأوا وجوههم مسودة، وأعينهم مزرقة، {قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}"[٩].

الفوائد:

١- يستفاد من الآية أن الظلم:" وضع الشيء في غير موضعه، والكافر وضع جحوده ما جحد في غير موضعه، فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه"[١٠].
٢- ومنها: التحذير من الظلم.

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:١٥٦.
(٢) التفسير الميسر:١٥٦.
(٣) تفسير الطبري:٤٦٦/١٢.
(٤) التفسير الميسر:١٥٦.
(٥) تفسير الطبري:٤٦٦/١٢.
(٦) أخرجه الطبري(١٤٧٣٥):ص٤٦٦/١٢.
(٧) أخرجه الطبري(١٤٧٣٤):ص٤٦٦/١٢.
(٨) أخرجه الطبري(١٤٧٣٦):ص٤٦٦/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٧٣٧):ص٤٦٧/١٢.
(١٠)تفسير الطبري: ٥/ ٤٣٧.

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)} [الأعراف : ٤٨]

التفسير:

ونادى أهل الأعراف رجالا من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم، قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقَبول الحق.

قوله تعالى:{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف : ٤٨]، أي:" ونادى أهل الأعراف رجالا من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم"[١].

قال الطبري:يعني:"من أهل الأرض {يعرفونهم بسيماهم} ، سيما أهل النار"[٢].

قال ابن عباس:" نادوا رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم"[٣].

قال الماتريدي:" قال عامة أهل التأويل: يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون، ولكن أمكن أن يعرفوا بالأعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه؛ لأنهم يخاطبونهم بقوله: {قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون}، فلو لم يعرفوهم بآثار كانت لهم في الدنيا، لم يكونوا يعاتبونهم بجمع الأموال والاستكبار في الدنيا، ولا يقال للفقراء ذلك، إنما يقال للأغنياء؛ لأنهم هم الذين يجمعون الأموال وهم المستكبرون على الخلق؛ كقوله: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ : ٣٥]، ويشبه أن يخاطب الكل، وفيهم من قد جمع واستكبر، وذلك جائز، هذا على تأويل من يجعل أصحاب الأعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم"[٤].

قوله تعالى:{قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ} [الأعراف : ٤٨]، أي:" قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا"[٥].

قال السمعاني:" يعني: ما نفعكم اجتماعكم وتظاهركم في الدنيا"[٦].

قال الطبري:يعني:" ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد في الدنيا "[٧].

قال الثعلبي:أي:" في الدنيا من المال والأولاد"[٨].

عن ابن عباس:" {قالوا ما أغنى عنكم جمعكم}، تكثركم"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف : ٤٨]، أي:" وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقَبول الحق"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: وما أغنى عنكم ما كنتم تستكبرون عن الإيمان"[١١].

قال ابن ابي زمنين:أي:" عن عبادة الله"[١٢].

قال الطبري:" يقول: وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها"[١٣].

قال الزمخشري:" واستكباركم عن الحق وعلى الناس"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٦.

[٢] تفسير الطبري:٤٦٧/١٢.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٢):ص١٤٨٩/٥.

[٤] تأويلات أهل السنة:٤٣٣/٤-٤٣٤.

[٥] التفسير الميسر:١٥٦.

[٦] تفسير السمعاني:١٥٨/٢.

[٧] تفسير الطبري:٤٦٧/١٢.

[٨] الكشف والبيان:٣٢٧/٤.

[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٣):ص١٤٨٩/٥.

[١٠] التفسير الميسر:١٥٦.

[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٢.

[١٢] تفسير ابن ابي زمنين:١٢٦/٢.

[١٣] تفسير الطبري:٤٦٧/١٢.

[١٤] الكشاف:١٠٨/٢.

قال ابن زيد:" على أهل طاعة الله"[1].
عن ابن عباس:"{ وما كنتم تستكبرون} ، وتكبركم"[2].
قال قتادة:" نزع الله جمعهم وصار كبرهم في النار"[3].
قال السدي:" فمر بهم - يعني بأصحاب الأعراف-ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم. قال: يقول: قال أصحاب الأعراف: {ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون}"[4].
وقال ابن مجلز:" نادت الملائكة رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم {ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون. أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة} ، قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة {ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}"[5].
وقرئ: «تستكثرون»، من الكثرة[6].
الفوائد:

١- عدم إغناء المال والرجال، أي: إغناء لمن مات كافرا مشركا من أهل الظلم والفساد.
٢- بيان العقوبة الوخيمة للاستكبار عن طاعته سبحانه وتعالى، أو الجحود لما يجب قبوله وتصديقه.

القرآن
{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)} [الأعراف : ٤٩]
التفسير:
أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.
قوله تعالى:{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف : ٤٩]، أي:" أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة"[7].
قال ابن عباس:" يعني: أصحاب الأعراف"[8].
قال السدي:" هؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم"[9].
قال الزجاج:" يعني: أهل الجنة، كأنه قيل لهم: يا أهل النار أهؤلاء الذين حلفتم لا ينالهم الله برحمة"[10].
قال الطبري:" قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله، والإذعان لطاعته وطاعة رسله، الجامعين في الدنيا الأموال مكاثرة ورياء: أيها الجبابرة كانوا في الدنيا، أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم في الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة؟"[11].
قال مقاتل:" فأقسم أهل النار أن أهل الأعراف سيدخلون النار معهم قالت الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف على الصراط، {أهؤلاء}، يعني: أصحاب الأعراف {الذين أقسمتم} يا أهل النار أنهم {لا ينالهم الله برحمة}"[1].

---
[1] أخرجه الطبري(١٤٧٤٢):ص٤٦٨/١٢.
[2] أخرجه الطبري(١٤٧٣٩):ص٤٦٨/١٢.
[3] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٦):ص١٤٨٩/٥.
[4] أخرجه الطبري(١٤٧٣٨):ص٤٦٧/١٢.
[5] أخرجه الطبري(١٤٧٤١):ص٤٦٨/١٢.
[6] انظر: الكشاف:١٠٨/٢.
[7] التفسير الميسر:١٥٦.
[8] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٨):ص١٤٨٩/٥.
[9] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٩):ص١٤٨٩/٥.
[10] معاني القرآن:٣٤٣/٢.
[11] تفسير الطبري:٤٧١/١٢-٤٧٢.

قوله تعالى:{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} [الأعراف : ٤٩]، أي:" ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم"[٢].

قال الطبري:" قال [الله تعالى]: قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة"[٣].

قال مقاتل:"ثم قالت الملائكة: يا أصحاب الأعراف {ادخلوا الجنة ... "[٤].

عن ابن أبي خالد قال: "سألت عكرمة عن قوله: {أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة}، قال عكرمة: دخلوا الجنة"[٥].

قال الربيع:" فكانوا آخر أهل الجنة دخولا فيما سمعنا عن أصحاب النبي ﷺ"[٦].

قوله تعالى:{لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} [الأعراف : ٤٩]، أي:" لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا"[٧].

قال الطبري:أي:" لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم في الدنيا من الآثام والإجرام، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في دنياكم.. وقال أبو مجلز: بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار، بعد ما دخلوا النار، تعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون في الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته. وأما قوله:{ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}، فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها"[٨].

قال مقاتل:"{لا خوف عليكم} من العذاب، {ولا أنتم تحزنون} من الموت"[٩].

قال الزجاج:" فجائز أن يكون {ادخلوا الجنة}، خطابا من أصحاب الأعراف لأهل الجنة، لأن كل ما يقوله أصحاب الأعراف فعن الله تعالى. وجائز أن يكون خطابا من الله عز وجل لأهل الجنة"[١٠].

قال الماوردي:" وحكى ابن الأنباري أن قوله:{وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ}، معناه: على معرفة أهل الجنة والنار رجال ، وأن قوله:{ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوفٌ عَلَيكُم}، الآية من قول أصحاب الأعراف ، وهو مخالف لقول جميع المفسرين"[١١].

قال أبو عبدالله الحليمي:" وأما قول الله عز وجل:{ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم}، قالوا: {ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون} فإنما هو أنهم يقولون لقوم من أهل النار هذا فيقول لهم أهل النار في جواب ذلك وأنتم فما أغنى عنكم إيمانا، والله لا يأليكم من الله رحمه فيكذب الله تعالى يمين أهل النار ويقول لهؤلاء: أقسمتم عليهم أي ومن أين أجزتم لأنفسكم أن تحكموا على الله، ثم يقول لأصحاب الأعراف: {ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}"[١٢].

ونقل الثعلبي عن الكلبي: "إنهم ينادون وهم على السور يا وليد بن المغيرة ويا أبا جهل بن هشام ويا فلان. ثم ينظرون إلى الجنة فيرون فيها الضعفاء والفقراء والمساكين ممن كانوا يستهزؤن بهم مثل سلمان وصهيب وو خباب وأتباعهم فينادون أهؤلاء الذين أقسمتم حلفتم وأنتم

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٢.
[٢] التفسير الميسر:١٥٦.
[٣] تفسير الطبري:٤٧٢/١٢.
[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٢.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣٠):ص١٤٩٠/٥.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣١):ص١٤٩٠/٥.
[٧] التفسير الميسر:١٥٦.
[٨] تفسير الطبري:٤٧٢/١٢. وانظر: خبر ابن مجلز في تفسير الطبري(١٤٧٤٨):ص٤٧٢/١٢.
[٩] تفسير مقاتل بن سليمان:٣٩/٢.
[١٠] معاني القرآن:٣٤٣/٢-٣٤٤.
[١١] النكت والعيون:٢٢٧/٢.
[١٢] المنهاج في شعب الإيمان:٤٦٨/١.

في الدنيا لا ينالهم الله برحمة يعني الجنة ثم يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون"[١]

الفوائد:

١- بشرى الضعفة من المسلمين بدخول الجنة وسعادتهم فيها.

٢- ومن فوائد الآية الكريمة وأن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم لإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

- الطبقة الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدا.
- الطبقة الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف؛ الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.
- الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم فوق ذلك، حتى إن منهم من لم يحرم منه على النار إلا أثر السجود؛ حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد -ﷺ- ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه، فيحد لهم حدا فيخرجونهم، ثم يحد لهم حدا فيخرجونهم، ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان في قلبه نصف دينار من خير، ثم برة، ثم خردلة، ثم ذرة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيرا. ويخرج الله تعالى من النار أقواما لا يعلم عدتهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين، ولم يخلد في النار أحد من الموحدين؛ ولو عمل أي عمل: ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانا وأخف ذنبا كان أخف عذابا في النار وأقل مكثا فيها وأسرع خروجا منها، وكل من كان أضعف إيمانا وأعظم ذنبا كان بضد ذلك والعياذ بالله، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة. وإلى هذا المعنى أشار النبي -ﷺ- بقوله: "من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه"[٢].

وهذا مقام ضلت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

القرآن

{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)} [الأعراف : ٥٠]

التفسير:

واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذَّبوا رسله.

---

[١] الكشف والبيان:٢٣٧/٤.

[٢]رواه البزار "كشف الأستار ١/ ١٠/ ٣" والطبراني في الأوسط والصغير "١/ ١٤٠" والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق "٢/ ٤٨ و٣٧٩" وأبو نعيم في الحلية "٥/ ٤٦" من طرق عدة من حديث أبي هريرة. وبعض هذه الطرق بأسانيد صحيحة. قال المنذري: رواته رواة الصحيح. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح "رجال البزار والطبراني الصغير".

قوله تعالى:{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأعراف : ٥٠]، أي:" واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام"[١].

قال ابن زيد:" يستطعمونهم ويستسقونهم"[٢].

عن السدي:"{ أو مما رزقكم الله}، قال: من الطعام"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره:{ونادى أصحاب النار}، بعد ما دخلوها، {أصحاب الجنة}، بعد ما سكنوها، {أن}، يا أهل الجنة {أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله}، أي: أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام، وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة، عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع، عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله، وأداء ما كان فرض عليهم فيها في أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة"[٤].

قال الزجاج:" فأعلم الله عز وجل: أن ابن آدم غير مستغن عن الطعام والشراب وإن كان معذبا"[٥].

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف : ٥٠]، أي:" فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذَّبوا رسله"[٦].

قال الطبري:" فأجابهم أهل الجنة، إن الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذبوا في الدنيا رسله"[٧].

قال الزجاج:" فأعلمهم أهل الجنة: أن الله حرمها على الكافرين، يعنون أن الله حرم طعام أهل الجنة وشرابهم على أهل النار، لأنهم إنما يشربون الحميم الذي يصهر به ما في بطونهم"[٨].

قال ابن عباس:" ينادي الرجل أخاه أو أباه، فيقول:قد احترقت، أفض علي من الماء!، فيقال لهم: أجيبوهم! فيقولون:{إن الله حرمهما على الكافرين}"[٩].

قال سعيد بن جبير:" ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأغثني! فيقول:{إن الله حرمهما على الكافرين}"[١٠].

قال ابن زيد في قوله:"{قالوا إن الله حرمهما على الكافرين}، قال: طعام أهل الجنة وشرابها"[١١].

الفوائد:

١- القطع لكل للكافرين بالنار.
٢- أنه تعالى حرم طعام أهل الجنة وشرابهم على الكافرين، وكذلك الشفاعة، لأنها وسيلة إليه.
٣- ويستفاد من الفائدة السابقة أنه من أتى بمانع يمنع من الشفاعة، أو دخول الجنة، كالشرك والكفر، فلا سبيل للشفعاء إلى الشفاعة فيه.

---

[١] التفسير الميسر:١٥٦.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٧٥٠):ص٤٧٣/١٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٧٤٩):ص٤٧٣/١٢.
[٤] تفسير الطبري:٤٧٢/١٢-٤٧٣.
[٥] معاني القرآن:٣٤٤/٢.
[٦] التفسير الميسر:١٥٦.
[٧] تفسير الطبري:٤٧٣/١٢.
[٨] معاني القرآن:٣٤٤/٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٧٥١):ص٤٧٣/١٢-٤٧٤.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٧٥٢):ص٤٧٤/١٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٧٥٣):ص٤٧٤/١٢.

٤- ومن فوائد الآية الكريمة أن من أسماء يوم القيامة: «يوم التناد»، قال تعالى: {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} [غافر : ٣٢] .

وسمي بذلك: لمناداة الناس بعضهم بعضا، فينادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم، وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة: أن أفيضوا علينا من الماء، وينادي المنادي أيضا بالشقوة والسعادة: ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وهذا عند وزن الأعمال، وتنادي الملائكة أصحاب الجنة: أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون، وينادى حين يذبح الموت: "يا أهل الجنة، خلود لا موت، ويا أهل النار، خلود لا موت"[١]، وينادى كل قوم بإمامهم، إلى غير ذلك من النداء[٢].

القرآن

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)} [الأعراف : ٥١]

التفسير:

الذين حَرَمهم الله تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه باطلا ولهوًا، وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن العمل للآخرة، فيوم القيامة ينساهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

قوله تعالى:{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف : ٥١]، أي:" الذين حَرَمهم الله تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه باطلا ولهوًا"[٣].

قال ابن عباس:" وذلك أنهم كانوا إذا دُعوا إلى الإيمان سخِروا ممن دعاهم إليه وهزؤوا به، اغترارًا بالله"[٤].

قوله تعالى:{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأعراف : ٥١]، أي:" وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن العمل للآخرة"[٥].

قال الطبري:" يقول: وخدعهم عاجلُ ما هم فيه من العيش والخفض والدَّعة، عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة، حتى أتتهم المنية"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأعراف : ٥١]، وجوه[٧]:

أحدها: وغرتهم زينة الحياة الدنيا .

والثاني : وغرتهم الرياسة في الدنيا .

والثالث: وغرتهم حياتهم في الدنيا حين أمهلوا .

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا} [الأعراف : ٥١]، أي:" فيوم القيامة ينساهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا"[٨].

---

[١] رواه البخاري (٦٥٤٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه..

[٢] انظر: تفسير القرطبي:١٥/ ٣١١.

[٣] التفسير الميسر:١٥٦.

[٤] أخرجه الطبري(١٤٧٥٤):ص١٢/٤٧٥.

[٥] التفسير الميسر:١٥٦.

[٦] تفسير الطبري:٤٧٥/١٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.

[٨] التفسير الميسر:١٥٦.

قال الطبري:" أي: ففي هذا اليوم -وذلك يوم القيامة- نتركهم في العذاب المبين جياعًا عطاشًا بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ورفضوا الاستعداد له بإتعاب أبدانهم في طاعة الله"[1].

عن مجاهد: "{فاليوم ننساهم}، قال: نسوا في العذاب"[2].

قال ابن عباس:" نتركهم من الرحمة، كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا"[3].

وقال ابن عباس أيضا:" يقول: نسيهم الله من الخير، ولم ينسهم من الشرّ"[4].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا بِآَيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف : ٥١]، أي:" ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق"[5].

قال الطبري:أي:" وكما كانوا بآياتنا يجحدون.. وهي حججه التي احتج بها عليهم، من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك، {يجحدون}، يكذبون ولا يصدقون بشيء من ذلك"[6].

الفوائد:

١- تحريم اتخاذ شيء من الدين لهوا ولعبا.

٢- التحذير من الاغترار بالدنيا حتى ينسى العبد آخرته فلم يعد لها ما ينفعه فيها من الإيمان وصالح الأعمال.

القرآن

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [الأعراف : ٥٢]

التفسير:

ولقد جئنا الكفار بقرآن أنزلناه عليك -أيها الرسول- بيَّنَّاه مشتملا على علم عظيم، هاديًا من الضلالة إلى الرشد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه. وخصَّهم دون غيرهم؛ لأنهم هم المنتفعون به.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ} [الأعراف : ٥٢]، أي:" ولقد جئنا الكفار بقرآن" [7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أقسم، يا محمد، لقد جئنا هؤلاء الكفرة {بكتاب}، يعني: القرآن الذي أنزله إليه"[8].

قوله تعالى:{فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ} [الأعراف : ٥٢]، أي:" ووضحنا أحكامه على علم منا حتى جاء قيّماً غير ذي عوج" [9].

قال الطبري:أي:" مفصَّلا مبيَّنًا فيه الحق من الباطل، على علم منا بحقِّ ما فُصِّل فيه، من الباطل الذي مَيَّز فيه بينه وبين الحق"[10].

وفي قوله تعالى:{فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ} [الأعراف : ٥٢]، وجهان[11]:

أحدهما : بيَّنَّا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة .

والثاني : ميزنا به الهدى من الضلالة على علم بالثواب والعقاب .

قوله تعالى:{هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٥٢]، أي:" هداية من الضلالة إلى الرشد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه" [1].

---

[1] تفسير الطبري:٤٧٥/١٢.
[2] أخرجه الطبري(١٤٧٥٥):ص٤٧٥/١٢.
[3] أخرجه الطبري(١٤٧٥٨):ص٤٧٦/١٢.
[4] أخرجه الطبري(١٤٧٥٩):ص٤٧٦/١٢.
[5] التفسير الميسر:١٥٦.
[6] تفسير الطبري:٤٧٦/١٢.
[7] التفسير الميسر:١٥٧.
[8] تفسير الطبري:٤٧٧/١٢.
[9] صفوة التفاسير:٤١٧/١.
[10] تفسير الطبري:٤٧٧/١٢.
[11] انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٢.

قال الطبري:" يقول: بيناه ليُهْدَى ويُرْحَم به قومٌ يصدقون به، وبما فيه من أمر الله ونهيه، وأخباره، ووعده ووعيده، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى"[٢].
الفوائد:

القرآن
{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)} [الأعراف : ٥٣]
التفسير:
هل ينتظر الكفار إلا ما وُعِدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟ يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: قد تبيَّن لنا الآن أنَّ رسل ربنا قد جاؤوا بالحق، ونصحوا لنا، فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا، أو نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترونه في الدنيا مما يَعِدُهم به الشيطان.

قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" هل ينتظر الكفار إلا ما وُعِدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟" [٣].

قال الطبري:يقول:" هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا ما يؤول إليه أمرهم، من ورودهم على عذاب الله، وصِلِيِّهم جحيمه، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به"[٤].

عن قتادة قوله:"{هل ينظرون إلا تأويله}، أي: ثوابه"[٥].

قال السدي:" أما {تأويله}، فعواقبه، مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيها من موعد"[٦].

عن ابن زيد في قوله:"يوم يأتي تأويله"، قال: يوم يأتي حقيقته، وقرأ قول الله تعالى: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [سورة يوسف: ١٠٠] . قال: هذا تحقيقها. وقرأ قول الله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ}[سورة آل عمران: ٧] ، قال: ما يعلم حقيقته ومتى يأتي، إلا الله تعالى"[٧].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة" [٨].

قال الطبري: معناه:" يوم يجيء ما يؤول إليه أمرهم من عقاب الله"[٩].

قال ابن عباس:" يوم القيامة"[١٠].

قال قتادة : "أي: ثوابه"[١١]. وفي رواية أخرى:" عاقبته"[١٢]، وفي رواية ثالثة:" جزاؤه"[١].

---
[١] التفسير الميسر:١٥٧.
[٢] تفسير الطبري:٤٧٧/١٢.
[٣] التفسير الميسر:١٥٧.
[٤] تفسير الطبري:٤٧٨/١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٧٦١):ص٤٧٨/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٧٦٥):ص٤٧٩/١٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٧٦٨):ص٤٧٩/١٢-٤٨٠.
[٨] التفسير الميسر:١٥٧.
[٩] تفسير الطبري:٤٨٠/١٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٧٦٧):ص٤٧٩/١٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٧٦١):ص٤٧٨/١٢.
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٧٦٢):ص٤٧٨/١٢.

قوله تعالى:{يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا" [٢].

قال الطبري: " أي: يقول الذين ضيَّعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب، من قبل ذلك في الدنيا"[٣].

قال السدي:" أما {الذين نسوه}، فتركوه"[٤].

وعن مجاهد:"{يقول الذين نسوه}، قال: أعرضوا عنه"[٥].

وفي قوله تعالى:{يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ٥٣]، وجهان:

أحدهما : معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسي ، قاله أبو مجلز[٦]، وهو معنى قول مجاهد[٧].

والثاني : تركوا العمل به، قاله الزجاج[٨]، وهو معنى قول السدي[٩].

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" قد تبيَّن لنا الآن أنَّ رسل ربنا قد جاؤوا بالحق" [١٠].

قال الطبري:" أقسم المساكين حين عاينوا البلاءَ وحلّ بهم العقاب: أنّ رسل الله التي أتتهم بالنِّذارة وبلغتهم عن الله الرسالة، قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله، وذلك حين لا ينفعهم التصديق. ولا ينجيهم من سَخَط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل"[١١].

قال السدي:" فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم، استيقنوا فقالوا: {قد جاءت رسل ربنا بالحق}"[١٢].

وفي قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٥٣]، وجهان[١٣]:

أحدهما : أنبياء الله في الدنيا بكتبه المنذرة .

والثاني : الملائكة عند المعاينة بما بشروهم به من الثواب العقاب .

قوله تعالى:{فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا} [الأعراف : ٥٣]، أي:" فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا" [١٤].

قال الطبري:" وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم، أنهم يقولون عند حلول سَخَط الله بهم، وورودهم أليمَ عذابه، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسلُ الله تعِدهم: هل لنا من أصدقاءَ وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا في الدنيا"[١٥].

قوله تعالى:{أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" أو نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟" [١٦].

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٧٦٣):ص١٢/٤٧٨-٤٧٩.
[٢] التفسير الميسر:١٥٧.
[٣] تفسير الطبري:١٢/٤٨٠.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٧٦٩):ص١٢/٤٨٠.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٧٧٠):ص١٢/٤٨٠.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٨.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٧٠):ص١٢/٤٨٠.
[٨] انظر: معاني القرآن:١/٣٧٨، و٢/٣٤١.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٦٩):ص١٢/٤٨٠.
[١٠] التفسير الميسر:١٥٧.
[١١] تفسير الطبري:١٢/٤٨٠.
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٧٦٩):ص١٢/٤٨٠.
[١٣] انظر: النكت والعيون:٢/٢٢٩.
[١٤] التفسير الميسر:١٥٧.
[١٥] تفسير البري:١٢/٤٨١.
[١٦] التفسير الميسر:١٥٧.

قال الطبري:يقول:" أو نردّ إلى الدنيا مرة أخرى، فنعمل فيها بما يرضيه ويُعْتِبُه من أنفسنا؟ قال هذا القولَ المساكينُ هنالك، لأنهم كانوا عهدوا في الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم في حاجاتهم، فيذكروا ذلك في وقت لا خُلة فيه لهم ولا شفاعة"[1].

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها" [2].

قال السدي:" يقول: شروها بخسران"[3].

قال الطبري:" يقول: غَبَنوا أنفسهم حظوظها، ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم، بالخسيس من عَرَض الدنيا الزائل"[4].

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترونه في الدنيا مما يَعِدُهم به الشيطان"[5].

قال الطبري:" يقول: وأسلمهم لعذاب الله، وحار عنهم أولياؤهم، الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، ويزعمون كذبًا وافتراء أنهم أربابهم من دون الل"[6].

الفوائد:

١- لا ينفع الإيمان عند معاينة الموت والعذاب كما لا ينفع يوم القيامة.
٢- أن الكفار، إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأن الرسل جاءت بالحق ... وبين في مواضع أخر أن اعترافهم هذا بقولهم: {قد جآءت رسل ربنا بالحق} لا ينفعهم كقوله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١١]، وقوله: {قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الزمر : ٧١]، ونحو ذلك من الآيات.
٣- أن يوم القيامة كل معبود ينكر عبادة من عبده، ويكذبه فيما قصده، قال تعالى: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.
٤- ومن الفوائد أن التأويل في كتاب الله وسنة رسوله: هو الحقيقة التي يئول إليها الكلام. فتأويل الخبر: هو عين المخبر به، وتأويل الأمر نفس الفعل المأمور به. كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: "«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»"[7] . وقال تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٥٣] ، ومنه تأويل الرؤيا، وتأويل العمل، كقوله: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف: ١٠٠] ، وقوله: {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: ٦] ، وقوله: {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩] ، وقوله: {سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٧٨] ، إلى قوله: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٨٢][8].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)} [الأعراف : ٥٤]

---

[1] تفسير البري:٤٨١/١٢.
[2] التفسير الميسر:١٥٧.
[3] أخرجه الطبري(١٤٧٧٢):ص٤/١٢.
[4] تفسير البري:٤٨١/١٢.
[5] التفسير الميسر:١٥٧.
[6] تفسير البري:٤٨١/١٢.
[7]أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة النصر -: ٨ / ٧٣٣، ومسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع الركوع والسجود برقم: (٤٨٤) : ١ / ٣٥٠، والمصنف في شرح السنة: ٣ / ١٠٠.
[8] انظر: شرح العقيدة الطحاوية:١،٢٥٣.

التفسير:
إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام، ثم استوى -سبحانه- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، يُدخل سبحانه الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعًا دائمًا، وهو -سبحانه- الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذللات له يسخرهن -سبحانه- كما يشاء، وهنَّ من آيات الله العظيمة. ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعاظم وتنزَّه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام"[١].

قال مجاهد:" بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجُمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون"[٢].

وفي ترك تعجيل خلقها في أقل الزمان مع قدرته على ذلك أربعة أوجه[٣] :

أحدها : أن إنشاءها شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال أبلغ في الحكمة وأدل على صحة التدبير ليتوالى مع الأوقات بما ينشئه من المخلوقات تكرار المعلوم بأنه عالم قادر يصرف الأمور على اختياره ويجريها على مشيئته .

والثاني : أن ذلك لاعتبار الملائكة ، خلق شيئاً بعد شيء .

والثالث : أن ذلك ترتب على الأيام الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة وهي ستة أيام فأخرج الخلق فيها ، قاله مجاهد .

والرابع : ليعلمنا بذلك ، الحساب كله من ستة ومنه يتفرع سائر العدد قاله ابن بحر[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ثم استوى -سبحانه- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيلٍ ولا تحريف"[٥].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف : ٥٤]، وجهان:

أحدهما : معناه: استوى أمره على العرش ، قاله الحسن[٦]، وابن ابي زمنين[٧].

والثاني : معناه: استولى على العرش ، واحتجوا بقول الشاعر[٨]:

قد اسْتَوَى بِشْرٌ على العِرَاقِ   مِن غَيْرِ سَيْفٍ ودم مُهْرَاقٍ[٩]

---

[١] التفسير الميسر:١٥٧.

[٢] أخرجه الطبري(١٤٧٧٣):ص٤٨٢/١٢.

[٣] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.

[٥] انظر: صفوة التفاسير:٤١٨/١.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.

[٧] انظر: تفسير ابن ابي زمنين:٤٨٥/١.

[٨]الشاهد بدون نسبة فى "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٥ (سوا)، و"تفسير الماوردي" ٢/ ٢٢٩، و"الأسماء والصفات" للبيهقي ٢/ ٣٠٩، و"زاد المسير" ٣/ ٢١٣، والقرطبي ٧/ ٢٢٠، و "رصف المباني" ص ٤٣٤، و"اللسان" ٤/ ٢١٦٣ (سوا)، و"الخازن" ٢/ ٣٣٩، و"الدر المصون" ١/ ٢٤٣، ونسب في "تاج العروس" ١٩/ ٥٥١ (سوا)، إلى الأخطل، وفي هذه المراجع (قد استوى)، وقال شيخ الإسلام في "الفتاوى" ٥/ ١٤٦: (لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه، وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة) اهـ. ونسبه ابن كثير في "البداية والنهاية" ٩/ ٧ إلى الأخطل، وقال: (الأخطل نصراني، والاستدلال به باطل من وجوه كثيرة) اهـ. وهو ليس في ديوان الأخطل والواحدي نسبه هنا وفي "الوسيط" ١/ ١٩٢ (إلى البعيث) وانظر: "مختصر الصواعق المرسلة" ٣/ ٨٩٠، ٨٩٨.

[٩] قال الآلوسي معلقا على البيت:" وأين استواء- بشر على العراق- من استواء الرحمن على العرش، ونهاية الأمر يحتاج إلى القول بأن المراد استيلاء يليق بشأن الرحمن جل شأنه فليقل من أول الأمر قبل تحمل مؤنة هذا التأويل استواء يليق بشأن من عز شأنه وتعالى عن إدراك العقول سلطانه، وهذا أليق بالأدب وأوفق بكمال العبودية وعليه درج صدر الأمة وساداتها- وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها- وإليها دعا أئمة الحديث في القديم

وهذا قول أهل التأويل من المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم، وقد اتفق أهل العلم على إبطاله[1].

قال الإمام الأشعري:" وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر؛ لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء"[2].

كما رد عليهم الدارمي وأبطل تأويلهم لذلك بقوله: "فهل من مكان لم يستول عليه ولم يعله حتى خص العرش بالذكر من بين الأمكنة والاستواء ...ثم قال: هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكون أنتم - إن شاء الله - في بطوله واستحالته، غير أنكم تغالطون به الناس"[3].

وقد رَدَّ ابن الأعرابي -وهو من أئمة اللغة- على مَنْ فَسَّر الاستواء بـ «الاستيلاء» هنا، بقوله: ".. لا يقال: استولى على الشيء، إلا أن يكون له مضادّ، فإذا غلب أحدُهما، قيل: استولى .."[4]

والله تعالى لا منازع له في مُلْكه. ورَدَّه كذلك الخليل بن أحمد. ذكَرَ ذلك الكرمي[5].

قال السمعاني:" أوّل المعتزلة الاستواء بالاستيلاء...وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل، ويقولون: إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف، والإيمان به واجب، كذلك يحكى عن مالك بن أنس، وغيره من السلف، أنهم قالوا في هذه الآية: الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[6].

ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء، وغيرها من صفات الباري تعالى: أن تمر كما جاءت، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل؛ فيثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، إثباتًا منزهًا عن التشبيه، منزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعطّل، ومَنْ شبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فهو مُمَثِّل. وقد قال الإمام مالك بن أنس، لَمَّا سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)، وقد وَرَدَ مثلُ ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، وربيعة الرأي[7].

والحديث حتى قال محمد بن الحسن كما أخرجه عنه اللالكائي: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه، وورد عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له ضبيع: قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله ضبيع فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه- وفي رواية- فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين". روح المعاني:٢/٨٥-٨٦.

[1] انظر: "الإبانة" ص ٣٦، و"الأسماء والصفات" ٢/ ٣٠٦ - ٣٠٨، و"الفتاوى" ٥/ ١٤٣ - ١٤٩، و"مختصر العلو" للألباني ص ٢٦.

[2] رسالة إلى أهل الثغر بباب الابواب:١٣١.

[3] انظر الرد على الجهمية :١٨.

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للالكائي: ٣/ ٤٤٢.

[5] انظر: قاويل الثقات: ١٢٤.

[6] تفسير السمعاني:٢/١٨٨.

[7] انظر: "شرح أصول الاعتقاد" ٣/ ٤٤٠ - ٤٤٣. وانظر مادة (سوا) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٧٩٤، "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٥ - ٢٣٨٦، "اللسان" ٤/ ٢١٦٠، "القاموس المحيط" ١٢٩٧، "قاموس القرآن" للدامغاني: ٢٥٥، "تاج العروس" للزبيدي: ١/ ١٧٩. وانظر حول موضوع صفة الاستواء: "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة: ٣٩٤، "الرد على الجهمية" للدارمي: ص ٤٠، "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للبيهقي: ص ١١٦، "الأسماء والصفات" للبيهقي: ٢/ ٣٠٣، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٥/ ١٤٦، ٣٦٥، ٤٠٤، ٥١٩ - ٥٢٠ "العقائد السلفية" لأحمد بن حجر: ١/ ١٢٤ - ١٢٥، ١٦٤ - ١٦٧، "رسائل في العقيدة" لمحمد بن عثيمين: ٧٠.

قال الإمام الشوكاني:" مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه"[١].

قال الإمام القرطبي - بعد أن ذكر مذهب المتكلمين-: "وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة، لا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة، بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه، وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وخص العرش بذلك لأنه أعظم المخلوقات، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم- أي في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها"[٢].

قال الإمام ابن كثير:" وأما قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] بل الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري - : "من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى"[٣].

وفي{الْعَرْشِ}[الأعراف : ٥٤]، ثلاثة أقوال[٤]:

أحدها : أنه المُلْك كني عنه بالعرش والسرير كعادة ملوك الأرض في الجلوس على الأسرة ، حكاه ابن بحر[٥].

والثاني : أنه السموات كلها لأنها سقف ، وكل سقف عند العرب هو عرش ، قال الله تعالى :{خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} [الكهف : ٤٢] [الحج : ٤٥]، أي: على سقوفها .

والثالث : أنه موضع في السماء في أعلاها وأشرفها ، محجوب عن ملائكة السماء .

قال ابن عباس:" وإنما سمي العرش عرشا لارتفاعه"[٦].

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء"[٧].

قال وهب بن منبه :"إن الله خلق العرش من نوره"[٨].

قوله تعالى:{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعًا دائمًا"[٩].

عن ابن عباس:"{يطلبه حثيثًا}، يقول: سريعًا"[١٠].

قال السدي:" يغشي الليل النهارَ بضوئه، ويطلبه سريعًا حتى يدركه"[١١].

قال السمعاني:" أي: يغطي الليل على النهار"[١٢].

---

[١] فتح القدير:٢٤٠/٢.

[٢] تفسير القرطبي: ٧/ ٢١٩.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٢٦/٣-٤٢٧.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٣٠/٢.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٣٠/٢.

[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٨):ص١٤٩٧/٥.

[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٩):ص١٤٩٧/٥.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٠):ص١٤٩٧/٥.

[٩] التفسير الميسر:١٥٧.

[١٠] أخرجه الطبري(١٤٧٧٤):ص٤٨٣/١٢.

[١١] أخرجه الطبري(١٤٧٧٥):ص٤٨٣/١٢.

[١٢] تفسير السمعاني:١٨٨/٢.

قال ابن كثير:" أي : يذهب ظلام هذا بضياء هذا ، وضياء هذا بظلام هذا ، وكل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، أي : سريعًا لا يتأخر عنه ، بل إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب هذا ، كما قال تعالى : { وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس : ٣٧ - ٤٠] فقوله : { وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } أي : لا يفوته بوقت يتأخر عنه ، بل هو في أثره لا واسطة بينهما"[١].

قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" وهو -سبحانه- الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذللات له يسخرهن -سبحانه- كما يشاء"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم، كلّ ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن أمرَه"[٣].

قال الزجاج:" أي: خلق النجوم جاريات مجاريهن بأمره"[٤].

قال ابن كثير:" أي : الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته "[٥].

قوله تعالى:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله"[٦].

قال ابن كثير:" أي : له الملك والتصرف"[٧].

قال الطبري:أي:" ألا لله الخلق كله، والأمرُ الذي لا يخالف ولا يردّ أمره، دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر"[٨].

قوله تعالى:{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" تعالى الله وتعاظم وتنزَّه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين"[٩].

قال الطبري:أي:" تبارك الله معبودُنا الذي له عبادة كل شيء، رب العالمين"[١٠].

روي عن رسول الله ﷺ: مَنْ لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه، قلَّ شكره، وحَبِط عمله. ومَنْ زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئًا فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه، لقوله: {ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين}"[١١].

الفوائد:

١- يحسن التثبت في الأمر والتأني عند العمل وترك العجلة، فالله قادر على خلق السموات والأرض في ساعة ولكن خلقها في ستة٥ أيام بمقدار أيام الدنيا تعليما وإرشادا إلى التثبت في الأمور والتأني فيها.

٢- أن الله سبحانه وتعالى مستو على عرشه، استوى عليه كما بينه في كتابه، في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤] وقوله: {اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} [الفرقان: ٥٩]

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٢٧/٣.
[٢] التفسير الميسر:١٥٧.
[٣] تفسير الطبري:٤٨٣/١٢.
[٤] معاي القرآن:٣٤٢/٢.
[٥] تفسير ابن كثير:٤٢٧/٣.
[٦] التفسير الميسر:١٥٧.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٢٧/٣.
[٨] تفسير الطبري:٤٨٣/١٢-٤٨٤.
[٩] التفسير الميسر:١٥٧.
[١٠] تفسير الطبري:٤٨٤/١٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٧٧٦):ص٤٨٤/١٢.

في آياتِ أخر، والرسول ﷺ ، ذكره فيما نقل عنه، من غير أن يكيف استواءه عليه، أو يجعل لفعله، وفهمه، أو وهمه سبيلاً إلى إثبات كيفيته، إذ الكيفية عن صفات ربنا منفية.

قال إمام المسلمين في عصره أبو عبد الله مالك بن أنس رضي الله عنه، في جواب من سأله عن كيفية الاستواء: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأراك صاحب بدعة"، ثم أمر بإخراج السائل"[١].

٣- انحصار الخلق كل الخلق فيه تعالى فلا خالق إلا هو، والأمر كذلك فلا آمر ولا ناهي غيره. هنا قال عمر: من بقي له شيء فليطلبه إذ لم يبق شيء ما دام الخلق والأمر كلاهما لله.

القرآن

{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)} [الأعراف : ٥٥]

التفسير:

ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا، وليكن الدعاء بخشوع وبُعْدٍ عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه.

قوله تعالى:{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف : ٥٥]، أي:" ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا بخشوع وخضوع"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ادعوا، أيها الناس، ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام {تضرعًا}، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته {وخفية}، يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله"[٣].

وفي قوله تعالى:{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف : ٥٥]، أقوال:

أحدها : في الرغبة والرهبة ، قاله ابن عباس[٤].

والثاني : التضرع : التذلل والخضوع ، والخفية : إخلاص القلب[٥].

والثالث: التضرع : يعني: مستكينين، وخفية: في خفض وسكون، وذلك كقوله: {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء : ١١٠]، يعني: تسر بها. وهذا قول سعيد بن جبير[٦]، ومقاتل[٧].

والرابع: أن التضرع بالبدن ، والخفية إخلاص القلب. أفاده الماوردي[٨].

والخامس: انه عني بذلك القراءة. وهذا قول زيد بن اسلم[٩].

قال الحسن:" إنْ كانَ الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعرُ جارُه. وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقهَ الكثير، وما يشعرُ به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْر، وما يشعرون به. ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبدًا! ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان

---

[١] رواه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والإمام أبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦)، والإمام البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٠٨) وقد جود الإمام ابن حجر طريق ابن وهب عند البيهقي فقال: وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب ... فذكره. الفتح (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧). وقد ذكره ابن أبي زيد القيرواني في الجامع (ص١٢٣)، والقاضي عياض في المدارك (١/ ١٧٠ - ١٧١).

[٢] انظر: التفسير الميسر:١٥٧، وصفوة التفاسير:٤١٨/١.

[٣] تفسير الطبري:٤٨٥/١٢.

[٤] انظر: النكت والعيون:٢٣٠/٢.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٩٢)، و(٨٥٩٣):ص١٤٩٩/٥.

[٧] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٢.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٩٤):ص١٤٩٩/١٢.

إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول:"ادعوا ربكم تضرعًا وخفية"، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضِي فعله فقال: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} [سورة مريم: ٣]"[١].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف : ٥٥]، أي:" إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه"[٢].

قال الطبري:" معناه: إن ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حدَّه الذي حدَّه لعباده في دعائه ومسألته ربَّه، ورفعه صوته فوق الحد الذي حدَّ لهم في دعائهم إياه، ومسألتهم، وفي غير ذلك من الأمور"[٣].

عن ابن عباس:" {إنه لا يحب المعتدين}، في الدعاء ولا في غيره"[٤].

وفي الاعتداء في الدعاء ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء ، قاله أبو مجلز[٥].

والثاني : أنه يدعو باللعنة والهلاك على من لا يستحق ، سعيد بن جبير[٦]، ومقاتل[٧].

قال سعيد بن جبير:" لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر اللهم اخزه والعنه ونحو ذلك. فإن ذلك عدوان"[٨].

والثالث : أن يرفع صوته بالدعاء. وهذا قول زيد بن أسلم[٩]، وابن جريج[١٠]، واختاره الشاطبي[١١].

قال ابن جريج: "إن من الدعاء اعتداءً، يُكره رفعُ الصوتِ والنداءُ والصياحُ بالدعاء، ويُؤمر بالتضرُّع والاستكانة"[١٢].

وروى أبو عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غزاة فأشرفوا واد ، فجعل الناس يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال النبي -ﷺ- : «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنفُسكُم إِنَّكُم لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً إِنَّكُم تَدْعُونَ سَمِيعاً قَرِيباً وَهُوَ مَعَكُمْ »"[١٣].

وروي أن ابنا لسعد بن مالك دعا فذكر الجنة فقال: ا"للهم إني أسألك نعيمها وأزواجها وثمارها ونحوها وذكر النار قال: اللهم إني أعوذ بك من سلاسلها وأغلالها وسعيرها ونحو هذا. فقال له سعد بن مالك: لقد سألت نعيما طويلا، وتعوذت من شر عظيم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: سيكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء وتلا هذه الآية: ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ثم قال: بحسبك أن تقول: اللهم إن أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل"[١٤].

الفوائد:

١- وجوب دعاء الله تعالى فإن الدعاء هو العبادة.

٢- منع رفع الأصوات، وفضيلة الإخفاء بالتلاوة والذكر والدعاء.

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٧٧٧):ص٤٨٥/١٢.

[٢] التفسير الميسر:١٥٧.

[٣] تفسير الطبري:٤٨٦/١٢.

[٤] أخرجه الطبري(١٤٧٨١):ص٤٨٦/١٢-٤٨٧.

[٥] انظر:تفسير الطبري(١٤٧٨٠):ص٤٨٦/١٢.

[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠٦):ص١٥٠٠/٥.

[٧] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٤١/٢.

[٨] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٠٦):ص١٥٠٠/٥.

[٩] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠٨):ص١٥٠٠/٥.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٨١):ص٤٨٦/١٢-٤٨٧.

[١١] انظر: الإعتصام:١٠٨/٢.

[١٢] أخرجه الطبري(١٤٧٨١):ص٤٨٦/١٢-٤٨٧.

[١٣] أخرجه الطبري(١٤٧٧٨):ص٤٨٦/١٢.

[١٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٩٥):ص١٥٠٠/٥.

٣- بيان آداب الدعاء وهو: أن يكون الداعي ضارعا متذللا، وأن يخفي دعاءه فلا يجهر به، وأن يكون حال الدعاء خائفا طامعا٤، وأن لا يعتدي في الدعاء بدعاء غير الله تعالى أو سؤال ما لم تجر سنة الله بإعطائه.

القرآن

{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [الأعراف : ٥٦]

التفسير:

ولا تُفْسدوا في الأرض بأيِّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل -عليهم السلام- وعُمْرانها بطاعة الله، وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء؛ خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه. إن رحمة الله قريب من المحسنين.

قوله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف : ٥٦]، أي:" ولا تُفْسدوا في الأرض بأيِّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل -عليهم السلام- وعُمْرانها بطاعة الله"[١].

قال مقاتل:" يقول: لا تعملوا في الأرض بالمعاصي بعد الطاعة"[٢].

قال الطبري: يقول:" لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها، وذلك هو الفساد فيها، {بعد إصلاحها}، يقول: بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته، بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحق، وإيضاحه حججه لهم"[٣].

عن أبي صالح:" {بعد إصلاحها}، قال: بعد ما أصلحتها الأنبياء وأصحابهم"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف : ٥٦]، أربعة أقوال[٥]:

أحدها : لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان .

قال مقاتل:" وذلك أن الله إذا بعث نبيا إلى الناس فأطاعوه صلحت الأرض وصلح أهلها وأن المعاصي فساد المعيشة وهلاك أهلها"[٦].

والثاني : لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثالث : لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطاعة ، قاله الكلبي[٧].

والرابع : لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه ، قاله الحسن[٨].

قال سنيد:" قيل لأبي بكر بن عياش: ما قوله في كتابه؟ {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}، فقال أبو بكر: إن الله بعث محمدا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد فهو من المفسدين في الأرض"[٩].

قوله تعالى:{وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الأعراف : ٥٦]، أي:" وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء؛ خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه"[١٠].

قال مقاتل:" وادعوه خوفا من عذابه وطمعا في رحمته"[١١].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٧.

[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٢.

[٣] تفسير الطبري:٤٨٧/١٢.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٠):ص١٥٠١/٥.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٢.

[٧] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

[٩] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٠١):ص١٥٠١/٥.

[١٠] التفسير الميسر:١٥٧.

[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٢.

قال الطبري: " يقول: وأخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئًا غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه. وإنّ مَن كان دعاؤه إياه على غير ذلك، فهو بالآخرة من المكذبين، لأنّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه، لم يبال ما ركب من أمر يسخَطه الله ولا يرضاه"[١].

وعن الضحاك:" {خوفا وطمعا}، قال: الخوف الصواعق"[٢]، "الطمع الغيث"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف : ٥٦]، أي:" إن رحمة الله قريب من المطيعين الذين يمتثلون أوامره ويتركون زواجره"[٤].

قال مقاتل:" يعني بالرحمة المطر، يقول: الرحمة لهم "[٥].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا، قريب منهم، وذلك هو رحمته، لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم"[٦].

قال جعفر: "سمعت مطر الوراق يقول: تنجزوا موعود الله بطاعة الله فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين"[٧].

وإن قيل : فلم أسقط الهاء من «قريب»، و«الرحمة» مؤنثة ؟ فعن ذلك جوابان:
أحدهما : أن الرحمة من الله إنعام منه فَذُكِّرَ على المعنى ، وهو أن إنعام الله قريب من المحسنين ، قاله الأخفش[٨].
والثاني : أن المراد به مكان الرحمة ، قاله الفراء[٩]، كما قال عروة بن حزام [١٠]:

عَشِيَّةَ لا عَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَةٌ   فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ

فأراد بالبعد مكانها فأسقط «الهاء» ، وأرادها هي بالقريبة فأثبت «الهاء».
الفوائد:

١- حرمة الإفساد في الأرض بالشرك والمعاصي بعد أن أصلحها الله تعالى بالإسلام.
٢- الترغيب في الإحسان مطلقا خاصا وعاما حيث أن الله تعالى يحب أهله.
٣- أن المجتمع المسلم يتكاتف أفراده رجالاً ونساء ويتعاونون في مجال الإصلاح، ونشر الخير ومنع الفساد في الأرض.
٤- أن الإصلاح في الأرض يكون بالدعوة التي جاءت بها الرسل، وفي هذه الآية جعل الإفساد مطلقاً، فتبين بهذا أن كل خروج عن طاعة الله جل وعلا يكون فساداً في الأرض.

القرآن

---

[١] تفسير الطبري:٤٨٧/١٢.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٢):ص١٥٠١/٥.
[٣]أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٣):ص١٥٠١/٥.
[٤] انظر: التفسير الميسر:١٥٧، وصفوة التفاسير:٤١٨/١.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٢/٢.
[٦] تفسير الطبري:٤٨٧/١٢-٤٨٨.
[٧]أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٤):ص١٥٠١/٥.
[٨] انظر: معاني القرآن:٣٢٧/١.
[٩] انظر: معاني القرآن:٣٨١/١.
[١٠] انظر: "ديوانه" ص ٥، و"معاني الفراء" ١/ ٣٨١، و"تفسير الطبري" ١٢/ ٤٨٨، و"الأغاني" ٢٤/ ١٢٩، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢٩١٦، و"الخصائص" ٢/ ٤١٢، و"تفسير الماوردي" ٢/ ٢٣٢، وابن عطية ٥/ ٥٣٤، وابن الجوزي ٣/ ٢١٦، و"اللسان" ٦/ ٣٥٦٦ (قرب)، و"البحر المحيط" ٤/ ٣١٣، و"الدر المصون" ٥/ ٣٤٦.
والبيت ورد فى اللآلى: ٤٠١ مع بيت آخر هكذا:
عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب
وإنى لتغشانى لذكراك فترة ... لها بين جلدى والعظام دبيب

{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)} [الأعراف : ٥٧]

التفسير:

والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة مبشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله، حتى إذا حملت الريح السحاب المحمل بالمطر ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجدبت أرضه، ويَبِست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلأ والأشجار والزروع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات. كما نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم؛ لتتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة مبشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله"[١].

قال السدي:" إن الله يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان، فيخرجه من ثم، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء ليسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك"[٢].

عن ابن عباس في قوله: "{وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته}، قال: فيستبشر بها الناس"[٣].

عن السدي قوله:"{بين يدي رحمته}، وأما {رحمته}، فهو المطر"[٤].

عن ابن كعب رضي الله عنه قال: "كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة، وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب"[٥].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا} [الأعراف : ٥٧]، أي:" حتى إذا حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء"[٦].

قال ابن كثير:" أي : حملت الرياح سحابًا ثقالا، أي : من كثرة ما فيها من الماء ، تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمة ، كما قال زيد بن عمرو بن نفيل ، رحمه الله[٧]:

وأسلمتُ وجْهِي لمنْ أسْلَمَتْ　　　　لَهُ المُزْنُ تَحْمل عَذْبا زُلالا

وأسلَمْتُ وَجْهي لمن أسلَمَتْ　　　　له الأرض تحملُ صَخرًا ثقالا"[٨]

قوله تعالى:{سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجدبت أرضه، ويَبِست أشجاره وزرعه"[٩].

قال ابن كثير:" أي : إلى أرض ميتة ، مجدبة لا نبات فيها ، كما قال تعالى : { وَآيَةٌ لَهُمُ الأرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ } [يس : ٣٣]"[١٠].

قال أبو هريرة:" ما نزل مطر إلا بميزان"[١١].

قال عكرمة:" ينزل الله الماء من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحابة مثل البعير"[١].

---

(١) التفسير الميسر:١٥٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٥):ص١٥٠١/٥.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٧):ص١٥٠١/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٩):ص١٥٠١/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٦):ص١٥٠١/٥.

(٦) صفوة التفاسير:٤١٨/١.

(٧)البيتين في السيرة النبوية لابن هشام (٢٣١/١).

(٨) تفسير ابن كثير:٤٣١/٣.

(٩) التفسير الميسر:١٥٧.

(١٠) تفسير ابن كثير:٤٣١/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٠):ص١٥٠٢/٥.

قوله تعالى:{فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلأ والأشجار والزروع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات"[٢].

عن خالد بن يزيد قال: كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: منه من السماء، ومنه مما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، وأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فمما كان من السماء"[٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" كما نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم؛ لتتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث"[٤].

قال ابن كثير:" أي : كما أحيينا هذه الأرض بعد موتها ، كذلك نحيي الأجساد بعد صيرورتها رَمِيمًا يوم القيامة ، ينزل الله ، سبحانه وتعالى ، ماء من السماء ، فتمطر الأرض أربعين يوما ، فتنبت منه الأجساد في قبورها كما ينبت الحب في الأرض. وهذا المعنى كثير في القرآن ، يضرب الله مثلا للقيامة بإحياء الأرض بعد موتها"[٥].

عن مجاهد، قوله: "{كذلك نخرج الموتى}، نمطر السماء حتى تشقق عنهم الأرض"[٦].

عن السدي قوله: "{كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون}، وكذلك تخرجون، وكذلك النشور كما يخرج الزرع بالماء"[٧].

الفوائد:

١- تقرير عقيدة البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء إذ هي من أهم أركان الإيمان.

٢- الاستدلال بالحاضر على الغائب وهو من العلوم النافعة.

٣- حسن ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.

القرآن

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨)} [الأعراف : ٥٨]

التفسير:

والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تُخْرج نباتًا -بإذن الله ومشيئته- طيبًا ميسرًا، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها، وأثمرت فيه حياة صالحة، أما الأرض السَّبِخة الرديئة فإنها لا تُخرج النبات إلا عسرًا رديئا لا نفع فيه، ولا تُخرج نباتًا طيبًا، وكذلك الكافر لا ينتفع بآيات الله. مثل ذلك التنويع البديع في البيان نُنوِّع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه.

قوله تعالى:{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [الأعراف : ٥٨]، أي:" والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تُخْرج نباتًا -بإذن الله ومشيئته- طيبًا ميسرًا، وهذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها"[٨].

قال ابن كثير:" أي : والأرض الطيبة يخرج نباتها سريعًا حسنا ، كما قال : { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } [آل عمران : ٣٧]"[٩].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١١):ص١٥٠٢/٥.

[٢] التفسير الميسر:١٥٧.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٢):ص١٥٠٢/٥.

[٤] التفسير الميسر:١٥٧.

[٥] تفسير ابن كثير:٤٣١/٣.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٣):ص١٥٠٣/٥.

[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٤):ص١٥٠٣/٥.

[٨] انظر: التفسير الميسر:١٥٨، وصفوة التفاسير:٤١٩/١.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٣١/٣.

قال الماوردي:" يعني: يخرج نباته حسناً جيداً"[١].
قال مجاهد:" الطيب ينفعه المطر فينبت"[٢].
قال ابن عباس:" فهذا مثل ضربه الله للمؤمن. يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما البلد الطيب ثمره طيب"[٣].
قوله تعالى:{وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} [الأعراف : ٥٨]، أي:" والأرض إذا كانت خبيثة التربة لا تُخرج النبات إلا عسرًا رديئا لا نفع فيه، وهذا مثلٌ للكافر الذي لا ينتفع بالموعظة"[٤].
قال الطبري:" يقول: إلا عَسِرًا في شدة"[٥].
قال مجاهد:" السباخُ، لا ينفعه المطر، لا يخرج نباته إلا نكدًا"[٦].
قال ابن عباس:"ثم ضرب مثلَ الكافر كالبلدة السَّبِخة المالحة التي يخرج منها النز[٧] فالكافر هو الخبيث، وعمله خبيث"[٨].
وفي قوله تعالى:{وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} [الأعراف : ٥٨]، وجهان:
أحدهما : أن النكد القليل الذي لا ينتفع به، قاله السدي .
والثاني : أنه العسر بشدته المانع من خيره، ذكره الطبري[٩]، ومنه قول الشاعر[١٠]:
وَأَعْطِ مَا أَعَطْيتَهُ طَيّباً   لاَ خَيْرَ فِي الْمَنْكُودِ وَالنَّاكِدِ
وقال الشاعر[١١]:
لا تُنْجِزُ الوعْدَ، إنْ وَعَدْتَ، وإن   أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهًا نَكِدَا
يعني بـ"التافه"، القليل، وبـ"النكد" العسر.
قال مجاهد:" هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم، إنما خلقوا من نفس واحدة، فمنهم من آمن بالله وكتابه، فطابَ. ومنهم من كفر بالله وكتابه، فخَبُث"[١٢].
قال السمعاني:" وهذا مثل ضربه الله - تعالى - للمؤمنين وللكافرين؛ فإن المؤمن يخرج ما يخرج من نفسه من الإيمان والخيرات سهلا سمحا، والكافر يخرج ما يخرج من الخيرات نزرا قليل"[١٣].
عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا ، فكانت منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت فذلك مثل من فَقُه

---

[١] النكت والعيون:٢٣٢/٢.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٧٨٦):ص٤٩٧/١٢.
[٤] انظر: التفسير الميسر:١٥٨، وصفوة التفاسير:٤١٩/١.
[٥] تفسير الطبري:٤٩٥/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
[٧] .
[٨] أخرجه الطبري(١٤٧٨٦):ص٤٩٧/١٢.
[٩] انظر: تفسير الطبري:٤٩٥/١٢.
[١٠] لم أتعرف على قائله، والبيت في "العين" ٥/ ٣٣١، و"تفسير الطبري" ١٢/ ٤٩٥، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٦٠، و"تفسير الماوردي" ٢/ ٢٣٢، وابن عطية ٥/ ٥٤٢، والرازي ١٤/ ١٤٥، و"اللسان" ٨/ ٤٥٣٨ (نكد)، و"البحر المحيط" ٤/ ٣١٥، و"الدر المصون" ٥/ ٣٥٢.
[١١] لم اتعرف على قائله، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٢١٧ ، وتفسير الطبري:٤٩٥/١٢، ولسان العرب (تفه).
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
[١٣] تفسير السمعاني:١٩١/٢.

في دين الله ونفعه ما بعثني الله به ، فَعَلم وَعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا. ولم يَقْبَل هُدَى الله الذي أُرْسِلْتُ به"[1].

وقرأ بعض الكوفيين:«نَكْدًا» بسكون الكاف [2].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} [الأعراف : ٥٨]، أي:" مثل ذلك التنويع البديع في البيان نُنوِّع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه"[3].

الفوائد:

١- إن من الأرض أراض طيبة، ومنها أراض خبيثة، كما جاء في الآية الكريمة.

٢- أن مثل قلب المؤمن كالبلد الطيب، ومثل قلب المشرك كالبلد الخبيث، إذ أن البلد الطيب تربته العذبة مشاربه يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث طيباً ثمره في حينه ووقته، والبلد الذي خبث فتربته رديئة، ومشاربه مالحة، ويخرج نباته بعسر وشدة، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، لأن قلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه وفاض بالخير، وقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه ولم يثبت فيه الإيمان ففاض بالنكد والشر والفساد.

وقد سمى الله في كتابه المؤمن بالطيب والكافر بالخبيث فقال تعالى: {لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىَ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[الأنفال: ٣٧]. فالخبيث في هذه الآية هم الكفار والطيب هم المؤمنون[4].

فهذه بعض الأمثلة القرآنية التي ضربت للكفار، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٣- فضيلة الشكر، وهو صرف النعمة فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد.

القرآن

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)} [الأعراف : ٥٩]

التفسير:

لقد بعثنا نوحًا إلى قومه؛ ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإنني أخاف أن يحلَّ عليكم عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [الأعراف : ٥٩]، أي:" ولقد بعثنا نوحًا إلى قومه"[5].

قال ابن عطية:" وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر... قالت فرقة من المفسرين: سمي نوحا لأنه كان ينوح على نفسه. وهذا ضعيف، قال سيبويه: نوح ولوط وهود أسماء أعجمية إلا أنها حقيقة فلذلك صرفت"[6].

---

[1] صحيح البخاري برقم (٧٩) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٨٢) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (٥٨٤٣).

[2] انظر: معاني القرآن للفراء:٣٨٢/١، وتفسير الطبري:٤٩٦/١٢.

[3] التفسير الميسر:١٥٨.

[4] انظر: تفسير القرطبي :٧/ ٤٠١.

[5] التفسير الميسر:١٥٨.

[6] المحرر الوجيز:٤١٤/٢-٤١٥.

عن أبي صالح قال:" أرسل. بعث"[1].
عن أنس، أن النبي ﷺ قال: "أول نبي أرسل نوح ﷺ"[2].
وعن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"[3].
عن يزيد الرقاشي قال: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"[4].
قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه ﷺ، وما يذكر أهل الكتاب من أهل التوراة، وما حفظ من الأحاديث عن عبد الله بن عباس، وعن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل"[5].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى قصة آدم في أول السورة ، وما يتعلق بذلك وما يتصل به ، وفرغ منه ، شرع تعالى في ذكر قصص الأنبياء ، عليهم السلام ، الأول فالأولَ ، فابتدأ بذكر نوح ، عليه السلام ، فإنه أول رسول إلى أهل الأرض بعد آدم ، عليه السلام ، وهو : نوح بن لامك بن متوشلح بن خَنُوخ - وهو إدريس النبي عليه السلام - فيما ، يزعمون ، وهو أول من خط بالقلم - ابن برد بن مهليل بن قنين بن يانش بن شيث بن آدم ، عليه السلام.. وقد كان بين آدم إلى زمن نوح ، عليهما السلام ، عشرة قرون ، كلهم على الإسلام.

قال عبد الله بن عباس وغير واحد من علماء التفسير : وكان أول ما عبدت الأصنام ، أن قومًا صالحين ماتوا ، فبنى قومهم عليهم مساجدَ وصوروا صور أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتهم ، فيتشبهوا بهم. فلما طال الزمان ، جعلوا تلك الصور أجسادًا على تلك الصور. فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين "ودًا وسواعًا ويَغُوث وَيَعُوق ونسرًا". فلما تفاقم الأمر بعث الله ، سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - رسوله نوحا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له "[6].

قوله تعالى:{فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٥٩]، أي:" فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة"[7].

قال ابن كثير:" أي : من عذاب يوم القيامة إنْ لقيتم الله وأنتم مشركون به"[8].

قال ابن عباس:" {اعبدوا}، أي: وحدوا"[9].

قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ٥٩]، أي:" فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإنني أخاف أن يحلَّ عليكم عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة"[10].

قال ابن عباس:" {عذاب}، يقول: نكال"[11].

الفوائد:

١- أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله.

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٥):ص٥/١٥٠٥.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٢):ص٥/١٥٠٤.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٣):ص٥/١٥٠٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٦):ص٥/١٥٠٥.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٤):ص٥/١٥٠٤-١٥٠٥.
(٦) تفسير ابن كثير:٣/٤٣١-٤٣٢.
(٧)التفسير الميسر:١٥٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٣/٤٣٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٧):ص٥/١٥٠٥.
(١٠)التفسير الميسر:١٥٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٨):ص٥/١٥٠٥.

إذ ان الدعوة إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى، وإفراده بالعبادة، والتذلل إليه، والانقياد لأمره وحكمه، وتنزيهه عن الند والصاحبة والولد، هي القضية الأساسية التي من أجلها بعث الله جميع أنبيائه ورسله، وقد جاء ذلك واضحا جليا فيما قصه الله تعالى علينا في القرآن الكريم من دعوة الرسل إلى أممهم وأقوامهم.

٢- تقرير نبوة محمد ﷺ كنبوة نوح عليه السلام، إذ أرسله الله تعالى إلى أهل الأرض بعدما عم الشرك وعبادة الأصنام التي كانت في الأصل صورًا للموتى والصالحين، فأخذ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام.

٣- تقرير وتأكيد التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله.

٤- التحذير من عذاب يوم القيامة بالتذكير به.

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠)} [الأعراف : ٦٠]

التفسير:

قال له سادتهم وكبراؤهم: إنا لنعتقد -يا نوح- أنك في ضلال بيّن عن طريق الصواب.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٦٠]، أي:" قال الأشراف والسادة من قومه"[١].

قال ابن كثير:" أي : الجمهور والسادة والقادة والكبراء منهم"[٢].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٣].

قال الزمخشري:" {الملأ}: الأشراف والسادة. وقيل: الرجال ليس معهم نساء"[٤].

قال ابن عطية:" {الملأ}: الجماعة الشريفة"[٥].

قال الطبري:" {الملأ}، الجماعة من الرجال، لا امرأة فيهم"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الأعراف : ٦٠]، أي:" إنا لنراك يا نوح في ذهابٍ عن طريق الحق والصواب واضح جلي"[٧].

قال الشنقيطي: أي:" نعتقدك يا نوح في ذهاب عن طريق الحق بين واضح حيث جئتنا لتصرفنا عما كان يعبد آباؤنا، فهذا التوحيد الذي جئتنا به وإفراد الله بالعبادة نراك في ضلال وذهاب عن الحق مبين واضح"[٨].

قال الزمخشري:" في ذهاب عن طريق الصواب والحق. ومعنى الرؤية: رؤية القلب"[٩].

قال ابن كثير:" أي : في دعوتك إيانا إلى ترك عبادة هذه الأصنام التي وجدنا عليها آباءنا. وهكذا حال الفجار إنما يرون الأبرار في ضلالة ، كما قال تعالى : { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ } [المطففين : ٣٢] ، { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ } [الأحقاف : ١١] إلى غير ذلك من الآيات"[١٠].

---

[١] صفوة التفاسير:٤١٩/١.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.
[٤] الكشاف:١١٣/٢.
[٥] المحرر الوجيز:٤١٥/٢.
[٦] تفسير الطبري:٤٩٩/١٢.
[٧] صفوة التفاسير:٤١٩/١.
[٨] العذب المنير:٤٥٣/٣.
[٩] الكشاف:١١٣/٢.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.

قال ابن عطية:" قولهم لنراك يحتمل أن يجعل من رؤية البصر، ويحتمل من رؤية القلب وهو الأظهر وفي ضلال أي في إتلاف وجهالة بما تسلك"[١].

قال الطبري:" يعنون في أمر زائل عن الحق، مبين زوالهُ عن قصد الحقّ لمن تأمله"[٢].

قال أبو حيان:" ولم يجبه من قومه إلا أشرافهم وسادتهم وهم الذين يتعاصون على الرسل لانغمار عقولهم بالدنيا وطلب الرئاسة والعلو فيهما"[٣].

وفي تسميتهم بـ«الملأ،» وجوه[٤]:

أحدها : أنهم مليئون بما يراد منهم .

والثاني : لأنهم تملأ النفوس والأعين هيبتهم .

والثالث : لأنهم يملأون صدور المجالس .

والرابع: لأنهم إذا تمالؤوا على أمر تمّ.

ذكر أن النبي ﷺ لما رجعوا من بدر سمع رجلا من الأنصار يقول: "وهل لقينا إلا عجائز[٥] كالحرز المعقلة فنحرناهم، فتغير وجه رسول الله ﷺ حتى رأيته كأنه تفقأ فيه حب الرمان، ثم قال: «يا ابن أخي لا تقل ذلك، أولئك الملأ الأكبر من قريش، أما لو رأيتهم في مجالسهم بمكة لهبتهم»..."[٦].

وقرأ ابن عامر :«الملو» بالواو[٧]، قال ابن عطية:" قال ابن عباس «الملؤ» بواو وكذلك هي في مصاحف الشام"[٨]، قال أبو حيان:" وليس مشهورا عن ابن عامر بل قراءته كقراءة باقي السبعة بهمزة"[٩].

الفوائد:

١- استكبار الكافرين عن الإنقياد للرسل، والقدح فيهم.

قال السعدي:" فلم يكفهم - قبحهم الله - أنهم لم ينقادوا له، بل استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد.

وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي لا تروج على أضعف الناس عقلا وإنما هذا الوصف منطبق على قوم نوح، الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئا، فنزلوها منزلة فاطر السماوات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم وأعقل"[١٠].

٢- أن أصحاب المنافع من مراكز وغيرها هم الذين يردون دعوه الحق لمنافاتها للباطل.

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)} [الأعراف : ٦١]

---

[١] المحرر الوجيز:٤١٥/٢.

[٢] تفسير الطبري:٤٩٩/١٢.

[٣] البحر المحيط:٨٢/٥.

[٤] انظر: المحرر الوجيز:٤١٥/٢.

[٥]عجائز صلعا: أي: مشايخ عجزة انظر: النهاية..

[٦] أخرجه الطبراني بطوله في المعجم الكبير(٢٠١):ص٨٦/١٧. وقال الهيثمى: فيه حصين السلولى، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد: ٢٤/١٠.

[٧] انظر: البحر المحيط:٨٢/٥.

[٨] المحرر الوجيز:٤١٥/٢.

[٩] البحر المحيط:٨٢/٥.

[١٠] تفسير السعدي:٢٩٢.

التفسير:
قال نوح: يا قوم لست ضالا في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه، ولكني رسول من رب العالمين ربي وربكم ورب جميع الخلق.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ} [الأعراف : ٦١]، أي:" قال نوح: يا قوم لست ضالا في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه"[١].

قال ابن كثير:" أي : ما أنا ضال "[٢].

قال البيضاوي: يقول:[ليس بي]" أي شيء من الضلال، بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات وعرض لهم به"[٣].

قال الطبري:" قال نوح لقومه مجيبًا لهم: يا قوم، لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة، زوالا مني عن محجة الحقّ، وضلالا لسبيل الصواب، وما بي ما تظنون من الضلال"[٤].

قال الماتريدي:" أي: لست أنا بضال؛ لأنه إذا نفى الضلال عنه، نفى أن يكون ضالا، وهو حرف رفق ولين، وعلى ذلك أمر الأنبياء والرسل أن يعاملوا قومهم؛ لأن ذلك أنجع في القلوب، وإلى القبول أقرب"[٥].

قال القرطبي:" الضلال والضلالة: العدول عن طريق الحق، والذهاب عنه"[٦].

قال القشيري:" قوله:{لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ}: نسبوا نوحا- عليه السّلام- إلى الضلالة، فتولّى إجابتهم بنفسه فقال {يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ}، ونبينا- صلّى الله عليه وسلّم- نسب إليه فتولّى الحق- سبحانه- الردّ عنه فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم : ٢]، فشتّان بين من دافع عن نفسه، وبين من دافع عنه ونفى عنه ربّه"[٧].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا؟ قلت: الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفى الضلال عن نفسه، كأنه قال: ليس بى شيء من الضلال، كما لو قيل لك: ألك تمر، فقلت: مالي تمرة "[٨].

قوله تعالى:{وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٦١]، أي:" ولكني رسول من رب العالمين ربي وربكم ورب جميع الخلق"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ولكن أنا رسول من رب كل شيء ومليكه"[١٠].

قال الطبري:أي:" ولكنّي رسول إليكم من رب العالمين بما أمرتكم به: من إفراده بالطاعة، والإقرار له بالوحدانية، والبراءة من الأنداد والآلهة"[١١].

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة؟ قلت: كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا، في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصح لذلك أن يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة"[١٢].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٨.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٣] تفسير البيضاوي:١٨/٣.
[٤] تفسير الطبري:٥٠٠/١٢.
[٥] تاويلات أهل السنة:٤٦٩/٤.
[٦] تفسير القرطبي:٢٣٤/٧.
[٧] لطائف الإشارات:٥٤٣/١. من عادة القشيري أن يلتمس نوعا من المقارنة بين المصطفى صلوات الله عليه وبين سائر الأنبياء عليهم السّلام ليظهر علو مقامه ورفعة مرتبته بينهم.
[٨] الكشاف:١١٣/٢-١١٤.
[٩] التفسير الميسر:١٥٨.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[١١] تفسير الطبري:٥٠٠/١٢.
[١٢] الكشاف:١١٤/٢.

أخرج ابن ابي حاتم عن عبيد بن عمير الليثي:" أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا، هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من أمرهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل وقال: كما قص الله علينا في كتابه"[1].

الفوائد:

١- أن الله تعالى جعل أفضل أوليائه عنده الرحماء بخلقه المتحننين على عباده الناصحين لبريته وهم رسله الداعون العباد إلى نجاتهم والمحذرون لهم من هلكتهم المتحملون منهم الأذى والمتحننون عليهم بالرحمة والنصح والإشفاق مع أذاهم لهم وتكذيبهم إياهم واستهزائهم بهم لا يكافئونهم بمثل ما نالوا منهم ولا ينصرفون عن الإشفاق عليهم، إذ وصف جواب نوح-عليه السلام- لقومه، فقال: {لَيْسَ بِي ضَلَالَة وَلَكِنِّي رَسُول من رب الْعَالمين}.

٢- أن ليونة الكلمة وسهولة الأسلوب من أبرز سمات منهج النبي نوح-عليه السلام- في الرد على قومه، وهو منهج جدير بالتأمل والإعتبار، إذ لم لم يقابل السب والأذى بمثله، يظهر ذلك واضحا من جوابه لقومه عندما قالوا له: { إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}، حيث رد عليهم في هدوء ولين، قائلا لهم: {يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}.

فردّ نوح - عليه السلام - مقالتهم تلك، وأعلمهم بأن ما وصفتموني به من الضلال ليس بصحيح، وإنما أنا مبلِّغ ومرسَل إليكم مِن الله - عَزَّ وَجَلَّ - أبلِّغكم ما أمرني الله به، وأنصح لكم وأبيِّن لكم أن الذي أنتم عليه سبب في سخط الله عليكم وعقابه. وسوف يعاجلكم بالعقوبة.

قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -: "وكان الأنبياء - عليهم السلام - يجادلون أممهم عن أنفسهم كقول نوح: {إنا لنراك في ضلال} [الأعراف: ٦٠] فقال دافعا عن نفسه: ليس بي ضلالة، وقال قوم هود: {إنا لنراك في سفاهة} [الأعراف: ٦٦] ، فقال: {ليس بي سفاهة} [الأعراف: ٦٧] ، وقال فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورا، فقال موسى: إني لأظنك يا فرعون مثبورا أي مصروفا عن الحق مطبوعا على قلبك، وأما نبينا - ﷺ - فتولى الحق سبحانه المجادلة عنه فلما قالوا: هذا شاعر. قال الله تعالى: {وما علمناه الشعر} [يس: ٦٩] ، ولما قالوا: كاهن. قال الله تعالى: (ولا هو بقول كاهن) ، وقالوا: ضل. فقال: {ما ضل صاحبكم وما غوى} [النجم: ٢] ، وقالوا: مجنون. فقال: {ما أنت بنعمة ربك بمجنون} [القلم: ٢] حتى قال تعالى: {لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا} [النور: ٦٣]"[2].

٣- ومن فوائد الآية الكريمة: عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالم؛ لقوله تعالى: {العالمين}.

القرآن

{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)} [الأعراف : ٦٢]

التفسير:

---

[1] تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٣٠):ص١٥٠٦/٥.

[2] نقلا عن: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية:٢٩٧/٢.

أُبلِّغكم ما أُرسلت به من ربي، وأنصح لكم محذرًا لكم من عذاب الله ومبشرًا بثوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

قوله تعالى:{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} [الأعراف : ٦٢]، أي:" أُبلِّغكم ما أُرسلت به من ربي"[١].

قال مقاتل:أي:" في نزول العذاب بكم في الدنيا"[٢].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه:{ولكني رسول من رب العالمين}، أرسلني إليكم، فأنا أبلغكم رسالات ربي"[٣].

وقرئ: «أبلغكم»، بالتخفيف[٤].

قوله تعالى:{وَأَنْصَحُ لَكُمْ} [الأعراف : ٦٢]، أي:" وأنصح لكم محذرًا لكم من عذاب الله ومبشرًا بثوابه"[٥].

قال مقاتل:أي:" وأحذركم من عذابه في الدنيا"[٦].

قال الطبري:أي:" وأنصح لكم في تحذيري إياكم عقابَ الله على كفركم به، وتكذيبكم إياي، وردّكم نصيحتي"[٧].

قال القرطبي:" النصح: إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة، بخلاف الغش. يقال: نصحته ونصحت له نصيحة ونصاحة ونصحا. وهو باللام أفصح"[٨].

قوله تعالى:{وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٦٢]، أي:" وأعلم من شريعته ما لا تعلمون"[٩].

قال مقاتل:أي:" في نزول العذاب بكم ما لا تعلمون أنتم، وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم قط عذبوا وقد سمعت الأمم بعدهم بنزول العذاب على قوم نوح"[١٠].

قال الطبري:أي:" من أن عقابه لا يردُّ عن القوم المجرمين"[١١].

قال المراغي:" أي: وأنا فى هذا التبليغ وذلك النصح على علم من الله أوحاه إلى لا تعلمون منه شيئا، كما أنى أعلم من الله وشئونه ما لا تعلمون فى نظام هذا العالم وما ينتهى إليه، كما أعلم ما بعده من أمر الآخرة والحساب والجزاء- فإذا نصحت لكم وأنذرتكم عاقبة شرككم من إنزال العذاب بكم فى الدنيا إذا جحدتم وعاندتم، فإنما أنصح لكم عن علم يقينى لا تعلمونه"[١٢].

قال ابن كثير:" وهذا شأن الرسول، أن يكون بليغا فصيحا ناصحا بالله ، لا يدركهم أحد من خلق الله في هذه الصفات ، كما جاء في صحيح مسلم :أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم عرفة ، وهم أوفر ما كانوا وأكثر جمعا : «أيها الناس ، إنكم مسئولون عني ، فما أنتم قائلون ؟» قالوا : نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت ، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكتُها عليهم ويقول : «اللهم اشهد ، اللهم اشهد»[١٣]"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٨.
[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣/٢ .
[٣] تفسير الطبري:٥٠٠/١٢.
[٤] انظر: الكشاف:١١٤/٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٨.
[٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣/٢ .
[٧] تفسير الطبري:٥٠٠/١٢.
[٨] تفسير القرطبي:٢٣٤/٧.
[٩] التفسير الميسر:١٥٨.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٣/٢ .
[١١] تفسير الطبري:٥٠٠/١٢.
[١٢] تفسير المراغي:١٩٠/٨.
[١٣]صحيح مسلم برقم (١٢١٨) من حديث جابر ، رضي الله عنه.

الفوائد:
١- من فوائد الآية الكريمة: أن الأنبياء معصومون في التبليغ عن الله عزوجل، وعن ارتكاب الكبائر من الذنوب. أما غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين ولو كانوا أبناء الأنبياء أو أولياء الله.
٢- وجوب تقديم النصح للمسلمين.
٣- فضيلة الدعوة إلى الله.

القرآن
{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)} [الأعراف : ٦٣]
التفسير:
وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوِّفكم بأس الله تعالى وعقابه، ولتتقوا سخطه بالإيمان به، ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟
قوله تعالى:{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ} [الأعراف : ٦٣]، أي:" وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه"[٢].
قال ابن كثير:" أي: لا تعجبوا من هذا ، فإن هذا ليس يعجَب أن يوحي الله إلى رجل منكم ، رحمة بكم ولطفا وإحسانا إليكم "[٣].
قال الطبري:" وهذا أيضًا خبر من الله عز ذكره عن قِيل نوح لقومه أنه قال لهم، إذ ردُّوا عليه النصيحة في الله، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيًّا، وقالوا له: {مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} [سورة هود: ٢٧]، {أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم}، يقول: أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعِظة، يذكركم بما أنزل ربكم مع رجل منكم"[٤].
قوله تعالى:{لِيُنْذِرَكُمْ} [الأعراف : ٦٣]، أي:" ليخوِّفكم بأس الله تعالى وعقابه"[٥].
قال ابن كثير:أي:"لإنذركم "[٦].
قال الطبري:" يقول: لينذركم بأس الله ويخوِّفكم عقابه على كفركم به"[٧].
قوله تعالى:{وَلِتَتَّقُوا} [الأعراف : ٦٣]، أي:" ولتتقوا سخطه بالإيمان به"[٨].
قال ابن كثير:أي:" ولتتقوا نقمة الله ولا تشركوا به "[٩].
قال الطبري:" يقول: وكي تتقوا عقابَ الله وبأسه، بتوحيده وإخلاص الإيمان به، والعمل بطاعته"[١٠].
قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف : ٦٣]، أي:" ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟"[١١].

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٢] التفسير الميسر:١٥٨.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٤] تفسير الطبري:٥٠١/١٢.
[٥] التفسير الميسر:١٥٨.
[٦] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٧] تفسير الطبري:٥٠١/١٢.
[٨] التفسير الميسر:١٥٨.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[١٠] تفسير الطبري:٥٠١/١٢.
[١١] التفسير الميسر:١٥٨.

قال الطبري:" يقول: وليرحمكم ربكم إن اتقيتم الله، وخفتموه وحَذِرتم بأسه"[١].
قال عطاء بن دينار:" لكي ترحمون فلا تعذبون"[٢].

الفوائد:

١- في الآية الرد على شبهة الاعتراض على بشرية الرسول -ﷺ-

فمن الشبه التي أثارها المعاندون المعرضون عن قبول الحق، عدم إمكانية الجمع بين البشرية والنبوة في الذات الواحدة، ومعنى ذلك: عدم تصديق الرسول المرسل بسبب كونه من البشر.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الشبهة في سور عديدة، عند الكلام على رسالات الرسل، كما بين القرآن الكريم أن هذه الشبهة لم تكن جديدة، وإنما هي شبهة قديمة، وأنها كانت تثار في وجه الدعاة إلى الإيمان من الأنبياء والمرسلين السابقين.

فقد قيلت لنوح عليه السلام: {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا} [هود : ٢٧]، وعجب قومه أن بعث الله فيهم رجلا من أنفسهم، فقال الله تعالى حكاية عن خطاب نبيهم لهم: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ} [الأعراف : ٦٣].

٢- ومن فوائد الآية: فضيلة التقوى، حيث ينال العبد رحمة الله وجزيل ثوابه

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)} [الأعراف : ٦٤]

التفسير:

فكذبوا نوحًا فأنجيناه ومَن آمن معه في السفينة، وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحججنا الواضحة. إنهم كانوا عُمْيَ القلوب عن رؤية الحق.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُ} [الأعراف : ٦٤]، أي:" فكذبوا نوحًا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فتمادوا على تكذيبه ومخالفته ، وما آمن معه منهم إلا قليل"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فكذب نوحًا قومه إذ أخبرهم أنه لله رسولٌ إليهم، يأمرهم بخلع الأنداد، والإقرار بوحدانية الله، والعمل بطاعته، وخالفوا أمر ربهم، ولجُّوا في طغيانهم يعمهون"[٥].

قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ} [الأعراف : ٦٤]، أي:" فأنجيناه ومَن آمن معه في السفينة"[٦].

قال الطبري:" فأنجاه الله في الفلك والذين معه من المؤمنين به، وكانوا بنوح عليه السلام أنفسًا عشرة، عن ابن إسحاق: «نوح، وبنوه الثلاثة سامٌ وحام ويافث، وأزواجهم، وستة أناسيّ ممن كان آمن به». وكان حمل معه في الفلك من كل زوجين اثنين، كما قال تبارك وتعالى: {وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلا قَلِيلٌ} [سورة هود: ٤٠]"[٧].

قال ابن عباس:" كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم[٨]"[٩]. وفي رواية رواية اخرى بزيادة« وكان لسانه عربيا»[١] في آخره.

---

[١] تفسير الطبري:٥٠١/١٢.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٣٤):ص١٥٠٦/٥.
[٣] التفسير الميسر:١٥٨.
[٤] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٥] تفسير الطبري:٥٠٢/١٢.
[٦] التفسير الميسر:١٥٨.
[٧] تفسير الطبري:٥٠٢/١٢. والخبر أخرجه برقم(١٤٧٩٢):ص٥٠٢/١٢.
[٨] قال ابن كثير:٤٣٣/٣:" وكان لسانه عربيا".
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٣٥):ص١٥٠٦/٥.

وقال ابن عباس أيضا:" ول ما حمل نوح في السفينة من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار، فلما دخل الحمار، دخل، صدره فتعلق إبليس بذنبه فلا تستعل رجلاه، فجعل نوح يقول: ويحك ادخل ينهض فلا يستطيع، حتى قال نوح: ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك، قال، كلمة زلت على لسانه"[٢].

قوله تعالى:{وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأعراف : ٦٤]، أي:" وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحججنا الواضحة"[٣].

قال الطبري:" يقول: وأغرق الله الذين كذبوا بحججه، ولم يتبعوا رسله، ولم يقبلوا نصيحته إياهم في الله بالطوفان"[٤].

قال ابن زيد:" ما عذب قوم نوح حق ما كان في الأرض سهل ولا جبل إلا له عامر يعمره وحائز يحوزه"[٥].

أخرج ابن ابي حاتم عن أبي زهير، قال:" بلغني أن قوم نوح عاشوا في ذلك الغرق أربعين يوما"[٦].

قال محمد بن إسحاق:" فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه، وما جاوز الماء ركبته، ودأب الماء حين أرسله خمسين ومائة كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان، وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال، ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء فسكن الماء، واشتدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح عليه الصلاة والسلام كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه، فلم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها، فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت إليه حين أمست وفي فمها ورقة زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قل، عن وجه الأرض، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ} [الأعراف : ٦٤]، أي:" إنهم كانوا عُمْيَ القلوب عن رؤية الحق"[٨].

عن مجاهد في قول الله:"{عمين}، قال: عن الحق"[٩].

قال ابن زيد:" العَمَى، العامي عن الحق"[١٠].

قال عطاء:" فعماة، عن الخير"[١١].

قال سفيان بن حسين:" أعموا، عن ذلك الشيء ليسوا عمي إنما هم عموا عنه"[١٢].

قال الطبري:" يقول: عمين عن الحق"[١٣].

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٣٦):ص٥/١٥٠٦-١٥٠٧.
[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٣٧):ص٥/١٥٠٧.
[٣] التفسير الميسر:١٥٨.
[٤] تفسير الطبري:٥٠٢/١٢.
[٥] أخرجه ابن البي حاتم(٨٦٣١):ص٥/١٥٠٦.
[٦] تفسير ابن أبي حاتم(٨٦٣٨):ص٥/١٥٠٧.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٠):ص٥/١٥٠٧-١٥٠٨.
[٨] التفسير الميسر:١٥٨.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٧٩٣):ص١٢/٥٠٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٧٩٤):ص١٢/٥٠٣.
[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٢):ص٥/١٥٠٨.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٣):ص٥/١٥٠٨.
[١٣] تفسير الطبري:٥٠٢/١٢.

قال ابن كثير:" أي : عن الحق ، لا يبصرونه ولا يهتدون له. فبين تعالى في هذه القصة أنه انتقم لأوليائه من أعدائه ، وأنجى رسوله والمؤمنين ، وأهلك أعداءهم من الكافرين ، كما قال تعالى : { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ * يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ } [غافر : ٥١ ، ٥٢]، وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة ، أن العاقبة للمتقين والظفر والغلب لهم ، كما أهلك قوم نوح -عليه االسلام- بالغرق ونجى نوحا وأصحابه المؤمنين"[١].

الفوائد:

١- أن عمى القلوب أخطرمن عمى العيون على صاحبه.

٢- تقرير مبدأ العاقبة للمتقين.

القرآن

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)} [الأعراف : ٦٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودا حين عبدوا الأوثان من دون الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟

قوله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف : ٦٥]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودا حين عبدوا الأوثان من دون الله"[٢].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما أرسلنا إلى قوم نوح نوحًا ، كذلك أرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا"[٣].

قال الطبري:"«عاد»، هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم، وبعث إليهم هودًا يدعوهم إلى توحيد الله، واتّباع ما أتاهم به من عنده"[٤].

عن ابن إسحاق: "ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح"[٥].

وعن ابن إسحاق أيضا:" وكان من حديث عاد فيما بلغني والله أعلم: أنهم كانوا قوما عربا، فبعث الله إليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا، وأفضلهم موضعا، فأمرهم أن يوحدوا الله عز وجل"[٦].

قال السدي:" إن عادا كانوا باليمن بالأحقاف والأحقاف هي الرمال، فأتاهم فوعظهم، وذكرهم بما قص الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"[٧].

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: "سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبًا أحمر تخالطه مَدَرَةٌ حمراء، ذا أَرَاك وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله إنك لتنعته نعتَ رجل قد رآه! قال: لا ولكني قد حُدِّثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبرُ هود صلوات الله عليه"[٨].

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٣٢/٣.
[٢] التفسير الميسر:١٥٨.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٤] تفسير الطبري:٥٠٦/١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٨٠١):ص٥٠٦/١٢.
[٦] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٤٥):ص١٥٠٨/٥.
[٧] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٤٤):ص١٥٠٨/٥، والطبري (١٤٨٠٢):ص٥٠٧/١٢. مختصرا.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٨٠٣):ص٥٠٧/١٢.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٦٥]، أي:" فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة"[١].

قال محمد بن إسحاق: "وكان من حديث عاد فيما بلغني -والله أعلم- أنهم كانوا قوما عربا، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صداء وآخر يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء «٢» ، فبعث الله عز وجل لهم هودا فأمرهم أن يوحدوا الله، ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا، عن ظلم الناس، ولم يأمرهم فيما يذكرون والله أعلم بغير ذلك"[٢].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف : ٦٥]، أي:" أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟"[٣].

أخرج الطبري عن ابن إسحاق، قال:" كانت منازل عاد وجماعتهم، حين بعث الله فيهم هودًا، الأحقاف. قال: و"الأحقاف"، الرملُ، فيما بين عُمان إلى حضرموت، فاليمن كله. وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلِّها، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله. وكانوا أصحاب أوثانٍ يعبدونها من دون الله: صنم يقال له"صُداء"، وصنم يقال له"صَمُود"، وصنم يقال له"الهباء". فبعث الله إليهم هودًا، وهو من أوْسطهم نسبًا، وأفضلهم موضعًا، فأمرهم أن يوحِّدوا الله ولا يجعلوا معه إلهًا غيره، وأن يكفُّوا عن ظلم الناس. ولم يأمرهم فيما يذكر، والله أعلم، بغير ذلك. فأبوا عليه وكذبوه. وقالوا:"من أشدّ منا قوة! ". واتبعه منهم ناسٌ، وهم يسيرٌ مكتتمون بإيمانهم. وكان ممن آمن به وصدّقه رجلٌ من عاد يقال له:"مرثد بن سعد بن عفير"، وكان يكتم إيمانه. فلما عتوا على الله تبارك وتعالى وكذبوا نبيَّهم، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبَّروا وبنوا بكل رِيع آية عبَثًا بغير نفع، كلمهم هود فقال: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [سورة الشعراء: ١٢٨-١٣١] ، {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} ، أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب {قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ} ، إلى قوله: {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة هود: ٥٣-٥٦] . فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السَّماء ثلاث سنين، فيما يزعمون، حتى جهدهم ذلك. وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جَهْد، فطلبوا إلى الله الفرج منه، كانت طَلِبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة، مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثيرٌ شتى مختلفةٌ أديانُهم، وكلهم معظّم لمكة، يعرف حُرْمتها ومكانَها من الله.

قال ابن إسحاق: وكان البيت في ذلك الزمان معروفًا مكانه، والحرم قائم فيما يذكرون، وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا"العماليق"، لأن أباهم:"عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح" وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة، فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر، وكان أبوه حيًّا في ذلك الزمان، ولكنه كان قد كبر، وكان ابنه يرأس قومه. وكان السؤدد والشرف من العماليق، فيما يزعمون، في أهل ذلك البيت. وكانت أم معاوية بن بكر، كلهدة ابنة الخيبري، رجلٍ من عادٍ، فلما قَحَطَ المطر عن عاد وجُهِدوا، قالوا: جهزوا منكم وفدًا إلى مكة فليستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم! فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزّال بن هزيل، وعتيل بن صُدّ بن عاد الأكبر. ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلمًا يكتم إسلامه، وجُلْهُمَة بن الخيبري، خال معاوية بن بكر أخو أمه. ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صُدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه، حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلا. فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارجًا من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصِهْرَه.

---

[١] التفسير الميسر:١٥٨.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٦):ص١٥٠٨/٥.

[٣] التفسير الميسر:١٥٨.

فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر، أقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر، وتغنِّيهم الجرادَتان قينتان لمعاوية بن بكر. وكان مسيرهم شهرًا، ومقامهم شهرًا. فلما رأى معاوية بن بكر طُول مقامهم، وقد بعثهم قومُهم يتعوَّذون بهم من البلاء الذي أصابهم، شقَّ ذلك عليه، فقال: هلك أخوالي وأصهاري! وهؤلاء مقيمون عندي، وهم ضيفي نازلون عليّ! والله ما أدري كيف أصنع بهم؟ أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له، فيظنوا أنه ضِيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جَهْدًا وعَطَشا!! أو كما قال. فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا: قل شعرًا نُغنِّيهم به، لا يدرون مَنْ قاله، لعل ذلك أن يحرِّكهم! فقال معاوية بن بكر، حين أشارتا عليه بذلك:

أَلا يَا قَيْلَ، وَيْحَكَ! قُمْ فَهَيْنِمْ	لَعَلَّ اللهَ يُصْبِحُنَا غَمَامَا
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ، إنَّ عَادًا	قَدَ امْسَوا لا يُبِينُونَ الكَلامَا
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ، فَلَيْسَ نَرْجُو	بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
وَقدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمُ بِخَيْرٍ	فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمُ عَيَامَى
وَإنَّ الْوَحْشَ تَأتِيهِمْ جِهَارًا	وَلا تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا
وَأَنْتُمْ هَا هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ	نَهَارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التَّمَامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ	وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا

فلما قال معاوية ذلك الشعر، غنتهم به الجرادتان. فلما سمع القوم ما غنَّتا به، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إنما بعثكم قومُكم يتعوَّذون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم! فادخلوا هذا الحرمَ واستسقوا لقومكم! فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير: إنكم والله لا تُسْقَون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيَّكم، وأنبتم إليه، سُقِيتم! فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جُلْهُمة بن الخيبريّ، خال معاوية بن بكر، حين سمع قوله، وعرف أنه قد اتبع دين هودٍ وآمن به:

أَبَا سَعْدٍ فَإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ	ذَوِي كَرَمٍ وَأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ
فَإنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَا بقِينَا	وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أَتَأْمُرنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ	وَرَمْلَ وَآلَ صُدَّ والعُبُودِ
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ	ذَوِي رَأيٍ وَنَتْبَعَ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن أبي بكر وأبيه بكرٍ: احبسَا عَنَّا مرثد بن سعد، فلا يقدمنَّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك دينَنَا! ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد. فلما ولَّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها، قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له. فلما انتهى إليهم، قام يدعو الله بمكة، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعُون، يقول:"اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفدُ عاد"! وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد. وقال وفد عاد:"اللهمّ أعطِ قَيْلا ما سألك، واجعل سؤلَنا مع سُؤله"! وكان قد تخلّف عن وفد عاد حين دعا، لقمانُ بن عاد، وكان سيِّد عادٍ. حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال:"اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي، فأعطني سؤلي"! وقال قيل بن عنز حين دعا:"يا إلهنا، إن كان هود صادقًا فاسقِنا، فإنّا قد هلكنا"! فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثًا: بيضاء، وَحمراء، وسوداء. ثم ناداه منادٍ من السحاب:"يا قيل، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب". فقال:"اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماءً"! فناداه منادٍ:"اخترت رَمَادًا، رِمْدِدًا، لا تُبقي مِن آل عاد أحدًا، لا والدًا تترك ولا ولدًا، إلا جعلته هَمِدًا، إلا بني اللُّوذِيّة المُهَدَّى" و"بنو اللوذية"، بنو لقيم بن هزّال بن هزيلة بن بكر، وكانوا سكانًا بمكة مع أخوالهم، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم، فهم عادٌ الآخِرة، ومن كان من نسلهم الذين بقُوا من عاد.

وساق الله السحابة السوداء، فيما يذكرون، التي اختارها قَيْل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من وادٍ يقال له:"المغيث". فلما رأوها استبشروا بها، وقالوا: {هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} ، يقول الله: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [سورة الأحقاف: ٢٤-٢٥] ، أي: كلّ شيء أُمِرَتْ به. وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها رِيح، فيما يذكرون، امرأة من عاد يقال لها"مَهْدَد"، فلما تيقنت ما فيها صاحت، ثم

صَعِقت. فلما أن أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مهدد؟ قالت: رأيتُ ريحًا فيها كشُهُب النار، أمامها رجالٌ يقودُونها! فسخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، كما قال الله و"الحسوم"، الدائمة فلم تدع من عاد أحدًا إلا هلك. فاعتزل هُود، فيما ذكر لي، ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليهِ الجلود، وتَلتذُّ الأنفس، وإنها لتمرُّ على عاد بالطَّعن بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة. وخرج وفد عاد من مكّة حتى مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه، فنزلوا عليه. فبينما هم عنده، إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمِرة مُسْيَ ثالثةٍ من مُصاب عادٍ، فأخبرهم الخبر، فقالوا له: أين فارقت هودًا وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر. فكأنهم شكُّوا فيما حدّثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر: صدَق وربِّ الكعبة!"[١].

الفوائد:

١- الدعوة إلى عبادة الله وترك عبادة ما سواه وهو معنى لا إله إلا الله.

٢- أن هود عليه السلام كانت دعوته إلى قومه قريبة من دعوة نوح، ولكن فيها إشعار بأن الإنسان الذي يخاطبه هود قد كبر شيئا ما عن ذلك الإنسان الذي كان يخاطبه نوح، وأنه قادر- نسبيا- على أن يستنبط ويدرك فكان في دعوة هود إلى قومه الفات قريب الى بعض الظاهر المادية الملابسة لهم، والمتصفة بحياتهم، وأن ما هم فيه من نعمة إنما هو من عند الله الذي يدعوهم إليه.

فالإنسان الذي يخاطبه هود قد ترقى عقليا نوعا ما فأصبح هود يذكره بفضل الله عليه، وأنه أخلف قوم نوح الذين أهلكهم الله بظلمهم، كما أن الله من على قوم هود ببسطة الأجسام وقوة الأبدان، وتلك نعم جديرة بأن يذكروها، ويذكروا المنعم بها، وفي هذا رشدهم وفلاحهم.

٣- أن التوحيد رسالة جميع الانبياء-عليهم الصلاة والسلام.

٤- ويستفاد من الآية: أنه لم تخل أمة من رسول: وهؤلاء الرسل أرسلهم الله إلى الأمم فى جميع العصور المتطاولة، فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله، ويرشدها إلى الحق، يقول الله عز وجل: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ} [النحل : ٦٣]، وقال تعالى: { وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر : ٢٤]، وقال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُول} [يونس : ٤٧]، وقال تعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَاد} [الرعد : ٧].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦)} [الأعراف : ٦٦]

التفسير:

قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٦٦]، أي:" قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود"[٢].

قال ابن كثير:" الملأ هم : الجمهور والسادة والقادة منهم "[٣].

قوله تعالى:{إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ} [الأعراف : ٦٦]، أي:" إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل"[٤].

قال الطبري: " يعنون: في ضلالة عن الحق والصواب"[٥].

---

[١] تفسير الطبري(١٤٨٠٥):ص١٢/٥٠٧-٥١٣.

[٢] التفسير الميسر:١٥٨.

[٣] تفسير ابن كثير:٣/٤٣٤.

[٤] التفسير الميسر:١٥٨.

[٥] تفسير الطبري:١٢/٥٠٤.

قال ابن كثير:" أي : في ضلالة حيث دعوتنا إلى ترك عبادة الأصنام ، والإقبال إلى عبادة الله وحده لا شريك له كما تعجب الملأ من قريش من الدعوة إلى إله واحد { فقالوا } { أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ } [ص: ٥]"[١].

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف : ٦٦]، أي:" وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول"[٢].

الفوائد:

١- أن من قباحة الكفار نسبة السفاهة إلى الأنبياء، كقولهم لهود {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ}.
٢- أن من حيل أهل الباطل في الصد عن الدين الحق أنهم يُسمون ويصفون الحق بما هو بريء منه وما ذاك إلا للتنفير عنه وعن إتباعه.

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧)} [الأعراف : ٦٧]

التفسير:

قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي، ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ} [الأعراف : ٦٧]، أي:" قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ليست كما تزعمون "[٤].

قال الطبري: أي:" [ليس فيّ ضلالة] عن الحق والصواب"[٥].

قوله تعالى:{وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٦٧]، أي:" ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين"[٦].

قال الطبري: أي:" أرسلني"[٧].

قال ابن كثير:أي:" بل جئتكم بالحق من الله الذي خلق كل شيء ، فهو رب كل شيء ومليكه"[٨].

عن أبي العالية في قوله:"{رب العالمين}، قال: الجن عالم، والإنس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة، وعلى الأرض في كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته تبارك وتعالى"[٩].

الفوائد:

١- مشروعية دفع الإتهام، وتبرئة الإنسان نفسه مما يتهم به من الباطل، وحاشا لنبي مرسَل مِن عندِ اللهِ أن يكون سفيهًا-
٢- أن من منهج النبي هود عليه السلام -والانبياء جميعا- القول اللين، والخطاب الجميل، وعدم مقابلة الأذى بمثله، يتضح ذلك عندما رموا النبي هود –عليه السلام- بالسفه والكذب، حيث رد عليهم قائلا: {يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين}.

القرآن

{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)} [الأعراف : ٦٨]

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٢] التفسير الميسر:١٥٨.
[٣] التفسير الميسر:١٥٨.
[٤] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٥] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٦] التفسير الميسر:١٥٨.
[٧] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٨] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٨):ص١٥٠٩/٥.

التفسير:
أُبلِّغكم ما أرسلني به ربي إليكم، وأنا لكم - فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته - ناصح، أمين على وحي الله تعالى.

قوله تعالى:{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} [الأعراف : ٦٨]، أي:" أُبلِّغكم ما أرسلني به ربي إليكم"[١].

قال الطبري: أي:"فأنا أبلغكم رسالات ربي، وأؤدّيها إليكم كما أمرني أن أؤدِّيَها"[٢].

قال محمد بن إسحاق:" كان من حديث نوح وحديث قومه مما يذكر أهل العلم أنه كان حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل وكان يدعوهم كما قال الله: ليلا ونهارا، سرا وجهارا بالنصيحة لهم، فلم يزدهم ذلك منه إلا فرارا، حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل أصابعه في أذنيه لئلا يسمع شيئا من قوله"[٣].

قال السدي:" فأتاهم يعني هودا فوعظهم وذكرهم بما قص الله في كتابه فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم: إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به"[٤].

قوله تعالى:{وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف : ٦٨]، أي:" وأنا لكم - فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته - ناصح، أمين على وحي الله تعالى"[٥].

قال الطبري: " يقول: وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله، ناصحٌ، فاقبلوا نصيحتي، فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة، لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدِّل، بل أبلغ ما أمرت كما أمرت"[٦].

قال ابن كثير:" وهذه الصفات التي يتصف بها الرسل البلاغة والنصح والأمانة "[٧].

الفوائد:
١- من وظائف الرسل عليهم السلام البلاغ لما أمروا بإبلاغه.
٢- فضيلة النصح وخلق الأمانة.
٣- أن أفضل ما تمسك به العباد ما جاء به رسول الله ﷺ وهو هذا الدين وبالنصيحة لله جاءت المرسلون قال نوح ﷺ {وَأَنْصَحُ لَكُمْ } [الأعراف : ٦٢]، وقال هود {وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} [الأعراف : ٦٨]، وقال صالح عليه السلام {وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف : ٧٩].

القرآن
{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)} [الأعراف : ٦٩]
التفسير:
وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه؛ ليخوِّفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض مَن قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نِعَمَ الله الكثيرة عليكم؛ رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

---
[١]التفسير الميسر:١٥٩.
[٢] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٣٣):ص١٥٠٦/٥.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٩):ص١٥٠٩/٥.
[٥]التفسير الميسر:١٥٩.
[٦] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.

قوله تعالى:{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ} [الأعراف : ٦٩]، أي:" وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه، ليخوِّفكم بأس الله وعقابه؟"[١].

قال الطبري: " يقول: أوعجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة، على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوّفكم عقابه"[٢].

قال ابن كثير:" أي : لا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه ، بل احمدوا الله على ذاكم"[٣].

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} [الأعراف : ٦٩]، أي:" واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض مَن قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح"[٤].

قال السدي:" يقول: ذهب بقوم نوح، واستخلفكم من بعدهم"[٥].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ساكني الأرض بعد قوم نوح"[٦].

قال ابن كثير:" أي : واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم من ذرية نوح ، الذي أهلك الله أهل الأرض بدعوته ، لما خالفوه وكذبوه "[٧].

قال الطبري: " يقول: فاتقوا الله في أنفسكم، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم، وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لمّا أهلكهم أبدلكم منهم فيها، فاتقوا الله أن يحلّ بكم نظير ما حل بهم من العقوبة، فيهلككم ويبدل منكم غيركم، سنَّته في قوم نوح قبلكم، على معصيتكم إياه وكفركم به"[٨].

قوله تعالى:{وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} [الأعراف : ٦٩]، أي:" وزاد في أجسامكم قوة وضخامة"[٩].

قال الواحدي: أي:" فضيلةً في الطُّول"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : زاد طولكم على الناس بسطة ، أي : جعلكم أطول من أبناء جنسكم ، كما قال تعالى : في قصة طالوت: { وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } [البقرة : ٢٤٧]"[١١].

قال الأخفش:" أي: انبساطا"[١٢].

قال الطبري:" زاد في أجسامكم طولا وعِظَمًا على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم، نعمة منه بذلك عليكم"[١٣].

قال السمعاني:" أراد به: البسطة في الطول"[١٤].

قال البغوي:" أي: طولا وقوة"[١٥].

وفي قوله تعالى:{وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} [الأعراف : ٦٩]، وجهان:

أحدهما : في القوة، قاله السدي[١] ، ابن زيد[٢].

---

[١]التفسير الميسر:١٥٩.
[٢] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٤]التفسير الميسر:١٥٩.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٧٩٥):ص٥٠٥/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٧٩٦):ص٥٠٥/١٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[٨] تفسير الطبري:٥٠٤/١٢.
[٩]التفسير الميسر:١٥٩.
[١٠] الوجيز:٣٩٩.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.
[١٢] معاني القرآن:٣٣٢/١.
[١٣] تفسير الطبري:٥٠٥/١٢.
[١٤] تفسير السمعاني:١٩٢/٢.
[١٥] تفسير البغوي:٢٤٣/٣.

وقال ابن عباس:"شدة"[٣].

والثاني : بسط البدن وطول الجسد، وهذا مروي عن السدي أيضا[٤].

قال الزجاج:" في التفسير أنه كان أقصرهم، طوله ستون ذراعا وأطولهم مائة ذراع"[٥].

قال الماوردي: "قيل : إنه كان أقصرهم طولاً اثني عشر ذراعاً"[٦].

وقرأ نافع:«بصطة»[٧].

قوله تعالى:{فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ} [الأعراف : ٦٩]، أي:" فاذكروا نِعَمَ الله الكثيرة عليكم؛"[٨].

قال قتادة:" أي: نعم الله"[٩]. وروي عن السدي[١٠]، وابن زيد[١١] مثله.

قال الطبري:" فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقُوَاكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأنداد"[١٢].

قال ابن كثير:" {آلاءَ اللَّهِ }، أي : نعمه ومنَنه عليكم "[١٣].

و«آلاء الله»، معناه: نعم الله، واحدها: «إلى»[١٤]، قال الشاعر[١٥]:

أَبْيَضُ لاَ يَرْهَبُ الهزَالَ وَلاَ يَقْطَعُ رَحِمَاً وَلاَ يَخُونُ إِلَى

قال ابن عطية:" وقيل واحد الآلاء «ألا»"[١٦].

وفي "تهذيب اللغة" قال: "و«الآلاء»: النعم واحدتها إِلْيُ، وأَلْيُ، وأبو، وألَى، وإِلَى"[١٧].

وهي جمع مفرده: "إلى" بكسر الهمزة وسكون اللام، كحِمْل وأحمال، أو "أُلي": بضم الهمزة وسكون اللام كقفل وأقفال، أو "إلى": بكسر الهمزة وفتح اللام كضلع وأضلاع وعنب وأعناب، أو "ألى": بفتحها كقَفَا وأقفاء[١٨].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]، أي:"رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة"[١٩].

قال الطبري:" يقول: كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعم في الآخرة، وتنجحوا في طلباتكم عنده"[٢٠].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٩٧):ص٥٠٦/١٢.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم:١٥١٠/٥.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم:١٥١٠/٥.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم:١٥١٠/٥.

[٥] معاني القرآن:٣٤٨/٢.

[٦] النكت والعيون:٢٣٣/٢.

[٧] انظر: السبعة في القراءات:١٨٥.

[٨] التفسير الميسر:١٥٩.

[٩] أخرجه الطبري(١٤٧٩٨):ص٥٠٦/١٢.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٧٩٩):ص٥٠٦/١٢.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٠٠):ص٥٠٦/١٢.

[١٢] تفسير الطبري:٥٠٥/١٢.

[١٣] تفسير ابن كثير:٤٣٤/٣.

[١٤] انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٤٨/٢.

[١٥] البيت للاعشى ميمون فى ديوانه ١٥٧. ومجاز القرآن:٢١٨/١، وتفسير الطبري: ٥/ ١١٧، ومعاني القرآن للزجاج:٣٤٨/٢، واللسان (ألا) .

[١٦] المحرر الوجيز:٤١٨/٢.

[١٧] تهذيب اللغة: ١/ ١٧٩.

[١٨] انظر: الدر المصون: ٥/ ٣٦٠، و"العين" ٨/ ٣٥٦، و"الصحاح" ٦/ ٢٢٧٠، و"المجمل" ١/ ١٠١، و"المفردات" ص ٨٤، و"اللسان" ١/ ١١٩ (ألا)، ونقل الرازي ١٤/ ١٥٨.

[١٩] التفسير الميسر:١٥٩.

[٢٠] تفسير الطبري:٥٠٥/١٢.

قال ابن عطية:" {تفلحون}: معناه تدركون البغية والآمال"[١].
قال الواحدي: أي:" كي تسعدوا وتبقوا في الجنَّة"[٢].

الفوائد:

١- استحسان التذكير بالنعم فإن ذلك موجب للشكر والطاعة.
٢- أن التذكير بنعم الله يوقظ القلب الغافل وينبهه إلى ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعم جليلة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدي الله والدخول في طاعته، لذلك ذكر الأنبياء أقوامهم بنعم الله طالبين منهم توحيده ونبذ ما يعبدون من دونه من الأنداد والأوثان.
٣- التحذير من انقلاب النعمة إلى نقمة، وذلك بالمعاصي وترك طاعة الله عز وجل، لذلك نرى بأن هود ذكر قومه بنعم الله تعالى عليهم محاولا إقناعهم بالرجوع إلى طريق الحق، مبينا لهم أن الله تعالى جعلهم وارثين للأرض من بعد قوم نوح، الذين أهلكهم الله بذنوبهم، وزادهم قوة في السلطان وفي الأجسام

القرآن

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)} [الأعراف : ٧٠]

التفسير:

قالت عاد لهود عليه السلام: أدعوتنا لعبادة الله وحده وهَجْر عبادة الأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟ فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول.

قوله تعالى:{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [الأعراف : ٧٠]، أي:" أي أجئتنا يا هود تتوعدنا بالعذاب كي نعبد الله وحده ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟"[٣].

قال الطبري: يقول:" أجئتنا تتوعَّدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين، كي نعبد الله وحده، وندين له بالطاعة خالصًا، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباؤنا يعبدونها، ونتبرَّأ منها؟"[٤].

قوله تعالى:{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف : ٧٠]، أي:" فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول"[٥].

قال الطبري: يقول:" فلسنا فاعِلي ذلك، ولا نحن متبعوك على ما تدعونا إليه، فأتنا بما تعدنا من العقابِ والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله، وعبادتنا ما نعبد من دونه مِنَ الأوثان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعِد"[٦].

الفوائد:

١- اتحاد دعوة الرسل في الإيمان بالله والكفر بالطاغوت أي في عبادة الله وحده.
٢- أن لا إله إلا الله نفت كل ما كان يعبد من دون الله من صنم ومن وثن من حين حدث الشرك في قوم نوح إلى أن تقوم الساعة.
٣- ويستفاد من الآية الكريمة: أن الكفار كانوا يعتقدون أن الله عز وجل موجود، وأنه خالق، ورازق، لكن هذا وحده لا يكفي، ولهذا قال قوم هود لهود، كما قال الله عز وجل عنهم: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [الأعراف:٧٠].

---

[١] المحرر الوجيز:٤١٨/٢.
[٢] الوجيز:٣٩٩.
[٣]انظر: التفسير الميسر:١٥٩، وصفوة التفاسير:٤٢٠/١
[٤] تفسير الطبري:٥٢٠/١٢-٥٢١.
[٥]التفسير الميسر:١٥٩.
[٦] تفسير الطبري:٥٢١/١٢.

فقولهم: {أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ} [الأعراف:٧٠]، يدل على أنهم يعبدون الله، لكنهم يعبدون معه أيضاً آلهة أخرى، وهذا يقتضي أنهم كانوا يعرفون الله، ويعتقدون بأن الله هو الخالق الرازق، وهذا لا يكفي في الإيمان والعبودية، بل لا بد أن ينضاف إليه العمل، وأن يكون عمل الإنسان خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

القرآن

{قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١)} [الأعراف : ٧١]

التفسير:

قال هود لقومه: قد حلَّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا أتجادلونني في هذه الأصنام التي سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم؟ ما نزَّل الله بها من حجة ولا برهان؛ لأنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وإنما المعبود وحده هو الخالق سبحانه، فانتظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزوله.

قوله تعالى:{قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} [الأعراف : ٧١]، أي:" قال هود لقومه: قد حلَّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قال هود لقومه: قد حَلَّ بكم عذَابٌ وغضبٌ من الله"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{قد وقع عليكم من ربكم رجس}، يقول: سَخَط"[٣].

قوله تعالى:{أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ} [الأعراف : ٧١]، أي:" أتجادلونني في هذه الأصنام التي سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم؟"[٤].

قال الطبري:" يقول: أتخاصمونني في أسماء سمَّيتموها أصنامًا لا تضر ولا تنفع"[٥].

قال القرطبي:" وهذه الأسماء مثل العزى من العز والأعز واللات، وليس لها من العز والإلهية شيء"[٦].

قال الواحدي:" كانت لهم أصنام سمَّوها أسماءً مختلفةً فلمَّا دعاهم الرَّسول إلى التَّوحيد استنكروا عبادة الله وحده"[٧].

قال الزمخشري:أي:" في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات، لأنكم تسمونها آلهة. ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده...ومعنى {سميتموها}: سميتم بها من: سميته زيدا"[٨].

قال البغوي:{سَمَّيْتُمُوهَا}، أي:" وضعتموها"[٩].

قال ابن عطية:" فالجدل إنما وقع في التسميات لا في المسميات، لكنه ورد في القرآن ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم [يوسف: ٤٠] فهنا لا يريد إلا ذوات الأصنام، فالاسم إنما يراد به المسمى نفسه.

ومن رأى أن الجدل في هذه الآية إنما وقع في أنفس الأصنام وعبادتها تأول هذا التأويل، والاسم يرد في كلام العرب بمعنى التسمية وهذا بابه الذي استعمله به النحويون، وقد

---

[١] التفسير الميسر:١٥٩.

[٢] تفسير الطبري:٥٢١/١٢.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٠٨):ص٥٢٢/١٢.

[٤] التفسير الميسر:١٥٩.

[٥] تفسير الطبري:٥٢٣/١٢.

[٦] تفسير القرطبي:٢٣٧/٧.

[٧] الوجيز:٤٠٠.

[٨] الكشاف:١١٨/٢.

[٩] تفسير البغوي:٢٤٣/٣.

يراد به المسمى ويدل عليه ما قاربه من القول، من ذلك قوله تعالى:{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وقوله:{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} [الرحمن: ٧٨] على أن هذا يتأول، ومنه قول لبيد[1]:
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُما وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ"[2]

قوله تعالى:{مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [الأعراف : ٧١]، أي:" ما نزَّل الله بها من حجة ولا برهان"[3].

قال مقاتل:" يعني: من كتاب لكم فيه حجة بأن معه شريكا"[4].

قال الطبري:" يقول: ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة تحتجُّون بها، ولا معذرة تعتذرون بها، لأن العبادة إنما هي لمن ضرَّ ونفع، وأثابَ على الطاعة وعاقب على المعصية، ورزق ومنَع. فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس، فإنه لا نفع فيه ولا ضرّ، إلا أن تتخذ منه آلةً، ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته إياه، لأن الله لم يأذن بذلك، فيعتذر من عبدَه بأنه يعبده اتباعًا منه أمرَ الله في عبادته إياه. ولا هو إذ كان الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه، أو يخاف ضرّه، في عاجل أو آجل، فيعبد رجَاء نفعه، أو دفع ضره"[5].

قوله تعالى:{فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} [الأعراف : ٧١]، أي:" فانتظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزول"[6].

قال مقاتل:" {فانتظروا} العذاب، {إني معكم من المنتظرين} بكم العذاب"[7].

قال الطبري:" يقول: فانتظروا حكمَ الله فينا وفيكم، {إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ}حكمَه وفصل قضائه فينا وفيكم"[8].

قال ابن عطية:" وقوله {فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} الآية وعيد وتهديد"[9].

الفوائد:

١- بيان صبر النبي هود عليه السلام على أذى قومه.
٢- بيان العواقب الوخيمة التي آلت إليها مصائر هذه الأمم الماضية؛ لنأخذ منها العبرة ونعي دروس التاريخ.
٣- أن أكبر وأعظم الأسباب التي تجر إلى غضب الله: الكفر بالله والشرك به، وأظلم الظلم أن يشرك العبد بربه جل في علاه، وأن يصرف العبد العبادة لغير الله، وهو الذي يستحق هذه العبادة، قال تعالى: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ} [الأعراف:٧١]، وذلك لأنكم تسوون بين هذه الأسماء والأصنام وبين الله جل في علاه.
٤- ويستفاد من الآية بطلان قول أهل الطبع الذين جعلوا من الأشياء آلهة ونحلوها أسماء باطلة، فالطبيعة ليست إلهًا يخلق، وإنما هي أصنام الملحدين الذين فروا من التوحيد تحت شعار هذا الاسم الخادع، يقول تعالى على لسان هود عليه السلام قوله لقومه عندما جادلوه في أصنامهم: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ

---

[1] ديوانه، القصيدة رقم: ٢١، والخزانة ٢: ٢١٧، والشعر يقوله لابنتيه، إذ قال: تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر!
ثم أمرهما بأمره فقال قبل بيت الشاهد: فقوما فقولا بالذي قد علمتما ... ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا: هو المرء الذي لا خليله ... أضاع، ولا خان الصديق، ولا غدر
فقوله " إلى الحول. . " أي افعلا ذلك إلى أن يحول الحول. والحول: السنة كاملة بأسرها. وقوله " اعتذر " هنا بمعنى أعذر: أي بلغ أقصى الغاية في العذر.
[2] المحرر الوجيز:٤٢٠/٢.
[3] التفسير الميسر:١٥٩.
[4] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥/٢.
[5] تفسير الطبري:٥٢٣/١٢.
[6] التفسير الميسر:١٥٩.
[7] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٥/٢.
[8] تفسير الطبري:٥٢٣/١٢.
[9] المحرر الوجيز:٤٢٠/٢.

سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ}[الأعراف: ٧١] وقال تعالى عن يوسف قوله لصاحبيه في السجن: {مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ}[يوسف: ٤٠].

وقد رفض هذا التفسير للخلق عدد من العلماء الغربيين، وهذه جملة من أقوالهم؛ يقول "كلودم هاثاوي" المصمم للعقل الإلكتروني في مقال له بعنوان المبدع العظيم: "إن فلسفتي تسمح بوجود غير المادي لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية، فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول إليه، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمتني أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها"[١].

ويقول كذلك: "إن الطبيعة لا تستطيع أن تصمم أو تبدع نفسها؛ لأن كل تحول طبيعي لا بد أن يؤدي إلى نوع من أنواع ضياع النظام أو تصدع البناء العام، إن هذا الكون ليس إلا كتلة تخضع لنظام معين لا بد له من سبب أول لا يخضع للقانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية، ولا بد أن يكون هذا السبب غير مادي في طبيعته"[٢].

ويقول "كريسي موريسون": "والطبيعة لم تخلق الحياة، فإن الصخور التي حرقتها النار والبحار الخالية من الملح لم تتوافر فيها الشروط اللازمة"[٣].

ويقول عالم الطبيعة الدكتور "أدوين فاست" في مقال له بعنوان نظرة إلى ما وراء القوانين الطبيعية: "إن جميع القوانين الطبيعية التي نصفها ونستخدمها ليست إلا مجرد وصف لما يحدث أو يشاهد، فهي بذلك ليست تدبيرًا أو إلزامًا، فليس الوصف في ذاته سببًا لحدوث ظاهرة من الظواهر.. ومهما بالغنا في تحليل الأشياء وردها إلى أصولها الأولى، فلا بد أن نصل في نهاية المطاف إلى ضرورة وجود قوانين طبيعية تخضع لها ذرات هذا الكون، ويعد ذلك في ذاته دليلًا على وجود إله قادر مدير هو الذي قدر لكل ظاهرة من ظواهر هذا الكون أن تسير في طريقها المرسوم"[٤].

ويحسن بنا أن نختم الجواب عن هذه الشبهة الباطلة بكلام لابن القيم حيث يقول في حديثه عن عجائب خلق الإنسان: "من أين للطبيعة هذا الاختلاف والفرق الحاصل في النوع الإنساني بين صورهم، فقلّ أن يرى اثنان متشابهان من كل وجه وذلك من أندر ما في العالم، بخلاف أصناف الحيوان كالنعم والوحوش والطير وسائر الدواب.. فمن الذي ميز بين صورهم وأصواتهم وفرق بينها بفروق لا تنالها العبارة ولا يدركها الوصف، فسل المعطِّل أهذا فعل الطبيعة؟ وهل في الطبيعة اقتضاء هذا الاختلاف والافتراق في النوع؟ وأين قول الطبائعيين أن فعلها متشابه لأنها واحدة في نفسها لا تفعل بإرادة ولا مشيئة فلا يمكن اختلاف أفعالها؟ فكيف يجمع المعطل بين هذا وهذا؟ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور"[٥].

القرآن

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)} [الأعراف : ٧٢]

التفسير:

---

[١] كتاب الله يتجلى في عصر العلم:٩٠.
[٢] المصدر نفسه:٩١.
[٣] العلم يدعو للإيمان:٨٩.
[٤] كتاب الله يتجلى في عصر العلم :٩٣- ٩٤.
[٥] مفتاح دار السعادة ٢٦٧/١ ،وانظر كذلك ص ٢٦١ ــ ٢٦٢، وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم:١٤٦-١٤٧.

فوقع عذاب الله بإرسال الريح الشديدة عليهم، فأنجى الله هودًا والذين آمنوا معه برحمة عظيمة منه تعالى، وأهلك الكفار من قومه جميعا ودمَّرهم عن آخرهم، وما كانوا مؤمنين لجمعهم بين التكذيب بآيات الله وترك العمل الصالح.

قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا} [الأعراف : ٧٢]، أي:" فوقع عذاب الله بإرسال الريح الشديدة عليهم، فأنجى الله هودًا والذين آمنوا معه برحمة عظيمة منه تعالى"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأنجينا نوحًا والذين معه من أتباعه على الإيمان به والتصديق به وبما دعَا إليه، من توحيد الله، وهجر الآلهة والأوثان"[٢].

قال أبو الليث:" {برحمة منا}، يعني: بنعمة منا عليهم"[٣].

قال السعدي:" فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته"[٤].

قوله تعالى:{وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأعراف : ٧٢]، أي:" وأهلك الكفار من قومه جميعا ودمَّرهم عن آخرهم"[٥].

قال الطبري:" يقول: وأهلكنا الذين كذَّبوا من قوم هود بحججنا جميعًا عن آخرهم، فلم نبق منهم أحدًا"[٦].

قال أبو الليث:" أي: قطع أصلهم واستأصلهم"[٧].

قال الثعلبي:" أي: استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم"[٨].

قال السمعاني:" أي: قطعنا أصلهم، واستأصلناهم بالعذاب"[٩].

قال البيضاوي:" «الدابر»، الأصل أو الكائين خلف الشئ، و«قطع دابرهم»: استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم"[١٠].

قال السعدي:" أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدا، وسلط الله عليهم الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة"[١١].

عن ابن زيد، في قوله: "{وقطعنا دابرَ الذين كذبوا بآياتنا}، قال: استأصلناهم"[١٢].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ٧٢]، أي:" وما كانوا مؤمنين لجمعهم بين التكذيب بآيات الله وترك العمل الصالح"[١٣].

قال الطبري:" يقول: لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود"[١٤].

قال أبو الليث:" يعني: أن الذين أهلكهم الله تعالى كلهم كانوا كافرين"[١٥].

---

[١] التفسير الميسر:١٥٩.
[٢] تفسير الطبري:٥٢٣/١٢.
[٣] بحر العلوم:٥٢٧/١.
[٤] تفسير السعدي:٢٩٤.
[٥] التفسير الميسر:١٥٩.
[٦] تفسير الطبري:٥٢٣/١٢.
[٧] بحر العلوم:٥٢٧/١.
[٨] الكشف والبيان:٢٤٦/٤.
[٩] تفسير السمعاني:١٩٣/٢.
[١٠] تفسير البيضاوي:٥٧٩/١.
[١١] تفسير السعدي:٢٩٤.
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٨٠٩):ص٥٢٤/١٢.
[١٣] التفسير الميسر:١٥٩.
[١٤] تفسير الطبري:٥٢٤/١٢.
[١٥] بحر العلوم:٥٢٧/١.

قال البيضاوي:" فائدة نفى الإيمان عنهم مع إثابت التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خص المكذبين"[1].

الفوائد:

١- أخذ العبرة من عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، فقد أهلكهم الله عز وجل لما كذبوا رسوله وأصروا على شركهم وضلالهم ونزل بهم عذابه وبأسه الذي لا يرد، جزاءاً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد. وهكذا نهاية كل من أشرك بالله تعالى غيره ورد دعوة أنبيائه ورسله.

٢- ومن فوائد الآية: إثبات الرحمة لله؛ لقوله تعالى: {بِرَحْمَةٍ مِنَّا}.

القرآن

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)} [الأعراف : ٧٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا لمَّا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى. فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوتُ الله أمامكم، فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتم، فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجع.

قوله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف : ٧٣]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا لمَّا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى"[2].

قال الطبري:أي:" وإلى بني ثمود أخاهم صالحًا، و"ثمود"، هو ثمود بن غاثر بن إرم بن سام بن نوح، وهو أخو جَدِيس بن غاثر، وكانت مساكنهما الحِجْر، بين الحجاز والشأم، إلى وادي القُرَى وما حوله"[3].

عن ابن عباس: "أن صالحا النبي ﷺ بعثه الله إلى قومه فآمنوا به، ثم إنه مات فرجعوا بعده، عن الإسلام، فأحيا الله صالحا وبعثه إليهم فأخبرهم أنه صالح فكذبوه وقالوا: قد مات صالح فأتنا بآية فأتاهم الله بالناقة فكفروا به وعقروها فأهلكهم الله"[4].

قال السدي:" إن الله بعث صالحا إلى ثمود فدعاهم فكذبوا، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن"[5].

قوله تعالى:{قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده؛ ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[6].

قال الطبري:" يقول: قال صالح لثمود: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فما لكم إله يجوزُ لكم أن تعبدوه غيره"[7].

قال محمد بن إسحاق:" فلما أهلك الله عادا، وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها فاستخلفوا في الأرض فربلوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله، فلما ظهر فسادهم، وعبدوا غير الله، بعث

---

[1] تفسير البيضاوي:٥٧٩/١.

[2] التفسير الميسر:١٥٩.

[3] تفسير الطبري:٥٢٤/١٢.

[4] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٣):ص١٥١١/٥.

[5] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٤):ص١٥١٢/٥.

[6] التفسير الميسر:١٥٩.

[7] تفسير الطبري:٥٢٥/١٢.

الله إليهم صالحا، وكانوا قوما عربا، وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا. وكانت منازلهم الحجر إلى قزح وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام، فبعث الله إليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم أحد إلا قليل مستضعفون"[(١)].

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه"[(٢)].

قال الصابوني:أي:" معجزة ظاهرة جلية تدل على صحة نبوتي"[(٣)].

قال الطبري:" وقد جاءتكم حُجَّة وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما إليه أدعو، من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالعبادة دون ما سواه، وتصديقي على أني له رسول"[(٤)].

قوله تعالى:{هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [الأعراف : ٧٣]، أي:" هذه الناقة معجزتي إليكم"[(٥)].

قال الطبري:يقول" وبيِّنتي على ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي، وحجتي عليه، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهَضْبة، دليلا على نبوّتي وصدق مقالتي، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التي لا يقدر على مثلها أحدٌ إلا الله، وإنما استشهد صالح، فيما بلغني، على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة، لأنهم سألُوه إياها آيةً ودلالة على حقيقةِ قوله"[(٦)].

قال ابن الأنباري: "وهي آية لهم ولغيرهم، ولكنهم اقترحوها، فخصوا بها، وإن كانت فيها عبرة لجميع الخلق، وكانت هذه الناقة آية من بين سائر النوق؛ لأنها خرجت من حجر صلدٍ بمخض واضطراب كاضطراب المرأة عند الولادة"[(٧)].

قال القرطبي:" أخرج لهم الناقة حين سألوه من حجر صلد، فكان لها يوم تشرب فيه ماء الوادي كله، وتسقيهم مثله لبنا لم يشرب قط ألذ وأحلى منه. وكان بقدر حاجتهم على كرتهم، قال الله تعالى: {لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ} [الشعراء : ١٥٥]. وأضيفت الناقة إلى الله عز وجل على جهة إضافة الخلق إلى الخالق. وفيه معنى التشريف والتخصيص"[(٨)].

وقال ابن عطية: "قال الجمهور: كانت الناقة مقترحة، وهذا أليق بما ورد في الآثار من أمرهم"[(٩)].

وقال ابن كثير :" أي : قد جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئتكم به، وكانوا هم الذين سألوا صالحا أن يأتيهم بآية ، واقترحوا عليه أن تخرج لهم من صخرة صمَاء عَيّنوها بأنفسهم ، وهي صخرة منفردة في ناحية الحِجْر ، يقال لها : الكَاتبة ، فطلبوا منه أن يخرج لهم منها ناقة عُشَراء تَمْخَضُ ، فأخذ عليهم صالح العهود والمواثيق لئن أجابهم الله إلى سؤالهم وأجابهم إلى طُلْبتهم ليؤمنن به وليتبعنه ؟ فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، قام صالح ، عليه السلام ، إلى صلاته ودعا الله ، عز وجل ، فتحركت تلك الصخرة ثم انصدعت عن ناقة جَوْفاء وَبْرَاء يتحرك جنينها بين جنبيها ، كما سألوا ، فعند ذلك آمن رئيس القوم وهو : "جُندَع بن عمرو" ومن كان معه على أمره وأراد بقية أشراف ثمود أن يؤمنوا فصدهم "ذُؤاب بن عمرو بن لبيد" "والحباب" صاحب أوثانهم ، ورباب بن صمعر بن جلهس ، وكان ل"جندع بن عمرو" ابن عم يقال له : "شهاب بن خليفة بن محلاة بن لبيد بن حراس" ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها ،

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٥):ص١٥١٢/٥.

(٢) التفسير الميسر:١٥٩.

(٣) صفوة التفاسير:٤٢٢/١.

(٤) تفسير الطبري:٥٢٥/١٢.

(٥) صفوة التفاسير:٤٢٢/١.

(٦) تفسير الطبري:٥٢٥/١٢.

(٧)ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ٢٠٢، وابن الجوزي ٣/ ٢٢٤، بلا نسبة وهذا هو قول الأكثر والظاهر. انظر: "معاني الزجاج" ٢/ ٣٤٩، والطبري ١٢/ ٥٢٥، و"معاني النحاس" ٢/ ٥٥١، والسمرقندي ١/ ٥٥١، والماوردي ٢/ ٢٣٥.

(٨) تفسير القرطبي:٢٣٨/٧.

(٩) المحرر الوجيز: ٥/ ٥٥٩ - ٥٦٠.

فأراد أن يسلم أيضا فنهاه أولئك الرهط ، فأطاعهم ، فقال في ذلك رجل من مؤمني ثمود ، يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل ، رحمه الله :

وكانت عُصْبةٌ من آل عَمْرو إلى دين النبيّ دَعَوا شِهَابا
عَزِيزَ ثَمُودَ كُلَّهمُ جميعا فَهَمّ بأن يُجِيبَ فلو أجابا
لأصبحَ صالحٌ فينا عَزِيزًا وما عَدَلوا بصاحبهم ذُؤابا
ولكنّ الغُوَاة من آل حُجْرٍ تَوَلَّوْا بعد رُشْدهم ذئابا"[1].

قال أبو الطفيل :" قالت ثمود لصالح ائتنا بآية إن كنت من الصادقين: قال: فقال لهم صالح، اخرجوا إلى هضبة من الأرض فخرجوا، فإذا تمخض كما تمخض الحامل، ثم إنها تفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال لهم صالح: {هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله}، إلى قوله: {عذاب أليم ... لها شرب ولكم شرب يوم معلوم}"[2].

عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة أنه حدث:" أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة، ثم انتفضت فانصدغت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء، نتوجا ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما"[3].

قوله تعالى:{فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي"[4].

قال القرطبي:" أي: ليس عليكم رزقها ومئونتها"[5].

قال السدي:" فسألوا يعني صالحا أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال: فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله: فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فكانوا قد أقروا به على وجه النفاق"[6].

قال محمد بن إسحاق:" فمكثت الناقة التي أخرج الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر، وتشرب الماء، فقال لهم صالح: هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"[7].

قوله تعالى:{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجع"[8].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية، قال:"«الأليم»: الموجع في القرآن كله"[9]. قال ابن أبي حاتم:"وكذلك فسره ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك ابن مزاحم، وقتادة، وأبي مالك وأبي عمران الجوني، ومقاتل بن حيان"[10].

الفوائد:

١- أن جميع الأنبياء بعثوا بالتوحيد.
٢- تقرير إرسال الرسل بالآيات وهي المعجزات وآية صالح أعجب آية وهي الناقة، وقد أخبر الله أنها كانت آية واضحة بينة لا خفاء فيها، ولذا سماها مبصرة (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً) [الإسراء: ٥٩].

---

[1] تفسير ابن كثير:٣/٤٤٠-٤٤١.
[2] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٦):ص٥/١٥١٢.
[3] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٧):ص٥/١٥١٢.
[4] التفسير الميسر:١٥٩.
[5] تفسير القرطبي:٧/٢٣٨.
[6] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٨):ص٥/١٥١٢-١٥١٣.
[7] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٩):ص٥/١٥١٣.
[8] التفسير الميسر:١٥٩.
[9] تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٧٠):ص٥/١٥١٣.
[10] تفسير ابن ابي حاتم:٥/١٥١٣.

القرآن

{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)} [الأعراف : ٧٤]

التفسير:

واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم تَخْلُفون في الأرض مَن قبلكم، من بعد قبيلة عاد، ومكَّن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها، فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتنحتون من جبالها بيوتًا أخرى، فاذكروا نِعَمَ الله عليكم، ولا تَسْعَوا في الأرض بالإفساد.

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ} [الأعراف : ٧٤]، أي:" واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم تَخْلُفون في الأرض مَن قبلكم، من بعد قبيلة عاد"[١].

قوله تعالى:{وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ٧٤]، أي:" أي أسكنكم في أرض الحِجر"[٢].

قال الطبري:" يقول: وأنزلكم في الأرض، وجعل لكم فيها مساكن وأزواجًا"[٣].

قال السعدي:" أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون"[٤].

قال أبو عبيدة والزجاج:"{وَبَوَّأَكُم}، أي: أنزلكم، وزوّجكم"[٥].

قال الزجاج:" {وَبَوَّأَكُم}، أي: أنزلكم، قال الشاعر[٦]:

وبوّئت فى صميم معشرها   فتمّ فى قومها مبوّؤها

أي: أنزلت من الكرم في صميم النسب"[٧].

قوله تعالى:{تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا} [الأعراف : ٧٤]، أي:" فتبنون في سهولها البيوت العظيمة"[٨].

قال السعدي:" أي: من الأراضي السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة"[٩].

قوله تعالى:{وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا} [الأعراف : ٧٤]، أي:" تنحتون الجبال لسكناكم"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: تبنون في الجبال من الحجارة بيوتا"[١١].

قال السدي:" كانوا ينقبون في الجبال البيوتَ"[١٢].

قال الطبري:" ذكر أنهم كانوا ينقُبون الصخر مساكن"[١٣].

قال السعدي:" كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال"[١٤].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٠.

[٢] صفوة التفاسير:٤٢٣/١.

[٣] تفسير الطبري:٥٤١/١٢.

[٤] تفسير السعدي:٢٩٥.

[٥] مجاز القرآن:٢١٨/١.

[٦]البيت ورد منسوبًا لابن هرمة في: "مقاييس اللغة" ١/ ٣١٢ (بوأ)، ومجاز القرآن:٢١٨/١، وورد غير منسوب في: "اللسان" ١/ ٣٨٢ (بوأ)، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٥٠/٢.

[٧] معاني القرآن:٣٥٠/٢.

[٨] التفسير الميسر:١٦٠.

[٩] تفسير السعدي:٢٩٥.

[١٠] صفوة التفاسير:٤٢٣/١.

[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٦/٢.

[١٢] أخرجه الطبري(١٤٨٢٣):ص٥٤١/١٢.

[١٣] تفسير الطبري:٥٤١/١٢.

[١٤] تفسير السعدي:٢٩٥.

قال الزجاج:" يروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتا في الجبال، لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم"(١).

قال القرطبي:" اتخذوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم"(٢).

عن أبي صالح:"{وتنحتون الجبال بيوتا}، قال: حاذقين بنحتها"(٣).

قوله تعالى:{فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ} [الأعراف : ٧٤]، أي:" فاذكروا نِعَمَ الله عليكم"(٤).

قال مقاتل:" يعني: نعم الله في القصور والبيوت فتوحدوه"(٥).

قال الطبري:" يقول: فاذكروا نعمة الله التي أنعم بها عليكم"(٦).

قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف : ٧٤]، أي:" ولا تَسْعَوا في الأرض بالإفساد"(٧).

قال قتادة:" يقول: لا تسيروا في الأرض مفسدين"(٨).

قال أبو مالك:" يعني لا تمشوا بالمعاصي"(٩).

قال مقاتل:" يعني: ولا تسعوا فيها بالمعاصي"(١٠).

قال السعدي:" أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم"(١١).

الفوائد:

١- وجوب التذكير بنعم الله إذ هو الباعث على الشكر، والشكر هو الطاعة.
٢- النهي عن الفساد في الأرض والشرك وارتكاب المعاصي.

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥)} [الأعراف : ٧٥]

التفسير:

قال السادة والكبراء من الذين استعلَوا -من قوم صالح- للمؤمنين الذين استضعفوهم، واستهانوا بهم: أتعلمون حقيقة أن صالحًا قد أرسله الله إلينا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون بما أرسله الله به، متَّبعون لشرعه.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ} [الأعراف : ٧٥]، أي:" قال السادة والكبراء من الذين استعلَوا -من قوم صالح- للمؤمنين الذين استضعفوهم، واستهانوا بهم"(١٢).

قال الثعلبي:" يعني: الأشراف والقادة الذين تعظموا عن الإيمان بصالح عليه السلام {للذين استضعفوا}، يعني: الأتباع لمن آمن منهم"(١٣).

---

(١) معاني القرآن:٢/٣٥٠-٣٥١.
(٢) تفسير القرطبي:٧/٢٣٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٧١):ص٥/١٥١٣.
(٤) التفسير الميسر:١٦٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٤٦.
(٦) تفسير الطبري:١٢/٥٤١.
(٧) التفسير الميسر:١٦٠.
(٨) أخرجه الطبري(١٤٨٢٤):ص١٢/٥٤١-٥٤٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٧٥):ص٥/١٥١٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٤٦.
(١١) تفسير السعدي:٢٩٥.
(١٢) التفسير الميسر:١٦٠.
(١٣) الكشف والبيان:٤/٢٥١.

قال مقاتل:" {لمن آمن منهم}، يعني: لمن صدق منهم بالتوحيد"[١].

قوله تعالى:{أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ} [الأعراف : ٧٥]، أي:" أتعلمون حقيقة أن صالحًا قد أرسله الله إلينا؟"[٢].

قال السمعاني:" وهذا استفهام أريد به الجحد؛ لأنهم كانوا يجحدون إرساله"[٣].

قال الزمخشري:" قالوه على سبيل الطنز والسخرية"[٤].

قال ابن عطية:" قولهم:{أتعلمون}، استفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف"[٥].

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٧٥]، أي:" قال الذين آمنوا: إنا مصدقون بما أرسله الله به، متَّبعون لشرعه"[٦].

قال الطبري:" يقول: مصدِّقون مقرّون أنه من عند الله، وأن الله أمر به، وعن أمر الله دعانا صالح إليه"[٧].

قال ابن عطية:" فأجاب المؤمنون بالتصديق والصرامة في دين الله فحملت الأنفة الإشراف على مناقضة المؤمنين في مقالتهم واستمروا على كفرهم"[٨].

الفوائد:

١- بيان كفر واستكبار وعناد ثمود، إذ قلبوا الحقائق والموازين، فجعلوا الصادق كاذباً، والهادي مضلاً، والأمين خائناً وهذا دأب الكافرين مع الأنبياء-عليهم السلام-، وقد أخبر النبي ﷺ أن الموازين ستقلب بين يدي الساعة فقال: "سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة قال الرجل التافه يتكلم فى أمر العامة"[٩]

٢- أن الضعفة هم غالبا أتباع الأنبياء: وذلك لخلوهم من الموانع كالمحافظة على المنصب أو الجاه أو المال، وعدم إنغماسهم في الملاذ والشهوات

القرآن

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦)} [الأعراف : ٧٦]

التفسير:

قال الذين استعلَوْا: إنَّا بالذي صدَّقتم به واتبعتموه من نبوة صالح جاحدون.

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} [الأعراف : ٧٦]، أي:" قال الذين استعلَوْا"[١٠].

قال الطبري: أي:" عن أمر الله وأمر رسوله صالح"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [الأعراف : ٧٦]، أي:" إنَّا بالذي صدَّقتم به واتبعتموه من نبوة صالح جاحدون"[١٢].

قال الثعلبي:أي:" جاحدون"[١٣].

---

[١] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٦/٢.
[٢] التفسير الميسر:١٦٠.
[٣] تفسير السمعاني:١٩٤/٢.
[٤] الكشاف:١٢٣/٢.
[٥] المحرر الوجيز:٤٢٣/٢.
[٦] التفسير الميسر:١٦٠.
[٧] تفسير الطبري:٥٤٢/١٢.
[٨] المحرر الوجيز:٤٢٣/٢.
[٩]أخرجه أحمد (٢٩١/٢، رقم ٧٨٩٩) ، وابن ماجه (١٣٣٩/٢، رقم ٤٠٣٦) قال البوصيرى (١٩١/٤) : هذا إسناد فيه مقال، والحاكم (٥١٢/٤، رقم ٨٤٣٩) وقال: صحيح الإسناد.
[١٠] التفسير الميسر:١٦٠.
[١١] تفسير الطبري:٥٤٢/١٢.
[١٢] التفسير الميسر:١٦٠.
[١٣] الكشف والبيان:٢٥١/٤.

قال أبو الليث:" أي: من رسالة صالح"[1].
قال الطبري:" يقول: جاحدون منكرون، لا نصدِّق به ولا نقر"[2].
قال الزمخشري:" فوضعوا {آمنتم به}، موضع «أرسل به» ردا لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما"[3].
قال البيضاوي: قالوا ذلك" على وجه المقابلة"[4].
قال أبو حيان:" فالذي آمنتم به هو من حيث المعنى بما أرسل به لكنه من حيث اللفظ أعم قصدوا الرد لما جعله المؤمنون معلوما وأخذوه مسلما"[5].
قال أبو السعود:" وإنما لم يقولوا: «إنا بما أرسل به كافرون»، إظهارا لمخالفتهم إياهم وردا لمقالتهم"[6].
قال في صاحب "الانتصاف": ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا: إنا بما أرسل به كافرون، ولكن أبوا ذلك حذرا مما في ظاهره من إثباتهم لرسالته، وهم يجحدونها، وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم، كما قال فرعون: {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} [الشعراء : ٢٧] ، فأثبت إرساله تهكما، وليس هذا موضع التهكم، فإن الغرض إخبار كل واحد من الفريقين، والمكذبين، عن حاله، فلهذا خلص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة، احتياطا للكفر، وغلوا في الإصرار"[7].
الفوائد:
١- أن كفر ثمود كان بالاستكبار، قال تعالى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ}
٢- أن أشراف القوم وسادتهم تعاصوا على الرسل لانغمار عقولهم بالدنيا وطلب الرئاسة والعلو فيهما، في حين ان الضعفة لخلوهم من حظوظ الدنيا هم غالبا أتباع الأنبياء.

القرآن
{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧)} [الأعراف : ٧٧]
التفسير:
فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعَّدنا به من العذاب، إن كنت مِن رسل الله.
الفوائد:
قوله تعالى:{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح"[8].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمودُ الناقةَ التي جعلها الله لهم آية.. وهو من قولهم:"جبّار عاتٍ"، إذا كان عاليًا في تجبُّره"[9].
قوله تعالى:{وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" واستكبروا عن امتثال أمر ربهم"[1].

---

(١) بحر العلوم:٥٢٩/١.
(٢) تفسير الطبري:٥٤٢/١٢.
(٣) الكشاف:١٢٣/٢.
(٤) تفسير البيضاوي:٢١/٣.
(٥) البحر المحيط:٩٥/٥.
(٦) تفسير أبي السعود:٢٤٣/٣.
(٧)الانتصاف على الكشاف لابن المنذر: ٨ / ١٢٣، وانظر: تفسير الكشاف:١٢٣/٢، الهامش(٤).
(٨) التفسير الميسر:١٦٠.
(٩) تفسير الطبري:٥٤٣/١٢.

قال الطبري:" يقول: تكبروا وتجبروا عن اتباع الله، واستعلوا عن الحق"[٢].

عن مجاهد: "{وعتوا}، علوا عن الحق، لا يبصرون"[٣]. وفي رواية أخرى:" عتوا في الباطل وتركوا الحق"[٤].

عن ابن إسحاق :"{وعتوا عن أمر ربهم}، وأجمعوا في عقر الناقة رأيهم"[٥].

قوله تعالى:{وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعَّدنا به من العذاب، إن كنت مِن رسل الله"[٦].

قال الطبري:" يقول: قالوا: جئنا، يا صالح، بما تعدنا من عذاب الله ونقمته، استعجالا منهم للعذاب إن كنت لله رسولا إلينا، فإن الله ينصر رسله على أعدائه، فعجَّل ذلك لهم كما استعجلوه"[٧].

عن قتادة :"أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام قال لهم: إن آية هلاككم أن تصبح وجوهكم غدا مصفرة. ثم تصبح اليوم الثاني محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة. فأصبحت كذلك، فلما كان اليوم الثالث أيقنوا فتكفنوا وتحنطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم"[٨].

قال ابن كثير:" فأقامت الناقة وفصيلها بعد ما وضعته بين أظهرهم مدة ، تشرب ماء بئرها يوما ، وتدعه لهم يوما ، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها ، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم ، كما قال في الآية الأخرى:{ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ } [القمر : ٢٨] وقال تعالى:{ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ } [الشعراء : ١٥٥] وكانت تسرح في بعض تلك الأودية ترد من فَجّ وتصدر من غيره ليسعها ؛ لأنها كانت تتضلَّع عن الماء ، وكانت - على ما ذكر - خَلْقًا هائلا ومنظرًا رائعًا ، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها. فلما طال عليهم واشتد تكذيبهم لصالح النبي ، عليه السلام ، عزموا على قتلها ، ليستأثروا بالماء كل يوم ، فيقال : إنهم اتفقوا كلهم على قتلها.

قال قتادة : «بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم ، أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن ، وعلى الصبيان أيضا»[٩].

قال ابن كثير: قلت:وهذا هو الظاهر؛ لأن الله تعالى يقول : { فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا } [الشمس : ١٤] وقال:{ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا } [الإسراء : ٥٩] وقال : { فَعَقَرُوا النَّاقَةَ } فأسند ذلك على مجموع القبيلة ، فدل على رضا جميعهم بذلك"[١٠].

عن قتادة :"أن ثمودا لما عقروا الناقة تغامزوا وقالوا عليكم الفصيل، فصعد الفصيل القارة جبلا حتى إذا كان يوما استقبل القبلة وقال: يا رب أمي، يا رب أمي يا رب أمي فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك"[١١].

عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: "لما عقرت الناقة صعد بكرها فوق الجبل فرغا فما سمعه شيء إلا همد"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٠.

[٢] تفسير الطبري:٥٤٣/١٢.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٢٥):ص٥٤٣/١٢.

[٤] أخرجه الطبري(١٤٨٢٦):ص٥٤٣/١٢.

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٢):ص١٥١٥/٥.

[٦] التفسير الميسر:١٦٠.

[٧] تفسير الطبري:٥٤٣/١٢-٥٤٤.

[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٤):ص١٥١٥/٥.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٤١/٣.

[١٠] تفسير ابن كثير:٤٤٠/٣-٤٤١.

[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٧٨):ص١٥١٤/٥.

الفوائد:
١- حلول نقمة الله تعالى بكل من عتا عن أمره سبحانه وتعالى.
٢- أن الوعد يكون في الخير والشر، يستفاد ذلك من قوله تعالى: {وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا}، أي:" قالوا له: ائتنا بما وعدتنا به من عذاب الله ونقمته، إن كنت رسولا إلينا، وتدعى أن وعيدك تبليغ عنه، فالله ينصر رسله على أعدائه، فعجل ذلك لنا"[٢].

القرآن
{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)} [الأعراف : ٧٨]
التفسير:
فأخذَت الذين كفروا الزلزلةُ الشديدة التي خلعت قلوبهم، فأصبحوا في بلدهم هالكين، لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم، لم يُفْلِت منهم أحد.
قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف : ٧٨]، أي:" فأخذَت الذين كفروا الزلزلةُ الشديدة التي خلعت قلوبهم"[٣].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأخذت الذين عقروا الناقةَ من ثمود {الرجفة}، وهي الصيحة"[٤].
وقد جاء في سورة «هود»: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ} [هود : ٦٧]، وفى سورة «فصلت» : {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ} [فصلت : ١٧]، وفى سورة «الذاريات» {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الذاريات : ٤٤]، "والمراد بالجميع «الصاعقة»، فإن لنزولها صيحة شديدة القوة ترجف من هولها الأفئدة وتضطرب الأعصاب، وربما اضطربت الأرض وتصدع ما فيها من بنيان"[٥].
و«الرجفة»: من قول القائل: رجَف بفلان كذا يرجُفُ رجْفًا، وذلك إذا حرَّكه وزعزعه، كما قال الأخطل[٦]:
إمَّا تَرَيْنِي حَنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ كَالنَّسْرِ أَرْجُفُ، وَالإنْسَانُ مَهْدُودُ
وإنما عنى بـ{الرجفة}، ها هنا: الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم[٧].
قال مجاهد: "{الرجفة}، الصيحة"[٨].

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٨٠):ص١٥١٥/٥.
[٢] تفسير المراغي:٢٠١/٨.
[٣]التفسير الميسر:١٦٠.
[٤] تفسير الطبري:٥٤٤/١٢.
[٥] تفسير المراغي:٢٠١/٨.
[٦]ديوانه: ١٤٦ من قصيدة له جيدة، قالها في يزيد بن معاوية، وذكر فيها الشباب ذكرًا عجبًا، وقد رأى إعراض الغواني عنه من أجله، يقول بعده: وَقَدْ يَكُونُ الصِّبَى مِنِّي بِمَنْزِلَةٍ ... يَوْمًا، وتَقْتَادُنِي الهِيفُ الرَّعَادِيدُ
يَا قَلَّ خَيْرُ الغَوَانِي، كيف رُغْنَ بِهِ ... فَشُرْبُهُ وَشَلٌ فِيهِنَّ تَصْرِيدُ
أَعْرَضْنَ مِنْ شَمَطٍ في الرَّأْسِ لاحَ بِهِ ... فَهُنّ مِنْهُ، إذَا أَبْصَرْنَهُ، حِيدُ
قَدْ كُنَّ يَعْهَدْنَ مِنِّي مَضْحَكًا حَسَنًا ... وَمَفْرِقًا حَسَرَتْ عَنْهُ العَنَاقِيدُ
فَهُنَّ يَشْدُونَ مِنِّي بَعْضَ مَعْرِفَةٍ، ... وَهُنَّ بالوُدِّ، لا بُخْلٌ ولا جُودُ
قَدْ كَانَ عَهْدِي جَدِيدًا، فَاسْتُبِدَّ بِهِ، ... وَالعَهْدُ مُتَّبَعٌ مَا فِيهِ، مَنشُودُ
يَقُلْنَ: لا أَنْتَ بَعْلٌ يُسْتَقَادُ لَهُ، ... وَلا الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ
هَلْ لِلشَّبَابِ الذي قَدْ فَاتَ مرْدُودُ ؟ ... أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيبَ مَوْجُودُ ؟
لَنْ يَرْجِعَ الشِّيبُ شُبَّانًا، وَلَنْ يَجِدُوا ... عِدْلَ الشَّبَابِ، مَا أَوْرَقَ العُودُ
إنَّ الشَّبَابَ لَمَحْمُودٌ بَشَاشَتُهُ ... والشَّيْبُ مُنْصَرِفٌ عَنْهُ وَمَصْدُودُ
وهي أبيات ملئت عاطفة وحزنًا وحسرة.
[٧] انظر: تفسير الطبري:٥٤٤/١٢-٥٤٥.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٨٢٨):ص٥٤٥/١٢.

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف : ٧٨]، أي:" ، فأصبحوا في بلدهم هالكين، لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم، لم يُفْلِت منهم أحد "[١].

قال الطبري:" يقول: فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم، سقوطًا صرعَى لا يتحركون، لأنهم لا أرواح فيهم، قد هلكوا"[٢].

خعن ابن زيد، في قوله: "{فأصبحوا في دارهم جاثمين}، قال: ميتين"[٣].

والعرب تقول للبارك على الركبة:«جاثم»، ومنه قول جرير[٤]:

عَرَفْتُ المُنْتَأَى، وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا القِدْرِ كَالحِدَإِ الجُثُومِ[٥]

الفوائد:

١- التحذير من عقاب الله وموجب حلول نقمته وسخطه سبحانه وتعالى.

٢- عناد المستكبرين من الكفرة إذ أقدموا على عقر الناقة، غير مبالين بما توعدهم به نبيهم.

القرآن

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)} [الأعراف : ٧٩]

التفسير:

فأعرض صالح عليه السلام عن قومه -حين عقروا الناقة وحل بهم الهلاك- وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَذَلْت لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح، ولكنكم لا تحبون الناصحين، فرددتم قولهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

قوله تعالى:{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} [الأعراف : ٧٩]، أي:" فأعرض صالح عليه السلام عن قومه -حين عقروا الناقة وحل بهم الهلاك-"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب وعقروا ناقة الله، خارجًا عن أرضهم من بين أظهُرهم، لأن الله تعالى ذكره أوحَى إليه: إنّي مهلكهم بعد ثالثة، وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهُرها، فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله إحلال عقوبته بهم"[٧].

قوله تعالى:{وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي} [الأعراف : ٧٩]، أي:" وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه"[٨].

قال الطبري: يقول:"وأدّيت إليكم ما أمرني بأدائه إليكم ربّي من أمره ونهيه"[٩].

قال السعدي:" أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٠.

[٢] تفسير الطبري:٥٤٥/١٢-٥٤٦.

[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٣٢):ص٥٤٦/١٢.

[٤]ديوانه: ٥٠٧، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٨، من قصيدته في هشام بن عبد الملك، مضى منها بيت فيما فيما سلف ١: ١٧٠.

يقول قبله: وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ، وَمَا ذَكَرْنَا ... كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ والنَّظِيم

و"المنتأى"، حفير النؤى حول البيت. و"مطايا القدر"، أثافيها، تركبها القدر فهي لها مطية. وجعلها كالحدإ الجثوم، لسوادها من سخام النار.

[٥] انظر: تفسير الطبري:٥٤٦/١٢.

[٦] التفسير الميسر:١٦٠.

[٧] تفسير الطبري:٥٤٦/١٢-٥٤٧.

[٨] التفسير الميسر:١٦٠.

[٩] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.

[١٠] تفسير السعدي:٢٩٥.

قوله تعالى:{وَنَصَحْتُ لَكُمْ} [الأعراف : ٧٩]، أي:" وبَذَلْت لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح"[١].

قال الطبري:أي:" في أدائي رسالة الله إليكم، في تحذيركم بأسه بإقامتكم على كفركم به وعبادتكم الأوثان"[٢].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف : ٧٩]، أي:" ولكنكم لا تحبون الناصحين، فرددتم قولهم، وأطعتم كل شيطان رجيم"[٣].

قال الطبري:يقول:" {ولكن لا تحبون الناصحين}، لكم في الله، الناهين لكم عن اتباع أهوائكم، الصادِّين لكم عن شهوات أنفسكم"[٤].

قال السعدي: يقول" بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : فلم تنتفعوا بذلك ، لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا، وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلكت أمته ، كان يذهب فيقيم في الحرم ، حرم مكة ، فالله أعلم"[٦].

عن ابن عباس قال : «لما مر رسول الله ﷺ بوادي عُسْفان حين حَجّ قال : "يا أبا بكر ، أيّ وادي هذا ؟ " قال : هذا وادي عُسْفَان. قال : "لقد مر به هود وصالح ، عليهما السلام ، على بَكَرات حُمْر خُطُمها الليف ، أزُرُهم العبَاء ، وأرديتهم النِّمار ، يلبون يحجون البيت العتيق"»[٧].
العتيق"»[٧].

قال ابن كثير:«وذكر الإمام أبو جعفر بن جرير ، رحمه الله ، وغيره من علماء التفسير في سبب قتل الناقة : أن امرأة منهم يقال لها : "عنيزة ابنة غنم بن مِجْلِز" وتكنى أم غَنَمْ كانت عجوزا كافرة ، وكانت من أشد الناس عداوة لصالح ، عليه السلام ، وكانت لها بنات حسان ومال جزيل ، وكان زوجها ذُؤاب بن عمرو أحد رؤساء ثمود ، وامرأة أخرى يقال لها : "صدوف بنت المحيا بن دهر بن المحيا" ذات حسب ومال وجمال ، وكانت تحت رجل مسلم من ثمود ، ففارقته ، فكانتا تجعلان لمن التزم لهما بقتل الناقة ، فدعت "صدوف" رجلا يقال له : "الحباب" وعرضت عليه نفسها إن هو عقر الناقة ، فأبى عليها. فدعت ابن عم لها يقال له : "مصدع بن مهرج بن المحيا" ، فأجابها إلى ذلك - ودعت "عنيزة بنت غنم" قدار بن سالف بن جُنْدَع وكان رجلا أحمر أزرق قصيرًا ، يزعمون أنه كان ولد زَنية ، وأنه لم يكن من أبيه الذي ينسب إليه ، وهو سالف ، وإنما هو من رجل يقال له : "صهياد" ولكن ولد على فراش "سالف" ، وقالت له : أعطيك أي بناتي شئتَ على أن تعقر الناقة! فعند ذلك ، انطلق "قدار بن سالف" "ومصدع بن مهرج" ، فاستفزا غُواة من ثمود ، فاتبعهما سبعة نفر ، فصاروا تسعة رهط ، وهم الذين قال الله تعالى : { وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ } [النمل : ٤٨] وكانوا رؤساء في قومهم ، فاستمالوا القبيلة الكافرة بكمالها ، فطاوعتهم على ذلك ، فانطلقوا فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها "قدار" في أصل صخرة على طريقها ، وكمن لها "مصدع" في أصل أخرى ، فمرت على "مصدع" فرماها بسهم ، فانتظم به عضَلَة ساقها وخرجت "أم غَنَمْ عنيزة" ، وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها ، فسفرت عن وجهها لقدار وذمّرته فشدّ على الناقة بالسيف ، فكسفَ عرقوبها ، فخرت ساقطة إلى الأرض ، ورغت رَغاة واحدة تحذر سَقْبَها ، ثم طعن في لَبَّتها

---

[١] التفسير الميسر:١٦٠.

[٢] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.

[٣] التفسير الميسر:١٦٠.

[٤] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.

[٥] تفسير السعدي:٢٩٥.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٤٤/٣.

[٧] المسند (٢٣٢/١)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٢٠/٣) : "فيه زمعة بن صالح وفيه كلام وقد وثق".
قال ابن كثير:٤٤٤/٣:" هذا حديث غريب من هذا الوجه ، لم يخرجه أحد منهم".

فنحرها ، وانطلق سَقْبَها - وهو فصيلها - حتى أتى جبلا منيعًا ، فصعد أعلى صخرة فيه ورغا - فروى عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عمن سمع الحسن البصري أنه قال : يا رب أين أمي ؟ ويقال : إنه رغا ثلاث مرات. وإنه دخل في صخرة فغاب فيها ، ويقال : بل اتبعوه فعقروه مع أمه[1]، فالله أعلم.

فلما فعلوا ذلك وفرغوا من عقر الناقة ، بلغ الخبر صالحا ، عليه السلام ، فجاءهم وهم مجتمعون ، فلما رأى الناقة بكى وقال:{ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} [هود : ٦٥]، وكان قتلهم الناقة يوم الأربعاء ، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح-عليه السلام- وقالوا : إن كان صادقًا عَجَّلناه قبلنا ، وإن كان كاذبًا ألحقناه بناقته! { قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ. وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا } (٤) الآية.[النمل : ٤٩ - ٥٢].

فلما عزموا على ذلك ، وتواطؤوا عليه ، وجاءوا من الليل ليفتكوا بنبي الله صالح ، أرسل الله ، سبحانه وتعالى ، وله العزة ولرسوله ، عليهم حجارة فرضَختهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم ، وأصبح ثمود يوم الخميس ، وهو اليوم الأول من أيام النَّظرة ، ووجوههم مصفرة كما وعدهم صالح ، عليه السلام ، وأصبحوا في اليوم الثاني من أيام التأجيل ، وهو يوم الجمعة ، ووجوههم محمرة ، وأصبحوا في اليوم الثالث من أيام المتاع وهو يوم السبت ، ووجوههم مسودة ، فلما أصبحوا من يوم الأحد وقد تحَنَّطوا وقعدوا ينتظرون نقمة الله وعذابه ، عياذا بالله من ذلك ، لا يدرون ماذا يفعل بهم ، ولا كيف يأتيهم العذاب ؟ وقد أشرقت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء ورَجْفة شديدة من أسفل منهم ، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة { فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }، أي : صرعى لا أرواح فيهم ، ولم يفلت منهم أحد ، لا صغير ولا كبير ، لا ذكر ولا أنثى - قالوا : إلا جارية كانت مقعدة - واسمها "كلبة بنة السّلْق" ، ويقال لها : "الزريقة" - وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح ، عليه السلام ، فلما رأت ما رأت من العذاب ، أُطلِقَت رجلاها ، فقامت تسعى كأسرع شيء ، فأتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما رأت وما حل بقومها ، ثم استسقتهم من الماء ، فلما شربت ، ماتت.

قال علماء التفسير : ولم يبق من ذرية ثمود أحد ، سوى صالح ، عليه السلام ، ومن اتبعه ، رضي الله عنهم ، إلا أن رجلا يقال له : "أبو رِغال" ، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيما في الحرم ، فلم يصبه شيء ، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحلّ ، جاءه حجر من السماء فقتله.

وقد تقدم في أول القصة حديث "جابر بن عبد الله" في ذلك ، وذكروا أن أبا رغال هذا هو والد ثقيف" الذين كانوا يسكنون الطائف.

قال عبد الرزاق : قال مَعْمَر : أخبرني إسماعيل بن أمية ؛ أن النبي ﷺ مر بقبر أبي رغال فقال : "أتدرون من هذا ؟" فقالوا : الله ورسوله أعلم. قال : "هذا قبر أبي رغال ، رجل من ثمود ، كان في حرم الله ، فمنعه حرمُ الله عذاب الله. فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن هاهنا ، ودفن معه غصن من ذهب ، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم ، فبحثوا عنه ، فاستخرجوا الغصن". وقال عبد الرزاق : قال معمر : قال الزهري : أبو رغال : أبو ثقيف[2].

وقد روي متصلا من وجه آخر ، كما قال محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية ، عن بُجَير بن أبي بجير قال : سمعت عبد الله بن عمرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، حين خرجنا معه إلى الطائف ، فمررنا بقبر فقال : "هذا قبر أبي رغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم فدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان

---

[1] انظر:) تفسير الطبري :٥٣٦/١٢.
[2] المصنف برقم (٢٠٩٨٩) ، وتفسير عبد الرزاق (١١٩/١ ، ٢٢٠).

، فدفن فيه. وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشم عنه أصبتموه معه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن"[1]»"[2].

قال ابن كثير:"قوله تعالى : { فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)}، هذا تقريع من صالح ، عليه السلام ، لقومه ، لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه ، وتمردهم على الله، وإبائهم عن قبول الحق ، وإعراضهم عن الهدى إلى العَمى - قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعا وتوبيخا وهم يسمعون ذلك ، كما ثبت في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل بدر ، أقام هناك ثلاثًا ، ثم أمر براحلته فشُدّت بعد ثلاث من آخر الليل فركبها، ثم سار حتى وقف على القليب ، قليب بدر ، فجعل يقول : «"يا أبا جهل بن هشام ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، ويا فلان بن فلان : هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا". فقال له عمر : يا رسول الله ، ما تُكَلّم من أقوام قد جيفوا ؟ فقال : "والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكن لا يجيبون"»[3].

وفي السيرة أنه ، عليه السلام قال لهم : «بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ، كذبتموني وصدقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس ، فبئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم»[4].

وهكذا صالح ، عليه السلام ، قال لقومه : { لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ }، أي : فلم تنتفعوا بذلك، لأنكم لا تحبون الحق ولا تتبعون ناصحا ؛ ولهذا قال:{ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}.

وقد ذكر بعض المفسرين أن كل نبي هلكت أمته ، كان يذهب فيقيم في الحرم ، حرم مكة ، فالله أعلم"[5].

قال السعدي: -معلقا على الأخبار التي وردت بعد عقر الناقة-: " واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: {تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ} أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب.

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ ". فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله ﷺ مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [ص:٢٩٦] وقد تقدم

---

[1] سنن أبي داود برقم (٣٠٨٨)، قال أبو الحجاج المزي : "وهو حديث حسن عزيز". انظر: تهذيب الكمال :١١/٤. .

[2] تفسير ابن كثير:٤٤١/٣-٤٤٤.[بتصرف بسيط].

[3] رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٩٨٠) ومسلم في صحيحه برقم (٩٣٢) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

[4] السيرة النبوية لابن هشام (٦٣٩/١).

[5] تفسير ابن كثير:٤٤٣/٣-٤٤٤.

أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما"[1].

الفوائد:

١- من فوائد الآية الكريمة: أن الهوى المحض هو الصارف للكفار عن الحق، لا الشبهة.
ومن هنا نقم الله على الكفار أنهم آمنوا بالباطل فلو كان كفرهم بالحق الذي هو الله وكتبه ورسله من أجل الشبهة لكانوا لعبادة الحجارة وغيرها أشد كفرا.

٢- مشروعية الرثاء لمن مات أو أصيب بمصاب عظيم.

٣- علامة قرب ساعة الهلاك إذا أصبح الناس يكرهون النصح ولا يحبون الناصحين.

القرآن

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)} [الأعراف : ٨٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- لوطًا عليه السلام حين قال لقومه: أتفعلون الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح؟ ما فعلها مِن أحد قبلكم من المخلوقين.

قوله تعالى:{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ} [الأعراف : ٨٠]، أي:" واذكر -أيها الرسول- لوطًا عليه السلام حين قال لقومه"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا لوطًا حين قال لقومه من سَدُوم، وإليهم كان أرسل لوط"[3].

قال ابن كثير:" ولوط هو ابن هاران بن آزر ، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، عليهما السلام ، وكان قد آمن مع إبراهيم ، عليه السلام ، وهاجر معه إلى أرض الشام ، فبعثه الله تعالى إلى أهل "سَدُوم" وما حولها من القرى ، يدعوهم إلى الله ، عز وجل ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم ، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه ، ولا يخطر ببالهم ، حتى صنع ذلك أهل "سَدُوم" عليهم لعائن الله"[4].

قوله تعالى:{أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ} [الأعراف : ٨٠]، أي:" أتفعلون الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح؟"[5].

قال الطبري:" كانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها، التي عاقبهم الله عليها، إتيان الذكور"[6].

قوله تعالى:{مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٨٠]، أي:" ما فعلها مِن أحد قبلكم من المخلوقين"[7].

قال الطبري:" يقول: ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين"[8].

قال السعدي:" فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا"[1].

---

[1] تفسير السعدي:٢٩٥.
[2] التفسير الميسر:١٦٠.
[3] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.
[4] تفسير ابن كثير:٤٤٤/٣-٤٤٥.
[5] التفسير الميسر:١٦٠.
[6] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.
[7] التفسير الميسر:١٦٠.
[8] تفسير الطبري:٥٤٧/١٢.

قال عمرو بن دينار:" ما رُئي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[٢].
قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، باني جامع دمشق : "لولا أن الله ، عز وجل ، قص علينا خبر لوط ، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا"[٣].
الفوائد:

١- شدة قبح جريمة اللواط.
٢- أن أول من عرف هذه الجريمة القذرة هم قوم لوط -عليه السلام-.

والجمهور على أن من أتى هذه الفاحشة من الذكران البالغين أنه يقتل وغير البالغ يضرب.
عن ابن عباس: أن رسول الله - ﷺ - قال: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به"[٤].
" لم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه رجم في اللواط، ولا أنه حكم فيه، وثبت عنه أنه قال: " اقتلوا الفاعل والمفعول به "[٥].
وأخرج البيهقي[٦] ، عن علي: أنه رجم لوطيا.
قال الشافعي: "وبهذا نأخذ؛ نرجم اللوطي؛ محصنا كان أو غير محصن"[٧].
وأخرج البيهقي أيضا عن أبي بكر [٨] : أنه جمع الناس في حق رجل ينكح كما تنكح النساء، فسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فكان من أشدهم يومئذ قولا علي بن أبي طالب، قال: هذا ذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة؛ صنع الله بها ما قد علمتم؛ نرى أن نحرقه بالنار، فاجتمع أصحاب رسول الله - ﷺ - على أن يحرقوه بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار.
وأخرج أبو داود [٩] ، عن سعيد بن جبير ومجاهد، عن ابن عباس: في البكر يوجد على اللوطية؛ يرجم.
وأخرج البيهقي [١٠]، عن ابن عباس أيضا: أنه سئل عن حد اللوطي؟ فقال: ينظر أعلى بناء في القرية؛ فيرمى به منكسا، ثم يتبع الحجارة.
وقد اختلف أهل العلم في عقوبة اللواط - بعد اتفاقهم على تحريمه، وأنه من الكبائر -:
فذهب من تقدم من الصحابة إلى أن حده القتل ولو كان بكرا؛ سواء كان فاعلا أو مفعولا به، وإليه ذهب الشافعي[١١].

---

[١] تفسير السعدي:٢٩٦.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٨٣٣):ص٥٤٨/١٢.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣.
[٤]صحيح: أخرجه احمد في المسند (١/ ٣٠٠)، وأبو داود، في السنن ٤/ ١٥٨ رقم ٤٤٦٢)، والترمذي في الجامع (٤/ ٤٧ رقم ١٤٥٦)، وابن ماجة في السنن ٢/ ٨٥٦ رقم ٢٥٦١).
[٥] سبق تخريجه.
[٦]• في " سننه " (٨ / ٢٣٢) ؛ وفيه رجل لم يسم؛ وهو الراوي عن علي.
نعم؛ سماه في رواية: " يزيد "؛ قال الراوي: أراه ابن مذكور، لكن فيه رجل آخر لم يسم.
ثم رأيت الدوري رواه في " ذم اللواط " (٢ / ١٥٩) ؛ من طريق آخر، وسمى الرجل: " يزيد بن قيس الخارفي ". وانظر " إرواء الغليل " (٢٣٥٠).
[٧] الأم: ١٩٣/٧.
[٨]هذا يوهم أنه متصل؛ وليس كذلك؛ فقد أخرجه البيهقي بسنده؛ من طريق صفوان بن سليم: أن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق في خلافته، يذكر له أنه وجد رجلا في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع الناس ... إلخ.
وهذا مرسل كما قال البيهقي؛ لأن صفوان هذا تابعي، ثم إن في الطريق إليه إبراهيم بن علي، وهو ابن أبي رافع المديني - نزيل بغداد -؛ ضعيف، وكذبه بعضهم.
ثم وجدته في " تحريم الابنة " لابن عساكر (١٦٣ / ١ - ٢) ؛ من طريق غيره؛ فهو مرسل فقط.
[٩]في " سننه " (٢ / ٢٣٨) ، وعنه البيهقي (٨ / ٢٣٢) ؛ وسنده صحيح..
[١٠]سنده صحيح، وكذلك رواه الدوري (١ / ١٥٩) ، (٢ / ١٦٠).
[١١] انظر: الأم: ١٩٣/٧.

وقد حكى صاحب "الشفاء" إجماع الصحابة على القتل"[١].

وحكى البغوي عن الشعبي، والزهري، ومالك، وأحمد، وإسحاق: أنه يرجم محصنا كان أو غير محصن[٢].

وروي عن النخعي أنه قال: لو كان يستقيم أن يرجم الزاني مرتين؛ لرجم اللوطي.

وقال المنذري: حرق اللوطية بالنار أبو بكر وعلي وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك [٣].

وذهب من عدا من تقدم إلى أن حد اللوطي حد الزاني[٤].

وللشافعي فيه قولان:

أحدهما: يقتل بكرًا كان أو ثيبا[٥].

والقول الآخر: أنه كالزنى يجلد إن كان بكرًا، ويرجم إن كان ثيبًا والكلام[٦]..

والمشهور من مذهبه-" أنه يجب فيه ما يجب في الزنا فإن كان غير محصن وجب الجلد والتغريب وإن كان محصناً وجب عليه الرجم "[٧].

وعند أبي حنيفة: يعزز باللواط، ولا يجلد ولا يرجم[٨]، قال أبو حنيفة:" اللواط لا يجب فيه الحد"[٩].

القرآن

{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)} [الأعراف : ٨١]

التفسير:

إنكم لتأتون الذكور في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مبالين بقبحها، تاركين الذي أحلَّه الله لكم من نسائكم، بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإسراف.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ} [الأعراف : ٨١]، أي:" إنكم لتأتون الذكور في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مبالين بقبحها، تاركين الذي أحلَّه الله لكم من نسائكم"[١٠].

قال أبو الليث:" أي: تجامعون الرجال من دون النساء، يعني: إن إتيان الرجال أشهى إليكم من إتيان النساء"[١١].

قال ابن كثير:" أي : عدلتم عن النساء ، وما خلق لكم ربكم منهن إلى الرجال"[١٢].

---

[١] نقلا عن الدراري المضية للشوكاني:٣٩١/٢.

[٢] نقلا عن الدراري المضية للشوكاني:٣٩١/٢.

[٣]حرق عبد الله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك؛ رواه الدوري في " ذم اللواط " في الأثر السابق عن صفوان بن سليم مرسلا.

[٤] انظر: الدراري المضية للشوكاني:٣٩١/٢.

[٥] التجريد للقدوري(٢٨٥٧١):ص٥٩١٠/١١.

[٦] التجريد للقدوري(٢٨٥٧٢):ص٥٩١٠/١١.

[٧]المهذب في فقة الإمام الشافعي:٣٣٩/٣.

[٨]انظر: النتف في الفتاوى: ٢٦٩/١.

ونقل الحافظ ابن كثير في " تفسيره " (٢ / ٤٥٥) عن الإمام أبو حنيفة أنه قال في اللوطي: إنه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة، كما فعل الله بقوم لوط.

قلت: وهذا قول ابن عباس؛ كما تقدم.

[٩] التجريد للقدوري(٢٨٥٧٠):ص٥٩١٠/١١.

[١٠] التفسير الميسر:١٦٠.

[١١] بحر العلوم:٥٣٠/١.

[١٢] تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣.

قال الثعلبي:" يعني: أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء"[١].
قال القرطبي:" الاستفهام معناه التوبيخ، أي: تشتهونهم شهوة"[٢].
قال الطبري:" يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه، توبيخًا منه لهم على فعلهم: إنكم، أيها القوم، لتأتون الرجال في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، من دون الذي أباحه الله لكم وأحلَّه من النساء"[٣].
قال أبو حيان:" هذا بيان لقوله :{أتأتون الفاحشة}، و«أتى» هنا من قوله «أتى المرأة» غشيها، وهو استفهام على جهة التوبيخ والإنكار.. ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمة وأنهم لا داعي لهم من جهة العقل كطلب النسل ونحوه"[٤].
قال أبو السعود:" قوله تعالى {شهوة} مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي له أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لإقضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبىء عنه قوله تعالى {من دون النساء}، أي: متجاوزين النساء اللاتي هن محل الاشتهاء كما ينبىء عنه قوله تعالى هن أطهر لكم"[٥].
وقرأ أبو عمرو:«آينكم»، بالمد بغير همز، وقرأ ابن كثير ونافع:«إنكم» بهمزة واحدة بغير مد. وقرأ الباقون بهمزتين بغير مد، ومعنى ذلك كله واحد وهو الاستفهام[٦].
قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [الأعراف : ٨١]، أي:" بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإسراف"[٧].
قال مقاتل:" يعني: الذنب العظيم"[٨].
قال أبو الليث:" أي: متعدون من الحلال إلى الحرام"[٩].
قال الثعلبي: يعني: " مشركون [تبدلون] الحلال إلى الحرام"[١٠].
قال السمعاني:" أي: مجاوزون حد الأمر"[١١].
قال الطبري:" يقول: إنكم لقوم تأتون ما حرَّم الله عليكم، وتعصونه بفعلكم هذا"[١٢].
قال ابن كثير:" وهذا إسراف منكم وجهل ؛ لأنه وضع الشيء في غير محله ؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرى : { قَالَهَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ } [الحجر : ٧١] فأرشدهم إلى نسائهم ، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن، { قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ } [هود : ٧٩]، أي : لقد علمت أنه لا أَرَبَ لنا في النساء ، ولا إرادة ، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.
وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض ، وكذلك نساؤهم كن قد استغنى بعضهن ببعض أيضًا"[١٣].
قال الزمخشري:" أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا إلى اتباع الشهوات، وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل

---

[١] الكشف والبيان:٢٥٨/٤.
[٢] تفسير القرطبي:٢٤٦/٧.
[٣] تفسير الطبري:٥٤٨/١٢.
[٤] البحر المحيط:١٠٠/٥.
[٥] تفسير أبي السعود:٢٤٥/٣.
[٦] انظر: بحر العلوم:٥٣٠/١.
[٧] التفسير الميسر:١٦٠.
[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٧/٢.
[٩] بحر العلوم:٥٣٠/١.
[١٠] الكشف والبيان:٢٥٨/٤.
[١١] تفسير السمعاني:١٩٦/٢.
[١٢] تفسير الطبري:٥٤٨/١٢.
[١٣] تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣.

شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. ونحوه: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} [الشعراء : ١٦٦]"[١].

قال أبو السعود:" إضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بحالهم التي أفضتهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف، أي: لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتم الإسراف"[٢].

و"الشهوة": وهي مصدر من قول القائل:شَهَيتُ هذا الشيء أشهاه شهوة، ومن ذلك قول الشاعر[٣]:

وأَشْعَثَ يَشْهَى النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ: ارْتَحِلْ! إذَا مَا النُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَطَرَّتِ
فَقَامَ يَجُرُّ البُرْدَ، لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ يُقَالُ لَهُ: خُذْهَا بِكَفَّيْكَ! خَرَّتِ[٤].

قال وهب بن منبه: "كان سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا، عن النساء بالرجال"[٥].

عن جامع بن شداد أبي صخرة، قال: "كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة"[٦].

قال محمد بن إسحاق: "كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحا، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم"[٧].

قال الحسن: "كانوا لا ينكحون إلا الغرباء"[٨].

وقال الكلبي: "إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دبره، فنكح في دبره، فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم"[٩].

الفوائد:

١- بيان موقف القرآن من سيدنا لوط عليه السلام، ذ جاء في القرآن الكريم أنه - عليه السلام- حذّرهم من عاقبة هذا الفعل الخبيث والمرض الفتاك، والمخالف لسنن الفطرة، لكنهم لم يلتفتوا لقوله ولم يأبهوا له ووقفوا منه موقف المعارض والمكابر والمستهزىء بدعوة الله ورسله. ونتيجة لأفعالهم المنكرة وعدم رجوعهم إلى طريق الحق والصواب عاقبهم الله عقابًا شديدًا وخسف بهمُ الأرض ليكونوا عبرة لمن يعتبر.
٢- يتفرغ من الفائدة السابقة بطلان ما نسبته التوراة إلى سيدنا لوط - عليه السلام -[١٠] من الأباطيل والخرافات التوراتية، وهو برئ مما نسب إليه من سوء وافتراء إذ جاء في القرآن الكريم أنه - عليه السلام – حذّر ونصح في قومه عن اقتراف هذه الفعلة.

---

[١] الكشاف:٢/١٢٥-١٢٦.
[٢] تفسير أبي السعود:٣/٢٤٥.
[٣] لم أتعرف على قائله، والبيتان من شواهد الطبري في تفسيره:١٢/٥٤٨، البيت الأول في اللسان (شهى) ، ورواية اللسان: "واسْبَكَرَّتْ".
وقوله: "وأشعث"، يعني رفيقه في السفر، طال عليه السفر، فاغبر رأسه، وتفرق شعره من ترك الأدهان. و"اسبطرت النحوم"، امتدت واستقامت وأسرعت في مسبحها. و"اسبكرت"، مثلها..
[٤] انظر: تفسير الطبري:١٢/٥٤٨.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٨):ص٥/١٥١٨.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٧):ص٥/١٥١٨.
[٧] تفسير البغوي:٣/٢٥٥.
[٨] تفسير البغوي:٣/٢٥٥.
[٩] تفسير البغوي:٣/٢٥٥.
[١٠] قالوا قولا عظيما، افتروا بأنه –عليه السلام- سكر وزنى بابنتيه وحبلتا منه، كما هو مصرح في التوراة في سفر التكوين ١٩:٣٠-٣٨، وحاشا نبي الله لوط عليه السلام من هذه الفعلة الشنيعة، ولعنة الله على اليهود الذين

٣- الإسراف وعدم الاعتدال في الأقوال والأفعال يتولد عنه كل شر وفساد.
٤- أن محبة فاحشة اللواط هي أشد خطراً وأعظم قبحاً، لما ينتج عنها من عُقم من ابتلي بها من كل خير، وقربه من كل شر، ولا يقال إن اللواط طريق للأفكار الخبيثة إلى قلب متعاطيه فحسب، بل إن غاية الأفكار الهدامة هي أن يكون المسلم بهذا المنحدر، فأهل هذا الفعل مجمع لكل فساد فكري وخلقي وسلوكي، قد جردوا من الخلق والحياء، وجندوا أنفسهم لنشر بذور الفساد.

وقال ﷺ: " إن أخوف ما أخاف على أمتي، عمل قوم لوط"[1].

وما خاف النبي ﷺ على أمته من هذا الداء الخبيث، إلا لأنه مجمع للشر والفساد، ولا يستمر عليه ويستمرئه إلا من فسد قلبه.

قال ابن القيم رحمه الله: "ولكن الزنى واللواطة أغلظ من غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جداً، ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركاً، فكلما كان الشرك في العبد أغلب، كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر.

وكلما كان أعظم إخلاصاً، كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف:٢٤].

فإن عشق الصور المحرمة نوع تعبد لها، بل هو من أعلى أنواع التعبد، ولا سيما إذا استولى على القلب، وتمكن منه صار تتيماً، والتتيم: التعبد، فيصير العاشق عابداً للمعشوق، وكثيراً ما يغلب حبه وذكره والشوق إليه، والسعي في مرضاته، وإيثار محابه على حب الله، وذكره والسعي في مرضاته بل كثيراً ما يذهب ذلك من قلب العاشق بالكلية، فيصير معلقاً بمعشوقه من الصور، كما هو مشاهد، فيصير المعشوق هو إله من دون الله.

ولهذا كان العشق والشرك متلازمين، وإنما حكى الله سبحانه العشق عن المشركين من قوم لوط، وعن امرأة العزيز، وكانت إذ ذاك مشركة، فكلما قوي شرك العبد بُلي بعشق الصور، وكلما قوي توحيده صرف ذلك عنه ...

فليس في الذنوب أفسد للقلب والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصية في تبعيد القلب من الله، فإنهما من أعظم الخبائث، فإذا انصبغ القلب بهما بعد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثاً ازداد من الله بعداً ... ولما كانت هذه حال الزنى كان قريناً للشرك في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور:٣] "[2].

فهذه العاطفة الفاسدة -حب الشهوات- إذا قامت في القلب، فإن صاحبها يتهاوى في نوادي الفساد، ويقوده شياطين الإنس والجن كيفما أرادوا، ويلبسون عليه دينه.. وقد يستخدمونه لأغراضهم في نشر الأفكار المنحرفة، والمبادئ الملحدة، فكم استخدموا النساء الساقطات ومن تشبه بهن في هذا الغرض، وما ذاك إلا لأنهن حبائل الشيطان، ومعاقل الفساد، فهن أعظم طعم استعمله المفسدون وأقدمه.

افتروا عليه هذه الفرية، وقد برأه الله عز وجل كما برأ أهله بوصفهم بالطهارة أيضاً. قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} (النمل ٥٦) . وإنما افترى اليهود هذه الفرية من أجل أن يطعنوا في قوم من أعدائهم المؤابين والعمونيين، حيث زعموا أن ابنتي لوط إحداهما أنجبت مؤاب جد المؤابيين، والأخرى بن عمي جد بني عمون.

[1] رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، المسند ٣٨٢/٣، مسند جابر بن عبد الله، سنن الترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في اللوطي ح١٤٨٢ ٩/٣، ورواه الحاكم وقال:"صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي، المستدرك ٣٥٧/٤.

وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤٤/٢٨.

[2] إغاثة اللهفان.. لابن القيم ١٠٦، ١٠٧.

فإذا وجدت الفتنة وتيسرت أسبابها ودُعي إليها، ووافقت فتنة في القلب، كان التجاوب إليها سريعاً، بين ذلك ربنا بقوله: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً} [الأحزاب:٣٢] .
ولا سبيل إلى استئصال هذا الداء إلا بالإيمان بالله، والعمل الصالح الذي يوجب ولاية الله ورحمته، فيخلص برحمته القلب من دائه[١].

القرآن
{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)} [الأعراف : ٨٢]

التفسير:
وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأهله من بلادكم، إنه ومن تبعه أناس يتنزهون عن إتيان أدبار الرجال والنساء.
قوله تعالى:{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ} [الأعراف : ٨٢]، أي:" وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأهله من بلادكم"[٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما كان جواب قوم لُوط للوط، إذ وبَّخهم على فعلهم القبيح، وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث، إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأهله"[٣].
قال الزمخشري:" يعنى: ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام، من إنكار الفاحشة، وتعظيم أمرها، ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله، ولكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته، من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم، ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم"[٤].
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [الأعراف : ٨٢]، أي:" إنه ومن تبعه أناس يتنزهون عن إتيان أدبار الرجال والنساء"[٥].
قال الطبري:" يقول: إن لوطًا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحنُ من إتيان الرجال في الأدبار"[٦].
قال السمعاني:" معناه: يتنزهون عن أدبار الرجال"[٧].
قال قتادة:" عابوهم بغير عَيْب، وذمُّوهم بغير ذَمّ"[٨].
عن مجاهد: "{إنهم أناس يتطهرون}، قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء"[٩].
وقال السدي:" يتحرَّجون"[١٠].
قال ابن زيد:" من أعمالهم الخبيثة التي كانوا يعملون إتيانهم الرجال"[١١].
قال الزمخشري:" قولهم: {إنهم أناس يتطهرون}، سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش، وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم:

---
[١] انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة:٣٩٩/١.
[٢] التفسير الميسر:١٦١.
[٣] تفسير الطبري:٥٤٩/١٢.
[٤] الكشاف:١٢٥/٢-١٢٦.
[٥] التفسير الميسر:١٦١.
[٦] تفسير الطبري:٥٤٩/١٢.
[٧] تفسير السمعاني:١٩٦/٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٨٣٨):ص٥٥٠/١٢.
[٩] أخرجه الطبري(١٤٨٣٤):ص٥٥٠/١٢.
[١٠] أخرجه الطبري(١٤٨٣٧):ص٥٥٠/١٢.
[١١] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٠١):ص١٥١٨/٥.

أبعدوا عنا هذا المتقشف[١]، وأريحونا من هذا المتزهد وأهله ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين[٢]"[٣].

الفوائد:

١- أن من أعظم خبائث قوم لوط-عليهم اللعنة-: تكذيبهم نبي الله لوط-عليه السلام- وتهديدهم له بالإخراج من الوطن.

٢- شهادة أعداء النبي لوط، له ولبناته بالطهر والعفاف -:{أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [الأعراف: ٨٢]، وفيه بطلان افتراءات اليهود في التوراة المحرَّفة حول نبي الله لوط-عليه السلام-[٤].

٣- أن الكفر والإجرام يحل رابطة الأخوة والقرابة بين أصحابه والبراءة منه.

٤- ومن الفوائد: الحذر من مشابهة قوم لوط في عيب البرءآء بغير عيب، أنهم عابوهم بالتطهر من الفاحشة وليس ذلك بعيب لآل لوط وإنما تبجيل لهم في الحقيقة ومدح وثناء عليهم بالتخلق بخلق من أفضل الأخلاق وأكرمها وأحسنها إلى الله تعالى. قال الله تعالى :{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِين} [التوبة : ١٠٨].

القرآن

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)} [الأعراف : ٨٣]

التفسير:

فأنجى الله لوطًا وأهله من العذاب حيث أمره بمغادرة ذلك البلد، إلا امرأته، فإنها كانت من الهالكين الباقين في عذاب الله.

قوله تعالى:{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ} [الأعراف : ٨٣]، أي:" أنجيناه من العذاب الذي حلّ بقومه وأهله المؤمنين إلا امرأته فلم تنج"[٥].

قال صاحب المنار:" أي: فأنجيناه وأهل بيته الذين آمنوا معه، ولذلك استثنى منهم امرأته فإنها لم تؤمن به، بل خانته بولاية قومه الكافرين الفاسقين عليه"[٦].

قال الطبري:«يقول تعالى ذكره: فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم إلا التمادي في غيّهم، أنجينا لوطًا وأهله المؤمنين به، إلا امرأته، فإنها كانت للوط خائنة، وبالله كافرة"[٧].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : فأنجينا لوطًا وأهله ، ولم يؤمن به أحد منهم سوى أهل بيته فقط ، كما قال تعالى: { فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [الذريات : ٣٥ ، ٣٦] إلا امرأته فإنها لم تؤمن به ، بل كانت على دين قومها ، تمالئهم عليه وتُعْلمهم بمن يَقْدم عليه من ضيفانه بإشارات بينها وبينهم ؛ ولهذا لما أمر لوط ، عليه السلام ، أن يُسْري بأهله أمر ألا يعلم امرأته ولا يخرجها من البلد. ومنهم من يقول : بل اتبعتهم ، فلما جاء العذابُ التفتت هي فأصابها ما أصابهم. والأظهر أنها لم تخرج من البلد ، ولا أعلمها لوط ، بل بقيت معهم"[٨].

---

[١]وله «أبعدوا عنا هذا المتقشف» المنقشف: هو الذي يتبلغ بالقوت وبالمرقع، من القشف: وهو التغير من الشمس أو الفقر.

[٢]قوله «من ذويه أو من المؤمنين» يعنى أقاربه وامرأته.

[٣] الكشاف:١٢٦/٢.

[٤] انظر: العهد القديم: سفر التكوين ١٩: ٣٠-٣٨، ولعظم افترائهم على نبي الله لوط-عليه السلام- لم أجرأ على على تدوين النص المحرف هنا.

[٥] صفوة التفاسير:٤٢٤/١.

[٦] تفسير المنار:٤٥٨/٨.

[٧] تفسير الطبري:٥٥١/١٢.

[٨] تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣-٤٤٦.

قوله تعالى:{كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف : ٨٣]، أي:" فإنها كانت من الهالكين الباقين في عذاب الله"[١].

قال مقاتل:" يعني: من الباقين في العذاب"[٢].

قال الزجاج:" أي: من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه"[٣].

قال أبو الليث:" يعني: من الباقين في الهلاك فيمن أهلكوا"[٤].

أخرج الطبري عن قتادة: "{إلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [سورةالشعراء: ١٧١ /سورة الصافات: ١٣٥] ، في عذاب الله"[٥].

واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة:"{في الغابرين}، قال: في الباقين في عذاب الله"[٦].

قال صاحب المنار:" فكانت من جماعة الغابرين أي الهالكين، أو الباقين الذين نزل بهم العذاب في الدنيا ويليه عذاب الآخرة"[٧].

قال الطبري:« يقول: من الباقين، وقيل: {من الغابرين}، ولم يقل:" الغابرات"، لأنه أريد أنها ممن بقي مع الرجال، فلما ضم ذكرها إلى ذكر الرجال قيل:"من الغابرين".

والفعل منه:"غبَرَ يَغْبُرُ غُبُورًا، وغَبْرًا"، وذلك إذا بقي، كما قال الأعشى[٨]:

عَضَّ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِي لَهُ ... مِنْ أَمَةٍ فِي الزَّمَنِ الغَابِرِ

وكما قال الآخر[٩]:

وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ البِلادَ بِسِيْفِهِ ... فَأَذَلَّها لِبَنِي أَبَانَ الغَابِرِ

يعني: الباقي»[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:١٦١.

[٢] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.

[٣] معاني القرآن:٣٥٣/٢.

[٤] بحر العلوم:٥٣٠/١.

[٥] تفسير الطبري(١٤٨٣٩):ص٥٥٣/١٢.

[٦] تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٠٣):ص١٥١٩/٥.

[٧] تفسير المنار:٤٥٨/٨.

[٨]ديوانه: ١٠٦، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٩، من قصيدته التي هجا بها علقمة، ومدح عامرًا، كما أسلفت في تخريج أبيات مضت من القصيدة، وفي المطبوعة ومجاز القرآن"من أمه"، وأثبت ما في الديوان، قال أبو عبيدة، بعد البيت: "لم يختن فيما مضى، فبقي من الزمن الغابر، أي الباقي. ألا ترى أنه قال: وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى ... عِنْدَ المَلاقِي وَافِيَ الشَّافِرِ

وهو هجاء لأم علقمة قبيح.

[٩] البيت لزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي، انظر: خزانة الأدب ١: ٥٥، وكان يزيد شريفًا عزيزًا، وأبوه الحكم بن أبي العاصي الثقفي، أحد أصحاب الفتوح الكثيرة في فارس وغيرها، وكذلك عمه عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله، فدعاه الحجاج بن يوسف الثقفي، فولاه فارس، فلما جاء يأخذ عهده، قال له الحجاج: يا يزيد، أنشدني بعض شعرك، وإنما أراد أن ينشده مديحًا له، فأنشده قصيدة يفخر فيها، يقول: وَأَبِي الَّذِي فَتَحَ البِلادَ بِسَيْفِه ... فَأَذَلَّهَا لِبَنِي أَبَانَ الغَابِرِ

وَأَبِي الَّذِي سَلَبَ ابْنَ كِسْرَى رايةً ... بيضاءَ تَخْفِقُ كالعُقَابِ الكَاسِرِ

وإذَا فَخَرْتُ فَخَرْتُ غَيْرَ مُكَذَّب ... فَخْرًا أَدُقُّ بِهِ فَخَارَ الفَاخِرِ

فنهض الحجاج مغضبًا، وخرج يزيد من غير أن يودعه. فأرسل الحجاج حاجبه وراءه يرتجع منه العهد، ويقول له: أيهما خير لك، ما ورثك أبوك أم هذا؟ فقال يزيد: قل له: وَرِثْتُ جَدِّي مَجْدَهُ وَفَعَالَهُ ... وَوَرِثْتَ جَدَّك أعْنُزًا بالطائفِ

ثم سار ولحق بسليمان بن عبد الملك وهو ولي للعهد، فضمه إليه وجعله من خاصته.

وروى صاحب الخزانة: "لبني الزمان الغابر"، وأما رواية جعفر"لبني أبان"، فإنه يعني عشيرته ورهطه، فإن جده هو"أبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار الثقفي".

وقوله"وأبي الذي سلب ابن كسرى راية"، يعني أباه الحكم في فتح فارس، وإصطخر سنة ٢٣ من الهجرة. (انظر تاريخ الطبري ٥: ٦/ وفتوح البلدان: ٣٩٣، ٣٩٤).

[١٠] تفسير الطبري:٥٥١/١٢.

وقال أبو عبيدة:" أي: كانت قد غبرت من كبرها فى الغابرين، فى الباقين حتى هرموا وهرمت، وهى قد أهلكت مع قومها فلم تغبر بعدهم فتبقى، ولكنها كانت قبل ذلك من الغابرين"[1].

وقيل معناه:" من الغابرين في النجاة. حكاه الزجاج[2]، من قولهم: قد غبر عنا فلان زماناً إذا غاب ، قال الشاعر[3]:

أَفَبَعْدَنَا أو بَعْدَهُمْ   يُرْجَى لِغَابِرِنَا الْفَلاَحُ

عن سعيد بن جبير، قال ابن عباس:" لما ولج رسل الله على لوط ظن أنهم ضيفان، قال: فأخرج بناته بالطريق وجعل ضيفانه بينه وبين بناته، قال: {وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ}[4]، فقال: فقال: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ}[5] إلى قوله: {أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ}[6]، قال: فالتفت إليه جبريل، فقال: لا تخف {إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ}[7]، قال: فلما دنوا طمس أعينهم فانطلقوا عميا يركب بعضهم بعضا، حتى خرجوا إلى الذين بالباب، فقالوا: جئناكم من عند أسحر الناس طمست أبصارنا، قال: فانطلقوا يركب بعضكم بعضا حتى دخلوا المدينة. فكان في جوف الليل، فرفعت حتى إنهم ليسمعون صوت الطير في جو السماء، ثم قلبت عليهم فمن أصابته الائتفاكة أهلكته، قال: ومن خرج منها اتبعه حجر حيث كان فقتله. قال: وخرج لوط منها ببناته وهن ثلاث، فلما بلغ مكانا من الشام ماتت الكبرى فدفنها، فخرج عندها عين يقال لها عين «الربة»، قال: سمعت ابن عباس يقول: «ربثا»، قال: ثم انطلق حتى إذا بلغ مكانا آخر ماتت الصغرى، فدفنها، فخرج عندها عين يقال لها «الزغرية»، قال: سمعت ابن عباس يقول: «رغرثا»، قال: ولم يبق غير الوسطى"[8].

الفوائد:

١- من الفوائد: أنه ما خانت زوجة نبي قط؛ لأن الله جلَّ وعلا كرم الأنبياء أن تخونهم أزواجهم في فرشهم، فخيانة زوجة لوط وزوجة نوح في دينهما ودعوتهما، فاتبعتا القوم الكافرين.

فقد ابتلى هذان النبيان بزوجتين فاسدتين ذكرهما الله لنا مثلاً في كتابه العزيز.

٢- من فوائد الآية الكريمة أن زوجة لوط –عليه السلام- كانت تدل على أضيافه، أي: تدعوا قومها إلى أضيافه ليفعلوا بهم الفاحشة، فكان هذا ذنبها، ويمكن أيضاً أن تكون كافرة في الباطن ولذلك قال الله: {إلا امرأته كانت من الغابرين} .

٣- يستفاد من االنصوص القرآنية التي تناولت قصة لوط-عليه السلام- أن هناك فرقاً بين الإيمان والإسلام، وأن الإيمان أعم من الإسلام.

ففي قصة لوط-عليه السلام- قال تعالى: {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات:٣٥] أي: لوط وبناته، فهم الذين آمنوا بالله جل وعلا واستسلموا له ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون الخلص، وقال في آية ثانية: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الذاريات:٣٦]، فخرجت زوجة لوط عليه السلام من الآية الأولى؛ لأنها لم تكن من المؤمنين الخلص كلوط وبناته، وناسب دخولها في الآية الثانية من حيث الظاهر؛ لأن المقصود بالإسلام فيها الشعائر والأعمال الظاهرة فقط، وبهذا يتضح جلياً

---

[1] مجاز القرآن:٢١٨/١.

[2] انظر: معاني القرآن:٢٥٣/٢.

[3] البيت منسوب لطرفة في الكت والعيون:٤٤/٤.

[4][هود : ٧٨].

[5][هود : ٧٨].

[6][هود : ٨٠].

[7][هود : ٨١].

[8] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٢):ص١٥١٨/٥-١٥١٩.

أن هناك فرقاً بين الإسلام والإيمان وليس كما قال الإمام البخاري وغيره من أهل العلم رحمهم الله تعالى.

القرآن

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)} [الأعراف : ٨٤]

التفسير:

وعذَّب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطرًا من الحجارة، وقلب بلادهم، فجعل عاليها سافلها، فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترؤوا على معاصي الله وكذبوا رسله.

قوله تعالى:{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا} [الأعراف : ٨٤]، أي:" وعذَّب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطرًا من الحجارة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطًا ولم يؤمنوا به، مطرًا من حجارة من سجّيل أهلكناهم به"[٢].

قال أبو الليث:" يعني: الحجارة، ويقال: أمطر بالعذاب ومطر بالرحمة. ويقال: أمطر ومطر بمعنى واحد"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: الحجارة التي رمي بها من كان خارجا من المدينة في حوائجهم وأسفارهم"[٤].

قال السعدي:" أي: حجارة حارة شديدة، من سجيل، وجعل الله عاليها سافلها"[٥].

قال صاحب المنار:" أي: أرسلنا عليهم مطرا عجيبا أمره، وهو الحجارة التي رجموا بها"[٦].

قال المراغي: الإمطار حقيقة فى المطر مجاز فيما يشبهه فى الكثرة من خير وشر مما يجىء من السماء أو من الأرض أي وأرسلنا عليهم مطرا عجيبا أمره وهو الحجارة التي رجموا بها، وجاء فى سورتى هود والحجر إنها حجارة من سجيل مسومة أي معلمة ببياض فى حمرة.

وقد يكون سبب إمطار الحجارة عليهم إرسال إعصار من الريح حمل تلك الحجارة وألقاها عليهم، أو أن تلك الحجارة من بعض النجوم المحطمة التي يسميها علماء الفلك الحجارة النيزكية وهى بقايا كوكب محطم تجذبه الأرض إليها إذا صار بالقرب منها، وهى تحترق غالبا من سرعة الجذب وشدته، وهى الشهب التي ترى بالليل، فإذا سلم منها شىء من الاحتراق ووصل إلى الأرض ساخ فيها وكان لسقوطه صوت شديد، وقد وجد الناس بعض هذه الحجارة ووضعوها فى دور الآثار"[٧].

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف : ٨٤]، أي:" فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترؤوا على معاصي الله وكذبوا رسله"[٨].

قال أبو الليث:" أي: كيف كان آخر أمرهم"[٩].

قال السعدي:" الهلاك والخزي الدائم"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: قوم لوط كان عاقبتهم الخسف والحصب بالحجارة"[١١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦١.
[٢] تفسير الطبري:٥٥٣/١٢.
[٣] بحر العلوم:٥٣٠/١.
[٤] تفسير ابن أبي زمنين:١٣١/٢.
[٥] تفسير السعدي:٢٩٦.
[٦] تفسير المنار:٤٥٨/٨.
[٧] تفسير المراغي:٢٠٦/٨.
[٨] التفسير الميسر:١٦١.
[٩] بحر العلوم:٥٣٠/١.
[١٠] تفسير السعدي:٢٩٦.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.

قال ابن كثير:" أي : انظر - يا محمد - كيف كان عاقبة من تجهرم على معاصي الله وكذّب رسله"[١].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: فانظر، يا محمد، إلى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط، فاجترموا معاصيَ الله، وركبوا الفواحش، واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال، كيف كانت؟ وإلى أي شيء صارت؟ هل كانت إلا البوار والهلاك؟ فإن ذلك أو نظيرَه من العقوبة، عاقبةُ من كذَّبك واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك إن لم يتوبوا، من قومك"[٢].

قال وهب بن منبه:" فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله عز وجل ونجا لوط وأهله إلا امرأته"[٣].

الفوائد:

١- بيان العاقبة الوخيمة لقوم لوط بسبب فعلهم الشنيع، قال الماتريدي:"قال بعضهم: قلبت قرية لوط، وجعل عاليها سافلها على ما ذكر في الآية (فجعلنا عاليها سافلها)، ثم أمطر على من كان غاب منهم الحجارة.

وقال بعضهم: قلبت القرية فأمطرت على أهلها كالمطر.

وقال آخرون: قلبت الأرض وأمطر عليها حجارة من سجيل تسوى الأرض، أو كلام نحو هذا"[٤].

٢- استنبط بعض العلماء حدّ اللواط من هذه الآية.

قال ابن كثير:« ذهب الإمام أبو حنيفة ، رحمه الله ، إلى أن اللائط يلقى من شاهق ، ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط.

وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرجم سواء كان محصنًا أو غير محصن. وهو أحد قولي الشافعي ، رحمه الله ، والحجة ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، من حديث الدراوردي ، عن عمرو بن أبي عَمْرو عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط ، فاقتلوا الفاعل والمفعول به" [٥].

وقال آخرون : هو كالزاني ، فإن كان محصنًا رجم ، وإن لم يكن محصنًا جلد مائة جلدة. وهو القول الآخر للشافعي.

وأما إتيان النساء في الأدبار ، فهو اللوطية الصغرى ، وهو حرام بإجماع العلماء ، إلا قولا واحدا شاذًا لبعض السلف ، وقد ورد في النهي عنه أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ»[٦].

القرآن

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)} [الأعراف : ٨٥]

التفسير:

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٤٦/٣.

[٢] تفسير الطبري:٥٥٣/١٢.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٤):ص١٥١٩/٥.

[٤] تأويلات أهل السنة:٤٩٠/٤.

[٥] المسند (٣٠٠/١) وسنن أبي داود برقم (٤٤٦٢) وسنن الترمذي برقم (١٤٥٥) وسنن ابن ماجة برقم (٢٥٦١).

[٦] تفسير ابن كثير:٤٤٦/٣.

ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيبًا عليه السلام، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم على صِدْق ما أدعوكم إليه، فأدوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل، الميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيَّ فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

قوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيبًا عليه السلام"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين، و{مدين}، هم ولدُه مديان بن إبراهيم خليل الرحمن فيما حدثنا ..عن ابن إسحاق، فإن كان الأمر كما قال: فـ"مدين"، قبيلة كَتميم.

وزعم أيضًا ابن إسحاق: أن شعيبًا الذي ذكر الله أنه أرسله إليهم، من ولد مدين هذا، وأنه"شعيب بن ميكيل بن يشجر"، قال: واسمه بالسريانية،"بثرون"، فتأويل الكلام على ما قاله ابن إسحاق: ولقد أرسلنا إلى ولد مدين، أخاهم شعيب بن ميكيل، يدعوهم إلى طاعة الله، والانتهاء إلى أمره، وترك السعي في الأرض بالفساد، والصدِّ عن سبيله "[٢].

قال السدي:" إن الله تبارك وتعالى بعث شعيبا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، والأيكة هي الغيضة من الشجر"[٣].

قال ابن كثير:" تطلق «مدين» على القبيلة ، وعلى المدينة ، وهي التي بقرب "مَعَان" من طريق الحجاز ، قال الله تعالى : { وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ } [القصص : ٢٣] وهم أصحاب الأيكة"[٤].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له؛ ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة"[٥].

قال ابن كثير:" هذه دعوة الرسل كلهم"[٦].

قال مقاتل:" يعني: وحدوا الله، ليس لكم رب غيره"[٧].

قال الطبري:" فقال لهم شعيب: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة غير الإله الذي خلقكم، وبيده نفعكم وضركم"[٨].

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" قد جاءكم برهان من ربكم على صِدْق ما أدعوكم إليه"[٩].

قال مقاتل:" يعني: بيان من ربكم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : قد أقام الله الحجج والبينات على صدق ما جئتكم به "[١١].

قال الطبري:" يقول: قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول، وصدق ما أدعوكم إليه"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦١.

[٢] تفسير الطبري:٥٥٤/١٢، وقال حدثني به عن ابن إسحاق..

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٥.

[٤] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.

[٥] التفسير الميسر:١٦١.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.

[٧] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.

[٨] تفسير الطبري:٥٥٤/١٢-٥٥٥.

[٩] التفسير الميسر:١٦١.

[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.

[١١] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.

قوله تعالى:{فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" فأدوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل، الميزان"[٢].

قال الطبري:" يقول: أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذي تكيلون به، وبالوزن الذي تزنون به"[٣].

قال ابن كثير:" وعظهم في معاملتهم الناس بأن يوفوا المكيال والميزان"[٤].

قال السدي:" إن الله بعث شعيبا إلى مدين فكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردوا عليه فلما عتوا وكذبوا سألوه العذاب"[٥].

قال خلف بن حوشب: "هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة، كانوا يأخذون بالرزينة، ويعطون بالخفيفة"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم"[٧].

قال قتادة[٨] والسدي[٩]:" لا تظلموا الناس أشياءهم"[١٠].

قال ابن زيد:" لا تنقصوهم قسموا له شيئا وتعطيه غير ذلك"[١١].

قال مقاتل:" يعني: لا تنقصوا الناس حقوقهم في نقصان الكيل والميزان"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ولا تظلموا الناس حقوقهم، ولا تنقصوهم إياها"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس ، وهو نقص المكيال والميزان خفْية وتدليسًا ، كما قال تعالى : { وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [المطففين : ١ - ٦] وهذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، نسأل الله العافية منه"[١٤].

قوله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام"[١٥].

قال مقاتل:" فإن المعاصي فساد المعيشة وهلاك أهلها"[١٦].

قال الطبري:" يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه، وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه، من عبادة غير الله، والإشراك به، وبخس الناس في الكيل والوزن، بعد أن قد

---

(١) تفسير الطبري:٥٥٥/١٢.
(٢) التفسير الميسر:١٦١.
(٣) تفسير الطبري:٥٥٥/١٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٦):ص١٥١٩/٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٧):ص١٥١٩/٥.
(٧) التفسير الميسر:١٦١.
(٨) أخرجه الطبري(١٤٨٤٢):ص٥٥٥/١٢.
(٩) أخرجه الطبري(١٤٨٤١):ص٥٥٥/١٢.
(١٠) .
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٩):ص١٥٢٠/٥.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٥٥٥/١٢.
(١٤) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
(١٥) التفسير الميسر:١٦١.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٨/٢.

أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم، ينهاكم عما لا يحل لكم، وما يكرهه الله لكم"[١].

عن أبي سنان:{ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}" قد أحللت حلالي وحرمت حرامي وحددت حدودي فلا تغيروها"[٢].

عن سنيد بن داود، قال: "قيل لأبي بكر ابن عياش ما قوله في كتابه: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}، فقال أبو بكر: إن الله عز وجل بعث محمدا ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعي إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض"[٣].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيَّ فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله"[٤].

قال مقاتل:" يقول وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان، إن كنتم آمنتم كان في الآخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان في الدنيا"[٥].

قال الطبري:" يقول: هذا الذي ذكرت لكم وأمرتكم به، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن، وترك الفساد في الأرض، خيرٌ لكم في عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة، إن كنتم مصدقيَّ فيما أقول لكم، وأؤدِّي إليكم عن الله من أمره ونهيه"[٦].

الفوائد:

١- دعوة الرسل واحدة في باب العقيدة إذ كلها تقوم على أساس التوحيد والطاعة.
٢- حرمة التطفيف في الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، ويدخل في ذلك الصناعات وحرف المهن وما إلى ذلك.
٣- حرمة الفساد في الأرض بالمعاصي لاسيما البلاد التي طهرها الله بالإسلام وأصلحها بشرائعه.
٤- حرمة التلصص وقطع الطرق وتخويف المارة.

القرآن

{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)} [الأعراف : ٨٦]

التفسير:

ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم، وتصدُّون عن سبيل الله القويم من صدَّق به عز وجل، وعمل صالحًا، وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعًا لأهوائكم، وتنفِّرون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلا فكثَّركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟

قوله تعالى:{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم"[٧].

---

[١] تفسير الطبري:١٢/٥٥٥-٥٥٦.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٠):ص٥/١٥٢٠.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١١):ص٥/١٥٢٠.
[٤] التفسير الميسر:١٦١.
[٥] تفسير مقاتل بن سليمان:٢/٤٨.
[٦] تفسير الطبري:١٢/٥٥٦.
[٧] التفسير الميسر:١٦١.

قال ابن كثير:" ينهاهم شعيب ، عليه السلام ، عن قطع الطريق الحسي والمعنوي ، بقوله : { وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ } أي : توعدون الناس بالقتل إن لم يعطوكم أموالهم "[١].

قال قتادة:" كانوا يوعدون مَنْ أتى شعيبًا وغشِيَه فأراد الإسلام"[٢].

قال ابن عباس:" و«الصراط»، الطريق، يخوِّفون الناس أن يأتوا شعيبًا"[٣].

وعن ابن عباس أيضا:" كانوا يجلسون في الطريق، فيخبرون مَنْ أتى عليهم: أن شعيبًا عليه السلام كذاب، فلا يفتنكم عن دينكم"[٤].

قال السدي:" كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين"[٥].

وعن السدي: "{ولا تقعدوا بكل صراط توعدون} ، قال: العشَّارُون"[٦]. قال ابن كثير:وهذا" أظهر "[٧].

قوله تعالى:{وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" وتصدُّون عن سبيل الله القويم من صدَّق به عز وجل، وعمل صالحًا"[٨].

قال السدي:" يصدون من آمن، عن سبيل الله"[٩].

قوله تعالى:{وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف : ٨٦]، أي:" وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : وتودون أن تكون سبيل الله عوجا مائلة"[١١].

قال مجاهد:" يلتمسون لها الزيغ"[١٢].

عن قتادة :"{عوجا}، قال: عوجا عن الحق"[١٣].

عن السدي قوله: عوجا قال: هلاكا"[١٤].

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلا فكثَّركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : كنتم مستضعفين لقلتكم فصرتم أعزة لكثرة عَدَدكم ، فاذكروا نعمة الله عليكم في ذلك "[١٦].

قوله تعالى:{وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟"[١٧].

قال ابن كثير:" أي : من الأمم الخالية والقرون الماضية ، ما حل بهم من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله "[١٨].

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٨٤٣):ص٥٥٦/١٢-٥٥٧.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٤٤):ص٥٥٧/١٢.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٨٤٥):ص٥٥٧/١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٨٤٧):ص٥٥٧/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٨٤٨):ص٥٥٧/١٢.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
[٨] التفسير الميسر:١٦١.
[٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٨):ص١٥٢١/٥.
[١٠] التفسير الميسر:١٦١.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٠):ص١٥٢١/٥.
[١٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٣):ص١٥٢٢/٥.
[١٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٤):ص١٥٢٢/٥.
[١٥] التفسير الميسر:١٦١.
[١٦] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
[١٧] التفسير الميسر:١٦١.
[١٨] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.

الفوائد:
١- حرمة الصد عن سبيل الله بمنع الناس من التدين والالتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا.
٢- في هذه الآية نهيٌ عما كانوا يفعلونه من القعود في طريق من يريد المجيء إلى شعيب لسماع دعوته، فيصدونه ويقولون: إنه كذاب[١]، وهذا من الأوجه التي حُملت هذه الجملة، وذكر فيها وجهان آخران:
- أولهما: قطع الطريق وسلب أموال الناس.
- وثانيهما: القعود في الطرق لأخذ العشور من الناس.
وجوّز الشوكاني رحمه الله حمل الحملة على هذه الأوجه كلها[٢].
٣- ومن الفوائد: أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة، وعلم وحجج، كما قال تعالى: {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأعراف: ٨٦] [سورة الأعراف، آية: ٨٦] .

القرآن
{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)} [الأعراف : ٨٧]
التفسير:
وإن كان جماعة منكم صدَّقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدِّقوا بذلك، فانتظروا أيها المكذبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلُّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به. والله -جلَّ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباده.
قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا} [الأعراف : ٨٧]، أي:" وإن كان جماعة منكم صدَّقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدِّقوا بذلك"[٣].
قال الطبري:" وإن كانت جماعة منكم وفرقة صدّقوا بالذي أرسلتُ به من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتّبعوني على ذلك، وجماعة أخرى لم يصدِّقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه"[٤].
قال ابن كثير:" أي : قد اختلفتم عليّ "[٥].
قال السمعاني:" وذلك أن بعضهم آمن، وبعضهم كفر"[٦].
قال البغوي:" أي: إن اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين"[٧].
قال مجاهد:" الطائفة رجل إلى ألف رجل"[٨].
قوله تعالى:{فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا} [الأعراف : ٨٧]، أي:" فانتظروا أيها المكذبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلُّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به"[٩].
قال الطبري:" يقول: فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم"[١٠].
قال مقاتل:" حتى يقضي الله بيننا في أمر العذاب"[١١].
قال ابن كثير:" أي : انتظروا { حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا }، أي : يفصل "[١].

---

[١] أحكام القرآن:٤٥١.
[٢] انظر: أحكام القرآن:٤٥٢، وفتح القدير:٢٢٤/٢.
[٣] التفسير الميسر:١٦١.
[٤] تفسير الطبري:٥٦٠/١٢.
[٥] تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.
[٦] تفسير السمعاني:١٩٨/٢.
[٧] تفسير البغوي:٢٥٧/٣.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٧):ص١٥٢٢/١٢.
[٩] التفسير الميسر:١٦١.
[١٠] تفسير الطبري:٥٦٠/١٢-٥٦١.
[١١] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩/٢.

قال البغوي:أي:" بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين"[2].
قوله تعالى:{وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [الأعراف : ٨٧]، أي:" والله -جلَّ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباده"[3].
قال الطبري:" يقول: والله خيرُ من يفصل وأعدل من يقضي، لأنه لا يقع في حكمه مَيْلٌ إلى أحدٍ، ولا محاباة لأحدٍ"[4].
قال ابن كثير:" فإنه سيجعل العاقبة للمتقين ، والدمار على الكافرين "[5].
قال مقاتل:"يعني: وهو خير الفاصلين، فكان قضاؤه نزول العذاب بهم"[6].
الفوائد:
١- فضيلة الصبر على أقدار الله، وامتثال أمر الله وتحمل المشاق في سبيل الله، لأن هذه هي وظيفة الأنبياء والمصلحين من الناس، قال تعالى: :{فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا}.
٢- من الفوائد: يوصف الله - عز وجل - بأنه الحاكم الحكم، و«الحكم» : من أسماءالله تبارك وتعالى ، و"هو الذي سلم له الحكم، ورد إليه فيه الأمر. كقوله تعالى: {لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨]، وقوله: {أَنْتَ تَحْكُمُ بين عِبَادِكَ فِيْمَا كانوا فِيهِ يَخْتَلِفُوْنَ} [الزمر: ٤٦].
وقيل: للحاكم حاكم؛ لمنعه الناس عن التظالم، وردعه إياهم. يقال: حكمت الرجل عن الفساد: إذا منعته منه. وكذلك: أحكمته -بالألف- أنشدني أبو عمر قال: أنشدني أبو العباس لجرير[7]:
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا
ومن هذا قيل: حكمة اللجام، وذلك لمنعها الدابة من التمرد والذهاب في غير جهة القصد"[8].
وقال النبي - ﷺ -: "إن الله هو الحكمُ وإليه الحكم"[9].
٣- ومن الفوائد إثبات اسم من اسمائه المضافة سبحانه وتعالى، وهو «خير الفاتحين»، دليله: قوله تعالى: {وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ}[10].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)} [الأعراف : ٨٨]

التفسير:

---

[1] تفسير ابن كثير:٤٤٨/٣.
[2] تفسير البغوي:٢٥٧/٣.
[3] التفسير الميسر:١٦١.
[4] تفسير الطبري:٥٦١/١٢.
[5] تفسير ابن كثير:٤٤٨/٣.
[6] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩/٢.
[7]) ديوانه ١/ ٤٦٦ مع بيت آخرهو:
أبني حنيفة إنني إن أهجكم...أدع اليمامة لاتواري أرنبا.
[8] شان الدعاء:٦١.
[9]أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في تغيير الاسم القبيح، برقم ٤٩٥٥، والنسائي في كتاب آداب القضاة، باب إذا حكَّموا رجلاً فقضى بينهم، برقم ٥٣٨٤، والحاكم، ١/ ٢٣، والطبراني في الكبير، ٢٢/ ١٧٩، ١٨٠، ورقم ٤٦٦، ٤٧٠، وابن حبان كما في الموارد، ٦/ ٢١٤، برقم ١٩٣٧، وإسناده جيد. انظر: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، لابن عبد الوهاب، بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ص٥١٧. وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٨٤٥.
[10]ورد في جمع قوام السُّنَّة الأصبهانيّ، وانظر: عتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى:١٩١.

قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام: لنخرجنك يا شعيب ومَن معك من المؤمنين من ديارنا، إلا إذا صرتم إلى ديننا، قال شُعيب منكرًا ومتعجبًا من قولهم: أنتابعكم على دينكم ومِلَّتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعِلْمِنا ببطلانها؟

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٨٨]، أي:" قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام"[١].

قال الطبري:" عني بالملأ الجماعة من الرجال ، ويعني بالذين استكبروا، الذين تكبروا عن الإيمان بالله، والانتهاء إلى أمره، واتباع رسوله شعيب، لما حذرهم شعيبٌ بأسَ الله، على خلافهم أمرَ ربهم، وكفرهم به"[٢].

قال البغوي: {الملأ} "يعني: الرؤساء الذين تعظموا عن الإيمان به"[٣].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٤].

قوله تعالى:{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا} [الأعراف : ٨٨]، أي:" لنخرجنك يا شعيب ومَن معك من المؤمنين من ديارنا"[٥].

قال الزمخشري:" أى: ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم "[٦].

قال الطبري:أي:" ومن تبعك وصدقك وآمن بك، وبما جئت به معك"[٧].

قوله تعالى:{أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [الأعراف : ٨٨]، أي:" إلا إذا صرتم إلى ديننا"[٨].

قال الزمخشري:أي:" وإما عودكم في الكفر"[٩].

قال الطبري: " يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه"[١٠].

قوله تعالى:{قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف : ٨٨]، أي:" قال شُعيب منكرًا ومتعجبًا من قولهم: أنتابعكم على دينكم ومِلَّتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعِلْمِنا ببطلانها؟"[١١].

قال البغوي:" أي: وإن كنا كارهين لذلك فتجبروننا عليه؟"[١٢].

قال الطبري: "معنى الكلام: أن شعيبًا قال لقومه: أتخرجوننا من قريتكم، وتصدّوننا عن سبيل الله، ولو كنا كارهين لذلك؟"[١٣].

قال ابن كثير:" يقول : أو أنتم فاعلون ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه ؟ فإنا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه ، فقد أعظمنا الفِرْية على الله في جعل الشركاء معه أندادًا. وهذا تعبير منه عن اتباعه.. [و]هذا إخبار من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبي الله شعيبًا ومن معه من المؤمنين ، في توعدهم إياه ومن معه بالنفي من القرية ، أو الإكراه على الرجوع في مِلَّتهم والدخول معهم فيما هم فيه. وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة"[١٤].

الفوائد:

---

[١] التفسير الميسر:١٦٢.

[٢] تفسير الطبري:٥٦١/١٢.

[٣] تفسير البغوي:٢٥٧/٣.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٨):ص١٥٢٢/١٢.

[٥] التفسير الميسر:١٦٢.

[٦] الكشاف:١٢٩/٢.

[٧] تفسير الطبري:٥٦١/١٢.

[٨] التفسير الميسر:١٦٢.

[٩] الكشاف:١٢٩/٢.

[١٠] تفسير الطبري:٥٦١/١٢.

[١١] التفسير الميسر:١٦٢.

[١٢] تفسير البغوي:٢٥٧/٣.

[١٣] تفسير الطبري:٥٦١/١٢.

[١٤] تفسير ابن كثير:٤٤٨/٣.

١- بيان سنة بشرية وهي أن الظلمة والمتكبرين يجادلون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدال وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه، فيستريحوا ويريحوا يفزعون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالعذاب والنكال.
٢- إن من عوامل النجاح: ثقة الداعية بدعوته، وإيمانه الراسخ المطلق بأنها الحق الذي لا ريب فيه .. فهنا يتحول إلى قدوة في قوله وفعله، فلا بد أن نكون دعاة صادقين وأئمة هادين مهديين، لا بد من الصبر على الدين، فلا تزحزحنا عنه أو عن بعض عقائده أو أحكامه استخفافات الذين لا يوقنون، ولا بد من اليقين المطلق الذي لا يقبل المراجعة أو الشك بأنه الحق.

القرآن
{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)} [الأعراف : ٨٩]
التفسير:
وقال شعيب لقومه مستدركًا: قد اختلقنا على الله الكذب إن عُدْنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا إلا أن يشاء الله ربنا، وقد وسع ربنا كل شيء علمًا، فيعلم ما يصلح للعباد، على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.
قوله تعالى:{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وقال شعيب لقومه مستدركًا: قد اختلقنا على الله الكذب إن عُدْنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه"[(١)].
قال الزمخشري:" يريد عود قومه، إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب"[(٢)].
قوله تعالى:{وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا"[(٣)].
قال السدي:" ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها"[(٤)].
قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" إلا أن يشاء الله ربنا"[(٥)].
قال البغوي:" يقول إلا أن يكون قد سبق لنا في علم الله ومشيئته أنا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا وينفذ حكمه علينا"[(٦)].
قال السدي:" فالله لا يشاء الشرك، ولكن نقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا فإنه قد وسع كل شيء علما"[(٧)].
قال الطبري:أي:" إلا أن يكون سبق لنا في علم الله أنّا نعود فيها، فيمضي فينا حينئذ قضاء الله، فينفذ مشيئته علينا"[(٨)].

---
(١) التفسير الميسر:١٦٢.
(٢) الكشاف:١٣٠/٢.
(٣) التفسير الميسر:١٦٢.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٩):ص١٥٢٣/٥.
(٥) التفسير الميسر:١٦٢.
(٦) تفسير البغوي:٢٥٧/٣.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٠):ص١٥٢٣/٥.
(٨) تفسير الطبري:٥٦٢/١٢.

قال الزمخشري:" معناه: إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف، لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا. والعبث قبيح لا يفعله الحكيم"[١].

قال ابن كثير:" وهذا ردّ إلى المشيئة ، فإنه يعلم كل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علمًا"[٢].

قوله تعالى:{وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وقد وسع ربنا كل شيء علمًا، فيعلم ما يصلح للعباد"[٣].

قال السدي:" يقول: إلا أن يكون قد علم شيئا فإنه قد وسع كل شيء علما"[٤].

قال الطبري:" يقول: فإن علم ربنا وسع كل شيء فأحاط به، فلا يخفى عليه شيء كان، ولا شيء هو كائن. فإن يكن سبق لنا في علمه أنّا نعود في ملتكم، ولا يخفى عليه شيء كان ولا شيء هو كائن، فلا بد من أن يكون ما قد سبق في علمه، وإلا فإنا غير عائدين في ملّتكم"[٥].

قال الزمخشري:" أى: هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون، فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول، وقلوبهم كيف تتقلب، وكيف تقسو بعد الرقة، وتمرض بعد الصحة، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان"[٦].

قوله تعالى:{عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:"على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة"[٧].

قال محمد بن إسحاق: وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٨].

قال الزمخشري:" في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان"[٩].

قال ابن كثير:" أي : في أمورنا ما نأتي منها وما نذر"[١٠].

قال الطبري:" يقول: على الله نعتمد في أمورنا وإليه نستند فيما تعِدوننا به من شرّكم، أيها القوم، فإنه الكافي من توكَّل عليه"[١١].

قوله تعالى:{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٨٩]، أي:" ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق"[١٢].

قال الفراء:" يريد: اقض بيننا"[١٣].

قال أبو عبيدة:" أي: احكم بيننا"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : افصل بيننا وبين قومنا ، وانصرنا عليهم "[١٥].

قال مقاتل:" يعني: بالعدل في نزول العذاب بهم"[١٦].

قال ابن عباس:" يقول: اقض بيننا وبين قومنا بالحق"[١٧].

---

[١] الكشاف:١٣٠/٢.
[٢] تفسير ابن كثير:٤٤٩/٣.
[٣] التفسير الميسر:١٦٢.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣١):ص١٥٢٣/٥.
[٥] تفسير الطبري:٥٦٢/١٢.
[٦] الكشاف:١٣٠/٢.
[٧] التفسير الميسر:١٦٢.
[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥.
[٩] الكشاف:١٣٠/٢.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٤٩/٣.
[١١] تفسير الطبري:٦٦٣/١٢.
[١٢] التفسير الميسر:١٦٢.
[١٣] معاني القرآن:٣٨٥/١.
[١٤] مجاز القرآن:٢٢٠/١.
[١٥] تفسير ابن كثير:٤٤٩/٣.
[١٦] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩/٢.
[١٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٤):ص١٥٢٣/٥.

قال ابن عباس:" ما كنت أدري ما قوله: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق}، حتى سمعت قول بنت ذي يزن تقول: تعال أفاتحك، تقول: تعالى أخاصمك"[١].

قال الطبري:"ثم فزع -صلوات الله عليه- إلى ربه بالدعاء على قومه= إذ أيس من فلاحهم، وانقطع رجاؤه من إذعانهم لله بالطاعة، والإقرار له بالرسالة، وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمني قومه من فَسَقتهم العطبَ والهلكة، بتعجيل النقمة، فقال: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق}، يقول: احكم بيننا وبينهم بحكمك الحقّ الذي لا جور فيه ولا حَيْف ولا ظلم، ولكنه عدل وحق"[٢].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وأنت خير الحاكمين"[٣].

قال مقاتل:" يعني: القاضين"[٤].

قال ابن كثير:" أي : خير الحاكمين ، فإنك العادل الذي لا يجور أبدًا "[٥].

قال الطبري:" يعني: خير الحاكمين"[٦].

قال الفراء:"وأهل عمان يسمون ا«لقاضي» :الفاتح والفتاح"[٧].

قال أبو عبيدة:" القاضي، يقال له: الفتاح، قال[٨]:

أَلا أَبْلِغْ بَني عُصْمٍ رَسُولا بِأَنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

وهو لبعض مراد"[٩].

الفوائد:

١- لا يصح من أهل الحق بعد أن عرفوه ودعوا إليه أن يتنكروا ويقبلوا الباطل بدله.
٢- يستحب الاستثناء في كل ما عزم عليه المؤمن مستقبلا وإن لم يرده أو حتى يفكر فيه.
٣- وجوب التوكل على الله عند تهديد العدو وتخويفه، والمضي في سبيل الحق.
٤- مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل، لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين.
٣- أن في جواب شعيب-عليه السلام- عدة معاني مرجعها كلها إلى الشح بالدين:

- أحدها: أن شعيبا عليه السلام سمى مهانته، المستكبرين من قومه نجاة قومه، وقد علم أن ضد النجاة الهلكة، ومن كان عنده: أن الكفر هلكة والإيمان نجاة، لم يكن شحيحا إلا على دينه.
- والثاني: أنه أشار بقوله :{على الله توكلنا} إلى أنه قد فوض أمره إلى الله تعالى، فإن العصمة من الجلاء عن الوطن، فذلك فضله، وإن جلاهم وما يهمون به من إخراجه

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٣):ص١٥٢٣/٥.

[٢] تفسير الطبري:٦٦٣/١٢.

[٣] التفسير الميسر:١٦٢.

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩/٢.

[٥] تفسير ابن كثير:٤٤٩/٣.

[٦] تفسير الطبري:٦٦٣/١٢.

[٧] معاني القرآن:٣٨٥/١.

[٨]فى إصلاح المنطق ٢٦ والطبري ٩/ ٣ والسمط ٩٢٧ والقرطبي ١٣/ ٩٤ واللسان والتاج (فتح) . البيت مختلف فى عزوه وقال الميمنى فى السمط ما نصه:
البيت رواه يعقوب فى الإصلاح ١/ ١٨٨ غير معزو وروايته «بنى عمرو» وكذا فى اللسان (فتح) منسوبا للأسعر الجعفي وفى زيادات الجمهرة ٢/ ٤ برواية «بنى بكر بن عبد» منسوبا لأعشى قيس (ولم يرو له أحد) ... ولكن ليس ثمة أحد من العشو فى كندة فالأعشى فيه مصحف الأسعر وهو من جعفى بطن من كندة، وقال أبو محمد ابن السيرافي (وعنه اللسان مادة قتا) وجدت هذا البيت للشويعر الجعفي على خلاف ما رواه يعقوب. ثم وجدته لمحمد بن حمران أبى حمران فى الحماسة الصغرى لأبى تمام ص ٤٦:
أبلغ بنى حمران أنى ... عن عداوتكم غنى
بتقييد القافية فى تسعة أبيات (السمط ٩٢٨) . والجعفي هو مرثد بن حمران الجعفي يكى أبا حمران (ولعل محمد بن حمران مصحف مرتد ...) وهو جاهلى، راجع ترجمته فى المؤتلف ٤٧ والسمط ٩٤..

[٩] مجاز القرآن:٢٢٠/١-٢٢١.

بالجلاء أحب إليه من مفارقة الدين، وهذا من الشح بالدين، لأن الله عز وجل جعل الجلاء عن الوطن بمرتبة القتل. فقال: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء : ٦٦]. فضرب المثل بمفارقة الدار كما ضربه بمفارقة الحياة. قال: {وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} [الحشر : ٣]، فأخبر أنه إنما لم يسلط النبي ﷺ، والمسلمين على أولئك اليهود فيقتلونهم بل بأسيافهم لأنه كتب عليهم الجلاء. فبان أن الجلاء نظير القتل إذ كان يقوم في مستحق العذاب العاجل مقامه. وإذا كان كذلك، وقد امتنع شعيبا النبي ﷺ مما ورد عنه بعدما توعد بالجلاء، فقد أظهر الشح بالدين، فلذلك ينبغي لغيره أن يكون.

- والثالث: أن شعيبا -عليه السلام- فرغ إلى الله تعالى واستنصره، فدعاه كما يدعي في الشدائد إذا عرضت، والخطوب إذا نزلت، فقال:{ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} استعظاما منه لما كان يخاطب به، وتأملا أن يدفع الله عنه أذية الكفار فلا يسمعونه في دينه ما يشق عليه سماعه. وهذا أيضا من الشح بالدين، كما لو كان يراد منه مال وهو يأبى فاسترفع الله تعالى شرهم بدعائه وتضرعه، فكان ذلك شحا بالمال. ومعلوم أن الله عز وجل إنما يقيض علينا هذا ومثله لتتأدب بآداب الذين يصف لناسيرهم ثم يمنعها، وبيان مذاهب الذين يصف لنا طرائقهم ثم يدعها، ويتبع الأحسن من الوجهين دون الأصح منها، كما قال عز وجل: {فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨)} [الزمر : ١٧ - ١٨]، فصح أن الشح بالدين من أركان الدين، لا يجد حلاوة الدين من لا يجد به الشح في قلبه والله أعلم.

وهو الذي ورد به القرآن، والخبر عن المصطفي ﷺ في هذا الباب، فهو الأمر الذي يشهد بصحته العقل، ولا يوجد فيه بخلافه وجه، لأن من اعتقد دينا ثم لم يكن في نهاية الشح به والإشفاق عليه كان ذلك دلالة على أنه لا يعرف قدره، ولا يبين موضع الحظ لنفسه فيه، ومن لاحق عنده أمل يكن الحق عنده وبالله العصمة.\

ثم أن الشح بالدين ينقسم قسمين:

أحدهما: الشح بأصله كيلا يذهب. والآخر: الشح بكماله كيلا ينقص.

والشحان جميعا من أركان الإيمان، ألا ترى أن الله عز وجل كما مدح شعيبا ﷺ وأثنى عليه بأنه شح على دينه، فلم يفارق مع استكراه قومه إياه على مفارقته وكذلك قد مدح يوسف صلوات الله عليه بأن استعصم حين مراودته امرأة العزيز عن نفسه، وقال: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف : ٣٣] ، فبان أن الشح على شعب الإيمان لئلا ينقص كالشح على أصله كيلا يذهب وبالله التوفيق، وهذا سبيل كل متنفس مسنون به لأن الشحيح بماله، كما لو شح بجماعته يشح بابعاضه. والشحيح بنفسه يشح بأطرافه، كما يشح بجميع ماله لذا يبغضه كذا الدين وبالله التوفيق.

وقد قيل في قول الله عز وجل أخبر أن أهل الجنة يقولونه : {إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ(٢٦) {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور :٢٦- ٢٧]، أنهم كانوا مشفقين أن يسلبوا الإسلام فجزاهم الله تعالى بإشفاقهم على دينهم الناس من جهنم إياه وعز فإنهم قدره أن بينهم عليه فأداهم في الآخرة إلى رضوانه وطول دار المقامة من حسناته[1].

القرآن

[1] انظر: المنهاج في شعب الإمان:١٧٩/٢-١٨١.

{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠)} [الأعراف : ٩٠]

التفسير:

وقال السادة والكبراء المكذبون الرافضون لدعوة التوحيد إمعانًا في العتوِّ والتمرد، محذرين من اتباع شعيب: لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لهالكون.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٩٠]، أي:" قال الأشراف من قومه الفجرة الكفرة"[١].

قال الطبري:" وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب –وهم «الملأ»- الذين جحدوا آيات الله، وكذبوا رسوله، وتمادوا في غيّهم، لآخرين منهم"[٢].

قال الزمخشري:" أى: أشرافهم للذين دونهم، يثبطونهم عن الإيمان"[٣].

قوله تعالى:{لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف : ٩٠]، أي:" إذا اتبعتم شعيباً وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه"[٤].

قال أبو الليث:" أي: لأن أطعتم شعيبا في دينه"[٥].

قال أبو السعود:أي:"دخلتم في دينه وتركتم جين آبائكم"[٦].

قال الطبري:أي:" لئن أنتم اتبعتم شُعَيبًا على ما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى أمره ونهيه، وأقررتم بنبوَّته"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} [الأعراف : ٩٠]، أي:" إنكم إذاً لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى"[٨].

قال الطبري:" يقول: لمغبونون في فعلكم، وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون، إلى دينه الذي يدعوكم إليه وهالِكُون بذلك من فعلكم"[٩].

قال مقاتل:" يعني: لعجزة، نظيرها في يوسف: {لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ} [يوسف : ١٤]، يعني: لعجزة ظالمون"[١٠].

وقال أبو الليث:" يعني: جاهلون"[١١].

وقال أبو السعود:{لَخَاسِرُونَ}، " أي: في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم أو في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالخس والتطفيف"[١٢].

قال الزمخشري:أي:" لاستبدالكم الضلالة بالهدى، كقوله تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ} [البقرة : ١٦]، وقيل: تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف، لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية"[١٣].

الفوائد:

---

[١] صفوة التفاسير:٤٢٥/١.
[٢] تفسير الطبري:٥٦٥/١٢.
[٣] الكشاف:١٣٠/٢.
[٤] صفوة التفاسير:٤٢٥/١.
[٥] بحر العلوم:٤٢٣/١.
[٦] تفسير أبي السعود:٢٥١/٣.
[٧] تفسير الطبري:٥٦٥/١٢.
[٨] صفوة التفاسير:٤٢٥/١.
[٩] تفسير الطبري:٥٦٥/١٢.
[١٠] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٠/٢.
[١١] بحر العلوم:٤٢٣/١.
[١٢] تفسير أبي السعود:٢٥١/٣.
[١٣] الكشاف:١٣٠/٢.

١- بيان شدة كفر قوم شعيب وتمردهم وعتوهم ، وما هم فيه من الضلال ، وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق ، ولهذا أقسموا وقالوا{ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ }[١].
٢- ثمرة الصبر والثبات النصر العاجل أو الآجل.

القرآن
{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)} [الأعراف : ٩١]
التفسير:
فأخذَتْ قومَ شعيب الزلزلةُ الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى ميتين.
قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف : ٩١]، أي:" فأخذَتْ قومَ شعيب الزلزلةُ الشديدة"[٢].
قال أبو عبيدة:"{ الرَّجْفَةُ}: من رجفت بهم الأرض، أي: تحركت بهم"[٣].
قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف : ٩١]، أي:" فأصبحوا في دارهم صرعى ميتين"[٤].
قال الطبري:أي:" على ركبهم، موتَى هلكى"[٥].
قال السدي:" إن الله بعث شعيبًا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، و«الأيكة»، هي الغيضة من الشجر، وكانوا مع كفرهم يبخَسون الكيل والميزان، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردُّوا عليه. فلما عتوا وكذبوه، سألوه العذابَ، ففتح الله عليهم بابًا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلٌّ ولا ماء. ثم إنه بعثَ سحابةً فيها ريحٌ طيبة، فوجدوا بَرْدَ الرّيح وطيبِها، فتنادوا: الظُّلَّةَ، عليكم بها! فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، انطبقت عليهم فأهلكتهم، فهو قوله: {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ} [سورة الشعراء: ١٨٩]"[٦].
أخرج الطبري عن محمد بن إسحاق:" كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن. كانوا أهلَ بخسٍ للناس في مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله، وتكذيبهم نبيَّهم. وكان يدعوهم إلى الله وعبادته، وترك ظلم الناس وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم، فقال نُصْحًا لهم، وكان صادقا: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨] . قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ= فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيبًا قال:"ذاك خطيب الأنبياء"! لحسن مراجعته قومه فيما يرادُ بهم. فلما كذَّبوه وتوعَّدوه بالرَّجْم والنفي من بلادهم، وعتوا على الله، أخذهُم عذاب يوم الظُّلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. فبلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له:" عمرو بن جلهاء، لما رآها قال:

يَا قَوْمِ إنَّ شُعَيْبًا مُرْسَلٌ فَذَرُوا ... عنكم سُمَيْرًا وَعِمْرَانَ بْنَ شَدَّادِ
إنِّي أَرَى غَبْيَةً يَا قَوْمِ قَدْ طَلَعَتْ ... تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلَى صَمَّانَةِ الْوَادِي
وَإنَّكمْ لَنْ تَرَوْا فِيهَا ضَحَاءَ غَدٍ ... إلا الرَّقِيمَ يُمَشِّي بَيْنَ أنْجَادِ

و"سمير" و"عمران"، كاهناهم و"الرقيم"، كلبهم.

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير:٤٤٨/٣.
[٢] التفسير الميسر:١٦٢.
[٣] مجاز القرآن:٢٢١/١.
[٤] التفسير الميسر:١٦٢.
[٥] تفسير الطبري:٥٦٦/١٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٨٦٣):ص٥٦٦/١٢.

قال ابن إسحاق : فبلغني، والله أعلم، أنَّ الله سلط عليهم الحرّ حتى أنضجهم، ثم أنشأ لهم الظُّلةَ كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدرُوها يستغيثون ببَرْدها مما هم فيه من الحر، حتى إذا دَخلوا تحتها، أطبقت عليهم، فهلكوا جميعًا، ونجى الله شعيبًا والذين آمنوا معه برحمته"[١].

قال أبو عبد الله البجلي:«"أبو جاد" و"هوّز" و"حُطّي" و"كلمون" و"سعفص" و"قرشت"، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب"كلمون"، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلَمُونٌ هَدَّ رُكْنِي ... هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّهْ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الْـ ... حَتْفُ نَارًا وَسْطَ ظُلَّةْ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ ... دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّةْ»[٢].

الفوائد:

١- استجاب الله دعاء نبيه ورسوله شعيب عليه الصلاة والسلام بعد أن ظل قومه على ما هم عليه من الكفر، فكان جزاؤهم جزاء وفاقاً فكما أنهم توعدوا شعيباً والذين آمنوا معه بالإجلاء عن بلدهم فإن الله تعالى أجلاهم جميعاً إلى حيث لا رجعة فاستأصلهم وأجلاهم إلى جهنم وبئس المصير.
٢- أن نهاية الظلم والطغيان والدمار والخسران.

القرآن

{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)} [الأعراف : ٩٢]

التفسير:

الذين كذَّبوا شعيبًا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [الأعراف : ٩٢]، أي:" الذين كذَّبوا شعيبًا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا فلم يبق لهم أثر"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذبوا شعيبًا فلم يؤمنوا به، فأبادَهم، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاءً كأن لم ينزلوا قطّ ولم يعيشوا بها حين هلكوا"[٤].

عن قتادة:"{كأن لم يغنوا فيها}، كأن لم يعيشوا، كأن لم ينعموا"[٥].

قال ابن عباس:" يقول: كأن لم يعيشوا فيها"[٦].

قال أبو مالك:" كأن لم يكونوا فيها"[٧].

قال ابن زيد:" كأن لم يكونوا فيها قطُّ"[٨].

قال أبو عبيدة:" أي: لم ينزلوا فيها ولم يعيشوا فيها، قال مهلهل[٩]:

غنيت دارنا تهامة فى الدهر ... وفيها بنو معدّ حلولا

وقولهم: مغانى الديار منها، واحدها: مغنى قال[١٠]:

---

[١] تفسير الطبري(١٤٨٦٤):ص١٢/٥٦٦-٥٦٨، وانظر: الدر المنثور ٣: ١٠٣، وقصص الأنبياء للثعلبي: ١٤٤.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٨٦٥):ص١٢/٥٦٨.
[٣] التفسير الميسر:١٦٢.
[٤] تفسير الطبري:١٢/٥٦٩.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٨٦٦):ص١٢/٥٧٠.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٨٦٧):ص١٢/٥٧٠.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٧):ص٥/١٥٢٤.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٨٦٨):ص١٢/٥٧٠.
[٩]أن لم يغنوا ... ورسوم» : رواه ابن حجر عن أبى عبيدة فى فتح البارى ٨/ ٢٢٦..
[١٠]البيت من كلمة طويلة له فى كتاب البسوس ٧٨- ٨٠ وهو فى اللسان والتاج (غنو).

أتعرف مغنى دمنة ورسوم"[1].

يقال:غَنِيَ فلان بمكان كذا، فهو يَغْنَى به غِنًى وغُنِيًّا، إذا نزل به وكان به، كما قال الشاعر[2]:

وَلَقَدْ يَغْنَى بِهَا جِيرَانُكِ الْ   مُمْسِكُو مِنْكِ بِعَهْدٍ وَوِصَالِ

وقال رؤبة[3]:

أَبْكَتْ أَبَا الشَّعْثَاءِ وَالسَّمَيْدَعَا   وَعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بِضَلْفَعَا

إنما هو"مفعل" من"غني". [4]

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : ٩٢]، أي:" وأصابهم الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة"[5].

قال المراغي:" أي الذين كذبوا وزعموا أن من يتبعه يكون خاسرا- كانوا هم الخاسرين لما كانوا موعودين به من سعادة الدنيا والآخرة، دون الذين اتبعوه فإنهم كانوا هم الفائزين المفلحين"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لم يكن الذين اتَّبعوا شعيبًا الخاسرين، بل الذين كذّبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين، لأنه أخبر عنهم جل ثناؤه: أن الذين كذبوا شعيبًا قالوا للذين أرادُوا اتباعه: {لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون}، فكذبهم الله بما أحلَّ بهم من عاجلِ نَكاله، ثم قال لنبيه محمد ﷺ: ما خسر تُبَّاع شعيب، بل كانَ الذين كذبوا شعيبًا لما جاءت عقوبة الله، هم الخاسرين، دون الذين صدّقوا وآمنوا بهً"[7].

قال السعدي:" أي: الخسار محصور فيهم، لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، لا من قالوا لهم: {لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ}"[8].

قال الآلوسي:" قوله تعالى: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كانُوا هُمُ الْخاسِرِينَ} استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الأخير، واستفادة الحصر هنا أوضح من استفادته فيما تقدم، أي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بقولهم لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لتكذيبهم لا المتبعون له عليه السلام المصدقون إياه عليه السلام، وبهذا القصر اكتفى عن

---

[1] مجاز القرآن:٢٢١/١، وانظر: فتح الباري ٨/ ٢٢٦.

[2] الشعر لعبيد بن الأبرص، انظر: ديوانه: ٥٨، مختارات ابن الشجري ٢: ٣٧، والخصائص لابن جني ٢: ٢٤٥٥ والمنصف لابن جني ١: ٦٦، والخزانة ٣: ٢٣٧، وهي القصيدة الفاخرة التي لم يتجشم فيها إلا ما في نهضته ووسعه، عن غير اغتصاب واستكراه أجاءه إليه، فقاد القصيدة كلها على أن آخر مصراع كل بيت منها منته إلى (ال) التعريف، كما قال ابن جني في الخصائص، أولها: يَا خَلِيلَيَّ أرْبَعَا وَأُسْتَخْبِرَا الـ ... مَنْزِلَ الدَّارِسَ مِنْ أهْلِ الحِلالِ.

مِثْلَ سَحْقِ البُرْدِ عَفَّى بَعْدَكِ الْ ... قَطْرُ مَغْنَاهُ، وَتَأْوِيبُ الشَّمَالِ

وَلَقَدْ يَغْنَى بِه جِيرَانُكِ الْـ ... مُمْسِكُو مِنْكِ بِأَسْبَابِ الوِصَالِ

واستمر بها على ذلك النهج. وكان في المطبوعة: "المستمسكو"، وهو تغيير لما في المخطوطة، وللرواية معًا. وقوله: "الممسكو" يعني"الممسكون"، فحذف النون لطول الاسم، لا للإضافة. وهكذا تفعل العرب أحيانا، كما قال الأنصاري: الْحَافِظُو عَوْرَةَ العَشِيرَةِ لا ... يَأْتِيهِمُ مِنْ وَرَائِنَا نَطَفُ

وقول الأخطل: أَبَني كُلَيْبٍ، إنْ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلا المُلُوكَ وَفَكَّكَا الأَغْلالا

انظر سيبويه ١: ٩٥، والمنصف ١: ٦٧، وتفسير الطبري:٥٦٩/١٢(شرح المحقق: الهامش:٣)

[3] ديوانه: ٨٧، في مديح قومه بني تميم، يقول: هَاجَتْ، وَمِثْلِي نَوْلُهُ أَنْ يَرْبَعَا ... حَمَامَةٌ هَاجَتْ حَمَامًا سُجَّعَا

أَبْكَتْ أَبَا الشَّعْثَاءِ وَالسَّمَيْدَعَا ... وعَهْدُ مَغْنَى دِمْنَةٍ بضَلْفَعَا

بَادَتْ وَأَمْسَى خَيْمُها تَذَعْذَعَا

و"أبو الشعثاء" يعني نفسه. و"ضلفع"، اسم موضع.

[4] انظر: تفسير الطبري:٥٦٩/١٢-٥٧٠.

[5] التفسير الميسر:١٦٢.

[6] تفسير المراغي:١٠/٩.

[7] تفسير الطبري:٥٧٠/١٢.

[8] تفسير السعدي:٢٩٦.

التصريح بالانجاء كما وقع في سورة [هود: ٩٤] من قوله تعالى: {وَلَمَّا جاءَ أَمْرُنا نَجَّيْنا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}"[١].

قال الزمخشري:أي:" هم المخصوصون بالخسران العظيم، دون أتباعه فإنهم الرابحون، و في هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير: مبالغة في رد مقالة الملإ لأشياعهم، وتسفيه لرأيهم، واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم"[٢].

الفوائد:

١- فى الآية إيماء إلى أن الحريص على التمتع بالوطن والاستبداد فيه على أهل الحق تكون عاقبته الحرمان الأبدى منه، كما أن الحريص على الربح بأكل أموال الناس بالباطل ينتهى بالحرمان منه ومن غيره.

٢- أن الله تعالى شهد بتكذيب قوم شعيب واستعاضته من ذلك بأصول المنانية أن الحكيم لا يريد كون الظلم ولا يخلقه فلبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون.

٣- في الآية أسلوب التوكيد باستخدام ضمير الفصل، أو ما يسمى عند الكوفيين بضمير العماد، وهو الضمير الذي يَفصل بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر، مثال الفصل بين ما أصله المبتدأ والخبر: {الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ}، ومثال الفصل بين المبتدأ والخبر: {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ١٥٧]

القرآن

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)} [الأعراف : ٩٣]

التفسير:

فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟

قوله تعالى:{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ} [الأعراف : ٩٣]، أي:" فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأدبر شعيب عنهم، شاخصًا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله"[٤].

قال البغوي:"أعرض {عنهم} شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب"[٥].

قوله تعالى:{وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} [الأعراف : ٩٣]، أي:" وقال: يا قوم لقد أبلغتكم ما أُرسلت به من ربي"[٦].

قال أبو الليث:أي:" في نزول العذاب"[٧].

قال الطبري:يقول:" وأدّيت إليكم ما بعثني به إليكم، من تحذيركم غضبَه على إقامتكم على الكفر به، وظلم الناس أشياءهم"[٨].

---

[١] روح المعاني:٨/٥.
[٢] الكشاف:١٣١/٢.
[٣] التفسير الميسر:١٦٢.
[٤] تفسير الطبري:٥٧١/١٢.
[٥] تفسير البغوي:٢٥٩/٣.
[٦] التفسير الميسر:١٥٨، و١٦٢.
[٧] بحر العلوم:٥٣٤/١.
[٨] تفسير الطبري:٥٧١/١٢.

قال السعدي:" أي: أوصلتها إليكم، وبينتها حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم"[١].

قوله تعالى:{وَنَصَحْتُ لَكُمْ} [الأعراف : ٩٣]، أي:" ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا"[٢].

قال الطبري:أي:" بأمري إياكم بطاعة الله، ونهيكم عن معصيته"[٣].

قال السعدي:" فلم تقبلوا نصحي، ولا انقدتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم"[٤].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} [الأعراف : ٩٣]، أي:" فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟"[٥].

قال ابن عباس:" يعني: فكيف أحزن؟"[٦].

قال أبو الليث:" أي: كيف أحزن بعد النصيحة على قوم إن عذبوا"[٧].

قال الطبري:" يقول: فكيف أحزن على قوم جَحَدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله، وأتوجَّع لهلاكهم؟"[٨].

قال أبو عبيدة:" أي: أحزن وأتندم وأتوجع، ومصدره «الأسى»، وقال[٩]:

وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى"[١٠]

قال السعدي:" أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردوه ولم يقبلوه ولا يليق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقين أن يحزن عليهم، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم. فعياذا بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟"[١١].

قال ابن عطية:" قوله: {يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي}، إلى آخر الآية كلام يقتضي أن شُعَيْباً عليه السلام وجد في نفسه لما رأى هلاك قومه حزنا وإشفاقا إذ كان أمله فيهم غير ذلك، فلما وجد ذلك طلب أن يثير في نفسه سبب التسلي عنهم والقسوة عليهم فجعل يعدد معاصيهم وإعراضهم الذي استوجبوا به أن لا يتأسف عليهم، فذكر أنه بلغ الرسالة ونصح، والمعنى فأعرضوا وكذبوا، ثم قال لنفسه لما نظرت في هذا وفكرت فيه فَكَيْفَ آسى على هؤلاء الكفرة، ويحتمل أن يقول هذه المقالة على نحو قول النبي ﷺ لأهل قليب بدر، وقال مكي: وسار شعيب بمن معه حتى سكن مكة إلى أن ماتوا بها"[١٢].

قال البيضاوي:" قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال: فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم، أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم. والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي، فكيف آسى عليكم"[١٣].

---

[١] تفسير السعدي:٢٩٦.
[٢] التفسير الميسر:١٦٢.
[٣] تفسير الطبري:٥٧١/١٢.
[٤] تفسير السعدي:٢٩٦.
[٥] التفسير الميسر:١٦٢.
[٦] أخرجه الطبري(١٤٨٦٩):ص٥٧١/١٢.
[٧] بحر العلوم:٥٣٤/١.
[٨] تفسير الطبري:٥٧١/١٢.
[٩] الشطر للعجاج في ديوانه ٢٠، وتمامه:" قَالَ: نَعَمْ! أَعْرِفُهُ! وَأَبْلَسَا
وَانْحَلَبَتْ عَيْنَاهُ مِنْ فَرْطِ الأَسَى.
وانظر: تفسير الطبري:٤٧٥/١٠، والكامل ١: ٣٥٢، واللسان (حلب) (كرس) ، وهو من رجزه المشهور
[١٠] مجاز القرآن:٢٢٢/١.
[١١] تفسير السعدي:٢٩٦.
[١٢] المحرر الوجيز:٤٣١/٢.
[١٣] تفسير البيضاوي:٢٤/٣.

قال محمد بم إسحاق:" بلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى إذا أنضجهم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه، حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت فهلكوا جميعا، ونجا الله عز وجل شعيبا والذين آمنوا معه فأصابه على قومه حزن لما نزل بهم من نقمة الله، ثم قال: يعزي نفسه فيما ذكر الله عنه: {يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين}"[1].

وقرأ ابن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش: «إيسى»، بكسر الهمزة وهي لغة[2].

الفوائد:

١- لا أسى ولا حزنا على من أهلكه الله تعالى بظلمه وفساده في الأرض، وهل يحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وسخروا بنبيه ودعوته والموحدين!

٢- مشروعية توبيخ الظالمين بعد هلاكهم كما فعل رسول الله ﷺ بأهل القليب وكما فعل صالح وشعيب عليهما السلام.

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)} [الأعراف : ٩٤]

التفسير:

وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عمَّا هم فيه من الشرك، فكذَّبه قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصبناهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة؛ رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} [الأعراف : ٩٤]، أي:" وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عمَّا هم فيه من الشرك، فكذَّبه قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصبناهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، معرِّفَه سنّته في الأمم التي قد خَلَت من قبل أمته، ومذكّرَ من كفر به من قريش، لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله، والتكذيب لنبيه محمد ﷺ: {وما أرسلنا في قرية من نبي}، قبلك، {إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء}، وهو البؤس وشَظَف المعيشة وضِيقها، و{الضراء}، وهي الضُّرُ وسوء الحال في أسباب دُنياهم"[4].

عن السدي: {أخذنا أهلها بالبأساء والضراء}، يقول: بالفقر والجوع"[5].

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله: "{بالبأساء}، قال: البأساء الفقر"[6]. قال ابن أبي حاتم:"وروي عن ابن عباس، وأبي العالية، والحسن في أحد قوليه ومرة الهمداني، وسعيد بن جبير، ومجاهد والضحاك، والربيع بن أنس، والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك"[7].

وعن الحسن: "{البأساء}، قال: البلاء"[8].

عن سعيد بن جبير:"{فأخذناهم بالبأساء}، قال: خوفا من السلطان"[1].

---

[1] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٩):ص٥/١٥٢٤، والطبري(١٤٨٧١):ص١٢/٥٧١-٥٧٢، مختصرا.

[2] انظر: المحرر الوجيز:٢/٤٣١.

[3] التفسير الميسر:١٦٢.

[4] تفسير الطبري:١٢/٥٧٢.

[5] أخرجه الطبري(١٤٨٧٢):ص١٢/٥٧٢.

[6] تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٤١):ص١٥٢٤-١٥٢٥.

[7] تفسير ابن أبي حاتم:٥/١٥٢٥.

[8] تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٤٢):ص١٢/١٥٢٥.

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن مرة عبد الله بن مسعود في قوله: "{والضراء}، قال: الضراء السقم"[2]. قال ابن أبي حاتم:"وروي، عن ابن عباس. وأبي العالية، ومرة الهمداني، وأبي مالك والضحاك، والحسن، ومجاهد، والسدي والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان نحو ذلك"[3].

وعن سعيد بن جبير في قول الله: "{والضراء}، يعني: حين البلاء والشدة"[4].

وعن الحسن:"{والضراء}، قال: هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك"[5].

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} [الأعراف : ٩٤]، أي:" رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق"[6].

قال الطبري:" يقول: فعلنا ذلك ليتضرّعوا إلى ربهم، ويستكينوا إليه، وينيبوا، بالإقلاع عن كفرهم، والتوبة من تكذيب أنبيائِهم"[7].

قال أبو مالك:" {لعلهم}، يعني: كي"[8].

الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في الأمم السابقة.

٢- تخويف كفار قريش بما دلت عليه هذه السنة من أخذ الله تعالى المصرين على الكفر المتمردين على الحق.

القرآن

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)} [الأعراف : ٩٥]

التفسير:

ثم بدَّلنا الحالة الطيبة الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسَعَة ورخاء في أموالهم؛ إمهالا لهم، ولعلهم يشكرون، فلم يُفِد معهم كل ذلك، ولم يعتبروا ولم ينتهوا عمَّا هم فيه، وقالوا: هذه عادة الدهر في أهله، يوم خير ويوم شر، وهو ما جرى لآبائنا من قبل، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يخطر لهم الهلاك على بال.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ} [الأعراف : ٩٥]، أي:" ثم بدَّلنا الحالة الطيبة الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسَعَة ورخاء في أموالهم"[9].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ثم بدلنا} أهلَ القرية التي أخذنا أهلها بالبأساء والضراء، {مكان السيئة}، وهي البأساء والضراء، وإنما جعل ذلك"سيئة"، لأنه ممّا يسوء الناس ولا تسوءهم "الحَسَنة"، وهي الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة"[10].

عن قتادة: "{مكان السيئة الحسنة}، قال: مكان الشدة رخاء"[11].

قال ابن عباس:" يقول: مكان الشدة الرَّخاء"[12].

---

[1] تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٤٣):ص١٥٢٥/١٢.

[2] تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٤٤):ص١٥٢٥/٥.

[3] تفسير ابن ابي حاتم:١٥٢٥/٥.

[4] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٥):ص١٥٢٥/٥.

[5] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٦):ص١٥٢٥/٥.

[6] التفسير الميسر:١٦٢.

[7] تفسير الطبري:٥٧٢/١٢.

[8] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٧):ص١٥٢٦/٥.

[9] التفسير الميسر:١٦٢.

[10] تفسير الطبري:٥٧٣/١٢.

[11] أخرجه الطبري(١٤٨٧٣):ص٥٧٤/١٢.

[12] أخرجه الطبري(١٤٨٧٦):ص٥٧٤/١٢.

قال مجاهد:" {السيئة}، الشر، و{الحسنة}، الرخاء والمالُ والولد"[١]. وفي رواية:" و{الحسنة}، الخير"[٢].

قال ابن زيد:" بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبُّوا في الدنيا"[٣].

قوله تعالى:{حَتَّى عَفَوْا} [الأعراف : ٩٥]، أي:" حتى كثروا ونموا"[٤].

قال الطبري:" يقول: حتى كَثرُوا، كذلك كل شيء كثر، فإنه يقال فيه: قد عفا، كما قال الشاعر[٥]:

ولَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوُقِ عَافِيَاتِ الشَّحْمِ كُومِ"[٦].

عن ابن زيد:" {حتى عفوا}، من ذلك العذاب"[٧].

واختلفوا في قوله تعالى:{حَتَّى عَفَوْا} [الأعراف : ٩٥]، على أقوال:

أحدها : حتى كثروا ، قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، والسدي[١٠]، والضحاك[١١]، ومنه قول لبيد[١٢]:

وَأَنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَواْ وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ

قال ابن زيد:" كثروا كما يكثر النّبات والرّيش، ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يَشْعُرون"[١٣].

والثاني : حتى أعرضواْ ، قاله ابن بحر[١٤].

والثالث : حتى سُرّوا ، قاله قتادة[١٥].

قال الطبري:" وهذا الذي قاله قتادة في معنى:"عفوا"، تأويلٌ لا وجه له في كلام العرب. لأنه لا يعرف"العفو" بمعنى السرور،في شيء من كلامها، إلا أن يكون أراد: حتى سُرُّوا بكثرتهم وكثرةِ أموالهم، فيكون ذلك وجهًا، وإن بَعُد"[١٦].

والرابع : حتى سمنوا ، قاله الحسن[١٧]، ومنه قول بشر بن أبي حازم[١٨]:

فَلَمَّا أَنْ عَفَا وَأَصَابَ مَالاً تَسَمَّنَ مَعْرِضاً فِيهِ ازْوِرَارُ

قوله تعالى:{وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ} [الأعراف : ٩٥]، أي:" فقالوا كفراناً للنعمة: هذه عادة الدهر وقد مسّ آباءنا مثل ذلك من المصائب ومن الرخاء وليست بعقوبة من الله"[١٩].

قال الطبري: هذا "خبرٌ من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم مكان الحسنة السيئة التي كانوا فيها، استدراجًا وابتلاء، أنهم قالوا إذ فعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابتْ مَنْ قبلنا من

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٨٧٤):ص٥٧٤/١٢.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٨٧٥):ص٥٧٤/١٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٧٧):ص٥٧٤/١٢.
[٤] صفوة التفاسير:٤٢٧/١.
[٥] البيت للبيد بن ربيعة، انظر: ديوانه قصيدة ٢/ ١٩.
[٦] تفسير الطبري:٥٧٣/١٢.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٨٧٧):ص٥٧٤/١٢.
[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٧٨):ص٥٧٤/١٢-٥٧٥.
[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٧٩):ص٥٧٥/١٢.
[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٠):ص٥٧٥/١٢.
[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٤):ص٥٧٥/١٢.
[١٢] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
[١٣] أخرجه الطبري(١٤٨٨٥):ص٥٧٥/١٢.
[١٤] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٦):ص٥٧٦/١٢.
[١٦] تفسير الطبري:٥٧٦/١٢.
[١٧] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
[١٨] انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
[١٩] صفوة التفاسير:٤٢٧/١.

آبائنا، ونالت أسلافَنا، ونحن لا نعدُو أن نكون أمثالَهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعايش والرخاء فيها وهي"السراء"، لأنها تَسرُّ أهلها.

وجهل المساكين شكرَ نعمة الله، وأغفلوا من جهلهم استدامةَ فضلهِ بالإنابة إلى طاعته، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون"[١].

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الأعراف : ٩٥]، أي:" فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يخطر لهم الهلاك على بال"[٢].

قال الطبري:" يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة، أتاهم على غِرّة منهم بمجيئه، وهم لا يدرون ولا يعلمون أنّه يجيئهم، بل هُم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويَرَوه"[٣].

الفوائد:

١- التذكير والوعظ بتاريخ الأمم السابقة المنبىء عن أسباب هلاكهم وخسرانهم ليتجنبها العقلاء، كما قال تعالى: {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب} .

٢- ومن فوائد الآية الكريمة والتي قبلها: أن الله تعالى يبدأ باللطف ثم يعاقب من يشاء ممن لم يقبل اللطف بالخِذْلان.

وربما عبَّر عن عدم اللطف بالعبد حيث لا يعاقب بالإضلال، وحيث لا يستحق ثواباً على شيءٍ من طاعاته بالتخلية بين العبد وبين نفسه، كما رواه الحاكم في سبب ذنب داود عليه السلام وصحَّحه من حديث كُرَيْبٍ، عن ابن عباس -في تفسير سورة ص- قال: ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر إلاَّ من عُجْب عجب به من نفسه، وذلك أنه قال: يا رب ما من ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلاَّ وعابدٌ من آل داود يعبدك، ويُصلِّي لك، أو يُسَبِّحُ أو يُكبِّرُ، فكره الله ذلك، فقال له: يا داودُ إن ذلك لم يكن إلاَّ بي، ولولا عَوْني لك ما قَوِيتَ عليه، وعِزَّتي وجلالي، لأكِلنَّك إلى نفسك يوماً، قال: فأخبرني [به] يا رب، فأصابته السيئة ذلك اليوم "[٤].

وكذا رُوِيَ نحو ذلك في سبب ذنب آدم عليه السلام[٥].

وروى أحمدُ والحاكم أيضاً عن النبي - ﷺ - من حديث زيد بن ثابت أنه قال: " وإن تَكِلْني إلى نفسي تَكِلْني إلى ضَيْعَةٍ وضعفٍ وذنبٍ وخَطيئةٍ "[٦].

---

[١] تفسير الطبري:٥٧٦/١٢.

[٢] التفسير الميسر:١٦٢.

[٣] تفسير الطبري:٥٧٦/١٢.

[٤]أخرجه الحاكم ٢/ ٤٣٣ عن إسماعيل بن محمد الفقيه بالريّ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس، أنبأنا سليمان بن داود الهاشمي البغدادي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن كُريب، عن ابن عباس موقوفاً، وصححه ووافقه الذهبي مع أن رواية البغداديين عن عبد الرحمن بن أبي الزناد فيها ضعف.
وذكره السيوطي في " الدر المنثور " ٧/ ١٥٦ وزاد نسبته إلى البيهقي في " الشعب "..

[٥]أخرج الترمذي (٣٣٦٨)، وابن حبان (٦١٦٧)، وابن سعد في " الطبقات " ١/ ٢٧ - ٢٨، والحاكم ١/ ٦٤ و٢/ ٥٨٥ - ٥٨٦ من حديث أبي هريرة، ولفظه: " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، عطس، فقال: الحمد لله، فحَمِدَ الله بإذن الله، فقال له ربُّه: يرحمك ربُّك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة -إلى ملإٍ منهم جلوس- فسلم عليهم، فقال: السلام عليكم، فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه، فقال: هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، وقال الله جل وعلا -ويداه مقبوضتان- اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، ثم بسطهما، فإذا فيهما آدم وذريته، فقال: أي ربِّي، ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فإذا كل انسان منهم، مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضْوَؤُهم -أو من أضوئهم- لم يكتب له إلاَّ أربعين سنة، قال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا ابنك داود، وقد كتب الله عمره أربعين سنة، قال: أي ربِّ، زِدْه في عمره، قال: ذاك الذي كتبت له. قال: فإني قد جعلتُ له من عمري ستين سنة. قال: أنت وذاك. اسكن الجنة فسكن الجنة ما شاء الله، ثم أَهْبِطَ منها، وكان آدم يعُدَّ لنفسه، فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عَجِلْت، قد كُتب لي ألف سنة. قال: بلى، ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد، فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، فيومئذ أمر بالكتاب والشهود ".

[٦]أخرجه أحمد ٥/ ١٩١، والطبراني (٤٨٠٣)، والحاكم ١/ ٥١٦ - ٥١٧ من طريقين عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء، عن زيد بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علمه

ويعضُدُ هذه الأحاديث قوله تعالى: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور: ٢١]، وقوله تعالى: {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [البقرة: ٦٤]، وقوله: {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ} [الحجرات: ١٧]، وقال يوسف عليه السلام -مع عصمة النبوة- {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف: ٣٣] وأمثالها.

فثبت أن ابتداء التكليف في الأشقياء هو حال الفطرة، ثُمَّ التخلية بينه وبين نفسه بعد التمكين وإقامة الحجة ببلوغ الدعوة النبوية، وظهور المعجز مع الفطرة التي خُلِقَ عليها، وهذا القَدْرُ وحده هو الذي سمَّاه الله هُدىً في قوله: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: ١٧] وهو الذي سماه الله حجة في قوله: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥].

ولكن دلَّ ما قدمنا الآن على أن الله إذا وَكَلَ العبد إلى نفسه حينئذٍ لم يكن منه إلاَّ اختيار الضلال ما لم يتفضل الرب بما لا يجب في حكمة الله المساواة فيه بين جميع خلقه من الألطاف الزائدة على التمكين، وعلى الفطرة، وإقامة الحجة، وسبق الإرادة عند أهل السنة غير مانع من الاختيار، مثل سبق العلم عند الجميع، بل مثل سبق العلم والإرادة معاً عند الجميع في أفعال الله تعالى[١].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)} [الأعراف : ٩٦]

التفسير:

ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا} [الأعراف : ٩٦]، أي:" ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه"[٢].

قال ابن كثير:" أي : آمنت قلوبهم بما جاءتهم به الرسل ، وصدقت به واتبعته ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات"[٣].

قال قتادة:" آمنوا بما أنزل، اتقوا ما حرم الله"[٤].

هذا الدعاء، وأمره أن يتعلمه ويتعاهد به أهله في كل يوم يقول حين يصبح: لبيك اللهم لبيك وسعديك والخير في يديك ... فذكروه مطولاً وفي آخره هذه القطعة.

وتصحيح الحاكم له مردود، لأن فيه أبا بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

وأخرجه الطبراني (٤٩٣٢) عن بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا عبد الله بن صالح -وهو كاتب الليث- حدثني معاوية بن صالح، عن ضمرة بن حبيب، عن زيد بن ثابت.

وذكره الهيثمي في " المجمع " ١٠/ ١١٣ وقال: رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي الطبراني رجاله وثقوا وفي بقية الأسانيد أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

وفي الباب عند أحمد ١/ ٤١٢ عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن سهيل بن أبي صالح. وعبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عون بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود، عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: من قال: اللهم فاطر السماوات والأرض ... فإنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ... " قال سهيل: فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا، قال: ما في أهلنا جارية إلاَّ وهي تقول هذا في خدرها.

وذكره الهيثمي في " المجمع ١٠/ ١٧٤ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح إلاَّ أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود.

[١] انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم:٦/١١١-١١٣.

[٢] التفسير الميسر:١٦٣.

[٣] تفسير ابن كثير:٣/٤٥١.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٦٤)، و(٨٧٦٥):ص٥/١٥٢٨.

قوله تعالى:{لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف : ٩٦]، أي:" لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه"[١].

قال ابن كثير:" أي : قطر السماء ونبات الأرض "[٢].

عن موسى الطائفي قال: "قال رسول الله ﷺ أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء، وأخرجه من بركات الأرض"[٣].

قال الراغب: " «البركة»: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: {لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦]، وسمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير ... ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس، وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر؛ قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة"[٤].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف : ٩٦]، أي:" ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ولكن كذبوا رسلهم ، فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم "[٦].

الفوائد:

١- عرض الرحمن تبارك وتعالى رحمته على عباده ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى.

٢- أن الذي يجلب الرزق حقا، ويفتح لك بركات السماء والأرض، إنما هو تقوى الله.

وذكروا من اسباب البركة:

أ- التقوى: فإن تقوى الله جل في علاه، بها تحل البركة، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف:٩٦]، فلم يقل: كثرنا أموالهم، ولا زدنا لهم في العطاء، بل العطاء نفس العطاء، والفارق الذي أحدثه يقين العبد بربه هو البركة في ذلك العطاء.

ب- الصدق، فإن البائع والمشتري إن كانا صادقين فإن البركة ستكون معهما، وهذا ما جهله الباعة في زماننا هذا، فهم لفرط جهلهم يخادعون ربهم وهم المخدوعون الأغبياء الخاسرون؛ إذ أن الله جل وعلا يجعل البركة مع الصدق.

ت- ومن أسباب البركة كذلك ألا يتقدمن أمراً ولا يعملن عملاً إلا ويقدم بين يديه اسم الله، والذي يرى المصنفين ويتأمل مصنفاتهم يجد أن كتبهم وقد بدأت باسم الله.

فمن بدأ باسم الله كانت البركة معه؛ لأن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم الأعظم لله جل في علاه، فإذا ذكر في قليل كثره، وإذا ذكر في كثير باركه، فإن البركة تكون مع اسم الله جل في علاه.

قال عليه السلام: «كلّ أمر لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر»[٧].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٣.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٥١/٣.

[٣] أخرجه الطبري(٨٧٦٦):ص١٥٢٨/٥.

[٤] انظر: المفردات في غريب القرآن:١١٩.

[٥] التفسير الميسر:١٦٣.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٥١/٣.

[٧]الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عزّ وجلّ فهو أبتر، أو قال: أقطع» أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩. وابن ماجة ١/ ٦١٠، وحسّنه النووي

فتبيّن لك أن البركة التامة مع ذكر اسم الله جل في علاه.
٣- ومن الفوائد: أنه تصلحُ أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتُها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها.

القرآن
{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧)} [الأعراف : ٩٧]
التفسير:
أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن من عذاب الله، أن يأتيهم ليلا وهم نائمون؟
قوله تعالى:{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ} [الأعراف : ٩٧]، أي:" أي هل أمن هؤلاء المكذبون أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون غافلون عنه؟"[١].
عن المعلى بن زياد القردوسي قال: "كان هرم بن حيان يخرج في وسط الليل ثم يقرأ: {أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون}"[٢].
عن مالك بن دينار: "قالت ابنة الربيع لأبيها: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال: يا ابنتاه إني أخاف البيات"[٣].
قال مالك بن دينار:" لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم في منازل الأرض كلها ينادون أيها الناس: النار النار"[٤].
الفوائد:
١- حرمة الغفلة ووجوب الذكر واليقظة.
٢- عدم الأمن من مكر الله، فقوله: {وهم نائمون} يدل على كمال الأمن؛ لأنهم في بلادهم، وأن الخائف لا ينام.
٣- أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل، بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله، وعدم الخوف منه.
القرآن
{أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨)} [الأعراف : ٩٨]
التفسير:
أوَ أمن أهل القرى أن يأتيهم عذاب الله وقت الضحى، وهم غافلون متشاغلون بأمور دنياهم؟ وخصَّ الله هذين الوقتين بالذكر، لأن الإنسان يكون أغْفَل ما يكون فيهما، فمجيء العذاب فيهما أفظع وأشد.
قوله تعالى:{أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأعراف : ٩٨]، أي:" أم هل أمنوا أن يأتيهم عذابنا ونكالنا نهاهراً جهاراً وهم يلهون ويشتغلون بما لا يُجدي كأنهم يلعبون؟"[٥].
عن أبي عمران الشقري، قال: "كان ابن عباس يقول: لا تتخذوا الدجاج والكلاب فتكونوا من أهل القرى، وتلا: {أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون}"[٦].
الفوائد:

وابن الصلاح..
[١] صفوة التفاسير:٤٢٨/١.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٧):ص١٥٢٨/٥.
[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٨):ص١٥٢٨/٥.
[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٩):ص١٥٢٨/٥.
[٥] صفوة التفاسير:٤٢٨/١.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٧٠):ص١٥٣٩/٥.

١- عدم الأمن من مكر الله، فقوله: {ضحى وهم يلعبون} يدل أيضا على كمال الأمن والرخاء وعدم الضيق؛ لأنه لو كان عندهم ضيق في العيش؛ لذهبوا يطلبون الرزق والعيش، وما صاروا في الضحى- في رابعة النهار- يلعبون.

٢- ومن فوائد الآية والتي قبلها: أن الله لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل المتمادين في الكفر والمعاصي؛ ذكر أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، ومكر الله هو أنه إذا عصاه العبد وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن العبد أنها من رضى الله عنه وهي استدراج له؛ فهؤلاء الكفرة أمنوا مكر الله بهم لمَّا استدرجهم بالسراء والنعم، وعصوا رسلهم، وتمادوا في المعاصي، حتى أهلكهم الله، وحذر من جاء بعدهم أن يفعل مثل فعلهم فيصيبه ما أصابهم؛ فقال - سبحانه -: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} [الأعراف:١٠٠].

قال بعض العلماء: خوف العبد ينشأ من أمور هي:

أولاً: معرفته بالجناية وقبحها.

ثانيا: تصديقه بالوعيد، وأن الله رتب على المعصية عقوبتها.

ثالثا: كونه لا يعلم؛ لعله يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها إذا ارتكب الذنب.

وبهذه الثلاثة يتم له الخوف قبل الذنب وبعده، ويكون خوفه أشد.

وكان الأنبياء عليهم السلام لا ينقطع أملهم بالله أبداً، ولا ييأسون من رحمة الله في جميع الأحوال، مهما اشتد الخطب وضعفت الأسباب.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة بالولد مع كبر سنه وحال زوجه التي يستبعد معها حصول الولد؛ قال عند ذلك: {وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ} [الحجر:٥٦]، لأنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك وأعظم، لكنه قال للملائكة: {أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر:٥٤]، قال ذلك على وجه التعجب والتفكر في عظيم قدرة الله ورحمته.

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام، لما أشتد به الأمر، وتأزم الحال بفراق بنيه؛ عظم رجاؤه بالله وطمعه برحمته، وقال لبنيه الحاضرين عنده: {يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧]، وقال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً} [يوسف:٨٣].

وهذا نبيا محمد ﷺ قال الله عنه: {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}[التوبة:٤٠]، فعظم رجاؤه عند الشدة، ويقول: "واعلم أن الفرج مع الكرب"[(١)].

والله - سبحانه - ينهى عباده الذي كثرت ذنوبهم وعظمت جرائمهم أن يحملهم ذلك على القنوط من رحمته وترك التوبة منها؛ قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمر، الآيتان: ٥٣ - ٥٤]، فنهى - سبحانه - عباده - أن تحملهم كثرة ذنوبهم على ترك التوبة واليأس من المغفرة.

وقد عد النبي ﷺ اليأس من روح الله من الكبائر؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر؟ فقال: "الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله"[(٢)].

---

(١) أخرجه الفريابي (١٥٤) والعقيلي (٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨) والطبراني في "الكبير" (١١٢٤٣) وفي "الدعاء" (٤١) والحاكم (٣/ ٥٤٢) وأبو نعيم في "الصحابة" (٤٢٨٤) والقضاعي (٧٤٥) والبيهقي في "الآداب" (١٠٧٣) والشجري في "أماليه" (٢/ ١٩٤ - ١٩٥).

(٢) مجمع الزوائد(٣٩١):ص١٠٤/١، رواه البزار والطبراني، ورجاله موثقون.

وعن ابن مسعود؛ قال: "أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله"[1]؛ لأن القنوط من رحمة الله سوء ظن بالله، وجهل بسعة رحمته ومغفرته، والأمن من مكر الله جهل بالله وبقدرتهن وثقة بالنفس، وإعجاب بها، وفي ذلك تنبيه على أن يكون العبد دائما بين الخوف والرجاء، فإذا خاف؛ فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله، وإذا رجا؛ فلا يتمادى به الرجاء حتى يأمن العقوبة.

وكان بعض السلف يستحبون للعبد أن يقوي في حال الصحة جانب الخوف، وفي حالة المرض وعند الموت جانب الرجاء.

فتوازن القلب بين الخوف والرجاء يدفع على العمل الصالح والبعد عن المعاصي والتوبة من الذنوب، أما إذا اختل توازن القلب، فمال إلى جانب واحد؛ فإن هذا مما يعطل حركة العمل، ويعرقل سبيل التوبة، ويوقع الهلاك.

وفيما قصه الله عن الأمم السابقة التي عطلت جانب الخوف فحل بها عقاب الله خير مذكر لأهل الإيمان.

فها هم قوم هود يقولون له: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ} [الشعراء، الآيات: ١٣٦ - ١٣٩].

والخوف والرجاء من أعظم أنواع العبادات، يجب إخلاصهما لله - عز وجل، والإخلال بهما إخلال بالتوحيد وإفساد للعقيدة[2].

القرآن

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)} [الأعراف : ٩٩]

التفسير:

أفأمن أهل القرى المكذبة مَكْرَ الله وإمهاله لهم؛ استدراجًا لهم بما أنعم عليهم في دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون.

قوله تعالى:{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} [الأعراف : ٩٩]، أي:" أفأمن أهل القرى المكذبة مَكْرَ الله وإمهاله لهم؛ استدراجًا لهم بما أنعم عليهم في دنياهم عقوبة لمكرهم؟"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أفأمن، يا محمد هؤلاء الذين يكذّبون الله ورسوله، ويجحدون آياته، استدراجَ الله إيّاهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحّة الأبدان ورخاء العيش، كما استدرج الذين قصَّ عليهم قصصهم من الأمم قبلهم"[4].

قوله تعالى:{فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف : ٩٩]، أي:" فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون"[5].

قال الطبري:" فإنّ مكر الله لا يأمنه، يقول: لا يأمن ذلك أن يكون استدراجًا، مع مقامهم على كفرهم، وإصرارهم على معصيتهم، {إلا القوم الخاسرون} وهم الهالكون"[6].

عن هشام بن عروة، قال: " كتب رجل إلى صاحب له: وإذا رضيت من الله شيئا يسرك فلا تأمن أن يكون فيه من الله مكر {فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} [الأعراف: ٩٩]"[7].

---

(١) مجمع الزوائد(٣٩٢):ص١/١٠٤، وفي رواية: أكبر الكبائر. وإسناده صحيح.

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: ٧١-٧٣.

(٣) التفسير الميسر:١٦٣.

(٤) تفسير الطبري:٥٧٨/١٢.

(٥) التفسير الميسر:١٦٣.

(٦) تفسير الطبري:٥٧٨/١٢.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.

عن ابن زيد، عن أبيه:" أن الله، تبارك وتعالى قال للملائكة: ما هذا الخوف الذي قد بلغكم وقد أنزلتكم المنزلة التي لم أنزلها غيركم؟ فقالوا: «ربنا لا نأمن مكرك، لا يأمن مكرك إلا القوم الخاسرون»"[١].

عن إسماعيل بن رافع، قال: "من الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة"[٢].

الفوائد:

١- حرمة الأمن من مكر الله تعالى، لأنه لا سبيل لأحد من المؤمنين إلى القطع بأنه قد أمن عذاب الله، ولأن الأمور بعواقبها ولا يدري أحد بماذا يختم له.

٢- أنه إذا أمنت الأمة مكر الله تهيأت للخسران وحل بها لا محالة.

٣- أنه يجب على العبد أن يكون خائفا من الله، راجيا له راغبا راهبا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، إن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها، وخاف من ردها بتقصيره في حقها، وإن ابتلي بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها، وخشي بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها، وعند النعم والمسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر، ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا، فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان[٣].

٤- ومن الفوائد: أن الأمن من مكر الله؛ والقنوط من رحمة الله منافيان لكمال التوحيد الواجب؛ وقد ينافيان أصله إذا استحكما.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران: أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصر عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله؛ لأجل أنه مقيم على الأسباب التي تمنع الرحمة، فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفا وخلقا لازما، وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد، ومتى وصل إلى هذا الحد لم يرج له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم، ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة، ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب، وتضعف إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها. فلو عرف هذا ربه ولم يخلد إلى الكسل، لعلم أن أدنى سعي يوصله إلى ربه، وإلى رحمته وجوده وكرمه.

وللأمن من مكر الله أيضا سببان مهلكان:

---

[١] أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.

[٣] انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد:٩٩.

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضا غافلا مقصرا عن الواجبات، منهمكا في المحرمات، حتى يضمحل خوف الله من قلبه، ولا يبقى في قلبه من الإيمان شيء؛ لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوي والأخروي.

السبب الثاني: أن يكون العبد عابدا جاهلا معجبا بنفسه مغرورا بعمله، فلا يزال به جهله حتى يدل بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية، فيصير آمنا من مكر الله متكلا على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق؛ إذ هو الذي جنى على نفسه. فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.

وكلاهما منافيان لكمال التوحيد، وقد ينافيان أصله إن صحبهما اعتقاد، كما في قوله تعالى {إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} [يوسف:٨٧].

والأمن والقنوط كلاهما متقابلتان، فلا يصح الإفراط في رجاء المغفرة بحيث يأمن عذاب الله! وأيضا لا يصح الإفراط في الخوف بحيث يقنط من مغفرة الله![١].

لذلك قال بعض أهل العلم أنهما كجناحي الطائر إذا اختل أحدهما عن الآخر سقط الطائر، وانظر قوله تعالى {أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب} [الزمر:٩].

وكقوله تعالى {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا} [الإسراء:٥٧].

والأمن من مكر الله: هو إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة، وفي الحديث "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب؛ فإنما هو استدراج، ثم تلا رسول الله ﷺ {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون} [الأنعام:٤٤]"[٢].

ومكر الله تعالى يتضمن أمرين: أحدهما: استدراج العاصي بالنعم. والثاني: أن يكون العاصي آمنا من كل جهة[٣].

القرآن

{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)} [الأعراف : ١٠٠]

التفسير:

أوَ لم يتبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيرًا؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا} [الأعراف : ١٠٠]، أي:" أوَ لم يتبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم"[٤].

قال البيضاوي:" أي: يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم"[٥].

---

[١] انظر: سنن الترمذي (٣٥٠٢) عن ابن عمر مرفوعا. صحيح الجامع (١٢٦٨).

[٢] صحيح. أحمد (١٧٣١١) عن عقبة بن عامر مرفوعا. الصحيحة (٤١٣).

[٣] انظر: التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد:٢٩٨، و القول السديد شرح كتاب التوحيد:١٢٢-١٢٣.

[٤] التفسير الميسر:١٦٣.

[٥] تفسير البيضاوي:٢٥/٣.

قال النسفي:" أى أو لم يهد الذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديراهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن"[١].

قال الطبري:" يقول: أوَلم يَبن للّذين يُسْتخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم كانُوا أهلها، فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا عن أمر ربهم"[٢].

قال ابن عباس: {أولم يهد}، " أولم يُبَيَّنْ"[٣].

وفي رواية أخرى:" أو لم يتبين لهم"[٤].

عن مجاهد، قوله:"{أولم يهد}، يبين"[٥]. وروي عن عطاء الخراساني مثل ذلك[٦].

قال السدي:"يقول: أولم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد أهلها، هم المشركون"[٧].

عن ابن زيد قوله: "{أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها}، أولم نُبَيِّنْ لهم، {أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم}، قال: و«الهدى»، البيان الذي بُعث هاديًا لهم، مبيِّنًا لهم حتى يعرفوا. لولا البيان لم يعرفُوا"[٨].

قرأ قتادة ويعقوب:«نهد»، بالنون على التعظيم، والباقون بالياء على التفريد[٩].

قوله تعالى:{أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} [الأعراف : ١٠٠]، أي:" أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم"[١٠].

قال البغوي:" أي: أخذناهم وعاقبناهم، {بذنوبهم} كما عاقبنا من قبلهم"[١١].

قال الطبري:" يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم، فأخذناهم بذنوبهم، وعجّلنا لهم بأسَنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الأرض، فأهلكناهم بذنوبهم"[١٢].

قال القاسمي:" أي: كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين"[١٣].

قوله تعالى:{وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأعراف : ١٠٠]، أي:" ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيرًا؟"[١٤].

قال القاسمي:" أي: نختم عليها فلا يقبلون موعظة ولا إيمانا"[١٥].

قال البغوي:" أي: "نختم {على قلوبهم فهم لا يسمعون} الإيمان ولا يقبلون الموعظة"[١٦].

قال الطبري:" يقول: ونختم على قلوبهم فهم {لا يسمعون}، موعظةً ولا تذكيرًا، سماعَ منتفع بهما"[١٧].

قال الشوكاني:" أي: ونحن نطبع على قلوبهم، على الاستئناف، ولا يصح عطفه على {أصبنا}، لأنهم ممن طبع الله على قلبه لعدم قبولهم للإيمان وقيل: هو معطوف على فعل مقدر

---

[١] تفسير النسفي:٥٨٩/١.
[٢] تفسير الطبري:٥٧٨/١٢.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٨٨٩):ص٥٨٠/١٢.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٨٩٠):ص٥٨٠/١٢.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٨٨٧):ص٥٨٠/١٢، و ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
[٦] انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٨٩١):ص٥٨٠/١٢.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٨٩٢):ص٥٨٠/١٢.
[٩] انظر: تفسير البغوي:٢٦٠/٣.
[١٠] التفسير الميسر:١٦٣.
[١١] تفسير البغوي:٢٦١/٣.
[١٢] تفسير الطبري:٥٧٨/١٢.
[١٣] محاسن التأويل:١٦٠/٥.
[١٤] التفسير الميسر:١٦٣.
[١٥] محاسن التأويل:١٦٠/٥.
[١٦] تفسير البغوي:٢٦١/٣.
[١٧] تفسير الطبري:٥٧٩/١٢-٥٨٠.

دل عليه الكلام، كأنه قيل: يغفلون عن الهداية ونطبع، وقيل: معطوف على{يرثون}، [و] قوله: {فهم لا يسمعون} جواب لو، أي: صاروا بسبب إصابتنا لهم بذنوبهم والطبع على قلوبهم لا يسمعون ما يتلوه عليهم من أرسله الله إليهم من الوعظ والإعذار والإنذار"[١].

الفوائد:

١- وجوب الاعتبار بما أصاب الأولين، وذلك بترك ما كان سببا لهلاكهم.

٢- ومن الفوائد: أن أن كل مصيبة تكون بالعباد من خير أو شر فالله عز وجل يصيبهم بها وقد كتب مصابهم في علم قد سبق وجرى به القلم، وفيه بطلان مذهب القدرية[٢].

٣- إن من أسباب الضلال حسب سنته سبحانه وتعالى ارتكاب الذنوب والمعاصي وذلك أن الذنوب سبب في صدأ القلب وتكون الران عليه الذي يمنع من دخول الإيمان إلى قلب صاحبه، قال تعالى:{إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[المطففين: ١٢ - ١٤]. أي ليس الأمر كما زعموا، ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الران الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا[٣]، ثم إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع فلا يكون للإيمان إليه مسلك ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تعالى في قوله:{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}[البقرة: ٧].

وجاء قوله تعالى مهدداً للذين يقترفون الذنوب والمعاصي بأن يطبع على قلوبهم فلا يدخلها الإيمان[٤].

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}[الأعراف، آية: ١٠٠].

ثم إن الذنوب والمعاصي سبب في مرض القلوب، لأن صحتها تكون بمعرفة الله وطاعته والإنابة إليه والتزام أمره واجتناب نعيمه وإيثاره على غيره ومحبته والتوكل عليه وإفراده بالعبودية دون سواه [٥]، فإذا تتابعت هذه الذنوب وتكاثرت اشتد مرض القلب، ثم لا تزال الذنوب بالقلب حتى تغلب عليه فيموت بالكلية، ومن مات قلبه فإنه لا ينتفع بالهدى ولا الإيمان ولا يسمع ولا يعقل ولا يبصر.

فالقرآن الكريم لا ينتفع به إلا من كان حياً أما من صار في عداد الأموات فإنه لا ينتفع به [٦].

قال تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِين}[يس: ٦٩ - ٧٠]، وقال تعالى:{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}[الأنعام: ٣٦].

القرآن

---

[١] فتح القدير:٢/٢٦٠.

[٢] انظر: الشريعة:٢٤٧.

[٣] انظر: تفسير ابن كثير :٤/ ٤٨٥، فتح القدير :٤/ ٤٠٠.

[٤] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإجتماعية:١/ ١١٩.

[٥] انظر: إغاثة اللهفان لابن القيم :١/ ٧، السنن الإلهية :١/ ١١٩.

[٦] انظر: السنن الإلهية:١/ ١١٩.

{تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)} [الأعراف : ١٠١]

التفسير:

تلك القرى التي تَقَدَّم ذِكْرُها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقصُّ عليك -أيها الرسول- من أخبارها، وما كان من أَمْر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت أهلَ القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل؛ بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق، ومثل خَتْمِ الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد ﷺ.

قوله تعالى:{تِلْكَ الْقُرَى} [الأعراف : ١٠١]، أي:" تلك القرى التي تَقَدَّم ذِكْرُها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هذه القرى التي ذكرت لك، يا محمد، أمَرها وأمر أهلها، يعني: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب"[٢].

قال ابن كثير:" لما قص تعالى على نبيه ﷺ خبر قوم نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب -عليهم الصلاة والسلام- وما كان من إهلاكه الكافرين وإنجائه المؤمنين ، وأنه تعالى أعذر إليهم بأن بين لهم الحق بالحجج على ألسنة الرسل ، صلوات الله عليهم أجمعين"[٣].

قوله تعالى:{نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا} [الأعراف : ١٠١]، أي:" نقصُّ عليك -أيها الرسول- من أخبارها، وما كان من أَمْر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين"[٤].

قال الطبري: أي:"فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها، وما كان من أمرهم وأمر رُسل الله التي أرسلت إليهم، لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا، ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذَّب رسل الله، فيرتدعوا عن تكذيبك، وينيبوا إلى توحيد الله وطاعته"[٥].

قال ابن كثير:" { مِنْ أَنْبَائِهَا }، أي : من أخبارها"[٦].

قال أبو العالية:" {أنباء}، يعني: أحاديث"[٧].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [الأعراف : ١٠١]، أي:" ولقد جاءت أهلَ القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولقد جاءت أهل القرى التي قصصت عليك نبأها،{رسلهم بالبينات}، يعني بالحجج: البينات"[٩].

قال ابن كثير:" أي : بالحجج على صدقهم فيما أخبروهم به ، كما قال تعالى : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا } [الإسراء : ١٥] وقال تعالى : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } [هود : ١٠١ ، ١٠٢]"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٣.
[٢] تفسير الطبري:٧/١٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٢/٣.
[٤] التفسير الميسر:١٦٣.
[٥] تفسير الطبري:٧/١٣.
[٦] تفسير ابن كثير:٤٥٢/٣.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٧٧):ص١٥٣٠/٥.
[٨] التفسير الميسر:١٦٣.
[٩] تفسير الطبري:٧/١٣.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٥٢/٣.

قوله تعالى:{فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ١٠١]، أي:" ما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل لتكذيبهم إياهم قبل مجيئهم بالمعجزات وبعد مجيئهم بها فحالهم واحد في العتو والضلال"[١].

قال ابن كثير:" الباء سببية ، أي : فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم. حكاه ابن عطية[٢]، رحمه الله ، وهو متجه حسن ، كقوله : { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُون} [الأنعام : ١١٠ ، ١١١]"[٣].

قال الزمخشري:" أي: استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين، لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات. ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر"[٤].

وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ١٠١]، وجوه:

أحدها : أن العهد الطاعة ، يريد : ما وجدنا لأكثرهم من طاعة لأنبيائهم ، لأنه قال بعده :{وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ}، وتكون{مِنْ} في هذا الموضع على هذا التأويل زائدة[٥].

والثاني: معنى ذلك: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل، بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صُلب آدم عليه السلام. وهذا قول الربيع[٦]، وأبي بن كعب[٧]، واختاره الطبري[٨].

قال الربيع بن أنس:" يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء، ويدعوا علمَ ما أخفى الله عليهم، فإن علمه نافذٌ فيما كان وفيما يكون، وفي ذلك قال: "ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين"، قال: نفذ علمه فيهم، أيُّهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في زمان آدم. وتصديق ذلك حيث قال لنوح: {اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[هود: ٤٨] ، وقال في ذلك: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الأنعام: ٢٨] ، وفي ذلك قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} [الإسراء: ١٥] ، وفي ذلك قال: {لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] ، ولا حجة لأحد على الله"[٩].

والثالث: معنى ذلك: {فما كانوا} لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله، {ليؤمنوا بما كذبوا من قبل} هلاكهم، كما قال جل ثناؤه: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}. وهذا قول مجاهد[١٠].

والرابع: معناه: فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذبوا من قبل ذلك، وذلك يوم أخذِ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام. وهذا قول السدي [١١].

---

[١] صفوة التفاسير:٤٢٨/١.

[٢] انظر: المحرر الوجيز:٤٣٤/٢، وفيه:" يريد أن الرسول جاء لكل فريق منهم فكذبوه لأول أمره ثم استبانت حجته وظهرت الآيات الدالة على صدقه مع استمرار دعوته فلجّوا هم في كفرهم ولم يؤمنوا بما تبين به تكذيبهم من قبل، وكأنه وصفهم على هذا التأويل باللجاج في الكفر والصرامة عليه ويؤيد هذا قوله: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكافِرِينَ}".

[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٢/٣.

[٤] الكشاف:١٣٥/٢.

[٥] انظر: النكت والعيون:٢٤٤/٢.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٣):ص٨/١٣-٩.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٢):ص٨/١٣.

[٨] انظر: تفسير الطبري:٩/١٣.

[٩] أخرجه الطبري(١٤٩٠٣):ص٨/١٣-٩.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٤):ص٩/١٣.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠١):ص٨/١٣.

قال الطبري:والصواب" القولُ الذي ذكرناه عن أبيّ بن كعب والربيع. وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبدًا، وقد كان سبق في علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التي قص نبأهم في هذه السورة، أنه لا يؤمن أبدًا، فأخبر جل ثناؤه عنهم، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه، قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم. ولو قيل: تأويله: فما كان هؤلاء الذين وَرِثوا الأرض، يا محمد، من مشركي قومك من بعد أهلها، الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده كان وجهًا ومذهبًا، غير أني لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن"[1].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ} [الأعراف : ١٠١]، أي:" مثل ذلك الطبع الشديد المحكم نطبع على قلوب الكافرين فلا يكاد يؤثر فيهم النُّذر والآيات"[2].

الفوائد:

١- تقرير الوحي الإلهي وإثبات نبوة محمد ﷺ، لأنه ما قص من أنباء الأولين لا يتلقى إلا بوحي إلهي ولا يتلقى عن الله تعالى إلا رسول أعد لذلك.
٢- وجود البينات مهما كانت قوية واضحة غير كاف في إيمان من لم يشأ الله هدايته.
٣- المؤمن من آمن في الأزل، والكافر من كفر فيه.
٤- الطبع على قلوب الكافرين سببه اختيارهم للكفر والشر والفساد وإصرارهم على ذلك كيفما كانت الحال.

القرآن

{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)} [الأعراف : ١٠٢]

التفسير:

وما وَجَدْنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتثال أمره.

قوله تعالى:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ} [الأعراف : ١٠٢]، أي:" وما وَجَدْنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره:ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك، يا محمد، نبأها، من وفاء بما وصيناهم به، من توحيد الله، واتباع رسله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيه، وهجر عبادة الأوثان والأصنام"[4].

قال ابن كثير:" أي : لأكثر الأمم الماضية"[5].

وفي المراد بـ«العهد» هنا، ثلاثة أقاويل .

أحدها : الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم. وهذا قول وأبي بن كعب[6]، وأبي العالية[7].

العالية[7].

والثاني : ما جعله الله في عقولهم من وجوب شكر النعمة ، وأن الله هو المنعم ، قاله علي بن عيسى[8].

والثالث : أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن العهد الوفاء. قاله الحسن[1].

---

[1] تفسير الطبري:١٠/١٣.
[2] صفوة التفاسير:٤٢٨/١.
[3] التفسير الميسر:١٦٣.
[4] تفسير الطبري:١٠/١٣.
[5] تفسير ابن كثير:٤٥٣/٣.
[6] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٧):ص١١/١٣.
[7] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٨١):ص١٥٣٠/٥.
[8] انظر: النكت والعيون:٢٤٤/٢.

قوله تعالى:{وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٠٢]، أي:" ، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتثال أمره"[٢].

قال الطبري:" يقول: وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة ربهم، تاركين عهده ووصيته"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ولقد وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والامتثال. والعهد الذي أخذه عليهم هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه ، وأخذ عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم ، وأنه لا إله إلا هو ، فأقروا بذلك ، وشهدوا على أنفسهم به ، فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم ، وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة ، لا من عقل ولا شرع ، وفي الفطر السليمة خلاف ذلك ، وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك ، كما جاء في صحيح مسلم يقول الله تعالى : «إني خلقت عبادي حُنَفَاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحَرّمَتْ عليهم ما أحللتُ لهم»[٤]. وفي الصحيحين : «كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»[٥] الحديث. وقال تعالى في كتابه العزيز : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء : ٢٥] وقال تعالى : { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } [الزخرف : ٤٥] وقال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل : ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات"[٦].

عن مجاهد: "{وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين}، قال: القرون الماضية"[٧].

قال ابن عباس:" وذلك أن الله إنما أهلك القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به"[٨].

الفوائد:

١- في الآية دليل على أن الناجي من الأمم هم القليل، والأكثرون غلبت عليهم الطبائع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا، قال تعالى: "{وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين}.
قال - ﷺ - كما في حديث ابن عباس: «عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد»[٩].

٢- ومن الفوائد: أن الكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن إتباعه - يعني: إذا كان الأكثر على عدم الحق لا يستوجب ذلك ترك الحق لأن الأكثر على خلافه، - فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن إتباعه لمن كان له بصيرة وقلب، فالحق أحق أن يتبع وإن قل أنصاره، وأخبر الله عن أهل الحق أنهم قليل غير أن القلة لا تضرهم، فمن له بصيرة ينظر إلى الدليل، ويأخذ ما يستنتجه البرهان، وإن قَلَّ العارفون

---

[١] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٨٣):ص١٥٣١/٥، والنكت والعيون:٢٤٤/٢.
[٢] التفسير الميسر:١٦٣.
[٣] تفسير الطبري:١٠/١٣.
[٤]أخرجه الطبرانى (٣٥٨/١٧، رقم ٩٨٧) وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٢٦/٥، رقم ٨٠٧٠) ، والبزار (٤١٩/٨، رقم ٣٤٩١) .
وللحديث أصله عند مسلم بطرف: "ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم".
[٥] الحديث:" كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه ": أخرجه أبو يعلى (٢٤٠/٢، رقم ٩٤٢) ، والطبرانى (٢٨٣/١، رقم ٨٢٨) ، والبيهقى (٢٠٣/٦، رقم ١١٩٢٣) . وأخرجه أيضا: ابن عدى (٤٣٤/٢) .
وللحديث طرف آخر: "ما بال أقوام جاوزهم القتل اليوم حتى قتلوا الذرية".
[٦] تفسير ابن كثير:٤٥٣/٣.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٩٠٥):ص١١/١٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٩٠٨):ص١١/١٣.
[٩]أخرجه أحمد (٢٧١/١، رقم ٢٤٤٨) ، والبخارى (٢١٧٠/٥، رقم ٥٤٢٠) ، ومسلم (١٩٩/١، رقم ٢٢٠) . وأخرجه أيضا: الترمذى (٦٣١/٤، رقم ٢٤٤٦) وقال: حسن صحيح. والنسائى فى الكبرى (٣٧٨/٤، رقم ٧٦٠٤) ، وابن حبان (٣٣٩/١٤، رقم ٦٤٣٠).

به المنقادون له، ومن أخذ ما عليه الأكثر وما ألفته العامة من غير نظر الدليل فهو مخطئ سالك سبيل الجاهلية مقدوح عند أهل البصائر[1].

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)} [الأعراف : ١٠٣]

التفسير:

ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذِكْرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا، فانظر -أيها الرسول- متبصرًا كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك نهاية المفسدين.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [الأعراف : ١٠٣]، أي:" ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذِكْرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، موسى بن عمران، {بآياتنا إلى فرعون وملئه} يقول: بحججنا وأدلتنا إلى جماعة فرعون من الرجال"[3].

قال ابن كثير:" أي : الرسل المتقدم ذكرهم ، كنوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر أنبياء الله أجمعين. { مُوسَى بِآيَاتِنَا } أي : بحججنا ودلائلنا البينة إلى { فِرْعَوْنَ } وهو ملك مصر في زمن موسى ، { وَمَلَئِهِ } أي : قومه"[4].

قال مجاهد:" كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر"[5].

عن ابن لهيعة: "أن فرعون كان من أبناء مصر"[6].

قال محمد بن المنكدر: "عاش فرعون ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لم ير فيها ما يقذي عينه ودعاه موسى ثمانين سنة"[7].

قوله تعالى:{فَظَلَمُوا بِهَا} [الأعراف : ١٠٣]، أي:" فجحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا"[8].

قال الطبري:" يقول: فكفروا بها، وإنما جاز أن يقال: {فظلموا بها} بمعنى: كفروا بها، لأن الظلم وَضْعُ الشيء في غير موضعه، والكفر بآيات الله، وضع لها في غير موضعها، وصرف لها إلى غير وجهها الذي عُنِيت به"[9].

قال ابن كثير:" أي : جحدوا وكفروا بها ظلما منهم وعنادا ، كقوله تعالى { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } [النمل : ١٤]"[10].

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف : ١٠٣]، أي:" فانظر -أيها الرسول- متبصرًا كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك نهاية المفسدين"[11].

---

[1] انظر: شرح مسائل الجاهلية، الدرس(٤)/٢٤[كتاب ألكتروني].

[2] التفسير الميسر:١٦٣.

[3] تفسير الطبري:١٢/١٣.

[4] تفسير ابن كثير:٤٥٣/٣.

[5] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٧):ص١٥٣١/٥.

[6] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٨):ص١٥٣١/٥.

[7] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٦):ص١٥٣١/٥.

[8] التفسير الميسر:١٦٣.

[9] تفسير الطبري:١٢/١٣.

[10] تفسير ابن كثير:٤٥٣/٣.

[11] التفسير الميسر:١٦٣.

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد، بعين قلبك، كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الأرض؟ يعني فرعون وملأه، إذ ظلموا بأيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعًا في البحر"[١].

قال ابن كثير:" أي : الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله ، أي : انظر - يا محمد - كيف فعلنا بهم ، وأغرقناهم عن آخرهم ، بمرأى من موسى وقومه. وهذا أبلغ في النكال بفرعون وقومه ، وأشفى لقلوب أولياء الله - موسى وقومه - من المؤمنين به"[٢].

الفوائد:

١- بيان سوء عاقبة المفسدين بالشرك والمعاصي.

٢- أن الكفر والظلم أشنع الفساد في الأرض، لا لأنه يضر الله سبحانه، ولكن لأنه اعتداء على عقائد الناس وإفسادها حتى يسلس للطواغيت أن يتحكموا في رقاب العباد وتعبيدهم لهم من دون الله، كما حكى الله تعالى عن قول فرعون لموسى: {لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء:٢٩].

١- وليست الحياة على الأرض فقط متوقفة على الوحدانية، بل الكون كله بما فيه ومن فيه لا يستقيم أمره إلا بإله واحد مدبر له: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:٢٢].

القرآن

{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤)} [الأعراف : ١٠٤]

التفسير:

وقال موسى لفرعون محاورًا مبلِّغًا: إني رسولٌ من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبِّر أحوالهم ومآلهم.

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤)} [الأعراف : ١٠٤]، أي:" وقال موسى لفرعون محاورًا مبلِّغًا: إني رسولٌ من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبِّر أحوالهم ومآلهم"[٣].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: وقال موسى لفرعون: يا فرعون إنّي رسول من رب العالمين"[٤].

قال ابن كثير:" أي : أرسلني الذي هو خالقُ كل شيء وربه ومليكه"[٥].

قال ابن عباس:" ما زاده إلا رغما قال إني رسول من رب العالمين"[٦].

الفوائد:

١- تذكير موسى فرعون بأسلوب لطيف بأنه ليس ربا بل هناك رب العالمين وهو الله رب موسى وهارون والناس أجمعين.

٢- ومن فوائد الآية الكريمة: عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالم؛ لقوله تعالى: {العالمين}.

القرآن

{حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥)} [الأعراف : ١٠٥]

التفسير:

---

[١] تفسير الطبري:١٢/١٣-١٣.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٥٤/٣.

[٣] التفسير الميسر:١٦٣.

[٤] تفسير الطبري:١٢/١٣.

[٥] تفسير ابن كثير:٤٥٤/٣.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٩):ص١٥٣١/٥.

جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق، وحريٌّ بي أن ألتزمه، قد جئتكم ببرهان وحجة باهرة من ربكم على صِدْق ما أذكره لكم، فأطلق -يا فرعون- معي بني إسرائيل مِن أَسْرك وقَهْرك، وخلِّ سبيلهم لعبادة الله.

قوله تعالى:{حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} [الأعراف : ١٠٥]، أي:" جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق، وحريٌّ بي أن ألتزمه"[١].

قال ابن كثير:« فقال بعضهم : معناه : حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أي : جدير بذلك وحري به.

وقالوا و"الباء" و"على" يتعاقبان ، فيقال :رميت بالقوس، وعلى القوس، وجاء على حال حسنة، و بحال حسنة.

وقال بعض المفسرين : معناه : حريص على ألا أقول على الله إلا الحق.

وقرأ آخرون من أهل المدينة :{حَقِيقٌ عَلَيّ } بمعنى : واجب وحق عَلَيّ ذلك ألا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق ، لما أعلم من عز جلاله وعظيم سلطانه»[٢].

شدد نافع «الياء» وحده في {على}، ونصبها وخفف الباقون وأرسلوا «الياء»[٣].

قوله تعالى:{قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ١٠٥]، أي:" قد جئتكم ببرهان وحجة باهرة من ربكم على صِدْق ما أذكره لكم"[٤].

قال الطبري:" يقول: قال موسى لفرعون وملئه: قد جئتكم ببرهان من ربكم، يشهدُ، أيها القوم، على صحة ما أقول، وصدق ما أذكر لكم من إرسال الله إياي إليكم رَسولا "[٥].

قال ابن كثير:" أي : بحجة قاطعة من الله ، أعطانيها دليلا على صدقي فيما جئتكم به"[٦].

قوله تعالى:{فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الأعراف : ١٠٥]، أي:" فأطلق -يا فرعون- معي بني إسرائيل مِن أَسْرك وقَهْرك، وخلِّ سبيلهم لعبادة الله"[٧].

قال الرازي:" أي أطلق عنهم وخلهم "[٨].

قال الطبري:" فأرسل يا فرعون معي بني إسرائيل"[٩].

قال ابن كثير:" أي : أطلقهم من أسْرك وقهرك ، ودعهم وعبادة ربك وربهم ؛ فإنهم من سلالة نبي كريم إسرائيل ، وهو : يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن -عليهم صلوات الرحمن-"[١٠].

الفوائد:

١- تقرير مبدأ الصدق لدى الرسل عليهم السلام.

٢- يستفاد من قوله تعالى: :{فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}، أن فرعون كان قد استخدم بني إسرائيل "في الأعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب"[١١].

القرآن

{قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦)} [الأعراف : ١٠٦]

---

[١] التفسير الميسر:١٦٤.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٥٤/٣.

[٣] انظر: السبعة في القراءات:٢٨٧.

[٤] التفسير الميسر:١٦٤.

[٥] تفسير الطبري:١٤/١٣.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

[٧] التفسير الميسر:١٦٤.

[٨] مفاتيح الغيب:٣٢٧/١٤.

[٩] تفسير الطبري:١٤/١٣.

[١٠] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

[١١] مفاتيح الغيب:٣٢٧/١٤.

التفسير:
قال فرعون لموسى: إن كنتَ جئتَ بآية حسب زعمك فأتني بها، وأحضرها عندي؛ لتصحَّ دعواك ويثبت صدقك، إن كنت صادقًا فيما ادَّعيت أنك رسول رب العالمين.

قوله تعالى:{قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا} [الأعراف : ١٠٦]، أي:" قال فرعون لموسى: إن كنتَ جئتَ بآية حسب زعمك فأتني بها، وأحضرها عندي؛ لتصحَّ دعواك ويثبت صدقك"[١].

قال الطبري:" يقول: بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول"[٢].

قال ابن كثير:" أي : قال فرعون : لست بمصدقك فيما قلت ، ولا بمطيعك فيما طلبت ، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها"[٣].

قال الرازي:أي:" إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي"[٤].
عندي"[٤].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف : ١٠٦]، أي:" إن كنت صادقًا فيما ادَّعيت أنك رسول رب العالمين"[٥].

قال ابن كثير: أي : " إن كنت صادقًا فيما ادعيت"[٦].

قال الرازي:أي: "ليصح دعواك ويثبت صدقك"[٧].

قال ابن عباس:" فقال فرعون لموسى: ما تريد؟ قال: أريد أن تؤمن بالله، وأن ترسل معي بني إسرائيل فأبى عليه ذلك وقال: آتي بآية إن كنت من الصادقين"[٨].

الفوائد:
١- أن موسى -عليه السلام- أظهر الدليل على صدقه، وهي إلقاء العصا فتنقلب ثعبانًا، وإدخال يده في جيبه فتخرج بيضاء متلألئة من غير سوء. ولكن فرعون وقومه استمروا في طغيانهم واستكبروا عن طاعة رسول الله، بل ونسبوا إليه السحر.
٢- أهمية البرهان والأدلة لإثبات صدق الدعوى.

القرآن
{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧)} [الأعراف : ١٠٧]
التفسير:
فألقى موسى عصاه، فتحولت حيَّة عظيمة ظاهرة للعيان.

قوله تعالى:"{فَأَلْقَى عَصَاهُ} [الأعراف : ١٠٧]، أي:" فألقى موسى عصاه"[٩].

قال الحكم: "كانت عصى موسى -عليه الصلاة والسلام- من عوسج ولم يسخر العوسج لأحد بعده"[١٠].

قال وهب بن منبه: "لما دخل موسى على فرعون، قال له فرعون: أعرفك؟ قال: نعم! قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا؟ [سورة الشعراء: ١٨] . قال: فرد إليه موسى الذي ردَّ، فقال فرعون:

---

(١) التفسير الميسر:١٦٤.
(٢) تفسير الطبري:١٤/١٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.
(٤) مفاتيح الغيب:٣٢٧/١٤.
(٥) التفسير الميسر:١٦٤.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.
(٧) مفاتيح الغيب:٣٢٧/١٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٠):ص١٥٣٢/٥.
(٩) التفسير الميسر:١٦٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص١٥٣٢/٥.

خذوه! فبادره موسى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، فحملت على الناس فانهزموا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا، قتل بعضُهم بعضًا، وقام فرعون منهزمًا حتى دخل البيتَ"[1].

قال ابن كثير-بعد أن ذكر الخبر السابق عن وهب بن منبه-:" وفيه غرابة في سياقه والله أعلم"[2].

قوله تعالى:"{فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} [الأعراف : ١٠٧]، أي:" فتحولت حيَّة عظيمة ظاهرة للعيان"[3].

قال الطبري:" يعني حية {مبين}، يقول: تتبين لمن يراها أنها حية"[4].

قال قتادة:" تحولت حية عظيمة"[5].

عن ابن عباس :قوله: {ثعبان مبين}، قال: "الحية الذكر"[6]. وروي عن الضحاك مثله[7].

قال ابن عباس:" فألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها، مسرعة إلى فرعون، فلما رآها فرعون أنها قاصدة إليه خافها فاقتحم على سريره، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل"[8].

وأخرج الطبري عن ابن عباس:" ألقى العصا فصارت حية، فوضعت فُقْمًا لها أسفل القبة، وفُقْمًا لها أعلى القبة قال عبد الكريم، قال إبراهيم: وأشار سفيان بأصبعه الإبهام والسبابة هكذا: شِبْه الطاق، فلما أرادت أن تأخذه، قال فرعون: يا موسى خذها! فأخذها موسى بيده، فعادت عصا كما كانت أول مرة"[9].

قال السدي:" والثعبان: الذكر من الحيات، فاتحةً فاها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رأها ذُعِر منها، ووثب فأحدث، ولم يكن يُحْدِث قبل ذلك، وصاح: يا موسى، خذها وأنا مؤمن بك، وأرسل معك بنى إسرائيل! فأخذها موسى فعادت عصًا"[10].

وعن مجاهد في قوله: "{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [سورة طه: ٢٠] ، قال: ما بين لَحْيَيها أربعون ذراعًا"[11].

الفوائد:

١- ظهور آية العصا لموسى-عليه السلام-.
٢- أن دلالة المعجزات هي من أقوى الدلالات وأوضح الآيات لجمعها بين أمرين واضحين لم يكن نزاع المبطلين إلا فيهما أو في أحدهما وهما الحدوث الضروري والمخالفة للطبائع والعادات.

القرآن

{وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)} [الأعراف : ١٠٨]

التفسير:

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٩١٥):ص١٣/١٦-١٧، وابن أبي حاتم(٨٧٩٢):ص٥/١٥٣٢.
[2] تفسير ابن كثير:٣/٤٥٥.
[3] التفسير الميسر:١٦٤.
[4] تفسير الطبري:١٣/١٥.
[5] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٥):ص٥/١٥٣٢.
[6] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٤):ص٥/١٥٣٢.
[7] انظر: تفسير الطبري(١٤٩١٧):ص١٣/١٧.
[8] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٣):ص٥/١٥٣٢.
[9] تفسير الطبري(١٤٩١٢):ص١٣/١٦.
[10] أخرجه الطبري(١٤٩١١):ص١٣/١٥-١٦.
[11] أخرجه الطبري(١٤٩١٦):ص١٣/١٧.

وجذب يده من جيبه أو من جناحه فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص آية لفرعون، فإذا ردَّها عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

قوله تعالى:{وَنَزَعَ يَدَهُ} [الأعراف : ١٠٨]، أي:" وأخرج يده من جيبه"[١].

قال الطبري:" يقول: وأخرج يده"[٢].

قال ابن عباس:" فأخرج يده من جيبه"[٣].

قال ابن كثير:" أي : نزع يده : أخرجها من درعه بعد ما أدخلها فيه"[٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [الأعراف : ١٠٨]، أي:" فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص"[٥].

قال مجاهد:" بيضاء من غير برص"[٦].

قال السدي:" وكان موسى رجلا آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء، أشد بياضا اللبن {من غير سوء}، قال: من غير برص، آيةً لفرعون"[٧].

قال ابن عباس:" أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء، يعني: من غير برص ثم أعادها إلى كمّه، فعادت إلى لونها الأول"[٨].

قال ابن كثير:أي:" فخرجت بيضاء تتلألأ من غير بَرَص ولا مرض ، كما قال تعالى : { وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } [النمل : ١٢] "[٩].

قال الطبري:أي:"فإذا هي بيضاء تلوح لمن نظر إليها من الناس، وكان موسى، فيما ذكر لنا، آدمَ، فجعل الله تحوُّل يده بيضاء من غير برص، له آية، وعلى صدق قوله: {إني رسول من رب العالمين}، حجة"[١٠].

الفوائد:

١- ظهور آية اليد لموسى-عليه السلام-.

٢- أن السحر وما يجري مجراه مختص بمن عمل له حتى أن أهل هذا الحرف إذا استدعاهم الملوك ليصنعوا لهم هذه الأمور يطلبون منهم أن يكتب أسماء كل من يحضر ذلك المجلس، فيصنعون صنيعتهم لمن سمي لهم، فإن حضر غيرهم لا يرى شيئاً مما يراه الذي سموا.

قال العلماء: وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [الأعراف/١٠٨ والشعراء/٣٣]. أي: لكل ناظر ينظر إليها، ففارقت بذلك السحر والسيميا وهذا فرق عظيم[١١].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩)} [الأعراف : ١٠٩]

التفسير:

---

[١] صفوة التفاسير:٤٢٩/١.

[٢] تفسير الطبري:١٧/١٣.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٣/٥.

[٤] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

[٥] التفسير الميسر:١٦٤.

[٦] أخرجه الطبري(١٤٩٢٠):ص١٨/١٣.

[٧] أخرجه الطبري(١٤٩٢٣):ص١٨/١٣.

[٨] أخرجه الطبري(١٤١٨):ص١٧/١٣، و ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٣/٥. أعطاه المحقق نفس الرقم الخبر السابق.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

[١٠] تفسير الطبري:١٧/١٣.

[١١] انظر: الإعلام بقواطع الإسلام، شهاب الدين شيخ الإسلام: ٢٣٨.

قال الأشراف من قوم فرعون: إن موسى لساحر يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم أن العصا حية، والشيء بخلاف ما هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١٠٩]، أي:" قال الأشراف من قوم فرعون"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : قال الملأ - وهم الجمهور والسادة من قوم فرعون - موافقين لقول فرعون فيه ، بعد ما رجع إليه رَوْعه ، واستقر على سرير مملكته بعد ذلك "[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} [الأعراف : ١٠٩]، أي:" إن موسى لساحر واسع العلم بالسحر ماهر به"[٤].

قال المراغي:" أي: ماهر فى فنون السحر"[٥].

قال الطبري:« يعنون موسى صلوات الله عليه، أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم العصا حية، والآدم أبيض، والشيء بخلاف ما هو به. ومنه قيل: "سَحر المطرُ الأرضَ"، إذا جادها، فقطع نباتها من أصوله، وقلب الأرض ظهرًا لبطن، فهو يَسْحَرُها سَحْرًا"، و"الأرض مسحورة"، إذا أصابها ذلك. فشبه "سحر الساحر" بذلك، لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به، ومنه قول ذي الرمة في صفة السراب[٦]:

وَسَاحِرَةِ العُيُونِ مِنَ المَوَامِي تَرَقَّصُ في نَوَاشِرِهَا الأرُومُ

وقوله {عليم}، يقول: ساحر عليم بالسحر»[٧].

قال ابن عباس:" فاستشار الملأ فيما رأى، فقالوا: هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم"[٨].

قال ابن كثير:" فوافقوه-أي: فرعون- وقالوا كمقالته"[٩].

الفوائد:

١- جهل الملأ بالآيات أدى بهم إلى أن قالوا إن موسى ساحر عليم.

---

[١] التفسير الميسر:١٦٤.

[٢] تفسير الطبري:١٨/١٣.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

[٤] التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

[٥] تفسير المراغي:٢٥/٩.

[٦]ديوانه: ٥٩١، واللسان (أرم) ، بهذه الرواية، أما رواية الديوان فهي: وَسَاحِرَةِ السَّرَابِ مِنَ المَوَامِي ... تَرَقَّصُ فِي عَسَاقِلِهَا الأُورُومُ

تَمُوتُ قَطَا الفَلاةِ بِهَا أُوَامًا ... وَيَهْلِكُ فِي جَوَانِبِهَا النَّسِيمُ

بِهَا غُدُرٌ، وَلَيْسَ بِهَا بَلالٌ ... وَأَشْبَاحٌ تَحُولُ وَلا تَرِيمُ

وهذا شعر غاية! ، والرواية التي هنا هي رواية أبي عبيدة في مجاز القرآن. ورواية أبي عمرو بن العلاء: ((نواشرها)) . وكان في المطبوعة: ((نواشزها)) بالزاي، وهي في المخطوطة غير منقوطة. و ((الموامى)) جمع موماة، وهي المفازة الواسعة الملساء، لا ماء بها ولا أنيس. و ((العساقل)) جمع ((عسقلة)) ، و ((العساقيل)) جمع ((عسقول)) ، وهي قطع السراب التي تلمع وتتريع لعين الناظر. و ((الأوروم)) جمع إرم، وهي الأعلام، وقيل: هي قبور عاد وإرم. ورواية ديوانه ((وساجرة)) بالجيم، أي مملوءة من السراب. يصف السراب وهو يترجرج، فترى الحجارة والأعلام ترتفع فيه وتنخفض، وهو يتحرك بها. وأما رواية أبي جعفر ((ترقص في نواشرها)) ، فلم أجد له تفسيرًا عند أحد من شراح الشعر، أو في كتب اللغة. وظني أنه يعني به السراب كما قال ((في عساقلها)) ، وإنها من ((نشر الشيء)) بسطه ومده، وعنى به ما يمتد من السراب وينبسط.

[٧] تفسير الطبري:١٨/١٣-١٩.

[٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٧):ص١٥٣٣/٥.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣.

٢- ومن الفوائد: أن السحر : متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرا وخبرا[١].

القرآن

{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)} [الأعراف : ١١٠]

التفسير:

يريد أن يخرجكم جميعًا من أرضكم، قال فرعون: فبماذا تشيرون عليَّ أيها الملأ في أمر موسى؟

قوله تعالى:{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ} [الأعراف : ١١٠]، أي:" يريد أن يخرجكم جميعًا من أرضكم بسحره"[٢].

قال الطبري:" يريد: أرض مصر، معشر القبط السحرة"[٣].

قال السدي:" يستخرجكم من أرضكم"[٤].

قوله تعالى:{فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الأعراف : ١١٠]، أي:" فبماذا تشيرون عليَّ أيها الملأ في أمر موسى؟"[٥].

قال الطبري:"يقول: فأي شيء تأمرون أن نفعل في أمره؟ بأي شيء تشيرون فيه؟"[٦].

قال ابن كثير:" وتشاوروا في أمره ، وماذا يصنعون في أمره ، وكيف تكون حيلتهم في نوره وإخماد كلمته ، وظهور كذبه وافترائهم ، وتخوفوا من معرفته أن يستميل الناس بسحره فيما يعتقدون فيكون ذلك سببا لظهوره عليهم ، وإخراجه إياهم من أرضهم والذي خافوا منه وقعوا فيه ، كما قال تعالى : { وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص : ٦]"[٧].

الفوائد:

١- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسيا بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتهانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وإبراهيم عليهم السلام.

٢- فضيحة فرعون حيث نسي دعواه الربوبية، فاستشار الملأ في شأنه، إذ الرب الحق لا يستشير عباده فيما يريد فعله لأنه لا يجهل ما يحدث مستقبلا.

قال الرازي:" الآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبدا ذليلا مهينا عاجزا وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى عليه السلام وتدل أيضا على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان وإلا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال من فرعون لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان فلم لم يقلبوا التراب ذهبا ولم لم ينقلوا ملك فرعون إلى أنفسهم ولم لم يجعلوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل والأكاذيب"[٨].

---

[١] انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول:٥٤٤/٢.

[٢] التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

[٣] تفسير الطبري:٢٠/١٣.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٣/٥.

[٥] التفسير الميسر:١٦٤.

[٦] تفسير الطبري:٢٠/١٣.

[٧] تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.

[٨] مفاتيح الغيب:٣٣٤/١٤.

٣- أن الملأ من قوم فرعون كانوا يحرضون فرعون على موسى وقومه، وأنهم يعيثون في الأرض فسادًا وتركوا عبادتك وتمرّدوا على سلطانك، فقرر فرعون تقتيل الأبناء واستحياء النساء؛ أبناء المؤمنين ونساؤهم، قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف: ١٢٧].

فأخذ موسى عليه السلام يحثّ قومه ويأمرهم بالصبر والاستعانة بالله حتى يفرّج الله سبحانه وتعالى عنهم ما هم فيه من البلاء ويجعل لهم مخرجًا {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف: ١٢٨].

القرآن

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)} [الأعراف : ١١١]

التفسير:

قال مَن حضر مناظرة موسى مِن سادة قوم فرعون وكبرائهم: أَخِّر موسى وأخاه هارون، وابعث في مدائن «مصر» وأقاليمها الشُّرَط.

قوله تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} [الأعراف : ١١١]، أي:" قال مَن حضر مناظرة موسى مِن سادة قوم فرعون وكبرائهم: أَخِّر موسى وأخاه هارون"[١].

قال ابن عباس:" يقول: أخره وأخاه"[٢].

وقال قتادة:" احبسه وأخاه"[٣].

قال الطبري:" «الإرجاء»: في كلام العرب التأخير. يقال منه: "أرجيت هذا الأمر"، أرجأته"، إذا أخرته. ومنه قول الله تعالى: {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ}[سورة الأحزاب: ٥١] تؤخر، فالهمز من كلام بعض قبائل قيس، يقولون: "أرجأت هذا الأمر"، وترك الهمز من لغة تميم وأسد، يقولون: "أرجيته"»[٤].

وسمي «المرجئة» بذلك، لأنهم أخروا العمل عن الإيمان وقالوا العمل ليس جزءا من الإيمان[٥].

قرأ ابن كثير« أرجئه وأخاه» مهموزا بواو بعد الهاء فى اللفظ، وقرأ أبو عمرو مثله غير أنه كان يضم الهاء ضمة من غير أن يبلغ بها الواو وقرأ نافع «أرجه» بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء ولا يهمز. هذه رواية المسيبي وقالون.

وروى ورش عنه «أرجه» يجر الهاء ويصلها بياء ولا يهمز بين الجيم والهاء وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع[٦].

قوله تعالى:{وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الأعراف : ١١١]، أي:" وابعث في مدائن «مصر» وأقاليمها الشُّرَط"[٧].

قال الطبري:" يقول: من يحشرُ السحرة فيجمعهم إليك، وقيل: هم الشُّرَط"[٨].

قال المراغي:" أي: جامعين لك السحرة منها وسائقيهم إليك"[٩].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٤.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٠):ص١٥٣٣/٥.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص١٥٣٣/٥.

[٤] تفسير الطبري:١٣/٢٠-٢١.

[٥] انظر: لتحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية:١٠١.

[٦] انظر: السبعة في القراءات:٢٨٧.

[٧] التفسير الميسر:١٦٤.

[٨] تفسير الطبري:٢٣/١٣.

[٩] تفسير المراغي:٢٥/٩.

قال أبو السعود:" قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى مدائن الصعيد"[1].

قال أبو هلال العسكري: "«الحشر»: هو الجمع مع السوق، والشاهد قوله تعالى: {قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين} [الشعراء: ٣٦]، أي: ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك، ومنه يوم الحشر لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف"[2].

عن ابن عباس في قوله: "{في المدائن حاشرين}، قال: الشُّرَط "[3]. وروي عن مجاهد[4]، والسدي[5] مثل ذلك.

قال ابن عباس:" وكانت السحرة يخشون من فرعون فلما أرسل إليهم قال: قد احتاج إليكم إلهكم، قال: إن هذا فعل كذا وكذا"[6].

وعن ابن عباس أيضا:" قالوا له، يعني: لفرعون: أجمع السحرة فإنهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرهم، فأرسل في المدائن فحشر له كل ساحر متعالم"[7].

قال ابن كثير:" وقد كان السحر في زمانهم غالبا كثيرا ظاهرا. واعتقد من اعتقد منهم ، وأوهم من أوهم منهم ، أن ما جاء موسى ، عليه السلام ، من قبيل ما تشعبذه سحرتهم ؛ فلهذا جمعوا له السحرة ليعارضوه بنظير ما أراهم من البينات ، كما أخبر تعالى عن فرعون حيث قال : { قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى. فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى } [طه : ٥٧ - ٦٠]"[8].

الفوائد:

١- يستفاد من قوله تعالى: {فى المدائن}، أن السحر كان من العلوم التي توجد فى المدائن الجامعة المأهولة بدور العلم والصناعة، وإنما نصحوه بإحضار السحرة الماهرين، لأنهم الجديرون أن يأتوا موسى بمثل ما أتى به من الأمر العظيم[9].

٢- أن هذه الآية تدل على أن السحرة كانوا كثيرين في ذلك الزمان وإلا لم يصح قوله: {وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم}، ويدل على أن في طباع الخلق معرفة المعارضة وأنها إذا أمكنت فلا نبوة وإذا تعذرت فقد صحت النبوة[10].

القرآن

{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢)} [الأعراف : ١١٢]

التفسير:

ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر.

قوله تعالى:{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} [الأعراف : ١١٢]، أي:" ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر ماهر به"[11].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملأ من قوم فرعون على فرعون، أن يرسل في المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم"[1].

---

[1] تفسير أبي السعود:٣/٢٥٩.

[2]الفروق في اللغة:١٣٦.

[3] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٤):ص٥/١٥٣٤.

[4] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٧):ص١٣/٢٣.

[5] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٨):ص١٣/٢٣.

[6] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٢):ص٥/١٥٣٤.

[7] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٣):ص٥/١٥٣٤.

[8] تفسير ابن كثير:٣/٤٥٦.

[9] انظر: تفسير المراغي:٩/٢٦.

[10] انظر: مفاتيح الغيب:١٤/٣٣٢.

[11] التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

قال ابن عباس:" حشر له كل ساحر متعالم"[2].

الفوائد:

١- أن السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره.

٢- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به.

القرآن

{وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣)} [الأعراف : ١١٣]

التفسير:

وجاء السحرة فرعون قالوا: أئنَّ لنا لجائزة ومالا إن غَلَبْنا موسى؟

قوله تعالى:{وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١١٣]، أي:" فلما جاء السحرة فرعون"[3].

عن عكرمة قال: "السحرة كانوا سبعين، قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفًا"[4].

قال محمد بن كعب:" السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ثمانين ألفا"[5].

وعن أبي سودة، عن كعب قال: "كانت سحرة فرعون اثنى عشر ألفا"[6].

وفي رواية أخرى عن أبي سودة، عن كعب قال: "كانت سحرة فرعون تسعة عشر ألفا"[7].

وعن أبي ثمامة قال: "سحرة فرعون سبعة عشر ألفا"[8].

قال السدي:" كان يعين السحرة بضعة وثلاثين ألفا ليس منهم رجل إلا ومعه حبل أو عصا"[9].

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} [الأعراف : ١١٣]، أي:" قالوا: أئنَّ لنا لجائزة ومالا إن غَلَبْنا موسى؟"[10].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: قال فرعون للسحرة، إذ قالوا له: إن لنا عندك ثوابًا إن نحن غلبنا موسى؟"[11].

قال السدي:" يقول: عطية تعطينا{إن كنا نحن الغالبين}"[12].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى-عليه السلام-"[13].

قال ابن عباس:" فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: عمله بالحيات، قالوا: فلا والله ما في الأرض قوم يعملون بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذي نعمل، فما أجرنا إن غلبنا؟ قال: فقال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كما أحببتم"[14].

---

(١) تفسير الطبري:٢٤/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٥):ص١٥٣٤/٥.

(٣) التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٣٥):ص٢٦/١٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٤/٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٧):ص١٥٣٤/٥.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٤/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٩):ص١٥٣٥/٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٠):ص١٥٣٥/٥.

(١٠) التفسير الميسر:١٦٤.

(١١) تفسير الطبري:٢٦/١٣.

(١٢) أخرجه الطبري(١٤٩٣٣):ص٢٥/١٣.

(١٣) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٥٣٥/٥.

وعن ابن عباس أيضا:" قال فرعون: لا نغالبه - يعني موسى - إلا بمن هو منه، فأعدّ علماء من بني إسرائيل، فبعث بهم إلى قرية بمصر يقال لها: "الفرما"، يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكِتَاب في الكتّاب. قال: فعلموهم سحرًا كثيرًا. قال: وواعد موسى فرعون موعدًا، فلما كان في ذلك الموعد، بعث فرعون، فجاء بهم وجاء بمعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم من السحر سحرًا لا يطيقه سحر أهل الأرض، إلا أن يكون أمرًا من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، فأما سحر أهل الأرض، فإنه لن يغلبهم. فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين؟ قال: نعم، وإنكم إذًا لمن المقربين"[1].

قال ابن إسحاق:" وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتي به. فذكر لي، والله أعلم، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه، أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقرَّبتكم على أهل مملكتي! قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم!"[2].

الفوائد:

١- مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجا عن نطاق العبادة.

٢- أن همة الساحر ليس إلا الدنيا؛ لأنهم طلبوا من فرعون الأجر والقدر والمنزلة عنده إن كانوا هم الغالبين، ولا يجوز من همته الدنيا، وما ذكر أن يكون له الرسالة بحال، وهمة الأنبياء كانت الدين وطلب الآخرة. أفادة الماتريدي[3].

القرآن

{قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)} [الأعراف : ١١٤]

التفسير:

قال فرعون: نعم لكم الأجر والقرب مني إن غَلَبْتُموه.

قوله تعالى:{قَالَ نَعَمْ} [الأعراف : ١١٤]، أي:" قال فرعون: نعم لكم الأجر"[4].

قال الطبري:" قال: نعم، لكم ذلك"[5].

قوله تعالى:{وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} [الأعراف : ١١٤]، أي:" وأزيدكم على ذلك بأن أجعلكم من المقربين أي من أعزّ خاصتي وأهل مشورتي"[6].

قال الطبري:" وإنكم لممن أقرِّبه وأدْنيه مني"[7].

قال الماتريدي:أي:" في المنزلة والقدر عندي"[8].

قال السمعاني:" أي: لكم المنزلة الرفيعة مع الأجر"[9].

قال الرازي:" أراد: أني لا أقتصر بكم على الثواب بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة أني أجعلكم من المقربين عندي"[10].

قال الكلبي: "أول من يدخل علي وآخر من يخرج، يعني السحرة"[11].

قال ابن عباس:" فقال لهم: أنتم أقاربي وخاصتي، وأنا صانع إليكم كما أحببتم"[1].

---

[1] أخرجه الطبري(١٤٩٣٢):ص١٣/٢٤-٢٥.

[2] أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٣٤):ص١٣/٢٥-٢٦.

[3] انظر: تأويلات أهل السنة:٤/٥٢٧-٥٢٨.

[4] التفسير الميسر:١٦٤.

[5] تفسير الطبري:١٣/٢٦.

[6] صفوة التفاسير:١/٤٣٠.

[7] تفسير الطبري:١٣/٢٦.

[8] تأويلات أهل السنة:٤/٥٢٧.

[9] تفسير السمعاني:٢/٢٠٣.

[10] مفاتيح الغيب:١٤/٣٣٣-٣٣٤.

[11] الكشف والبيان:٤/٢٦٩.

قال ابن كثير:أي:"إن غلبوا موسى ليثيبنهم وليعطينهم عطاء جزيلا، فوعدهم ومناهم أن يعطيهم ما أرادوا ، ويجعلنهم من جلسائه والمقربين عنده ، فلما توثقوا من فرعون لعنه الله"[٢].

الفوائد:

١- مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الجلى للدولة.

٢- قال المتكلمون: الآية تدل "على أن الثواب إنما يعظم موقعه إذا كان مقرونا بالتعظيم، والدليل عليه أن فرعون لما وعدهم بالأجر قرن به ما يدل على التعظيم وهو حصول القربة[٣].

القرآن

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥)} [الأعراف : ١١٥]

التفسير:

قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكبر وعدم المبالاة: يا موسى اختر أن تُلقي عصاك أولا أو نُلقي نحن أولا.

قوله تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى} [الأعراف : ١١٥]، أي:" قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكبر وعدم المبالاة"[٤].

قال الطبري:" يقول: قالت السحرة لموسى: يا موسى"[٥].

قوله تعالى:{إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} [الأعراف : ١١٥]، أي:" : يا موسى اختر أن تُلقي عصاك أولا أو نُلقي نحن أولا"[٦].

قال الطبري:أي:" اختر أن تلقي عصاك، أو نلقي نحن عصينا"[٧].

قال مقاتل:" ما في أيدينا من الحبال والعصي"[٨].

قال أبو الليث:" يعني: إما أن تطرح عصاك على الأرض وإما أن نكون نحن الملقين قبل"[٩].

قال ابن كثير: "هذه مبارزة من السحرة لموسى ، عليه السلام ، في قولهم : { إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ }، أي : قَبْلك. كما قال في الآية الأخرى : { وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى } [طه : ٦٥]"[١٠].

قال الزمخشري:" تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين، قبل أن يتخاوضوا في الجدال، والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع. وقولهم وإما أن نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل"[١١].

وفي موضع آخر قال الزمخشري أيضا:" وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه، وتواضع له وخفض جناح، وتنبيه على إعطائهم النصفة من أنفسهم، وكأن الله عز وعلا ألهمهم ذلك، وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار إلقائهم أو لا، مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب، حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر. ويستنفدوا أقصى طوقهم ومجهودهم، فإذا فعلوا: أظهر الله

---

[١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٥٣٥/٥.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.

[٣] مفاتيح الغيب:٣٣٤/١٣.

[٤] التفسير الميسر:١٦٤.

[٥] تفسير الطبري:٢٦/١٣.

[٦] التفسير الميسر:١٦٤.

[٧] تفسير الطبري:٢٦/١٣.

[٨] تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤/٢.

[٩] بحر العلوم:٥٣٩/١.

[١٠] تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.

[١١] الكشاف:١٤٠/٢.

سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه، وسلط المعجزة على السحر فمحقته، وكانت آية نيرة للناظرين، وعبرة بينة للمعتبرين"[١].

قال ابن عباس:" اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على السحرة وفرعون هو يوم عاشورا، فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر، ونتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين يعني بذلك موسى وهارون صلى الله عليهما وسلم استهزاء بهما، قالوا يا موسى لقدرتهم بسحرهم: إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، قال ألقوا، ... فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله عز وجل إليه أن ألق العصا"[٢].

الفوائد:

١- يستفاد من التخيير في الآية الكريمة: أن السحرة كانوا على اعتدادهم بسحرهم وثقتهم بأنفسهم وعدم المبالاة بعمله، ولولا ذلك لما خيروه. إذ المتأخر فى العمل يكون أبصر بما تقتضيه الحال بعد وقوفه على منتهى جهد خصمه

٢- ومن الفوائد مراعاة حسن الأدب، قال الرازي:" وفي الآية دقيقة أخرى وهي أن القوم راعوا حسن الأدب حيث قدموا موسى عليه السلام في الذكر، وقال أهل التصوف إنهم لما راعوا هذا الأدب لا جرم رزقهم الله تعالى الإيمان ببركة رعاية هذا الأدب"[٣].

القرآن

{قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)} [الأعراف : ١١٦]

التفسير:

قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم، فلما ألقَوا الحبال والعصيَّ سحروا أعين الناس، فخُيِّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، وأرهبوا الناس إرهابًا شديدًا، وجاؤوا بسحر قوي كثير.

قوله تعالى:{قَالَ أَلْقُوا} [الأعراف : ١١٦]، أي:" قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم"[٤].

قال السدي:" قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون!"[٥].

قال ابن كثير: "أي : أنتم أولا قبلي. والحكمة في هذا - والله أعلم - ليري الناس صنيعهم ويتأملوه ، فإذا فُرغ من بهرجهم ومحالهم ، جاءهم الحق الواضح الجلي بعد تطلب له والانتظار منهم لمجيئه ، فيكون أوقع في النفوس. وكذا كان"[٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" فلما ألقَوا الحبال والعصيَّ سحروا أعين الناس، فخُيِّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال"[٧].

قال الطبري:" فلما ألقوا ذلك، خيلوا إلى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخُدَع أنها تسعى"[٨].

قال ابن كثير: " أي : خيلوا إلى الأبصار أن ما فعلوه له حقيقة في الخارج ، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال ، كما قال تعالى : { فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى

---

[١] الكشاف:٧٣/٣.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٢):ص١٥٣٥/٥.
[٣] مفاتيح الغيب:١٤/:٣٣٤-٣٣٥.
[٤] التفسير الميسر:١٦٤.
[٥] أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢.
[٦] تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
[٧] التفسير الميسر:١٦٤.
[٨] تفسير الطبري:٢٧/١٣.

* فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } [طه : ٦٦ : ٦٩]"[١].

قال السدي:" فألقوا حبالهم وعصيهم! وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا"[٢].

قال ابن عباس:" ألقوا حبالا غلاظًا طوالا وخشبًا طوالا قال: فأقبلت يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى"[٣].

قوله تعالى:{وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" وأرهبوا الناس إرهابًا شديدًا يث خيلوها حياتٍ تسعى"[٤].

قال السدي:" يقول: فرَّقوهم[٥]، فأوجس في نفسه خيفة موسى"[٦].

قال الطبري:" يقول: واسترهبوا الناس بما سحروا في أعينهم، حتى خافوا من العصيّ والحبال، ظنًّا منهم أنها حيات"[٧].

قوله تعالى:{وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" وجاؤوا بسحر قوي كثير"[٨].

قال الطبري:" بتخييل عظيم كبير، من التخييل والخداع "[٩].

قال الصابوني:أي:" يهابه من رآه"[١٠].

قال ابن إسحاق:" صفّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمعَ، وفرعونُ في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} [طه: ٦٥-٦٦] ، فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضًا {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصايَ هذه! أو كما حدّث نفسه"[١١].

القاسم بن أبي بزة قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعينَ ألف حبل، وسبعين ألف عصًا، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى"[١٢].

الفوائد:

١- تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عليه إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين.

وقد ثبت من حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:"سُحر رسول الله - ﷺ - حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله"[١٣].

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٥٦/٣.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٩٣٩):ص٢٨/١٣.
[٤] التفسير الميسر:١٦٤.
[٥]فرقوهم: بتشديد الراء، أدخلوا عليهم الفرق -بفتح الفاء والراء-، وهو الفزع..
[٦] أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.
[٧] تفسير الطبري:٢٧/١٢.
[٨] التفسير الميسر:١٦٤.
[٩] تفسير الطبري:٢٧/١٢.
[١٠] صفوة التفاسير:٤٣٠/١.
[١١] أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.
[١٢] أخرجه الطبري(١٤٩٤١):ص٢٨/١٣.
[١٣]متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب باب السحر برقم (٥٧٦٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب السحر برقم (٢١٨٩).

٢- الآية تدل على جواز وجود الشيء في قوة البصر على سبيلِ التخيل، وإن لم يكن له وجودٌ حقيقيٌّ في حال الصحة واليقظة.

القرآن

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧)} [الأعراف : ١١٧]

التفسير:

وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرَّق الله فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يُلقي ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل.

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى} [الأعراف : ١١٧]، أي:" وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرَّق الله فيه بين الحق والباطل"[١].

قوله تعالى:{أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} [الأعراف : ١١٧]، أي:" بأن ألق عصاك"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله موسى ، عليه السلام ، في ذلك الموقف العظيم ، الذي فرق الله تعالى فيه بين الحق والباطل ، يأمره بأن يلقي ما في يمينه وهي عصاه"[٣].

قال ابن عباس:" وعصى موسى اسمها ماسا، وهي مع يوشع بن نون"[٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الأعراف : ١١٧]، أي:" فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل"[٥].

قال ابن كثير:"أي: تأكل ما يلقونه ويوهمون أنه حق ، وهو باطل "[٦].

قال الطبري:" فألقاها فاذا هي تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبًا وباطلا"[٧].

عن مجاهد: "{يأفكون}، قال: يكذبون"[٨].

عن الحسن: "تلفق ما يأفكون"، قال: حيالهم وعصيهم، تسترطها استراطا"[٩].

قال قتادة:" فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله"[١٠].

قال ابن عباس:" فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون، لا تمر بشيء من حبالهم وخُشُبهم التي ألقوها إلا التقمته، فعرفت السحرة أن هذا أمرٌ من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سجَّدًا وقالوا: {آمنا بربِّ العالمين* رب موسى وهارون}"[١١].

وعن ابن عباس أيضا:" فجعلت العصا بدعوة موسى تلتبس بالحبال، فصارت جرزا إلى الثعبان حتى تدخل فيه حتى ما بقيت عصا ولا حبل إلا ابتلعته"[١٢].

قال السدي:" أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٤.

[٢] انظر: صفوة التفاسير:٤٣٠/١.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٨/٣.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٤):ص١٥٣٦/٥.

[٥] التفسير الميسر:١٦٤.

[٦] تفسير ابن كثير:٤٥٨/٣.

[٧] تفسير الطبري:٢٩/١٣.

[٨] أخرجه الطبري(١٤٩٤٧):ص٣٠/١٣.

[٩] أخرجه الطبري(١٤٩٤٩):ص٣٠/١٣. سرط الطعام)) ، و ((استرطه)) ، إذا ازدرده، وابتلعه ابتلاعاً سهلا سريعا لا غصة فيه.

[١٠] أخرجه الطبري(١٤٩٤٢):ص٢٩/١٣.

[١١] أخرجه الطبري(١٤٩٤٣):ص٢٩/١٣.

[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٥).:ص١٥٣٦/٥

قال ابن إسحاق:" أوحى الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقى عصاه من يده، فاستعرضَت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى، فإذا هى عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا قالوا: "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. لو كان هذا سحرا ما غلبنا"!"[٢].

عن القاسم بن أبي بزة قال: "أوحى الله إليه: أن ألق عصاك! فألقى عصاه، فاذا هي ثعبان فاغرٌ فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجّدًا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ هلهما"[٣].

الفوائد:

١- بيان سنته تعالى في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائما.
٢- جمال الأسلوب القرآني في الآية الكريمة في تصوير هذا المشهد العظيم، إذ ان المعنى: فألقاها فصارت حية فإذا هي إلخ، وإنما حذف للإيذان بمسارعة موسى عليه السلام إلى الإلقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالأمر بالإلقاء، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الغريبة، واللقف كاللقفان التناول بسرعة[٤].

القرآن

{فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)} [الأعراف : ١١٨]

التفسير:

فظهر الحق واستبان لمن شهده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق، وبطل الكذب الذي كانوا يعملونه.

قوله تعالى:{فَوَقَعَ الْحَقُّ} [الأعراف : ١١٨]، أي:" فظهر الحق واستبان لمن شهده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق"[٥].

قال ابن عباس[٦] ومجاهد[٧]:"ظهر الحق".

وفي رواية عن السدي:" ظهر موسى"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى، وأنه لله رسول يدعو إلى الحق"[٩].

قوله تعالى:{وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١١٨]، أي:" وبطل الكذب الذي كانوا يعملونه"[١٠].

قال الطبري:أي:" من إفك السحر وكذبه ومخايله"[١١].

قال ابن عباس:" فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه"[١٢].

قال مجاهد" وذهب الإفك الذي كانوا يعملون"[١٣].

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٩٤٤):ص٣٠/١٣.
[٢] أخرجه الطبري(١٤٩٤٥):ص٣٠/١٣.
[٣] أخرجه الطبري(١٤٩٤٦):ص٣٠/١٣.
[٤] انظر: روح المعاني:٢٦/٥.
[٥] التفسير الميسر:١٦٤.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٨):ص١٥٣٦/٥.
[٧] أخرجه الطبري(١٤٩٥٠):ص٣١/١٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٤٩٥٣):ص٣١/١٣.
[٩] تفسير الطبري:٣١/١٣.
[١٠] التفسير الميسر:١٦٤.
[١١] تفسير الطبري:٣١/١٣.
[١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٩):ص١٥٣٦/٥.
[١٣] أخرجه الطبري(١٤٩٥١):ص٣١/١٣.

الفوائد:

١- بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله تعالى من سورة طه : { وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} [طه : ٦٩].
٢- تبين لمن للحاضرين الموقف أن موسى رسول من عند الله يدعو إلى الحق وأن ما عملوه ما هو إلا إفك السحر وكذبه ومخايله.

القرآن

{فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩)} [الأعراف : ١١٩]

التفسير:

فغُلِبَ جميع السحرة في مكان اجتماعهم، وانصرف فرعون وقومه أذلاء مقهورين مغلوبين.

قوله تعالى:{فَغُلِبُوا هُنَالِكَ} [الأعراف : ١١٩]، أي:" فغُلِبَ جميع السحرة في مكان اجتماعهم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فغلب موسى فرعون وجموعه عند ذلك"[٢].

قوله تعالى:{وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ} [الأعراف : ١١٩]، أي:" وانصرف فرعون وقومه أذلاء مقهورين مغلوبين"[٣].

قال أبو الليث:" يعني: رجعوا ذليلين"[٤].

قال البغوي: أي:" ذليلين مقهورين"[٥].

قال الزمخشري:أي:" وصاروا أذلاء مبهوتين"[٦].

قال الطبري:" يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين"[٧].

الفوائد:

١- أن معجزة العصا أعجزت فرعون الطاغية وحاشيته.
٢- أن هذه المعجزة العظيمة اثبتت للحاضرين بأن موسى-عليه السلام- مؤيد من الله الذي يدعو إليه.

القرآن

{وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠)} [الأعراف : ١٢٠]

التفسير:

وخَرَّ السحرة سُجَّدًا على وجوههم لله رب العالمين لِمَا عاينوا من عظيم قدرة الله.

قوله تعالى:{وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} [الأعراف : ١٢٠]، أي:" وخَرَّ السحرة سُجَّدًا على وجوههم لله رب العالمين لِمَا عاينوا من عظيم قدرة الله"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله، ساقطين على وجوههم سجَّدًا لربهم"[٩].

قال الواحدي:" خرُّوا لله عابدين سامعين مطيعين"[١٠].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٤.
[٢] تفسير الطبري:٣٢/١٣.
[٣] التفسير الميسر:١٦٤.
[٤] بحر العلوم:٥٤٠/١.
[٥] تفسير البغوي:٢٦٦/٣.
[٦] الكشاف:١٤١/٢.
[٧] تفسير الطبري:٣٢/١٣.
[٨] التفسير الميسر:١٦٤.
[٩] تفسير الطبري:٣٢/١٣.
[١٠] الوجيز:٤٠٧.

قال الثعلبي:" حيث عرفوا أن ذلك أمر سماوي وليس سحرا"[١].
قال سعيد بن جبير:" رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم"[٢].
قال ابن عباس:" لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، فخروا سجدًا، وقالوا: {آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون}"[٣].
قال مقاتل: "ألقاهم الله"[٤].
قال البغوي والثعلبي:"قيل: ألهمهم الله أن يسجدوا فسجدوا"[٥].
وقال الأخفش: "من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا"[٦].
قال السمعاني:" قيل: إن موسى وهارون سجدا شكرا لله - تعالى - فوافقهم السحرة"[٧].
قال الزمخشري:" كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم. وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا، فكأنهم ألقوا"[٨].
قتادة: "كانوا أول النهار كفارا سحرة، وفي آخره شهداء بررة"[٩].
وعن الحسن. "تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله"[١٠].
قال أبو الليث:" قال بعض الحكماء: إن سحرة فرعون كانوا كفروا خمسين سنة فغفر لهم بإقرار واحد وبسجدة فكيف بالذي أقر وسجد خمسين سنة كيف لا يرجو رحمته ومغفرته؟"[١١].
الفوائد:
١- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحرا وإنما هو آية له من الله فآمنوا.
٢- كان إيمان السحرة مدعاة لافتضاح فرعون، لأنهم كانوا علماء لهم مكانتهم، فكان لإيمانهم ضجة كبرى، أحدثت في حاشية فرعون هزة عنيفة، وزلزالاً كبيراً.

القرآن
{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١)} [الأعراف : ١٢١]
التفسير:
قالوا: آمنا برب العالمين.
قوله تعالى: {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ١٢١]، أي:" قال السحرة: صدقنا واعترفنا برب العالمين"[١٢].
قال الطبري:" يقولون: صدقنا بما جاءنا به موسى، وأنّ الذي علينا عبادته، هو الذي يملك الجنّ والإنس وجميع الأشياء، وغير ذلك، ويدبر ذلك كله"[١٣].

---
(١) الكشف والبيان:٢٧٠/٤.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٥٣٦/٥.
(٣) أخرجه الطبري(١٤٩٥٤):ص٣٢/١٣.
(٤) حكاه عنه البغوي في تفسيره:٢٦٦/٣.
(٥) تفسير الثعلبي:٢٧٠/٤، وتفسير البغوي:٢٦٦/٣.
(٦) حكاه عنه الثعلبي والبغوي في تفسيرهما، انظر: تفسير الثعلبي:٢٧٠/٤، وتفسير البغوي:٢٦٦/٣.
(٧) تفسير السمعاني:٢٠٥/٢.
(٨) الكشاف:١٤١/٢.
(٩) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(١٠) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.
(١١) بحر العلوم:٥٤١/١.
(١٢) التفسير المنير للزحيلي:١٥١/١٩.
(١٣) تفسير الطبري:٣٢/١٣.

قال الزجاج:" فسلموا الأمر لله وتبين لهم ما لا يدفع"[١].

وعن ابن عباس أيضا:" فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرا لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله آمنا بالله وبما جاء به موسى ونتوب إلى الله مما كنا عليه"[٢].

قال ابن عطية:" لما رأى السحرة من عظيم القدرة وما تيقنوا به نبوة موسى آمنوا بقلوبهم وانضاف إلى ذلك الاستهوال والاستعظام والفزع من قدرة الله تعالى فخروا سجدا لله تعالى متطارحين وآمنوا نطقا بألسنتهم"[٣].

الفوائد:

٤- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحرا وإنما هو آية له من الله فآمنوا.

٥- مظهر من مظاهر القضاء والقدر فالسحرة أصبحوا كافرين وأمسوا مسلمين.

٦- ومن فوائد الآية الكريمة: عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالم؛ لقوله تعالى: {رب العالمين}.

القرآن

{رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢)} [الأعراف : ١٢٢]

التفسير:

وهو رب موسى وهارون، وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون مَن سواه.

قوله تعالى: {رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} [الأعراف : ١٢٢]، أي:" وهو رب موسى وهارون"[٤].

قال الطبري: أي:" لا فرعون"[٥].

قال الخازن:" وإنما قالوا: {رب موسى وهارون}، لأن فرعون كان يدعي الربوبية فأرادوا عزله"[٦].

قال البيضاوي:" إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما"[٧].

قال الماتريدي:" قال بعض أهل التأويل: إنهم لما قالوا: آمنا برب العالمين، قال لهم فرعون: إياي تعنون، فعند ذلك قالوا: لا، ولكن رب موسى وهارون، ولكن لا ندري هذا، وموسى أول ما جاء فرعون ودعاه إلى دينه قال له: {إني رسول من رب العالمينؤ، فلا يحتمل أن يشكل عليه قولهم: {آمنا برب العالمين} وإنهم إياه عنوا بذلك، وجائز أن يكون آمنا برب الذي أرسل موسى وهارون رسولا"[٨].

قال الشوكاني:" وإنما قالوا هذه المقالة وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين، ثم لم يكتفوا بذلك حتى قالوا: {رب موسى وهارون}، لئلا يتوهم متوهم من قوم فرعون المقرين بإلهيته أن السجود له"[٩].

---

[١] معاني القرآن:٩٠/٤.
[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٠):ص٢٧٦٦.
[٣] المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.
[٤] التفسير الميسر:١٦٥.
[٥] تفسير الطبري:٣٢/١٣.
[٦] تفسير الخازن:٣٢٥/٣.
[٧] تفسير البيضاوي:١٣٨/٤.
[٨] تأويلات أهل السنة:٥٣١/٤.
[٩] فتح القدير:٢٦٥/٢.

قال ابن عطية:" وتبينهم الرب بذكر موسى وهارون زوال عن ربوبية فرعون وما كان يتوهم فيه الجهال من أنه رب الناس، وهارون أخو موسى أسن منه بثلاث سنين"[1].

قال ابن عباس:" لما رأت السحرة ما رأت، عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر، فخروا سجدًا، وقالوا: {آمنا برب العالمين* رب موسى وهارون}"[2].

قال قتادة:" ذكر لنا أن السحرة قالوا حين اجتمعوا إن يكن ما جاء به موسى سحرا فلن نغلب وإن يكن من الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه تلقفت ما أفكوا من سحرهم وجاءوا به من حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله فألقى السحرة عند ذلك اجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون"[3].

قال محمد بن إسحاق:" وكان من رؤوس السحرة الذي جمع فرعون لموسى فيما بلغني سابور، وعاذور، وحصحط، ومصفى أربعة هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله فآمنت معهم السحرة جميعا"[4].

الفوائد:

١- إسقاط ربوبية فرعون، وأن سبب الإيمان هو ما رأوه من معجزة الرسولين: موسى وهارون عليهما السلام.

٢- احتج أهل التعليم بهذه الآية فقالوا: الدليل على أن معرفة الله لا تحصل إلا بقول النبي أن أولئك السحرة لما قالوا: آمنا برب العالمين لم يتم إيمانهم فلما قالوا: رب موسى وهارون تم إيمانهم وذلك يدل على قولنا.

وأجاب العلماء عنه: بأنهم لما قالوا: آمنا برب العالمين قال لهم فرعون إياي تعنون فلما قالوا: رب موسى قال إياي تعنون لأني أنا الذي ربيت موسى فلما قالوا: وهارون زالت الشبهة، وعرف الكل أنهم كفروا بفرعون وآمنوا بإله السماء وقيل إنما خصهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين لأن التقدير آمنا برب العالمين وهو الذي دعا إلى الإيمان به موسى وهارون. وقيل: خصهما بالذكر تفضيلا وتشريفا كقوله: وملائكته ورسله وجبريل وميكال [البقرة: ٩٨][5].

القرآن

{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)} [الأعراف : ١٢٣]

التفسير:

قال فرعون للسحرة: آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحلُّ بكم من العذاب والنكال.

قوله تعالى:{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [الأعراف : ١٢٣]، أي:" قال فرعون للسحرة: آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟"[6].

قال الطبري:" يقول: أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوّته، {قبل أن آذن لكم}، بالإيمان به"[7].

---

[1] المحرر الوجيز:٤٤٠/٢.

[2] أخرجه الطبري(١٤٩٥٤):ص٣٢/١٣.

[3] أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤١):ص٢٧٦٦.

[4] أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٢):ص٢٧٦٦.

[5] مفاتيح الغيب:٣٣٨/١٤.

[6] التفسير الميسر:١٦٥.

[7] تفسير الطبري:٣٣/١٣.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا} [الأعراف : ١٢٣]، أي:" إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى؛ لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها"[١].

قال الطبري:" يقول: تصديقكم إياه، وإقراركم بنبوّته {لمكر مكرتموه في المدينة}، يقول لخدعة خدعتم بها من في مدينتنا، لتخرجوهم منها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إن غَلَبَه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك ، كقوله في الآية الأخرى : { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ } [طه : ٧٠] وهو يعلم وكلّ من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل ؛ فإن موسى ، عليه السلام ، بمجرد ما جاء من "مَدْين" دعا فرعون إلى الله ، وأظهر المعجزات الباهرة والحجج القاطعة على صدق ما جاء به ، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ومعاملة سلطنته ، فجمع سحرة متفرقين من سائر الأقاليم ببلاد مصر ، ممن اختار هو والملأ من قومه ، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل. وقد كانوا من أحرص الناس على ذلك ، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون ، وموسى ، عليه السلام ، لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به ، وفرعون يعلم ذلك ، وإنما قال هذا تسترا وتدليسا على رعاع دولته وجَهَلتهم ، كما قال تعالى : { فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ } [الزخرف : ٥٤] فإن قوما صدّقوه في قوله : { أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى } [النازعات : ٢٤] من أجْهَل خلق الله وأضلهم"[٣].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ١٢٣]، أي:" فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحلُّ بكم من العذاب والنكال"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ما أصنع بكم"[٥].

قال الطبري:أي:"ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابي إياكم على صنيعكم هذا"[٦].

قال الخازن:الآية" فيه وعيد مطلق وتهديد شديد"[٧].

أخرج الطبري عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: "التقى موسى وأميرُ السحرة، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي، وتشهد أنّ ما جئت به حق؟ قال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه سحر، فوالله لئن غلبتني لأومنن بك، ولأشهدن أنك حق! وفرعون ينظر إليهم، فهو قول فرعون: {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة}، إذ التقيتما لتتظاهرا فتخرجا منها أهلها"[٨].

الفوائد:

١- أن القلوب المظلمة بالكفر ولجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء.

٢- أن الطواغيت الذين يصدون الناس عن دينهم بفتنة القوة أو الإغراء بالدعايات الباطلة التي يضلون بها الناس، ويحسنون بها القبيح ويندّدون بالطيب، ومن هذا الباب أخبر الله عن فرعون أنه رمى المؤمنين بموسى بتدبير مؤامرة لإخراج الناس من بلادهم.

القرآن

{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)} [الأعراف : ١٢٤]

التفسير:

---

[١] التفسير الميسر:١٦٥.

[٢] تفسير الطبري:٣٣/١٣.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٨/٣.

[٤] التفسير الميسر:١٦٥.

[٥] تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.

[٦] تفسير الطبري:٣٣/١٣.

[٧] تفسير الخازن:٣٢٥/٣.

[٨] تفسير الطبري(١٤٩٥٥):ص٣٣/١٣.

لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل؛ تنكيلا بكم وإرهابًا للناس.

قوله تعالى:{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} [الأعراف : ١٢٤]، أي:" لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى"[١].

قال الطبري:" وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى، أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى، فيخالف بين العضوين في القَطْع، فمخالفته في ذلك بينهما هو «القطع من خلاف»، ويقال: إن أوّل من سن هذا القطع فرعون"[٢].

قال ابن كثير:" يعني : يقطع يد الرّجُل اليمنى ورجْله اليسرى أو بالعكس"[٣].

قال ابن عباس:" أوّل من صلّب، وأول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، فرعون"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف : ١٢٤]، أي:" ، ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل؛ تنكيلا بكم وإرهابًا للناس"[٥].

قال الطبري:" وإنما قال هذا فرعون، لما رأى من خذلان الله إياه، وغلبة موسى عليه السلام وقهره له"[٦].

الفوائد:

١- أن الطغاة استعبدوا أتباعهم عن طريق القهر والعنف.
٢- أن منشأ عبادة الشخصية الإنسانية ناتج عن بعض أنواع العنف التي استغلها بعض الطغاة لدى الجهلة من الناس، كما فعل فرعون، قال تعالى حكاية عن قوله: { لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ}.

القرآن

{قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥)} [الأعراف : ١٢٥]

التفسير:

قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أنَّا إلى الله راجعون، وأن عذابه أشد من عذابك، فلنصبرنَّ اليوم على عذابك؛ لِننجو من عذاب الله يوم القيامة.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ} [الأعراف : ١٢٥]، أي:" قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أنَّا إلى الله راجعون"[٧].

قال الطبري:" قال السحرة مجيبة لفرعون، إذ توعَّدهم بقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب: {إنا إلى ربّنا منقلبون}، يعني: بالانقلاب إلى الله، الرجوع إليه والمصير"[٨].

قال ابن كثير:" أي : قد تحققنا أنا إليه راجعون ، وعذابه أشد من عذابك ، ونكاله ما تدعونا إليه ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، أعظم من نكالك ، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله "[٩].

الفوائد:

---

[١] التفسير الميسر:١٦٥.
[٢] تفسير الطبري:٣٤/١٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٩٥٦):ص٣٤/١٣.
[٥] التفسير الميسر:١٦٥.
[٦] تفسير الطبري:٣٤/١٣.
[٧] التفسير الميسر:١٦٥.
[٨] تفسير الطبري:٣٥/١٣.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.

١- فضيلة الاسترجاع أن يقول {إنا لله وإنا إليه راجعون} حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا {إنا إلا ربنا منقلبون} أي راجعون فهان عندهم ما تهددوا به.

٢- ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسم من اسمائه تعالى، وهو: "الرب": وهو:"المالك والمتصرف والمدبر والسيد والمربي"[١].

و"الرب": صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، وذلك من اسمه (الرب) الثابت بالكتاب والسنة في مواضع عديدة؛ تارة وحده (الرب) ، وتارة مضافاً؛ مثل: (رب العالمين) ، و (رب المشرقين).

قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢].

وقوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن: ١٧].

و"الرب": لم يأت في القرآن بدون إضافة لكن في السنة قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: "أما الركوع فعظموا فيه الرب"[٢].

وقال في السواك: "مطهرة للفم مرضاة للرب"[٣].

وعن عمرو بن عبسة مرفوعاً: ((أقرب ما يكون الرَّبُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة؛ فكن"[٤].

قال ابن قتيبة:"ومن صفاته (الرب) ، والرب المالك، يُقال: هذا رب الدار ورب الضيعة ورب الغلام؛ أي: مالكه، قال الله سبحانه: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} ؛ أي: إلى سيدك. ولا يُقال لمخلوق: هذا الرَّبُّ؛ معرفاً بالألف واللام؛ كما يُقال لله، إنما يُقال: هذا رب كذا، فيُعرَّف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء. فإذا قيل: الرَّبُّ؛ دلَّت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: ربُّ كذا وربُّ كذا؛ نُسب إلى شيء خاص؛ لأنه لا يملك [شيئاً] غيره"[٥].

وقال ابن القيم:" وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة، وهي (الله) ، و (الرب) ، و (الرحمن) ؛ كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب، وكيف جمعت الخلق وفرقتهم؛ فلها الجمع، ولها الفرق.

فاسم (الرب) له الجمع الجامع لجميع المخلوقات؛ فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألَّهه وحده السعداء، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والإخبات والخشية والتذلل والخضوع إلاَّ له، وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة؛ فالإلهية هي التي فرقتهم كما أنَّ الربوبية هي التي جمعتهم؛ فالدين والشرع، والأمر والنهي -مظهره وقيامه- من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والفعل من صفة الربوبية، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار من صفة الملك، وهو ملك يوم الدين، فأمرهم بإلهيته، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته، وأثابهم وعاقبهم بملكه وعدله، وكل واحدة من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى ..."[٦].

---

[١]صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة، السقاف:١٧١.

[٢]رواه: البخاري (٥٧٤٢)، ومسلم (٢١٩١)؛ عن عائشة رضي الله عنها.

[٣]رواه البخاري معلقًا مجزومًا (٤/ ١٥٨)، ووصله أحمد (٦/ ٦٢)، والنسائي (١/ ١٠)، وابن حبان (٢/ ٢٨٧)، وحسّنه البغوي في "شرح السنة" (١/ ٣٤٩).

[٤]صحيح سنن الترمذي: (٣٨٣٢).

[٥]غريب القرآن: ٩.

[٦]مدارج السالكين:٣٤/١.

قال السعدي:"الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الإسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة.

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها وهي صفات الكمال كلها والمحامد كلها له والفضل كله والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِير} [الشورى : ١١] ، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعاً عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم نداً ولا شريكاً لله في عبادته وإلوهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم خلقاً ورزقاً وتدبيراً وإحياءً وإماتةً، وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده، فيؤلهونه ولا يتخذون من دونه ولياً ولا شفيعاً، فالإلهية حق له سبحانه على عباده بصفة ربوبيته"[١].

قال الحازمي:" و"الرب" :هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، وإذا أُفْرِدَ أو عُرِّفَ لم يطلق إلا على الله عز وجل[٢].

القرآن

{وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)} [الأعراف : ١٢٦]

التفسير:

ولستَ تعيب منا وتنكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلته التي جاء بها موسى ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض، ربنا أَفِضْ علينا صبرًا عظيمًا وثباتا عليه، وتوفَّنا منقادين لأمرك متبعين رسولك.

قوله تعالى:{وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا} [الأعراف : ١٢٦]، أي:" ولستَ تعيب منا وتنكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلته التي جاء بها موسى"[٣].

قال الطبري:" يقول: ما تنكر منا، يا فرعون، وما تجد علينا، إلا من أجل أن صدقنا بحجج ربّنا وأعلامه وأدلته التي لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد، سوى الله، الذي له ملك السموات والأرض"[٤].

قوله تعالى:{رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا} [الأعراف : ١٢٦]، أي:" ربنا أَفِضْ علينا صبرًا عظيمًا وثباتا عليه"[٥].

قال الطبري:" ثم فزعوا إلى الله بمسألته الصبرَ على عذاب فرعون، وقبض أرواحهم على الإسلام فقالوا: {ربنا أفرغ علينا صبرًا} ، يعنون بقولهم: {أفرغ}، أنزل علينا حَبْسًا يحبسنا عن الكفر بك، عند تعذيب فرعون إيانا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : عمنا بالصبر على دينك ، والثبات عليه"[٧].

قوله تعالى:{وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف : ١٢٦]، أي:" وتوفَّنا منقادين لأمرك متبعين رسولك"[١].

---

[١] تفسير اسماء الله الحسنى للسعدي:١٩٩-٢٠٠.

[٢]شرح العقيدة الواسطية، أبو عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي:الدرس(١٠/٢٢)[مرقم آليا]..

[٣] التفسير الميسر:١٦٥.

[٤] تفسير الطبري:٣٥/١٣.

[٥] التفسير الميسر:١٦٥.

[٦] تفسير الطبري:٣٥/١٣.

[٧] تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.

قال الطبري:" يقول: واقبضنا إليك على الإسلام دين خليلك إبراهيم ﷺ، لا على الشرك بك"[2].

قال ابن كثير:" أي : متابعين لنبيك موسى ، عليه السلام. وقالوا لفرعون : { فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُالدَّرَجَاتُ الْعُلا } [طه : ٧٢ - ٧٥] فكانوا في أول النهار سحرة ، فصاروا في آخره شهداء بررة"[3].

قال السدي:" فقتلهم وصلبهم، كما قال عبد الله بن عباس، حين قالوا: {ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفّنا مسلمين}. قال: كانوا في أول النهار سحرة، وفى آخر النهار شهداء"[4].

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا في أوّل النهار سحرة، وآخره شهداء"[5]. وروي عن مجاهد[6]، وعبيد بن عمير[7] مثل ذلك.

الفوائد:

١- مشروعية سؤال الصبر على البلاء للثبات على الإيمان.

٢- التوسل إلى الله تعالى بالصبر على ما يصاب به المؤمن ويبتلى به من تسلّط أعداء الله عليه، وإذاقته صنوف العذاب ليردّوه عن دينه، ويفتنوه في إيمانه، يقول الله تعالى حاكيا عن سحرة الأقباط الذين أعلنوا إيمانهم بين يدي فرعون عليه لعائن الله:{ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}.

٣- فضل الوفاة على الإسلام وأنه مطلب عال لأهل الإيمان، قال تعالى:{ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}.

القرآن

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)} [الأعراف : ١٢٧]

التفسير:

وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون: أَتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ قال فرعون: سنُقَتِّل أبناء بني إسرائيل ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة، وإنَّا عالون عليهم بقهر المُلْكِ والسلطان.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون"[8].

قال الطبري:" وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون"[9].

قوله تعالى:{أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" أَتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له"[10].

---

(١) التفسير الميسر:١٦٥.
(٢) تفسير الطبري:٣٥/١٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٥٧):ص٣٦/١٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٤٩٥٩):ص٣٦/١٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٦٠):ص٣٦/١٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٥٨):ص٣٦/١٣.
(٨) التفسير الميسر:١٦٥.
(٩) تفسير الطبري:٣٦/١٣.
(١٠) التفسير الميسر:١٦٥.

قال الطبري:" أتدع موسى وقومه من بني إسرائيل كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك من مصر"[1].

قال ابن كثير:" أي:أتدعهم ليفسدوا في الأرض ، أي : يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك ، يالله للعجب ! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه! ألا إن فرعون وقومه هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون"[2].

قوله تعالى:{وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟"[3].

قال الطبري:"يقول: ويدع خِدْمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك"[4].

قال ابن عباس:" قال: يترك عبادتك"[5]. وروي عن مجاهد نحو ذلك[6].

وقال السدي:"وآلهته فيما زعم ابن عباس، كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عِجْلا وبقرة"[7].

وقال الحسن:" كان لفرعون جمانة معلقة في نحره، يعبدها ويسجد لها"[8].

وعن الحسن أيضا:" بلغني أن فرعون كان يعبدُ إلهًا في السر، وقرأ: {ويذرك والهتك}"[9].

وروي عن ابن عباس أنه قرأ، "«ويَذَرَكَ وإلاهَتَكَ»، قال: وعبادتك، ويقول: إنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد"[10].

وفي قوله تعالى:{وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف : ١٢٧]، وجهان من التأويل[11]:

أحدهما: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك.

وإذا وجه الكلام إلى هذا الوجه من التأويل، كان النصبُ في قوله: «ويذرك»، على الصرف، لا على العطف به على قوله: «ليفسدوا».

والثاني: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وليذرك وآلهتك، كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين.

وإذا وجِّه الكلام إلى هذا الوجه، كان نصب: «ويذرك» على العطف على «ليفسدوا».

قال أبو جعفر الطبري: "والوجه الأول أولى الوجهين بالصواب، وهو أن يكون نصب «ويذرك» على الصرف، لأن التأويل من أهل التأويل به جاء"[12].

في حرف أبي بن كعب: «وقَدْ تَرَكُوكَ أَنْ يَعْبُدُوكَ وآلِهَتَكَ»[13].

وقد روي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ»، عطفًا بقوله: {ويذرك} على قوله: {أتذر موسى}[14].

---

[1] تفسير الطبري:٣٦/١٣.
[2] تفسير ابن كثير:٤٥٩/٣.
[3] التفسير الميسر:١٦٥.
[4] تفسير الطبري:٣٦/١٣.
[5] أخرجه الطبري(١٤٩٦٨):ص٣٩/١٣-٤٠.
[6] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٠):ص٤٠/١٣.
[7] أخرجه الطبري(١٤٩٦٢):ص٣٨/١٣-٣٩.
[8] أخرجه الطبري(١٤٩٦٣):ص٣٩/١٣.
[9] أخرجه الطبري(١٤٩٦٤):ص٣٩/١٣.
[10] أخرجه الطبري(١٤٩٦٧):ص٣٩/١٣.
[11] انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٣.
[12] تفسير الطبري:٣٧/١٣.
[13] أخرجه الطبري(١٤٩٦١):ص٣٧/١٣.
[14] انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٣.

قال الطبري:" كأنه وجَّه تأويله إلى: أتذر موسى وقومه، ويذرك وآلهتك، ليفسدوا في الأرض. وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، وهو يذرك وآلهتك؟ فيكون «يذرك» مرفوعًا بابتداء الكلام والسلامة من الحوادث"[١].

روي عن ابن عباس[٢] ومجاهد[٣] أنهما كانا يقرآنها: «وَيَذَرَكَ وَإلاهَتَكَ» بكسر الألف بمعنى: ويذرك وعبودتك[٤].

قوله تعالى:{قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" قال فرعون: سنُقَتِّل أبناء بني إسرائيل"[٥].

قال الطبري:" يقول: قال فرعون: سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني إسرائيل"[٦].

قوله تعالى:{وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة"[٧].

قال الطبري:" يقول: ونستبقي إناثهم"[٨].

قال ابن كثير:" وهذا أمر ثان بهذا الصنيع ، وقد كان نكل بهم به قبل ولادة موسى ، عليه السلام ، حذرا من وجوده ، فكان خلاف ما رامه وضدّ ما قصده فرعون. وهكذا عومل في صنيعه هذا أيضا ، إنما أراد قهر بني إسرائيل وإذلالهم ، فجاء الأمر على خلاف ما أراد : نصرهم الله عليه وأذله ، وأرغم أنفه ، وأغرقه وجنوده"[٩].

قوله تعالى:{وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" وإنَّا عالون عليهم بقهر المُلْكِ والسلطان"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وإنا عالون عليهم بالقهر، يعني بقهر الملك والسلطان"[١١].

الفوائد:

١- خطر بطانة السوء على الملوك والرؤساء تجلت في إثارة فرعون ودفعه إلى البطش بقولهم {أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ... الخ} .

٢- أن من صفات أهل الجاهلية الكتابيين والأميين كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك كما قالوا: {أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ}[١٢].

فانظر إلى شكوى آل فرعون وقومه إليه، وتحريشهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتهييجه، فلم يملك ملأ فرعون وزبانيته سوى أن يثيروا حفيظته ويغروه بموسى ومن آمن به.

٣- ومن صفاتهم أيضا رميهم أهل الحق بالصفات الذميمة رميهم إياهم بالفساد في الأرض كما في الآية، وبانتقاص دين الملك وآلهته، وتبديل الدين.

فإن من مناهج أهل الجاهلية: أنهم لا يكتفون بالشكوى إلى أصحاب القوة، والانتقام؛ بل يصفون أهل الإيمان بالمفسدين في الأرض، كما قالوا لفرعون: {أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} [الأعراف: ١٢٧] سموا الإصلاح إفساداً. والحق هو

---

[١] تفسير الطبري:٣٨/١٣.
[٢] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٦٩):ص٤٠/١٣ .
[٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٠):ص٤٠/١٣ .
[٤] انظر: تفسير الطبري:٣٨/١٣.
[٥] التفسير الميسر:١٦٥.
[٦] تفسير الطبري:٤١/١٣ .
[٧] التفسير الميسر:١٦٥.
[٨] تفسير الطبري:٤١/١٣ .
[٩] تفسير ابن كثير:٤٦٠/٣ .
[١٠] التفسير الميسر:١٦٥.
[١١] تفسير الطبري:٤١/١٣ .
[١٢] انظر: فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية (المسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية ، الآلوسي:١٩٤، وشرح مسائل الجاهلية للحازمي:الدرس(١١)/٢٣.[مرقم آليا].

العكس؛ أن الإيمان والتوحيد: إصلاح في الأرض، وأن الكفر والمعاصي والفسوق والظلم والطغيان: إفساد في الأرض، فالذي عليه موسى وقومه إصلاح، والذي عليه فرعون وقومه إفساد، لكنهم عكسوا الأمر، فسموا الإصلاح إفساداً، وهذا دأب الكفار والمشركين والمنافقين دائماً، يسمون المصلحين والدعاة إلى الله على بصيرة، ويسمون المؤمنين الموحدين الذين يدعون إلى توحيد الله وعبادته، يسمونهم بالمفسدين في الأرض.

وهذا شيء مستمر في الناس إلى يوم القيامة، أهل الكفر والظلم والطغيان يسمون المصلحين بالمفسدين، وهذا منحدر من القرون الأولى من وقت فرعون وقومه، وهذا لا يضر أهل الإيمان، ولا يضر أهل الإصلاح، وإن لُقِبوا بما لُقِبوا، فكم لقبوا أهل الحق والدعاة إلى الله بالشناعات!

القرآن

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)} [الأعراف : ١٢٨]

التفسير:

قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم. إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.

قوله تعالى:{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا} [الأعراف : ١٢٨]، أي:" قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {قال موسى لقومه}، من بني إسرائيل، لما قال فرعون للملأ من قومه: {سنقتل أبناء بني إسرائيل ونستحيي نساءهم}،{استعينوا بالله} على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم، {واصبروا} على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون"[٢].

قال ابن عباس:" لما آمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [الأعراف : ١٢٨]، أي:" إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده"[٤].

قال الطبري:" يقول: إن الأرض لله، لعل الله أن يورثكم ،إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد، أرضَ فرعون وقومه، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها، فإن الله يورث أرضه من يشاء من عباده"[٥].

قوله تعالى:{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف : ١٢٨]، أي:" والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه"[٦].

قال الطبري: "يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب معاصيه وأدَّى فرائضه"[٧].

الفوائد:

---

[١] التفسير الميسر:١٦٥.
[٢] تفسير الطبري:٤٢/١٣.
[٣] اخرجه الطبري(١٤٩٧٢):ص٤٢/١٣.
[٤] التفسير الميسر:١٦٥.
[٥] تفسير الطبري:٤٢/١٣-٤٣.
[٦] التفسير الميسر:١٦٥.
[٧] تفسير الطبري:٤٣/١٣.

١- بيان فضيلة الصبر والتقوى وأنها مفتاح النصر وإكسير الكمال البشري.
٢- الاستعانة بالله، فما على العبد إلا أن يستعين بربه أن يعينه، ويجبر مصيبته، قال تعالى: {اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}،ومن كانت معية الله معه فهو حقيق أن يتحمل ويصبر على الأذى.
٣- اتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة، إذ أمر-في الآية- بالدعاء والاستعانة، {قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا}.

القرآن

{قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)} [الأعراف : ١٢٩]

التفسير:

قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتُلينا وأُوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نسائنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا، قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم، فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟

قوله تعالى:{قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتُلينا وأُوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نسائنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا"[١].

قال الطبري:" يقول: من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا، لأن فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظلَّه زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : قد جرى علينا مثل ما رأيت من الهوان والإذلال من قبل ما جئت يا موسى"[٣].

عن مجاهد :"{من قبل أن تأتينا}، من قبل إرسال الله إياك"[٤].

وعن وهب بن منبه في قوله: "{أوذينا من قبل أن تأتينا}، قال: قالت بنوا إسرائيل لموسى: كان فرعون يكلفنا اللبن من قبل أن تأتينا"[٥].

قوله تعالى:{وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" وأُوذينا من بعد ما جئتنا برسالة الله"[٦].

قال مجاهد:" من بعد إرسال الله إياك"[٧].

قال الطبري:" يقول: ومن بعد ما جئتنا برسالة الله، لأن فرعون لما غلبت سَحرَته، وقال للملأ من قومه ما قال، أراد تجديدَ العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم"[٨].

قال الصابوني:" يعنون أن المحنة لم تفارقهم فهم في العذاب والبلاء قبل بعثة موسى وبعد بعثته"[٩].

---

[١] انظر: تفسير الطبري:٤٣/١٣، والتفسير الميسر:١٦٥.
[٢] تفسير الطبري:٤٣/١٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٦٠/٣.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٩٧٣):ص٤٤/١٣، وابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٥٤١/٥.
[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٥):ص١٥٤١/٥.
[٦] انظر: تفسير الطبري:٤٣/١٣، والتفسير الميسر:١٦٥.
[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٥٤١/٥.
[٨] تفسير الطبري:٤٣/١٣.
[٩] صفوة التفاسير:٤٣١/١.

قال السدي:"فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رَدِفهم، قالوا: {إنا لمدركون}، وقالوا: {أوذينا من قبل أن تأتينا}، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، {ومن بعد ما جئتنا}، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، إنا لمدركون"[١].

وعن وهب بن منبه في هذه الآية:"{ومن بعد ما جئتنا}، قالت: بنوا إسرائيل لموسى كان فرعون يكلفنا اللبن قبل أن تأتينا، فلما جئت كلفنا اللبن مع التبن أيضا فقال موسى: أي رب أهلك فرعون، حتى متى تبقيه فأوحى الله عز وجل إليه إنهم لم يعملوا الذنب الذي أهلكهم به"[٢].

قوله تعالى:{قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه"[٣].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: قال موسى لقومه: لعل ربكم أن يهلك عدوكم: فرعون وقومه"[٤].

قوله تعالى:{وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم"[٥].

قال الطبري:" يقول: يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم، لا تخافونهم ولا أحدًا من الناس غيرهم"[٦].

قوله تعالى:{فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟"[٧].

قال الطبري:" يقول: فيرى ربكم ما تعملون بعدهم، من مسارعتكم في طاعته، وتثاقلكم عنها"[٨].

قال ابن كثير:"وهذا تحضيض لهم على العزم على الشكر ، عند حلول النعم وزوال النقم"[٩].

قال ابن عباس:" سار موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا فإذا هم برَهَج دوابِّ فرعون، فقالوا: {يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا}، هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه! قال: {عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون}"[١٠].

وروي عن تميم بن جذلم. قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بنا أهل البيت يفتح ويختم، فلا بد أن تقع دولة بني هاشم، فانظروا فيمن تكونوا من بني هاشم، وفيهم نزلت: {عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون}"[١١].

قال الشوكاني:" ينبغي أن ينظر في صحة هذا عن ابن عباس، فالآية نازلة في بني إسرائيل لا في بني هاشم واقعة في هذه القصة الحاكية لما جرى بين موسى وفرعون"[١٢].

الفوائد:

---

[١] أخرجه الطبري(١٤٩٧٤):ص٤٤/١٣.

[٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٧):ص١٥٤١/٥.

[٣] التفسير الميسر:١٦٥.

[٤] تفسير الطبري:٤٤/١٣-٤٥.

[٥] التفسير الميسر:١٦٥.

[٦] تفسير الطبري:٤٥/١٣.

[٧] التفسير الميسر:١٦٥.

[٨] تفسير الطبري:٤٥/١٣.

[٩] تفسير ابن كثير:٤٦٠/٣.

[١٠] أخرجه الطبري(١٤٩٧٥):ص٤٤/١٣.

[١١] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٨):ص١٥٤١/٥،وانظر: الدر المنثور:٥١٧/٣. وفي تفسير ابن أبي حاتم"فيم"، والصحيح ما ورد في الدر وهو "فيهم".

[١٢] فتح القدير:٢٦٩/٢.

١- بيان سنة الإستخلاف، إذ أن قوم موسى لما استبطؤوا العاقبة واستأخروا النصر، نبّههم موسى عليه السلام إلى سُنّة الاستخلاف، فقال:"{عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}[الأعراف: ١٢٩].
٢- أن سنة الله في خلقه: أن يحق الحق، ويبطل الباطل، ويجعل العاقبة للمتقين.
٣- أن النفوس المريضة علاجها عسير ولكن بالصبر والمثابرة تشفى إن شاء الله تعالى.
٤- بيان صدق ما رجاه موسى من ربه حيث تحقق بحذافيره.
٥- استحسان رفع معنويات المؤمنين بذكر حسن العاقبة والتبشير بوعد الله لأوليائه أهل الإيمان والتقوى.
٦- أنه جرت سنة الله العادلة أن يفتح بالحق بين رسله وبين من كذب بهم من الأمم، فينصر رسله ومن سار سيرتهم ويجعلهم خلفاء في الأرض، ويهلك من كذبهم وانحرف عن طريقتهم، ليكون ذلك من آيات الله التي يفصل بها بين الصادق والكاذب والحق والباطل والشريعة العادلة والقوانين الجائرة.

القرآن

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)} [الأعراف : ١٣٠]

التفسير:

ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقحط والجدب، ونَقْص ثمارهم وغَلاتهم؛ ليتذكروا، وينزجروا عن ضلالاتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف : ١٣٠]، أي:" ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقحط والجدب"[١].

قال الطبري:" ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالجُدوب سنة بعد سنة، والقحوط"[٢].

قال ابن كثير:" أي : اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم { بِالسِّنِينَ }، وهي سِنِي الجوع بسبب قلة الزروع "[٣].

قال قتادة:" فأما «السنين»، فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف : ١٣٠]، قولان:

أحدهما : يعني بالجوع ، قاله مجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وعبدالله في رواية ابي عبيدة[٧].

والثاني : أن معنى السنين الجدوب ، قاله الحسن[٨].

والعرب تقول : أخذتهم السنة إذا قحطوا وأجدبوا .

وقال الفراء : المراد بالسنين الجدب والقحط عاماً بعد عام .

قوله تعالى:{وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ} [الأعراف : ١٣٠]، أي:" ونَقْص ثمارهم وغَلاتهم"[٩].

قال رجاء بن حيوة:" حيث لا تحمل النخلة إلا تمرة واحدة"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٥.
[٢] تفسير الطبري:٤٥/١٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٦٠/٣.
[٤] أخرجه الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣.
[٥] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٧):ص٤٦/١٣.
[٦] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣.
[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٦):ص٤٥/١٣-٤٦.
[٨] انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٢.
[٩] التفسير الميسر:١٦٥.

وقال كعب:" يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة"[2].
قال الطبري:" يقول: واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل"[3].
قال قتادة:" وأما «بنقص من الثمرات»، فكان ذلك في أمصارهم وقراهم"[4].
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف : ١٣٠]، أي:" ؛ ليتذكروا، وينزجروا عن ضلالاتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة"[5].
قال الطبري:" يقول: عظة لهم وتذكيرًا لهم، لينزجروا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة"[6].
قال ابن عباس:" لما أخذ الله آل فرعون بالسنين يبس كل شجر لهم وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر واجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت تزعم كما تزعم فآتينا في نيل مصر بماء قال: غدوة يصبحكم الماء، فلما خرجوا من عنده قال: أي شيء صنعت، أنا أقدر على أن أجري في نيل مصر ماء غدوة أصبح فيكذبوني، فلما كان في جوف الليل قام واغتسل ولبس مدرعة صوف، ثم خرج ماشيا حتى أتى نيل مصر، فقام في بطنه فقال: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تقدر على أن تملأ نيل مصر ماء فاملأه ماء، فما علم إلا بجرير الماء يقبل، فخرج يحفز وأقبل النيل يزخ بالماء لما أراد الله بهم من الهلكة"[7].
الفوائد:

١- من تدبير الله تعالى أخذه عباده بالشدائد لعلهم يذكرون فيتعظون ويتوبون.
٢- أن الأمر كله راجع إلى الله؛ فالواجب حمده في الحالتين؛ حالة السراء وحالة الضراء، وحسن الظن به، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة.

يكون المسلم دائما وأبدًا مع الأحداث؛ يرجعها إلى خالقها، ويسأله من خيرها، ولا يلقي باللوم عليها ويسبها ويفسرها بغير تفسيرها الصحيح، وليعلم أن ما أصابه من هذه الأحداث مما يكره إنما هو بتقدير من الله وتسليط لها عليه بسبب ذنوبه، هذا هو التفسير الصحيح لمجريات الأحداث.

القرآن

{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)} [الأعراف : ١٣١]

التفسير:

فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه. ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغمارهم في الجهل والضلال.
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه"[8].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون في دنياهم ، {قالوا لنا هذه} ، نحن أولى بها"[1].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٩٧٩):ص٤٦/١٣ .
(٢) أخرجه الطبري(١٤٩٨٠):ص٤٦/١٣ .
(٣) تفسير الطبري:٤٥/١٣ .
(٤) أخرجه الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣ .
(٥) التفسير الميسر:١٦٥.
(٦) تفسير الطبري:٤٥/١٣.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٤١):ص١٥٤٢/٥.
(٨)التفسير الميسر:١٦٦.

قال ابن كثير:" أي : من الخصب والرزق {قَالُوا لَنَا هَذِهِ}، أي : هذا لنا بما نستحقه"[2].
عن مجاهد في قوله:" {فإذا جاءتهم الحسنة}، العافية والرخاء، {قالوا لنا هذه}، نحن أحق بها"[3].
قال ابن زيد:"الحسنة: ما يحبُّون"[4].
قوله تعالى:{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه"[5].
قال الطبري:" يعني: جدوب وقحوط وبلاء، يتشاءموا ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية، مذ جاءنا موسى عليه السلام"[6].
قال ابن كثير:" أي:جدب وقحط {يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ }،أي:هذا بسببهم وما جاؤوا به"[7].
عن مجاهد :"{وإن تصبهم سيئة}، بلاء وعقوبة، {يطيروا}، يتشاءموا بموسى"[8].
قال ابن زيد:" قالوا: ما أصابنا هذا إلا بك يا موسى وبمن معك، ما رأينا شرًّا ولا أصابنا حتى رأيناك! "[9].
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم"[10].
قال ابن عباس:" يقول: مصائبهم عند الله"[11]. وفي رواية:" الأمر من قبل الله"[12].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم - وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر إلا عند الله"[13].
قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك؛ لانغمارهم في الجهل والضلال"[14].
قال الطبري:" أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يطّيّرون بموسى ومن معه"[15].
الفوائد:

١- بطلان التطير مطلقا، وإنما الشؤم في المعاصي بمخالفة شرع الله فيترتب على الفسق والعصيان البلاء والعذاب.

قال رسول الله -ﷺ-: "لا طيرة، وخيرها الفأل". قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم"[16].

---
(1) تفسير الطبري:٤٧/١٣.
(2) تفسير ابن كثير:٤٦١/٣.
(3) أخرجه الطبري(١٤٩٨٣):ص٤٧/١٣.
(4) أخرجه الطبري(١٤٩٨٥):ص٤٧/١٣.
(5) التفسير الميسر:١٦٦.
(6) تفسير الطبري:٤٧/١٣.
(7) تفسير ابن كثير:٤٦١/٣.
(8) أخرجه الطبري(١٤٩٨٣):ص٤٧/١٣.
(9) أخرجه الطبري(١٤٩٨٥):ص٤٧/١٣.
(10) التفسير الميسر:١٦٦.
(11) أخرجه الطبري(١٤٩٨٦):ص٤٨/١٣.
(12) أخرجه الطبري(١٤٩٨٧):ص٤٨/١٣.
(13) تفسير الطبري:٤٨/١٣.
(14) التفسير الميسر:١٦٦.
(15) تفسير الطبري:٤٨/١٣.
(16) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، وباب الفأل. وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم.

الفرق بين الطيرة وبين الفأل، أن الطيرة سوء ظن بالله عز وجل، وصرف شيء من حقوقه عز وجل لغيره، وتعلق للقلوب بمخلوق لا ينفع ولا يضر. والفأل حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، والرسول ﷺ "إنما كان يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به عز وجل، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال"[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: "الطيرة شرك، الطيرة شرك. وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل"[٢]، وزيادة: "وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل"، أي: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك؛ ولكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر، أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده[٣].

والطيرة محرمة شرعا، وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، لما فيها من سوء الظن بالله، وتعلق القلوب بغيره، وصرف شيء من حقوقه لغيره[٤].

٢- أن الخير والشر مقدران من الله.
٣- تحريم كفر النعمة.
٤- أن الجهل سبب الكفر والمعاصي وسوء الأخلاق وفساد الأحوال.

القرآن

{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢)} [الأعراف : ١٣٢]

التفسير:

وقال قوم فرعون لموسى: أي آية تأتِنا بها، ودلالة وحجة أقمتها لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون، فما نحن لك بمصدِّقين.

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا} [الأعراف : ١٣٢]، أي:" وقال قوم فرعون لموسى: أي آية تأتِنا بها، ودلالة وحجة أقمتها لتصرفنا عما نحن عليه من دين فرعون"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى، مهما تأتنا به من علامة ودلالة، لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون"[٦].

قال ابن زيد في قوله: "{مهما تأتنا به من آية} ، قال: إن ما تأتنا به من آية، وهذه فيها زيادة «ما»"[٧].

قال ابن كثير:" يقولون : أيُّ آية جئتنا بها ودلالة وحجة أقمتها "[٨].

قوله تعالى:{فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ١٣٢]، أي:" فما نحن لك بمصدِّقين"[٩].
بمصدِّقين"[٩].

قال الطبري:" يقول: فما نحن لك في ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه"[١].
إليه"[١].

---

[١]فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٢١٥. وانظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢/ ٩٨. وفتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٤٣٤-٤٣٥. والأسئلة والأجوبة في العقيدة للأطرم ص٦٥.

[٢]أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في الطيرة، والترمذي في جامعه، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة- وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة. وصححه الألباني "السلسلة الصحيحة رقم ٤٢٩".

[٣]انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص٤٤٠.

[٤] انظر: المفيد في مهمات التوحيد:١٤٦.

[٥]التفسير الميسر:١٦٦.

[٦] تفسير الطبري:٤٩/١٣.

[٧] أخرجه الطبري(١٤٩٨٨):ص٤٩/١٣.

[٨] تفسير ابن كثير:٤٦١/٣.

[٩]التفسير الميسر:١٦٦.

قال ابن كثير:أي: "رددناها فلا نقبلها منك ، ولا نؤمن بك ولا بما جئت به "[٢].

الفوائد:

١- عدم إيمان آل فرعون مع توارد الآيات عليهم دال على أن إيمانهم لم يسبق به القدر. كما هو دال على أن الآيات المعجزات لا تستلزم الإيمان بالضرورة.

٢- ويستفاد من الآية الكريمة: أنه لا يكفر أحد إلا بعد العلم والعناد، إذ أن تمرُّد فرعون وقومه وإصرارهم على الباطل جعلهم يتهكّمون بموسى.

القرآن

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)} [الأعراف : ١٣٣]

التفسير:

فأرسلنا عليهم سيلا جارفًا أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، وأرسلنا القُمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسلنا الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسلنا أيضًا الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض، ومع كل هذا ترفَّع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قومًا يعملون بما ينهى الله عنه من المعاصي والفسق عتوًّا وتمردًا.

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" فأرسلنا عليهم سيلا جارفًا أغرق الزروع والثمار"[٣].

قال الضحاك:" أمطر الله عليهم السماء حتى امتنع عنهم كل شيء"[٤].

قال ابن عباس:" مطروا بالليل والنهار ثمانية أيام"[٥].

قال إسماعيل بن عبيد الله: "كان الطوفان الذي أصاب الناس في نيسان"[٦].

وفي «الطُّوفَانَ»، ستة أقوال :

أحدها : أنه الغرق بالماء الزائد ، قاله ابن عباس[٧]، وأبو مالك[٨]، ومجاهد[٩]، والضحاك[١٠].

قال ابن عباس:" كان أول الآيات الطوفان، فأرسل الله عليهم السماء"[١١].

والثاني : أنه الماء والطاعون ، قاله مجاهد[١٢].

والثالث : أنه الموت ، قاله عطاء[١٣]، وعبدالله بن كثير[١٤].

وروت عائشة قالت : قال رسول الله -ﷺ-" الطُّوفَانُ الْمَوتُ"[١٥].

---

[١] تفسير الطبري:٤٩/١٣.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٦١/٣.

[٣] التفسير الميسر:١٦٦.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٥٤):ص١٥٤٤/٥.

[٥] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٥٧):ص١٥٤٤/٥.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٢):ص١٥٤٥/٥.

[٧] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٥):ص٥٠/١٣.

[٨] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٠):ص٥٠/١٣.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٣):ص٥٠/١٣.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩١):ص٥٠/١٣.

[١١] أخرجه الطبري(١٤٩٨٩):ص٥٠/١٣.

[١٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٦٠):ص١٥٤٥/٥.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٧):ص٥١/١٣.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٩):ص٥١/١٣.

[١٥] أخرجه الطبري(١٤٩٩٦):ص٥٠/١٣-٥١، وابن أبي حاتم(٨٨٥٥)، و(٨٨٥٦):ص١٥٤٤/٥

والرابع : أنه أمر من الله طاف بهم ، وهو مروي أيضاً عن ابن عباس[1]، ثم قرأ قوله تعالى:{ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} [القلم: ١٩]. وهذا اختيار الطبري[2].
والخامس : أنه كثرة المطر والريح [3]، واستدل قائل ذلك بقول حسيل بن عرفطة[4]:
غَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ عِرْفَانِهِ   خُرُقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ
والسادس : أنه عذاب من السماء، واستدل قائل ذلك بقول أبي النجم [5]:
قَدْ مَدَّ طُوفَانٌ فَبَثَّ مَدَدَا   شَهْرًا شَآبِيبَ وَشَهْرًا بَرَدَا
قوله تعالى:{وَالْجَرَادَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم"[6].
قال مجاهد:" الجراد يأكل زروعهم ونباتهم"[7]. وفي رواية أخرى:" والجراد تأكل مسامير زنجهم يعني أبوابهم وثيابهم"[8].
قال الضحاك:"فأرسل الله عليهم الجراد الذي لا أجنحة له فتتبع ما بقي من حروفهم وشجرهم، وسائر نباتهم"[9].
وروي عن ابن عباس، قال:" الجراد: نثرة من حوت في البحر"[10].
قال ابن عباس:" فأرسل الله عليهم الجراد فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم، قالوا يا موسى: ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد، فإنا سنؤمن لك: ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، وكان قد بقي لهم من زرعهم ومعايشهم بقايا، فقالوا: قد بقي لنا ما هو كافينا، فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني إسرائيل"[11].
قال ابن كثير:" وأما الجراد فمعروف مشهور، وهو مأكول ؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي يعفُور، قال : سألت عبد الله بن أبي أَوْفَى عن الجراد ، فقال : «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»[12]، وروى الشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وابن ماجة من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : «أحلت لنا ميتتان ودمان : الحوت والجراد ، والكبد والطحال»[13]...وعن سلمان قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد فقال : «أكثر جنود الله، لا آكله، ولا أحرمه»[14].
قال ابن كثير:" وإنما تركه ، عليه السلام لأنه كان يعافه ، كما عافت نفسه الشريفة أكل الضب ، وأذن فيه...وقد روى ... عن ابن عباس قال : «كان رسول الله ﷺ لا يأكل الجراد ، ولا الكلوتين ، ولا الضب ، من غير أن يحرمها. أما الجراد : فرجز وعذاب. وأما الكلوتان :

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠١):ص٥٢/١٣.
[2] انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٣-٥٣.
[3] انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٣.
[4]نوادر أبي زيد: ٧٧، الوساطة: ٣٢٩، اللسان (طوف) ، وقبله: لَمْ يَكُ الحَقُّ عَلَى أَنْ هَاجَهُ ... رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسِّرَرْ
قال أبو حاتم ((بالسرر)) بفتح السين والراء. و ((الخرق)) : القطع من الريح، واحدتها ((خرقة)) . و ((طوفان المطر)) ، كثرته. وروى الأصمعى ((خرق)) (يعني بضم الخاء والراء) . هذا نص ما في نوادر أبي زيد. و ((خرق)) (بضمتين) جمع ((خريق)) ، وهي الريح الشديدة الهبوب التي تخترق المواضع.
[5] انظر: تفسير الطبري:٥٤/١٣، والنكت والعيون:٢٥٢/٢.
[6]التفسير الميسر:١٦٦.
[7] أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.
[8] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٥):ص١٥٤٦/٥.
[9] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٧):ص١٥٤٦/٥.
[10] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٨):ص١٥٤٦/٥.
[11] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٣):ص١٥٤٥/٥.
[12]صحيح البخاري برقم (٥٤٩٥) ، وصحيح مسلم برقم (١٩٥٢).
[13]مسند الشافعي (١٧٣٤) ، ومسند أحمد (٩٧/٢) ، وسنن ابن ماجة برقم (٣٢١٨). وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف وقد رجح أبو زرعة والدارقطني وقفه.
[14]سنن أبي داود (٣٩١٣).

فلقربهما من البول. وأما الضب فقال : "أتخوف أن يكون مسخا»[١]...وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يشتهيه ويحبه ، فروى عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر : «أن عمر سُئل عن الجراد فقال : ليت أن عندنا منه قَفْعَة أو قفعتين نأكله»[٢]

وعن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال ، سمع أنس بن مالك يقول : «كان أزواج النبي ﷺ يَتَهادَيْن الجراد على الأطباق»[٣]" [٤].

عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مريم بنت عمران ، عليها السلام ، سألت ربها عز وجل أن يطعمها لحما لا دم له، فأطعمها الجراد ، فقالت : اللهم أعشه بغير رضاع ، وتابع بَيْنَه بغير شياع»[٥]. وقال نُمَير : "الشَيَاع" : الصوت.

عن أبي زُهَيْر النميري قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تقاتلوا الجراد ، فإنه جند الله الأعظم"[٦]. قال ابن كثير:"غريب جدًا"[٧].

عن عامر قال :"سئل شُرَيْح القاضي عن الجراد ، فقال : قبح الله الجرادة. فيها خلقة سبعة جبابرة : رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل. وذنبها ذنب حية ، وبطنها بطن عقرب"[٨].

قوله تعالى:{وَالْقُمَّلَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا القُمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات"[٩].

وفي «الْقُمَّلَ»، أقوال:

أحدها : أنه الدَبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له. وهذا قول ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، وعكرمة[١٣]، والسدي[١٤].

والثاني : أنه السوس الذي في الحنطة. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٥].

والثالث : البراغيث ، قاله ابن زيد[١٦].

والرابع : الحنمان: صغارالقردان ، قاله أبو عبيدة[١٧].

والخامس:هو دواب سود صغار، قاله الحسن[١٨]، وسعيد بن جبير[١]، وشاهده قول الأعشى[٢]:

الأعشى[٢]:

---

[١] رواه ابن عساكر كما في تفسير ابن كثير:٤٦٢/٣، و) ورواه ابن صصري في أماليه كما في الكنز برقم (١٨١٨٥) وفي إسناده انقطاع فإن عطاء لم يسمع من ابن عباس وابن جريج مدلس وقد عنعن.

[٢]رواه مالك في الموطأ (٩٣٣/٢).

[٣]سنن ابن ماجة برقم (٣٢٢٠) وقال البوصيري في الزوائد (٦٤/٣) : "هذا إسناد ضعيف".

[٤] تفسير ابن كثير:٤٦٢/٣.

[٥] رواه أبو القاسم البغوي كما في تفسير ابن كثير:٤٦٢/٣-٤٦٣، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٦/٨) (١٦٦/٨) من طريق بقية بن الوليد به قال الهيثمي في المجمع (٣٩/٤) : "فيه بقية وهو ثقة لكنه مدلس ، ويزيد القيني لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات"..

[٦] رواه ابوبكر بن ابي داود، كما في تفسير ابن كثير:٤٦٣/٣، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٧/٢٢) ، ، وأبو االشيخ الأصبهاني في العظمة برقم (١٢٩٣) من طريق إسماعيل بن عياش ، عن ضمضم بن زرعة به.

[٧] تفسير ابن كثير:٤٦٣/٣.

[٨] رواه الحافظ أبو الفرج المعافي بن زكريا الحريري، انظر: تفسير ابن كثير:٤٦٣/٣.

[٩]التفسير الميسر:١٦٦.

[١٠] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٤):ص٥٤/١٣.

[١١] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٧):ص٥٥/١٣.

[١٢] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٦):ص٥٤/١٣.

[١٣] انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٠):ص٥٥/١٣.

[١٤] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٥):ص٥٤/١٣.

[١٥] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٢):ص٥٤/١٣.

[١٦] انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٢):ص٥٥/١٣.

[١٧] انظر: مجاز القرآن:٣٧٠/٢.

[١٨] انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٣):ص٥٥/١٣.

قَوْماً تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤهُهُمْ وَسَلاَسِلاً أُجُداً وَبَاباً مُؤْصَداً

وواحد «القمل»: قملة[3].

والسادس: القمل: الجراد الذي يطير. قاله أبو صخر[4].

وروي، عن عكرمة أنه قال: "القمل بنات الجراد"[5].

والسابع: أن القمل الجعلان. قاله حبيب بن أبي ثابت[6].

قوله تعالى:{وَالضَّفَادِعَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم"[7].

قال مجاهد:" والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم"[8].

قال ابن عباس:" لم يكن شيء أشد على آل فرعون من الضفادع كانت تأتي القدور وهي تغلي من اللحمان فتلقي أنفسها فيها فأشابها الله برد الماء والثرى إلى يوم القيامة"[9].

وعن ابن عباس ايضا:" فبينا موسى عليه السلام جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع من نهر قال: فقال يا فرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا الضفدع؟ قال: وما عسى أن يكون عند هذا الضفدع. فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع وما منهم من أحد يتكلم إلا وثب ضفدع في فيه، وما من آنيتهم من شيء إلا وهي ممتلئة من الضفادع فقال فرعون: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، قال: فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع"[10].

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٣):ص١٣/٥٥.

[2]ديوانه: ١٥٤، واللسان (قمل) . من قصيدته التي قالها لكسرى حين أراد من بنى ضبيعة (رهط الأعشى) رهائن، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد، فأخذ كسرى قيس بن مسعود، ومن وجد من بكر، فجعل يحبسهم، فقال له الأعشى: مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى، إذَا مَا جَاءَهُ رُهُنًا، ... عَنِّى مآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا

آلَيْتُ لا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا ... رُهْنًا فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

حَتَّى يُفِيدُكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً ... نَعْشُ، وَيَرْهَنُكَ السِّمَاكُ الفَرْقَدَا

يقول: من يبلغ كسرى عني تغضبه، رسائل تأتيه من كل مكان: أننا آلينا أن لا نعطيه من أبنائنا رهائن، يتولى إفسادهم كما أفسد رجالا من قبل، ولن ينال منا ذلك حتى تعطيه نجوم السماء رهائن من صواحباتها. ثم قال له:

لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إيَادُ دَارَهَا ... تَكْرِيت تَمْنَع حَبَّها أَنْ يُحْصَدَا

قَوْمًا يُعَالَجُ.. .. ..

جَعَلَ الإلَهُ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

يقول: لسنا كإياد التي آتتك الرهائن فأنها نزلت تكريت تنظر ما يحصد من الزرع من سنة إلى سنة، فهم حراثون، قد قملوا، فقام أبناؤهم يعالجون القمل، ويجرون السلاسل ليشدوها على الأجران، ويجهدون في تغليق أبوابها. أما نحن، فالله قد جعل إبلنا رزقنا، ضمنت لنا من ألبانها طعاماً لا ينفد، ونزعنا عن أعناقنا ربقة عبودية القرى والأمصار، إلى حرية البادية، نغدو فيها ونروح، ليس لك علينا سلطان. وهذا من شعر أحرار العرب. و ((الأجد)) (بضمتين) : القوى الموثق. يقال: ((ناقة أجد)) ، قوية وثيقة التركيب. و ((ناقة مؤجدة القرى)) ، مثله. ويقال: ((الحمد لله الذي آجدنى بعد ضعف)) ، أي: قوانى. و ((المؤصد)) من ((أوصد الباب)) أغلقه وأطبقه، فهو ((موصد)) و ((مؤصد)) بالهمز، ومثله قوله تعالى ذكره: ((إنها عليهم مؤصدة)) بالهمز، أي: مطبقة.

[3] انظر: النكت والعيون:٢/٢٥٢.

[4] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧٣):ص٥/١٥٤٧.

[5] تفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٥٤٧ حكاه دون ذكر الإسناد.

[6] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧٤):ص٥/١٥٤٧.

[7]التفسير الميسر:١٦٦.

[8] أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص١٣/٦٤.

[9] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٧٧):ص٥/١٥٤٨.

[10] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٧٦):ص٥/١٥٤٧-١٥٤٨.

وقال ابن عباس أيضا:" كانت الضفادع برّية، فلما أرسلها الله على آل فرعون، سمعت وأطاعت، فجعلت تغرق أنفسها في القُدُور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور، فأثابها الله بحسن طاعتها بَرْدَ الماء"[١].

قال عبد الله بن عمرو: "لا تقتلوا الضفادع فإنها لما أرسلت على بني إسرائيل. انطلق ضفدع منها فوقع في تنور فيه نار طلبت بذلك مرضاة الله فأبدلهن الله أبرد شيء تعلمه الماء وجعل نقيقهن التسبيح"[٢].

قوله تعالى:{وَالدَّمَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا أيضًا الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب"[٣].

قال قتادة:" ثم أرسل عليهم الدم فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما"[٤].
دما"[٤].

قال مجاهد:" والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم"[٥].

وقال مجاهد أيضا:" لما سال النِّيلُ دمًا، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيّبًا، ويستقي الفرعوني دمًا، ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماءً طيّبًا وما يلي الفرعوني دمًا"[٦].

عن محمد بن كعب القرظي: أنه حُدِّث: "أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأةَ من بني إسرائيل حين جَهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك! فتغرف لها من جرَّتها أو تصبّ لها من قربتها، فيعود في الإناء دمًا، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مُجيّه في فيَّ! فتأخذ في فيها ماءً، فإذا مجته في فيها صار دمًا، فمكثوا في ذلك سبعةَ أيام"[٧].

وفي «الدَّم»، قولان:

أحدهما : أن ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً ، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً وإذا غرف الإسرائيلي كان ماء[٨].

والثاني : أنه رعاف كان يصيبهم ، قاله زيد بن أسلم[٩].

قال ابن عباس:" لما أتى موسى فرعون بالرسالة، أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بني إسرائيل، فاستكبر قال: لن أرسل معك بني إسرائيل! فأرسل الله عليهم الطوفان -وهو الماء- أمطر عليهم السماء، حتى كادوا يهلكون، وامتنع منهم كل شيء، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك بما عهد عندك، لئن كشفت عنّا هذا لنؤمننّ لك ولنرسلن معك بني إسرائيل! فدعا الله فكشف عنهم المطر، فأنبت الله لهم حُروثهم، وأحيا بذلك المطر كل شيء من بلادهم، فقالوا: والله ما نحبَّ أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر، ولقد كان خيرًا لنا، فلن نرسل معك بني إسرائيل، ولن نؤمن لك يا موسى! فبعث الله عليهم الجراد، فأكل عامة حروثهم، وأسرع الجراد في فسادِها، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد، فإنا مؤمنون لك، ومرسلون معك بني إسرائيل!

فكشف الله عنهم الجراد. وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقيَّة، فقالوا: قد بَقي لنا من حروثنا ما كان كافِيًا، فما نحن بتاركي ديننا، ولن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل! فأرسل الله عليهم القمّل و«القمّل»: الدبى، وهو الجراد الذي ليست له أجنحة، فتتبع ما بقي من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم، فكان القمّل أشدّ عليهم من الجراد، فلم يستطيعوا للقمل

---

[١] أخرجه الطبري(١٥٠٢٢):ص٦٣/١٣.

[٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٧٩):ص١٥٤٨/٥.

[٣] التفسير الميسر:١٦٦.

[٤] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨٢):ص١٥٤٩/٥.

[٥] أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.

[٦] أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.

[٧] أخرجه الطبري(١٥٠٢٤):ص٦٤/١٣.

[٨] انظر: النكت والعيون:٢٥٣/٢.

[٩] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٢٨):ص٦٨/١٣.

حيلةً، وجزعوا من ذلك. وأتوا موسى، فقالوا: يا موسى، ادع لنا ربك يكشف عنا القمل، فإنه لم يبق لنا شيئًا، قد أكل ما بقي من حروثنا، ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل! فكشف الله عنهم القمل، فنكثوا، وقالوا: لن نؤمن لك، ولن نرسل معك بني إسرائيل! فأرسل الله عليهم الضفادع، فامتلأت منها البيوتُ، فلم يبق لهم طعام ولا شراب إلا وفيه الضفادع، فلقوا منها شيئًا لم يلقوه فيما مضى، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربّك لئن كشفت عنا الرّجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل! قال: فكشف الله عنهم، فلم يفعلوا، فأنزل الله: {فلمَّا كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون} ، إلى: {وكانوا عنها غافلين}"[1].

قال محمد بن إسحاق:" فرجع عدوّ الله –يعني: فرعون، حين آمنت السحرة- مغلوبًا مغلولا ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتماديَ في الشر، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصلات،، فأرسل الطوفان - وهو الماء- ففاض على وجه الأرض، ثم ركد، لا يقدرون على أن يحرُثوا، ولا يعملوا شيئًا، حتى جُهِدوا جوعًا؛ فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل! فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم، فلم يفُوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل الشجر، فيما بلغني، حتى إنْ كان ليأكل مساميرَ الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القمّل، فذكر لي أنّ موسى أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه. فمضى إلى كثيبٍ أهيل عظيم، فضربه بها، فانثَالَ عليهم قمَّلا حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار. فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحدٌ ثوبًا ولا طعامًا ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء، إلا عاد دمًا عبيطًا"[2].

قوله تعالى:{آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض"[3].

قال أبو عبيدة:" أي: إن بعضها منفصل من بعض، ويقال إنه كان بين الآية والآية ثمانية أيام، وأرسلت عليهم الضفادع تدخل في ثيابهم وفي طعامهم، و{آيات} منصوب على الحال، وهي العلامات"[4].

قال الطبري:" معناه: علامات ودلالات على صحّة نبوّة موسى، وحقيقة ما دعاهم إليه {مفصلات}، قد فصل بينها، فجعل بعضها يتلو بعضًا، وبعضها في إثر بعض"[5].

قال ابن إسحاق: {آيات مفصلات}، أي: آية بعد آية، يتبع بعضُها بعضًا"[6].

قال ابن عباس:" فكانت آيات مفصلات بعضها في إثر بعض، ليكون لله الحجة عليهم، فأخذهم الله بذنُوبهم، فأغرقهم في اليمّ"[7].

عن ابن جريج قوله: "{يات مفصلات}، قال: يتبع بعضها بعضًا، ليكون لله عليهم الحجة، فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت، وترفع عنهم شهرًا، قال الله عز وجل: {فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ} [الأعراف: ١٣٦] ... الآية"[1].

---

[1] أخرجه الطبري(١٥٠٢١):ص٦٢/١٣-٦٣.
[2] أخرجه الطبري(١٥٠٢٣):ص٦٣/١٣-٦٤.
[3]التفسير الميسر:١٦٦.
[4] مجاز القرآن:٣٧٠/٢.
[5] تفسير الطبري:٦٨/١٣.
[6] أخرجه الطبري(١٥٠٣١):ص٦٩/١٣.
[7] أخرجه الطبري(١٥٠٢٩):ص٦٩/١٣.

وروي عن مجاهد:"{آيات مفصلات}، قال: معلومات"[٢].

عن نوف الشامي قال: "مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلبت السحرة عشرين سنة يريهم الآيات الجراد، والقمل والضفادع والدم فيأبوا، يعني: أن يسلموا"[٣].

قوله تعالى:{فَاسْتَكْبَرُوا} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" ومع كل هذا ترفَّع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله"[٤].

قال الطبري:" فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج، عن الإيمان بالله وتصديق رسوله موسى ﷺ واتباعه على ما دعاهم إليه، وتعظموا على الله وعتَوا عليه"[٥].

قال ابن عباس:" فلما أتى موسى فرعون بالرسالة فاستكبروا قال: لن أرسل معك بني إسرائيل"[٦].

قوله تعالى:{وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وكانوا قومًا يعملون بما ينهى الله عنه من المعاصي والفسق عتوًّا وتمردًا"[٧].

قال الطبري:" يقول: كانوا قومًا يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوًّا وتمرّدًا"[٨].

الفوائد:

١- أن المعجزة التى تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة، لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده.
٢- التنديد بالإجرام وهو إفساد النفس بالشرك والمعاصي.
٣- أن الله تعالى أعطى موسى-عليه السلام- تسع آيات بينات {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [الإسراء: ١٠١]، وهي:

أولا: العصا:

وأعظم هذه الآيات وأكبرها العصا التي كانت تتحول إلى حيّة عظيمة عندما يلقيها على الأرض (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى - قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى - قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى - فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى - قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) [طه: ١٧-٢١] .

وكان من شأن هذه العصا أن ابتلعت عشرات من الحبال والعصي التي جاء بها فرعون ليغالبوا موسى، (قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى - قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى - فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى - قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى - وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طه: ٦٥-٦٩] .

وعندما عاين السحرة ما فعلته حيَّة موسى، علموا أنَّ هذا ليس من صنع البشر، إنما هو من صنع الله خالق البشر، فلم يتمالكوا أن خروا أمام الجموع ساجدين لله ربِّ العالمين (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) [طه: ٧٠] .

ثانيا:- اليد:

ومن الآيات التي أرسل بها موسى ما ذكره الله في قوله: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى} [طه: ٢٢] ، كان يدخل يده في جيبه -

---

[١] أخرجه الطبري(١٥٠٣٠):ص٦٩/١٣.
[٢] أخرجه الطبري(١٥٠٣٢):ص٦٩/١٣.
[٣] أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨٤):ص١٥٤٩/٥.
[٤]التفسير الميسر:١٦٦.
[٥] تفسير الطبري:٧٠/١٣.
[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٦):ص١٥٤٩/٥.
[٧]التفسير الميسر:١٦٦.
[٨] تفسير الطبري:٧٠/١٣.

درع قميصه-، ثم ينزعها، فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضاً من غير سوء، أي: من غير برص، ولا بهق.

وذكر الله سبع آيات في سورة الأعراف، فقد ذكر الله أنه أصابهم:

ثالثا:- بالسنين:

وهي ما أصابهم من الجدب والقحط، بسبب قلة مياه النيل، وانحباس المطر عن أرض مصر.

رابعا:- نقص الثمرات:

ذلك أن الأرض تمنع خيرها، وما يخرج يصاب بالآفات والجوائح.

خامسا:- الطوفان:

الذي يتلف المزارع ويهدم المدن والقرى.

سادسا:- الجراد:

الذي لا يدع خضراء ولا يابسة.

سابعا:- القمّل:

وهي حشرة تؤذي الناس في أجسادهم.

ثامنا:- الضفادع التي نغصت عليهم عيشتهم لكثرتها.

تاسعا:- الدم:

الذي يصيب طعامهم وشرابهم.

فهذه الآيات التسع التي أرسل بها موسى إلى فرعون، وإلاّ فالآيات التي أجراها الله على يد موسى أكثر من ذلك، فمن ذلك ضرب موسى البحر بعصاه وانفلاقه، ومن هذا ضربه الحجر فينفلق عن اثنتي عشرة عيناً، وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل في صحراء سيناء، وغير ذلك من الآيات.

القرآن

{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤)} [الأعراف : ١٣٤]

التفسير:

ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدِّقنَّ بما جئت به، ونتبع ما دعوت إليه، ولنطلقنَّ معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا.

قوله تعالى:{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" ولما نزل العذاب على فرعون وقومه"[١].

وفي قوله تعالى:{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} [الأعراف : ١٣٤]، وجهان:

أحدهما : أنه العذاب ، قاله الحسن ، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، وابن زيد[٤].

والثاني : هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان ، قاله سعيد بن جبير[٥]، وهو مروي عن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه[٦].

وروي عن رسول الله ﷺ: "الطاعون رجز عذاب عذب به قوم قبلكم"[٧].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٦.

[٢] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٥):ص٧١/١٣.

[٣] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٧):ص٧١/١٣.

[٤] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٩):ص٧١/١٣-٧٢.

[٥] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٣):ص٧٠/١٣-٧١.

[٦] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٤):ص٧١/١٣، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٨٨٨):ص١٥٥٠/٥.

[٧] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٧):ص١٥٥٠/٥.

قال سعيد بن جبير:" وأمر موسى قومه من بني إسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعونَ بالآيات الخمس: الطوفان وما ذكر الله في هذه الآية، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشًا، ثم ليخضب كفّه في دمه، ثم ليضرب به على بابه! فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تعالجُون هذا الدمَ على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذابًا، فنسلم وتهلكون. فقالت القبط: فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبيّنا! فأصبحوا وقد طُعِنَ من قوم فرعون سبعون ألفًا، فأمسوا وهم لا يتدَافنون. فقال فرعون عند ذلك: {ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفتَ عنا الرجز}، وهو الطاعون، {لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل}، فدعا ربه، فكشفه عنهم، فكان أوفاهم كلّهم فرعون، فقال لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت"[١]. وروي عن ابن عباس نحو ذلك[٢].

قوله تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة"[٣].

قال الطبري:" يقول: بما أوصاك وأمرك به"[٤].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} [الأعراف : ١٣٤]، ثلاثة أقوال:

أحدها : بما تقدم إليك به أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك[٥].

والثاني : ما هداك به أن تفعله في قومك ، قاله السدي[٦].

والثالث : أن ذلك منهم على معنى القسم كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم[٧].

قوله تعالى:{لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه"[٨].

قال الطبري:" لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه "[٩].

قوله تعالى:{لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" لنصدِّقنَّ بما جئت به، ونتبع ما دعوت إليه"[١٠].

قال الطبري:" يقول: لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ولنقرَّنّ به لك"[١١].

قوله تعالى:{وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" ولنطلقنَّ معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ولنخلِّين معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤوا"[١٣].

الفوائد:

١- ضعف الإنسان يظهر عند نزول البلاء به حيث يفزع إلى الله تعالى يدعوه ويضرع إليه وعند رفعه حيث ينسى ما نزل به ويعود إلى عاداته وما كان عليه من الشرك والمعاصي إلا من آمن وعمل صالحا فأنه يخرج من دائرة الضعف حيث يصبر عند البلاء ويشكر عند النعماء.

---

[١] أخرجه الطبري الطبري(١٥٠٣٣):ص١٣/٧٠-٧١.
[٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٩٠):ص٥/١٥٥٠.
[٣]التفسير الميسر:١٦٦.
[٤] تفسير الطبري:١٣/٧٢.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢/٢٥٣.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢/٢٥٣.
[٧] انظر: النكت والعيون:٢/٢٥٣.
[٨]التفسير الميسر:١٦٦.
[٩] تفسير الطبري:١٣/٧٢-٧٣.
[١٠]التفسير الميسر:١٦٦.
[١١] تفسير الطبري:١٣/٧٣.
[١٢]التفسير الميسر:١٦٦.
[١٣] تفسير الطبري:١٣/٧٣.

٢- ومن الفوائد: مشروعية التوسل إلى الله بدعاء المؤمن لأخيه المؤمن، وقد ثبت في القرآن توسلات قوم موسى بدعاء موسى عليه الصلاة والسلام لأن يرفع الله عنهم الرجز كما في الآية الكريمة.

القرآن

{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)} [الأعراف : ١٣٥]

التفسير:

فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدَّم لهم من الإمهال وكَشْفِ العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم.

قوله تعالى:{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ} [الأعراف : ١٣٥]، أي:" فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فدعا موسى ربه فأجابه، فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم، {إلى أجل هم بالغوه}، ليستوفوا عذابَ أيامهم التي جعلَها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم "[٢].

عن ابن عباس في قوله: "{إلى أجل هم بالغوه}، قال: الغرق"[٣].

عن مجاهد:"{إلى أجل هم بالغوه}، عدد مسمى معهم من أيامهم"[٤].

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الأعراف : ١٣٥]، أي:" إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم"[٥].

قال السدي:" ما أعطوا من العهود"[٦].

قال الطبري:" يقول: إذا هم ينقضون عهودَهم التي عاهدوا ربَّهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم"[٧].

الفوائد:

١- أن الله تعالى وحده هو جالب الخير، وكاشف الكرب، ومعناه: الفارج والمجلي. يكشف الكرب ويجلي القلب، ويفرج الهم ويزيح الضر والغم[٨].

ومن أسماءه المضافة: "كاشف الضُّرِّ"، دليله: قوله تعالى: {فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍ} [الانبياء: ٨٤]، من ذكره: ذكره ابن الوزير، والشرباصي[٩].

ولقد ذهب جمع من أهل العلم إلى اعتبار الأسماء المضافة وعدِّها من ضمن الأسماء الحسنى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك أسماؤه المضافة مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدِّين، وأحسن الخالقين، وجامع النَّاس ليوم لا ريب فيه، ومقلِّب القلوب، وغير ذلك ممَّا ثبت في الكتاب والسنَّة، وثبت في الدُّعاء بها بإجماع المسلمين"[١٠].

---

[١]التفسير الميسر:١٦٦.

[٢] تفسير الطبري:٧٣/١٣.

[٣] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩١):ص١٥٥٠/٥.

[٤] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٢):ص١٥٥١/٥.

[٥]التفسير الميسر:١٦٦.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٣):ص١٥٥١/٥.

[٧] تفسير الطبري:٧٣/١٣.

[٨] انظر: المنهاج في شعب الإيمان:٢٠٢/١.

[٩] انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى:٢٠٤.

[١٠]مجموع الفتا وى ٢٢/ ٤٨٥.

والعلماء في عدِّهم لهذه الأسماء ما بين مقلٍ ومكثرٍ، فبعض تلك الأسماء التي عدُّوها، إضافتها واضحة في النُّصوص، والبعض منها لا تدلُّ النُّصوص صراحة على إضافتها، وقد سردت في هذا المطلب جميع ما وقفت عليه من ذلك، دون تمييز بين مايصحُّ ومالا يصحَّ، ولعل نظرة في دليل كلِّ اسمٍ توضح مدى صحّة إضافته أو عدم صحّةِ ذلك، وإليك تلك الأسماء[1].

٢- ومن الفوائد: الحث على شكر النعمة، والإقرار للمنعم والقيام بحقه سبحانه فيها، وشكر المنعم واجب شرعًا، وهو اعتراف بنعمه على جهه الخضوع والإذعان، ومن شكر النعمة نسبتها للمنعم، وصرف كل نعمه في طاعته[2].

القرآن

{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)} [الأعراف : ١٣٦]

التفسير:

فانتقمنا منهم حين جاء الأجل المحدد لإهلاكهم، وذلك بإحلال نقمتنا عليهم، وهي إغراقهم في البحر؛ بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرت على يد موسى، وكانوا عن هذه المعجزات غافلين، وتلك الغفلة هي سبب التكذيب.

قوله تعالى:{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [الأعراف : ١٣٦]، أي:" فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فلما نكثوا عهودهم، انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وذلك عذابه {فأغرقناهم في اليمّ}، وهو البحر، كما قال ذو الرمة[4]:

دَاوِيَّةٌ وَدُجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا يَمٌّ تَرَاطَنُ فِي حَافَاتِهِ الرُّومُ

وكما قال الراجز[5]:

كَبَاذِخِ الْيَمِّ سَقَاهُ الْيَمُّ"[6].

قال ابن عباس:" فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم الله في اليم"[7].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنهم لما عتوا وتمردوا ، مع ابتلائه إياهم بالآيات المتواترة واحدة بعد واحدة ، أنه انتقم منهم بإغراقه إياهم في اليم ، وهو البحر الذي فرقه لموسى ،

---

[1] انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى:١٨٨.

[2] انظر: العين والأثر في عقائد أهل الأثر:٣٠.

[3] صفوة التفاسير:٤٣٤/١.

[4]ديوانه: ٥٧٦، من قصيدة باذخة، وهذا البيت منها في صفه فلاة مخوفة، يقول قبله: بَيْنَ الرَّجَا والرَّجَا من جَنْبِ وَاصِيَةٍ ... يَهْمَاءَ خَابِطُهَا بِالخَوْفِ مَكْعُومُ
لِلجِنّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ ... كَمَا تَجَاوَبَ يَوْمَ الرّيحِ عَيْشُومُ
هَنَّا، وَهَنَّا وَمِنْ هَنَّا لَهُنَّ، بِهَا ... ذَاتَ الشَّمَائِلِ وَالأَيْمَانِ هَيْنُومُ
دَوِّيَّةٌ وَدُجَي لَيْل............ ... .
((الرجا)) الناحية. و ((الواصية)) ، فلاة تتصل بفلاة مخوفة أخري، كأن بعضها يوصي بعضاً بالأهوال.و ((خابطها)) الساري فيها لايكاد يهتدي. ((يهماء)) ، مبهمة لايكاد المرء يهتدي فيها. و ((مكعوم)) مشدود الفم، لايطيق أن ينطق من الرعب. و ((زجل الجن)) ، صوتها وعزيفها. و ((العيشوم)) نبت له خشخشة إذا هبت عليه الريح. و ((الهينوم)) ، الهينمة وهو صوت تسمعه ولا تفهمه. يقول تأتيه هذه الأصوات من يمين وشمال. و ((الدوية)) و، الداوية، الفلاة التي يسمع فيها دوي الصوت، لبعد أطرافها. وهذا شعر فاخر.

[5] البيت للعجاج، ديوانه: ٦٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢٢٧، من أرجوزة ذكر فيها مسعود بن عمرو العتكي الأزدي، وما أصابه وقومه من تميم رهط العجاج. فقال يذكر تميما وخزيمة، وقيس عيلان حين اجتمعت كتائبهم وجيوشهم: وَأَصْحَروا حين اسْتَجَمَّ الجَمُّ ... بِذِي عُبَابٍ بَحرُهُ غِطَمُّ
كَبَاذِخِ اليَمِّ سَقَاهُ اليَمُّ ... لَهُ نَوَاحٌ وَلَه أُسْطُمُّ.

[6] تفسير الطبري:٧٤/١٣-٧٥.

[7] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٤):ص١٥٥١/٥.

فجاوزه وبنو إسرائيل معه ، ثم ورده فرعون وجنوده على أثرهم ، فلما استكملوا فيه ارتطم عليهم ، فغرقوا عن آخرهم ، وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها"[١].

قوله تعالى:{بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف : ١٣٦]، أي:" بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عنها وعدم مبالاتهم بها"[٢].

قال الطبري:" يقول: فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها، وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم، غافلين قبل حلولها بهم أنّها بهم حالَّةٌ"[٣].

الفوائد:

١- سبب العذاب في الدنيا والآخرة التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها، والغفلة عنها حيث لا يتدبر ولا يفكر فيها وفي ما نزلت لأجله.

٢- إثبات اسم من أسماءه تعالى، وهو: المنتقم: أي: "الذي يبالغ في العقوبة لمن شاء كقوله تعالى: (فَلَما آسَفُوْنَا انْتَقَمْنَا مِنهِم فَأَغْرَقْنَاهُم أَجْمَعينَ} [الزخرف:٥٥]. والانتقام: افتعال من نقم ينقم إذا بلغت به الكراهة حد السخط"[٤].

فيوصف الله عز وجل بأنه «ذو انتقام»، وأنه ينتقم من المجرمين؛ كما يليق به سبحانه.

ورد في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقوله عن قريش: "فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر؛ فذلك قوله تعالى: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين إلى قوله جل ذكره إنا منتقمون"[٥].

حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: "فقال للنار: أنت عذابي، أنتقم بك ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من شئت"[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا في أسمائه الثابتة عن النبي ﷺ اسم المنتقم، وإنما جاء المنتقم في القرآن مقيدا كقوله: { إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} [السجدة:٢٢] وجاء معناه مضافا إلى الله في قوله: { إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إبراهيم:٤٧]"[٧].

القرآن

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)} [الأعراف : ١٣٧]

التفسير:

وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستَذَلُّون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها (وهي بلاد «الشام») التي باركنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض؛ بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك.

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٦٦/٣.

[٢] صفوة التفاسير:٤٣٤/١.

[٣] تفسير الطبري:٧٥/١٣.

[٤] شأن الدعاء:٩٠.

[٥]رواه البخاري (٤٨٢٢).

[٦]رواه الترمذي (٢٥٦١)، وأحمد (٢/ ٤٥٠) (٩٨١٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ووافقه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)). والحديث في الصحيحين حيث رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) بلفظ ((أعذب)) بدلا من ((أنتقم))..

[٧]مجموع الفتاوى: ١٧/ ٩٥.

قوله تعالى:{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستذَلُّون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها"[١].

قال الحسن:" يقول: مشارق الشام ومغاربها"[٢].

قال الطبري:يقول:" وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم، فيذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، ويستخدمونهم تسخيرًا واستعبادًا من بني إسرائيل، مشارق الأرض الشأم، وذلك ما يلي الشرق منها، {ومغاربها..}"[٣].

قوله تعالى:{الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" التي باركنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار"[٤].

قال الطبري:" يقول: التي جعلنا فيها الخير ثابتًا دائمًا لأهلها"[٥].

عن قتادة:"{وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها}، هي أرض الشام"[٦].

قوله تعالى:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض"[٧].

قال الطبري:" يقول: وَفَي وعدُ الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه، على ما وعدهم، من تمكينهم في الأرض، ونصره إياهم على عدوّهم فرعون ، و«كلمته الحسنى»، قوله جل ثناؤه: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} [القصص: ٥-٦]"[٨].

عن مجاهد:"{ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل}، قال: ظهرَ قوم موسى على فرعون، و«تمكين الله لهم في الأرض»، وما ورَّثهم منها"[٩].

قال الحسن:" لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم بشيء دعوا الله أوشك الله أن يرفع عنهم، ولكنهم فزعوا إلى السيف فوكلوا إليه والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم قرأ: {وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون}"[١٠].

عن موسى بن علي، عن أبيه قال: "كانت بنو إسرائيل بالربع من آل فرعون ووليهم فرعون أربعمائة وأربعون سنة فأضعف الله ذلك لبني إسرائيل فولاهم ثمان مائة عام وثمانين عاما، قال: وإن كان الرجل ليعمر ألف سنة في القرون الأولى وما يحتلم حتى يبلغ عشرين ومائة سنة"[١١].

قوله تعالى:{بِمَا صَبَرُوا} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه"[١٢].

قوله تعالى:{وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع"[١].

---

(١)التفسير الميسر:١٦٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٥):ص١٥٥١/٥.

(٣) تفسير الطبري:٧٦/١٣.

(٤)التفسير الميسر:١٦٦.

(٥) تفسير الطبري:٧٦/١٣.

(٦) أخرجه الطبري(١٥٠٤٦):ص٧٧/١٣، و ابن أبي حاتم(٨٨٩٦):ص١٥٥١/٥.

(٧)التفسير الميسر:١٦٦.

(٨) تفسير الطبري:٧٨/١٣.

(٩) أخرجه الطبري(١٥٠٤٨):ص٧٨/١٣، وابن أبي حاتم(٨٨٩٨):ص١٥٥١/٥.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٧):ص١٥٥١/٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٩):ص١٥٥٢/٥.

(١٢)التفسير الميسر:١٦٦.

قال الطبري:"يقول: وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العِمارات والمزارع"[٢].

قال ابن كثير:" أي: وخربنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك"[٤].

قال الطبري:" يقول: وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخرَّبنا جميع ذلك"[٥].

قال مجاهد:" يبنون البيوت والمساكن ما بلغت، وكان عنبهم غير معروش"[٦].

عن ابن عباس قوله: "{يعرشون}، يقول: يبنون"[٧].

عامة قرأة الحجاز والعراق: «يَعْرِشُونَ»، بكسر الراء، سوى عاصم بن أبي النجود، فإنه قرأه بضمّها، وهما لغتان مشهورتان في العرب[٨].

الفوائد:

١- مظاهر قدرة الله، وصادق وعده، وعظيم منته على خلقه، وحسن تدبيره فيهم فسبحانه من إله عليم حكيم رؤوف رحيم.

٢- ومن الفوائد: أن شرف البقاع ليس فيه حجة ودليل على صلاح أهلها.

وقد قال سلمان الفارسيّ لأبي الدرداء، لما دعاه إلى الأرض المقدسة ورغبه فيها: "إن الأرض لا تقدس أحداً"[٩].

وكذلك الأرض لا تؤثر في الإضلال والشقاوة، وقد سكن الحرمين والأرض المقدَّسة من هو أضلّ خلق الله وأكفرهم وأشدّهم عداوة لله بل سكن الأرض المقدسة من قتل الأنبياء وعَبَد العجل، وفعل ما قص الله عن بني إسرائيل، ولم تزل مقدسة مع ذلك تبعث فيها الأنبياء وتسكنها، ومصر دار الفراعنة والجبارين قد فتحت زمن عمر، وبنيت فيها المساجد وسكنها الصحابة والتابعون، وجملة من أكابر العلماء كالليث بن سعد ومحمد بن إدريس، وأكابر أصحابه، وأشهب صاحب مالك، وخلق لا يحصيهم إلاَّ الله من أهل العلم والدين، ولم يقل أحد منهم: هذه دار فرعون الذي قتل بني إسرائيل وكذَّب الرسل وادعى الربوبية، واتَّبعه قومه على ذلك، وما من حرم للمسلمين، ولا بلدة من بلادهم، ومساكن الأنبياء، إلاَّ وقد وقع فيها من الكفر والفسوق والقتال ما هو معروف مشهور.

فإنما يقدس المرء علمه وعمله فالمحل الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر وأهل الحق وأهل الباطل.

القرآن

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)} [الأعراف : ١٣٨]

---

[١]التفسير الميسر:١٦٦.

[٢] تفسير الطبري:٧٨/١٣.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٦٦/٣.

[٤]التفسير الميسر:١٦٦.

[٥] تفسير الطبري:٧٨/١٣.

[٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠١):ص١٥٥٢/٥.

[٧] أخرجه الطبري(١٥٠٥٠):ص٧٨/١٣، وابن أبي حاتم(٨٩٠٠):ص١٥٥٢/٥. ولفظه:" تبتنون".

[٨] انظر: تفسير الطبري:٧٩/١٣.

[٩]أخرجه مالك في الموطأ (٢ / ٧٦٩) ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (١ / ٢٠٥) .

التفسير:
وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم، قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنمًا نعبده ونتخذه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار.

قوله تعالى:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ} [الأعراف : ١٣٨]، أي:" وقطعنا ببني إسرائيل البحر"[١].

قوله تعالى:{فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ} [الأعراف : ١٣٨]، أي:" فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم"[٢].

قال الطبري:" إذ مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول: يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون الله"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فمروا { عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ } قال بعض المفسرين : كانوا من الكنعانيين. وقيل : كانوا من لخم"[٤].

قال ابن جريج: "{على أصنام لهم}، قال: تماثيل بقر. فلما كان عجل السامريّ شبِّه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أوّل شأن العجل: {قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون}"[٥].

عن قتادة:"{فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم}، قال: على لخم"[٦].

قوله تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف : ١٣٨]، أي:" قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنمًا نعبده ونتخذه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها"[٧].

قال الطبري:" يقول: مثالا نعبده وصنما نتخذُه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها"[٨].

قوله تعالى:{قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [الأعراف : ١٣٨]، أي:" قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار"[٩].

قال الطبري:" قال موسى صلوات الله عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشيء سوى الله الذي له ملك السموات والأرض"[١٠].

عن الزهري: أن أبا واقد الليثي قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بِسِدْرة، قلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذاتُ أنواط كما للكفار ذاتُ أنواط! وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: الله أكبر! هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة"، إنكم ستركبون سنن الذين من قبلكم"[١١].

الفوائد:

١- طلب بني إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلها يعبدونه دال على جهل.

---

(١) تفسير الطبري:٨٠/١٣.
(٢)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣) تفسير الطبري:٨٠/١٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٦٧/٣.
(٥) أخرجه الطبري(١٥٠٥٣):ص٨٠/١٣.
(٦) أخرجه الطبري(١٥٠٥٤):ص٨١/١٣.
(٧)التفسير الميسر:١٦٧.
(٨) تفسير الطبري:٨٠/١٣.
(٩)التفسير الميسر:١٦٧.
(١٠) تفسير الطبري:٨٠/١٣.
(١١) أخرجه الطبري(١٥٠٥٥):ص٨١/١٣.

٢- ومن الفوائد: أن الشرك قد يقع للشخص المؤمن وهو لا يدري، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الشرك أخفى من دبيب النمل" [(١)]، بخلاف قول الجاهل: هذا بَيِّنٌ نعرفه. نعرفه.

وقد روي عن أبي واقد الليثي قال: " خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال: لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: الله أكبر إنها السنن قلتم، والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} لتركبن سنن من كان قبلكم "[(٢)].

القرآن

{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)} [الأعراف : ١٣٩]

التفسير:

إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مُهْلَك ما هم فيه من الشرك، ومدمَّر وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

قوله تعالى:{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ} [الأعراف : ١٣٩]، أي:" إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مُهْلَك ما هم فيه من الشرك"[(٣)].

قال ابن كثير:" أي : هالك"[(٤)].

قال السدي:" يقول: مهلك ما هم فيه"[(٥)].

وعن ابن عباس، قوله: "{إن هؤلاء متبر ما هم فيه}، يقول: خُسْران"[(٦)].

قال الطبري:" وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني إسرائيل. يقول تعالى ذكره: قال لهم موسى: إن هؤلاء العُكوف على هذه الأصنام، الله مُهْلِكٌ ما هم فيه من العمل ومفسده، ومخسرهم فيه، بإثابته إياهم عليه العذاب المهين"[(٧)].

قوله تعالى:{وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٣٩]، أي:" ومدمَّر وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم"[(٨)].

قال الطبري:أي:" من عبادتهم إياها، فمضمحلّ، لأنه غير نافعهم عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم، ولا مدافع عنهم بأسَ الله إذا نزل بهم، ولا منقذهم من عذابه إذا عذبهم في القيامة، فهو في معنى ما لم يكن."[(٩)].

الفوائد:

١- إنكار المنكر عند وجوده والعثور عليه بالأسلوب الذي يغيره.

٢- الحذر من آفة الجهل في الدين، ولا ينجي من هذا الجهل إلا تعلم العقيدة الصحيحة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: ٤٠٣/٤..

(٢)صحيح: الترمذي: كتاب الفتن (٢١٨٠) : باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم. وقال الترمذي: حديث حسن حسن صحيح. وأحمد (٢١٨/٥) ، وابن جرير (٣١/٩ ، ٣٢) ، والطبراني في الكبير (٣٢٩٠) ، (٣٢٩٤) . وصححه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٣٤/١٠).

(٣)التفسير الميسر:١٦٧.

(٤) تفسير ابن كثير:٤٦٧/٣.

(٥) أخرجه الطبري(١٥٠٥٩):ص٨٤/١٣.

(٦) أخرجه الطبري(١٥٠٦٠):ص٨٤/١٣.

(٧) تفسير الطبري:٨٣/١٣.

(٨)التفسير الميسر:١٦٧.

(٩) تفسير الطبري:٨٣/١٣.

٣- أن هؤلاء لم يكفروا بطلبهم لأنهم حدثاء عهد بالإسلام، ولأنهم لم يفعلوا، ولا شك أن هذا الطلب من بني إسرائيل مدعاة للعجب والاستنكار، فقد رأوا من الآيات ما فيه مقنع وكفاية لو كانوا يعقلون.
٤- طبيعة بني إسرائيل من نقض العهد والميثاق، ولقد خرجوا من مصر باسم التوحيد ومشوا في البحر ناجين من فرعون باسم التوحيد، وبعد ذلك يطلبون من نبيهم صنمًا يعبدونه.

القرآن
{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)} [الأعراف : ١٤٠]
التفسير:
قال موسى لقومه: أغير الله أطلب لكم معبودًا تعبدونه من دونه، والله هو الذي خلقكم، وفضَّلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصَّكم به من الآيات؟
قوله تعالى:{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا} [الأعراف : ١٤٠]، أي:" قال موسى لقومه: أأطلب لكم معبوداً غير الله المستحق للعبادة؟"[١].
قال الطبري:" قال موسى لقومه: أسِوَى الله ألتمسكم إلهًا، وأجعل لكم معبودًا تعبدونه"[٢].
قوله تعالى:{وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ١٤٠]، أي:" والله هو الذي خلقكم، وفضَّلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصَّكم به من الآيات"[٣].
قال الطبري:أي:" فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم؟، يقول: أفأبغيكم معبودًا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه، وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق؟ إن هذا منكم لجهل!"[٤].
الفوائد:
١- استحباب التذكير بأيام الله خيرها وشرها لاستجلاب الموعظة للناس لعلهم يتوبون.
٢- أن في قوله: {قَال أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلهاً} غاية التنبيه على سوء هذه المقالة، حيث قابلوا ما هم فيه من النعم والتفضيل وحسن الحالة، بالكفر والشرك والضلالة.
٣- أن بني إسرائيل أفضل العالم في زمانهم؛ لقوله تعالى: {وأني فضلتكم على العالمين}؛ لأنهم في ذلك الوقت هم أهل الإيمان.
٤- ومن الفوائد أيضا: ان الله تعالى أدخل هؤلاء الجهلة في بني إسرائيل المفضَّلين على العالمين، ومن المعلوم أن هؤلاء الجهلة ليسوا من العلماء بالله، المؤمنين الإيمان الصادق، ولم يكونوا مع ذلك كفاراً ولا منافقين، فكانوا كالذين قال الله فيهم: {قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا} [الحجرات: ١٤]، والحجة في آية الحجرات في المقصود أن الإيمان الذي لم يحصل لهؤلاء: هو أشرف من إسلامهم الذي قال الله فيهم معه: {وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً والله غفورٌ رحيمٌ} [الحجرات: ١٤]، وكيف لا ينفع الإيمان أهله، وهو أشرف من هذا الإسلام الضعيف الذي نفع أهله؟
وروى ابن تيمية عن الإمام الباقر عليه السلام وغيره من السلف أنهم كانوا يقولون: إن الإسلام دائرةٌ كبيرةٌ، والإيمان دائرة في وسطه، فإذا زنى العبد خرج من الإيمان، لا من الإسلام، لما ثبت في " الصحيحين " عن أبي هريرة، وفي " البخاري "

---

[١] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.[بتصرف].
[٢] تفسير الطبري:٨٤/١٣.
[٣] التفسير الميسر:١٦٧.
[٤] تفسير الطبري:٨٤/١٣.

و" النسائي " عن ابن عباسٍ أن رسول الله - ﷺ - قال: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن "[1].

القرآن

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)} [الأعراف : ١٤١]

التفسير:

واذكروا - يا بني إسرائيل - نِعَمنا عليكم إذ أنقذناكم من أَسْر فرعون وآله، وما كنتم فيه من الهوان والذلة من تذبيح أبنائكم واستبقاء نسائكم للخدمة والامتهان، وفي حَمْلِكم على أقبح العذاب وأسوئه، ثم إنجائكم، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

قوله تعالى:{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١٤١]، أي:" واذكروا - يا بني إسرائيل - نِعَمنا عليكم إذ أنقذناكم من أَسْر فرعون وآله"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لليهود من بني إسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجَر رسول الله ﷺ: واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر، وبعد النعم التي سلفت مني إليكم، والأيادي التي تقدمتفعلَكم ما فعلتم {إذ أنجيناكم من آل فرعون} ، وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه"[3].

قوله تعالى:{يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [الأعراف : ١٤١]، أي:" يذيقونكم أفظع أنواع العذاب وأسوأه"[4].

قال الطبري:" يقول: إذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه"[5].

قوله تعالى:{يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [الأعراف : ١٤١]، أي:" يذبحون الذكور ويستبقون الإناث لامتهانهن في الخدمة"[6].

قال الطبري:أي:"{يُقَتِّلُونَ} الذكورَ من أولادهم، يستبقون إناثهم "[7].

قوله تعالى:{وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} [الأعراف : ١٤١]، أي:" وفي هذا العذاب اختبار وابتلاء من الله لكم عظيم فنجاكم منه"[1].

---

[1] أخرجه من حديث أبي هريرة أحمد ٢/ ٣١٧ و٣٧٦، والبخاري (٢٤٧٥) و (٥٥٧٨) و (٦٧٧٢) و (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦). وانظر " صحيح ابن حبان " (١٨٦).

قال الإمام النووي رحمه الله في " شرح مسلم " ٢/ ٤١: هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون: إن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تُطلق على نفي الشيء، ويُراد نفيُ كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلاَّ ما نفع، ولا مال إلاَّ الإبل، ولا عيشَ إلاَّ عيشُ الآخرة، وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر وغيره: " من قال لا إله إلاَّ الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق "، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم: بايعوه - صلى الله عليه وسلم - على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره ثم قال لهم - صلى الله عليه وسلم -: " فمن وفى منكم، فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك، فعوقِبَ في الدنيا، فهو كفارتُه، ومن فعل ولم يُعاقب، فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه " فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح، مع قولِ الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} مع إجماع أهلِ الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك، بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان، إن تابوا، سقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر، كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أو لا، وإن شاء عذبهم، ثم أدخلهم الجنة، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه.

[2] التفسير الميسر:١٦٧.

[3] تفسير الطبري:٨٥/١٣.

[4] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.

[5] تفسير الطبري:٨٥/١٣.

[6] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.

[7] تفسير الطبري:٨٥/١٣.

قال الطبري:" يقول: وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة"[٢].

الفوائد:

١- أن الرب تعالى يبتلى بالخير والغير، وفي كل ذلك خير لمن صبر وشكر.
٢- أن المعاصي تسمى ابتلاء وامتحانا، لقوله: :{وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}.
٣- ومن فوائد قوله تالى: {وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}، أنه لم يقل: إنه من ربّكم بالإطلاق، لأنه قبيحٌ، والبلاء الذي فيه من الله تعالى حَسَنٌ.

القرآن

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)} [الأعراف : ١٤٢]

التفسير:

وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال، فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة. وقال موسى لأخيه هارون -حين أراد المضيَّ لمناجاة ربه-: كن خليفتي في قومي حتى أرجع، وأحمِلْهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلكْ طريق الذين يفسدون في الأرض.

قوله تعالى:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة"[٣].

قال الطبري:يقول:" وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة، وقيل: إنها ثلاثون ليلة من ذي القعدة"[٤].

قوله تعالى:{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال"[٥].

قال الطبري:يقول:" يقول: وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال"[٦].

قال ابن كثير:" فالأكثرون على أن الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر عشر ذي الحجة، فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسى ، عليه السلام ، وفيه أكمل الله الدين لمحمد ﷺ ، كما قال تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِينًا } [المائدة : ٣]"[٧].

عن مجاهد: "{وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر}، قال: ذو القعدة، وعشر ذي الحجة"[٨].

وعن مسروق: "{وأتممناها بعشر}، قال: عشر الأضحى"[٩].

قوله تعالى:{فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة"[١٠].

قال ابن جريج:" فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة"[١١].

---

[١] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.
[٢] تفسير الطبري:٨٥/١٣.
[٣]التفسير الميسر:١٦٧.
[٤] تفسير الطبري:٨٦/١٣.
[٥]التفسير الميسر:١٦٧.
[٦] تفسير الطبري:٨٦/١٣.
[٧] تفسير ابن كثير:٤٦٧/٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٥٠٦٢):ص٨٦/١٣.
[٩] أخرجه الطبري(١٥٠٦٨):ص٨٧/١٣.
[١٠]التفسير الميسر:١٦٧.
[١١] أخرجه الطبري(١٥٠٦٩):ص٨٧/١٣.

قال الطبري:" يعني: فكمل الوقت الذي واعد الله موسى أربعين ليلة، وبلغها"[١].

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" وقال موسى لأخيه هارون -حين أراد المضيَّ لمناجاة ربه-: كن خليفتي في قومي حتى أرجع"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لما مضى لموعد ربه قال لأخيه هارون: كن خليفتي فيهم إلى أن أرجع"[٣].

قوله تعالى:{وَأَصْلِحْ} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" وأحمِلَهم على طاعة الله وعبادته"[٤].

قال الطبري:" يقول: وأصلحهم بحملك إياهم على طاعة الله وعبادته"[٥].

قال ابن جريج:" وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعْبد"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" ولا تسلكْ طريق الذين يفسدون في الأرض"[٧].

قال الطبري:" يقول: ولا تسلك طريق الذين يفسدون في الأرض، بمعصيتهم ربهم، ومعونتهم أهل المعاصي على عصيانهم ربهم، ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم"[٨].

قال ابن كثير:" فلما تم الميقات عزم موسى على الذهاب إلى الطور ، كما قال تعالى : { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأيْمَنَ } الآية [طه : ٨٠] ، فحينئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد. وهذا تنبيه وتذكير ، وإلا فهارون ، عليه السلام ، نبي شريف كريم على الله ، له وجاهة وجلالة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائر الأنبياء"[٩].

عن ابن جريج قوله: "{وواعدنا موسى ثلاثين ليلة}، الآية، قال: يقول: إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور، لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرّق آل فرعون، وخلص إلى الأرض الطيبة، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى، وأمره ربه أن يلقاه، فلما أراد لقاء ربه، استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة، ميعادًا من قِبَله، من غير أمر ربه ولا ميعاده. فتوجه ليلقى ربه، فلما تمت ثلاثون ليلة، قال عدو الله السامريُّ: ليس يأتيكم موسى، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه! فناشدهم هارون وقال: لا تفعلوا، انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم! فقالوا: نعم!.."[١٠].

أبو بكر بن عبد الله الهذليّ قال: قام السامري إلى هارون حين انطلق موسى فقال: يا نبي الله، إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليًّا كثيرًا من زينتهم، وإن الجند الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه وينفقونه، وإنما كان عارية من آل فرعون، فليسوا بأحياء فنردّها عليهم، ولا ندري لعل أخاك نبيّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأي، إما يقرّبها قربانا فتأكلها النار، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء! فقال له هارون: نِعْمَ ما رأيت وما قلت! فأمر مناديًا فنادى: من كان عنده شيء من حليّ آل فرعون فليأتنا به! فأتوه به، فقال هارون: يا سامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة! فقبضها السامري، وكان عدو الله الخبيث صائغًا، فصاغ منه عجلا جسدًا، ثم قذف في جوفه تُرْبة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ

---

[١] تفسير الطبري:٨٧/١٣.
[٢] التفسير الميسر:١٦٧.
[٣] تفسير الطبري:٨٧/١٣.
[٤] التفسير الميسر:١٦٧.
[٥] تفسير الطبري:٨٨/١٣.
[٦] أخرجه الطبري(١٥٠٧٠):ص٨٨/١٣.
[٧] التفسير الميسر:١٦٧.
[٨] تفسير الطبري:٨٨/١٣.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٦٧/٣.
[١٠] أخرجه الطبري(١٥٠٧١):ص٨٨/١٣-٨٩.

رآه في البحر، فجعل يخور، ولم يخر إلا مرة واحدة، وقال لبني إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين الليلة يلتمس هذا! {هذا إِلهُكُمْ وإِلهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه: ٨٨] . يقول: إن موسى عليه السلام نسي ربّه"[١].

الفوائد:

١- المحافظة على المواعيد أمر محبوب للشارع مرغب فيه وهو من سمات الصادقين.

٢- جواز الاستخلاف في الأرض في مهام الأمور فضلا عما هو دون ذلك.

٣- مشروعية الوصية للخلفاء بما هو خير.

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)} [الأعراف : ١٤٣]

التفسير:

ولما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة، وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه، طمع في رؤية الله فطلب النظر إليه، قال الله له: لن تراني، أي لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلَّيتُ له فسوف تراني، فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه، فلما أفاق من غشيته قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" ولما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه"[٣].

قوله تعالى:{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه"[٤].

قال الطبري:أي:"وناجاه "[٥].

قال الشوكاني:" أي: أسمعه كلامه من غير واسطة"[٦].

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" أرني ذاتك المقدسة أنظر إليها"[٧].

قال الطبري:أي:" {قال} موسى لربه {أرني أنظر إليك}"[٨].

عن ابن عباس قوله: "{أرني انظر إليك}، قال: أعطني"[٩].

قال الشوكاني:" أي: أرني نفسك أنظر إليك أي سأله النظر إليه اشتياقا إلى رؤيته لما أسمعه كلامه. وسؤال موسى للرؤية يدل على أنها جائزة عنده في الجملة، ولو كانت مستحيلة عنده لما سألها"[١٠].

---

[١] أخرجه الطبري(١٥٠٧٢):ص٨٩/١٣-٩٠.

[٢]التفسير الميسر:١٦٧.

[٣] تفسير الطبري:٩٠/١٢.

[٤]التفسير الميسر:١٦٧.

[٥] تفسير الطبري:٩٠/١٢.

[٦] فتح القدير:٢٧٦/٢.

[٧] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.

[٨] تفسير الطبري:٩٠/١٢.

[٩] أخرجه الطبري(١٥٠٧٦):ص٩١/١٣.

[١٠] فتح القدير:٢٧٦/٢-٢٧٧.

قال القرطبي:" سأل النظر إليه، واشتاق إلى رؤيته لما أسمعه كلامه"[1].

وري عن الربيع، في قوله: "{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: ٥٢]، قال: حدثني من لقي أصحاب النبي ﷺ أنه قرّبه الربّ حتى سمع صَرِيف القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: {رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل}"[2].

قال أبو بكر الهذلي:" لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله، اشتاق إلى النظر إليه فقال: {ربّ أرني أنظر إليك! قال: لن تراني}، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إلي مات! قال: إلهي سمعت منطقك، واشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك! قال: فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني"[3].

قال القرطبي:" ولا يجوز الحمل على أنه أراد: أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك، لأنه قال: {إليك} وقال:{لن تراني}، ولو سأل آية لأعطاه الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات. وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى، فبطل هذا التأويل"[4].

قوله تعالى:{قَالَ لَنْ تَرَانِي} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" لن تقدر على رؤيتي في الدنيا"[5]. الدنيا"[5].

قال الطبري:أي:" قال الله له مجيبًا: {لن تراني..}"[6].

قال القرطبي:" أي: في الدنيا"[7].

قال السعدي:" أي: لن تقدر الآن على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل"[8].

قال الشوكاني:" الجواب بقوله لن تراني يفيد أنه لا يراه هذا الوقت الذي طلب رؤيته فيه، أو أنه لا يرى ما دام الرائي حيا في دار الدنيا، وأما رؤيته في الآخرة فقد ثبتت بالأحاديث المتواترة تواترا لا يخفى على من يعرف السنة المطهرة، والجدال في مثل هذا والمراوغة لا تأتي بفائدة، ومنهج الحق واضح"[9].

قال ابن كثير:" وقد أشكل حرف {لن} هاهنا على كثير من العلماء ؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد ، فاستدل به المعتزلة على نفي الرؤية في الدنيا والآخرة. وهذا أضعف الأقوال ؛ لأنه قد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بأن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة ، كما سنوردها عند قوله تعالى : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ } [القيامة : ٢٢ ، ٢٣]، وقوله تعالى إخبارًا عن الكفار:{ كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين : ١٥]، وقيل : إنها لنفي التأبيد في الدنيا ، جمعا بين هذه الآية ، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة.

وقيل:إن هذا الكلام في هذا المقام كالكلام في قوله تعالى : { لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } وقد تقدم ذلك في الأنعام [الآية : ١٠٣].

---

[1] تفسير القرطبي:٢٧٨/٧.
[2] أخرجه الطبري(١٥٠٧٤):ص٩٠/١٣-٩١.
[3] أخرجه الطبري(١٥٠٧٥):ص٩١/١٣.
[4] تفسير القرطبي:٢٧٨/٧.
[5]التفسير الميسر:١٦٧.
[6] تفسير الطبري:٩٠/١٢.
[7] تفسير القرطبي:٢٧٨/٧.
[8] تفسير السعدي:٣٠٢.
[9] فتح القدير:٢٧٧/٢.

وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى ، عليه السلام : "يا موسى ، إنه لا يراني حي إلا مات ، ولا يابس إلا تدهده" ؛ ولهذا قال تعالى : { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا }، قال أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : حدثنا أحمد بن سُهَيْل...عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : "لما تجلى ربه للجبل ، أشار بإصبعه فجعله دكًا" وأرانا أبو إسماعيل بإصبعه السبابة»[1]... وجاء في بعض الأخبار أنه ساخ في الأرض ، فهو يهوي فيها إلى يوم القيامة[2]...وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شَبَّة... عن أنس بن مالك ؛ أن النبي النبي ﷺ قال : «لما تجلى الله للجبال طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، بالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى. ووقع بمكة : حراء ، وثَبِير ، وثور»[3]. قال ابن كثير: وهذا حديث غريب ، بل منكر" [4].

قوله تعالى:{وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلَّيتُ له فسوف تراني"[5].

قال القرطبي:" ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنيته وأثبت. أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي. وذكر القاضي عياض عن القاضي أبي بكر بن الطيب ما معناه: أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا، وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له. واستنبط ذلك من قوله:{ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني}"[6].

قال السدي:" إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه، أحب أن ينظر إليه، قال: {رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني}، فحُفَّ حول الجبل بملائكة، وحُفَّ حول الملائكة بنار، وحُفّ حول النار بملائكة، وحُفّ حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربه للجبل"[7].

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه"[8].

قال الطبري:" لما اطّلع الرب للجبل، جعل الله الجبل دكًّا، أي: مستويًا بالأرض، {وخر موسى صعقًا}، أي: مغشيا عليه"[9].

قال السعدي:" أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها، {وَخَرَّ مُوسَى} حين رأى ما رأى {صَعِقًا} فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله"[10].

قال الصابوني:" فلما ظهر من نور الله قدر نصف أنملة الخنصر أندك الجبل وتفتّت وسقط موسى مغشياً عليه من هول ما رأى"[11].

---

[1] تفسير الطبري(١٥٠٨٦):ص٩٨/١٣. قال ابن كثير:٤٦٩/٣:" هذا الإسناد فيه رجل مبهم لم يسم".

[2] رواه ابن مردويه، انظر: تفسير ابن كثير:٤٧٠/٣.

[3] كما في تفسير ابن كثير:٤٧٠/٣،) ورواه ابن الأعرابي في معجمه (٢/١٦٦) والمحاملي في أماليه (١/١٧٢/١) كما في االسلسة الضعيفة للشيخ ناصر الألباني برقم (١٦٢) والخطيب االبغدادي في تاريخ بغداد (٤٤١/١٠) كلهم من طريق عبد العزيز بن عمران عن معاوية بن عبد الله به. قال الخطيب : "هذا الحديث غريب جدا لم أكتبه إلا بهذا الإسناد" وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١٢٠/١) وقال : "قال ابن حبان : موضوع ، وعبد العزيز متروك يروى المناكير عن المشاهير".

[4] تفسير ابن كثير:٤٦٩/٣-٤٧٠.[بتصرف بسيط].

[5]التفسير الميسر:١٦٧.

[6] تفسير القرطبي:٢٧٨/٧.

[7] أخرجه الطبري(١٥٠٧٣):ص٩٠/١٣.

[8]التفسير الميسر:١٦٧.

[9] تفسير الطبري:٩٧/١٣.

[10] تفسير السعدي:٣٠٢.

[11] صفوة التفاسير:٤٣٥/١.

قال القرطبي:" و«تجلى»، معناه: ظهر، من قولك: جلوت العروس أي أبرزتها. وجلوت السيف أبرزته من الصدأ، جلاء فيهما. وتجلى الشيء انكشف. وقيل: تجلى أمره وقدرته، قاله قطرب وغيره"[١].

قال ابن عباس:" تجلى منه مثل الخِنصر، فجعل الجبل دكًّا، وخر موسى صعقًا، فلم يزل صعقًا ما شاء الله"[٢].

قال سفيان:" ساخ الجبل في الأرض، حتى وقع في البحر فهو يذهب معه"[٣].

عن الربيع: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقًا} ، وذلك أن الجبل حين كُشِف الغطاء ورأى النور، صار مثل دكّ من الدكَّات"[٤].

عن أنس: "أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا} ، قال هكذا بإصبعه، ووضع النبي ﷺ الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل"[٥].

عن مجاهد: "{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه}، فإنه أكبر منك وأشد خلقا ، {فلما تجلى ربه للجبل}، فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندك على أوله. فلما رأى موسى ما يصنع الجبل، خر صعقًا"[٦].

عن ابن جريج: "{وخر موسى صعقًا} ، أي: ميتًا"[٧].

عن ابن زيد قوله: "{وخر موسى صعقا} ، قال: مغشيًّا عليه"[٨].

عن قتادة قوله: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا}، قال انقعر بعضه على بعض، {وخر موسى صعقًا}، أي: ميتا"[٩].

قال ابن كثير:" المعروف أن «الصَّعْق» هو الغشي هاهنا ، كما فسره ابن عباس وغيره ، لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحًا في اللغة ، كقوله تعالى : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ } [الزمر : ٦٨] فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أن هنا قرينة تدل على الغشي ، وهي قوله : { فَلَمَّا أَفَاقَ } والإفاقة إنما تكون من غشي"[١٠].

عن أبي بكر الهذلي: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا}، انقعر فدخل تحت الأرض، فلا يظهر إلى يوم القيامة"[١١].

وروي القاضي عياض عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : "لما تجلى الله لموسى ، عليه السلام ، كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء ، مسيرة عشرة فراسخ"[١٢].

ثم قال : "ولا يبعد على هذا أن يختص نبيا بما ذكرناه من هذا الباب ، بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى".

قال ابن كثير:" وكأنه صحح هذا الحديث ، وفي صحته نظر ، ولا يخلو رجال إسناده من مجاهيل لا يعرفون ، ومثل هذا إنما يقبل من رواية العدل الضابط عن مثله ، حتى ينتهي إلى منتهاه"[١].

---

[١] تفسير القرطبي:٢٧٨/٧.
[٢] أخرجه الطبري(١٥٠٧٩):ص٩٧/١٣.
[٣] أخرجه الطبري(١٥٠٨٤):ص٩٨/١٣.
[٤] أخرجه الطبري(١٥٠٨٩):ص٩٨/١٣.
[٥] أخرجه الطبري(١٥٠٨٧):ص٩٨/١٣.
[٦] أخرجه الطبري(١٥٠٩٠):ص١٠٠/١٣.
[٧] أخرجه الطبري(١٥٠٨٢):ص٩٧/١٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٥٠٨٠):ص٩٧/١٣.
[٩] أخرجه الطبري(١٥٠٨١):ص٩٧/١٣.
[١٠] تفسير ابن كثير:٤٧١/٣.
[١١] أخرجه الطبري(١٥٠٨٥):ص٩٨/١٣.
[١٢] الشفا (١٦٥/١).

قرأته عامة قرأة الكوفيين: «جَعَلَهُ دَكَّاءَ»، بالمد وترك الجر والتنوين[٢].

وروي عن عكرمة قال: "«دكَّاء من الدكَّاوات». وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صَحراء ترابًا"[٣].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَفَاقَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" فلما أفاق من غشيته"[٤].

قال الطبري:" فلما ثاب إلى موسى عليه السلام فهمه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى -ﷺ- "[٥].

قوله تعالى:{قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي"[٦]

قال ابن عباس:" يقول: أنا أوّل من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك"[٧].

قال الطبري:أي:" تنزيهًا لك، يا رب، وتبرئةً أن يراك أحد في الدنيا، ثم يعيش ، {تبت إليك}، من مسألتي إياك ما سألتك من الرؤية، {وأنا أوّل المؤمنين}، بك من قومي، أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك"[٨].

قال ابن كثير:" تنزيها وتعظيما وإجلالا أن يراه أحد من الدنيا إلا مات "[٩].

قال السعدي:" أي: جدد عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يجهله قبل ذلك"[١٠].

عن مجاهد:"{سبحانك تبت إليك}، قال: من مسألتي الرؤية"[١١].

قال الربيع:" لما رأى موسى ذلك وأفاق، عرف أنه قد سأل أمرًا لا ينبغي له، فقال: "سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين"، قال أبو العالية: عنى: إني أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحدٌ قبل يوم القيامة"[١٢].

عن ابن عباس: "{وخر موسى صعقًا}، فمرّت به الملائكة وقد صعق، فقالت: يا ابن النساء الحيَّض، لقد سألت ربك أمرًا عظيمًا! فلما أفاق قال: سبحانك لا إله إلا أنت تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين! قال: أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحدٌ من خلقك، يعني: في الدنيا"[١٣].

وروي عن ابن عباس في قوله: "{وأنا أول المؤمنين}، قال: أول من آمن بك من بني إسرائيل"[١٤].

وفي رواية عن مجاهد، في قول الله: "وأنا أول المؤمنين"، أنا أول قومي إيمانًا"[١٥].

وروي عن أبي العالية في قوله: "{تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين}، قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة"[١٦].

---

[١] تفسير ابن كثير:٤٧٣/٣.
[٢] انظر: تفسير الطبري:١٠٠/١٣.
[٣] أخرجه الطبري(١٥٠٩١):ص١٠١/١٣.
[٤]التفسير الميسر:١٦٧.
[٥] تفسير الطبري:١٠٢/١٣.
[٦]التفسير الميسر:١٦٧.
[٧] أخرجه الطبري(١٥٠٩٥):ص١٠٣/١٣.
[٨] تفسير الطبري:١٠٢/١٣.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٧١/٣.
[١٠] تفسير السعدي:٣٠٢.
[١١] أخرجه الطبري(١٥٠٩٦):ص١٠٣/١٣.
[١٢] أخرجه الطبري(١٥٠٩٣):ص١٠٣/١٣.
[١٣] أخرجه الطبري(١٥٠٩٤):ص١٠٣/١٣.
[١٤] أخرجه الطبري(١٥١٠٠):ص١٠٤/١٣.
[١٥] أخرجه الطبري(١٥١٠٢):ص١٠٤/١٣.
[١٦] أخرجه الطبري(١٥٠٩٢):ص١٠٢/١٣-١٠٣.

قال ابن كثير:" وهذا قول حسن له اتجاه. وقد ذكر محمد بن جرير في تفسيره هاهنا أثرًا طويلا فيه غرائب وعجائب ، عن محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله وكأنه تلقاه من الإسرائيليات[1]، والله تعالى أعلم"[2].

عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : "جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه ، فقال : يا محمد ، إن رجلا من أصحابك من الأنصار لطم وجهي. قال : "ادعوه" فدعوه ، قال : "لم لطمت وجهه ؟" قال : يا رسول الله ، إني مررت باليهودي فسمعته يقول : والذي اصطفى موسى على البشر.قال : قلت : وعلى محمد ؟ فأخذتني غضبة فلطمته ، قال : "لا تخيروني من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور"[3].

قال ابن كثير:" وقوله : "فإن الناس يصعقون يوم القيامة" ، الظاهر أن هذا الصعق يكون في عرصات القيامة ، يحصل أمر يصعقون منه ، والله أعلم به. وقد يكون ذلك إذا جاء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء ، وتجلى للخلائق الملك الديان ، كما صعق موسى من تجلي الرب ، عز وجل ، ولهذا قال ، عليه السلام : "فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور" ؟[4].

الفوائد:

١- امكان رؤية الله تعالى وهي ثابتة في الآخرة لأهل الجنة.
٢- استحالة رؤية الله تعالى في الدنيا لضعف الإنسان على ذلك.

القرآن

{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)} [الأعراف : ١٤٤]

التفسير:

قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك مِن غير وساطة، فخذ ما أعطيتك مِن أمري ونهيي، وتمسَّك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصَّك بكلامه.

قوله تعالى:{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف : ١٤٤]، أي:" قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك مِن غير وساطة"[5].

قال الطبري:" يقول: اخترتك على الناس {برسالاتي} إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم، {وبكلامي}، كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي"[6].

قوله تعالى:{فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ} [الأعراف : ١٤٤]، أي:" فخذ ما أعطيتك مِن أمري ونهيي، وتمسَّك به، واعمل به"[7].

قال ابن كثير:" أي : من الكلام والوحي والمناجاة"[8].

---

[1] انظر: تفسير الطبري(١٥٠٧٧):ص١٣/٩١-٩٢.
[2] تفسير ابن كثير:٣/٤٧٢.
[3]صحيح البخاري برقم (٤٦٣٨ ، ٢٤١٢ ، ٦٩١٧ ، ٣٣٩٨ ، ٧٤٢٧ ، ٦٥١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٤) (٢٣٧٤) وسنن أبي داود برقم (٤٦٦٨).
[4] تفسير ابن كثير:٣/٤٧٣.
[5] التفسير الميسر:١٦٨.
[6] تفسير الطبري:١٣/١٠٥.
[7] التفسير الميسر:١٦٨.
[8] تفسير ابن كثير:٣/٤٧٤.

قال الطبري:يقول:" فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي وتمسك به، واعمل به"(١).

قوله تعالى:{وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف : ١٤٤]، أي:" وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصَّك بكلامه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : على ذلك ، ولا تطلب ما لا طاقة لك به"(٣).

قال الطبري:أي:" لله على ما آتاك من رسالته، وخصك به من النجوى، بطاعته في أمره ونهيه، والمسارعة إلى رضاه"(٤).

الفوائد:

١- من الفوائد: الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى، قال تعالى:{ وَبِكَلَامِي}، "فالله المتكلم أولا وآخرا، لم يزل له الكلام إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره"(٥).

قال ابن قدامة:" ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [الأعراف: ١٤٤] وقال سبحانه: {مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ} [البقرة: ٢٥٣] وقال سبحانه: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١] وقال سبحانه: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى - إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه: ١١ - ١٢] وقال سبحانه: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} [طه: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله"(٦).
الله"(٦).

قل رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم -: " ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة، ليس بينه وبينه ترجمان "(٧).

٢- ومن الفوائد، أن الشكر لله وحده والإقرار له بنعمته وهدايته.

القرآن

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)} [الأعراف : ١٤٥]

التفسير:

وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلا لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات، قال الله له: فخذها بقوة، أي: خذ التوراة بجد واجتهاد، وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها؛ فإن مَن أشرك منهم ومِن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعدَّها لأعدائه الخارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام"(١).

---

(١) تفسير الطبري:١٣/١٠٥.
(٢) التفسير الميسر:١٦٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٣/٤٧٤.
(٤) تفسير الطبري:١٣/١٠٥.
(٥)الرَّدُّ عَلى الجَهَمِيَة، أبو سعيد الدارمي:١٤٠.
(٦) لمعة الاعتقاد:١٥.
(٧)أخرجه البخاري (٦٥٣٩، ٧٤٤٣، ٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٥)، وأحمد (١٨٢٤٦)، وغيرهم، من طرق عن الأعمش، به.

قال الطبري:يقول:" وكتبنا لموسى في ألواحه من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه"[٢].

قوله تعالى:{مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلا لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات"[٣].

قال الطبري:يقول:"{موعظة}، لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الألواح، {وتفصيلا لكل شيء}، يقول: وتبيينًا لكل شيء من أمر الله ونهيه"[٤].

عن سعيد بن جبيرفي قول الله: "{وتفصيلا لكل شيء}، قال: ما أمروا به ونهوا عنه"[٥].

عن السدي: "{وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء}، من الحلال والحرام"[٦].

قال وهب:" كتب له: لا تشرك بي شيئًا من أهل السماء ولا من أهل الأرض، فإن كل ذلك خلقي. لا تحلف باسمي كاذبًا، فإن من حلف باسمي كاذبًا فلا أزكِّيه، ووقِّر والديك"[٧].

عن مجاهد قوله: "{وتفصيلاً لكل شيء}، قال: ما أمروا به ونهوا عنه"[٨].

قال ابن كثير:" ثم أخبر تعالى أنه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، قيل : كانت الألواح من جوهر ، وأن الله تعالى كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى فيها : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ } [القصص : ٤٣] وقيل : الألواح أعطيها موسى قبل التوراة ، فالله أعلم. وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له عما سأل من الرؤية ومنع منه ، والله أعلم"[٩].

روي عن ابن عباس:"أن موسى ﷺ انْصَلتَ لما كربه الموت، قال: هذا من أجل آدم! قد كان الله جعلنا في دار مثوًى لا نموت، فخطأ آدم أنزلنا هاهنا! فقال الله لموسى: أبعث إليك آدم فتخاصمه؟ قال: نعم! فلما بعث الله آدم، سأله موسى، فقال أبونا آدم عليهما السلام: يا موسى، سألت الله أن يبعثني لك! قال موسى: لولا أنت لم نكن هاهنا! قال له آدم: أليس قد أتاك الله من كل شيء موعظة وتفصيلا أفلست تعلم أنه ما أصاب في الأرض من مصيبة ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن يبرأها؟ قال موسى: بلى! فخصَمه آدم صلى الله عليهما"[١٠].

قوله تعالى:{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" فخذ التوراة بجد واجتهاد"[١١].

قال الطبري:" وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء: خذ الألواح بقوة"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : بعزم على الطاعة "[١٣].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} [الأعراف : ١٤٥]، على وجهين:

أحدهما: بجد واجتهاد. قاله السدي[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٨.
[٢] تفسير الطبري:١٠٦/١٣.
[٣] التفسير الميسر:١٦٨.
[٤] تفسير الطبري:١٠٦/١٣.
[٥] أخرجه الطبري(١٥١٠٦):ص١٠٦/١٣-١٠٧.
[٦] أخرجه الطبري(١٥١٠٨):ص١٠٧/١٣.
[٧] أخرجه الطبري(١٥١١١):ص١٠٨/١٣.
[٨] أخرجه الطبري(١٥١٠٩):ص١٠٧/١٣.
[٩] تفسير ابن كثير:٤٧٤/٣.
[١٠] أخرجه الطبري(١٥١١٠):ص١٠٧/١٣-١٠٨.
[١١] التفسير الميسر:١٦٨.
[١٢] تفسير الطبري:١٠٨/١٣.
[١٣] تفسير ابن كثير:٤٧٤/٣.

والثاني: فخذها بالطاعة لله. قاله الربيع بن أنس[2].

قوله تعالى:{وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها"[3].

قال الطبري:" يقول: يعملوا بأحسن ما يجدون فيها"[4].

عن السدي: "{وأمر قومك يأخذوا بأحسنها}، بأحسن ما يجدون فيها"[5].

وقال ابن عباس:" أمر موسى أن يأخذها بأشدّ مما أمر به قومه"[6].

إن قال قائل: "وما معنى قوله: {وأمر قومك يأخذوا بأحسنها}، أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن؟.

قيل: لا ولكن كان فيها أمرٌ ونهيٌ، فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله، ويتركوا ما نهاهم عنه، فالعمل بالمأمور به، أحسنُ من العمل بالمنهي عنه"[7].

قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" فإن مَن أشرك منهم ومِن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين"[8].

قال ابن كثير:" أي : سترون عاقبة من خالف أمري ، وخرج عن طاعتي ، كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتباب ؟"[9].

قال الطبري:يقول:"فإن من أشرك بي منهم ومن غيرهم، فإني سأريه في الآخرة عند مصيره إليّ، {دارَ الفاسقين}، وهي نار الله التي أعدها لأعدائه، وإنما قال:{سأريكم دار الفاسقين}، كما يقول القائل لمن يخاطبه:سأريك غدًا إلامَ يصير إليه حال من خالف أمري!، على وجه التهدُّد والوعيد لمن عصاهُ وخالف أمره"[10].

قال الصابوني:"أي:" سترون منازل الفاسقين - فرعون وقومه - كيف أقفرت منهم ودُمِّر لفسقهم لتعتبروا فلا تكونوا مثلهم، فإن رؤيتها وهي خالية عن أهلها موجبة للاعتبار والانزجار"[11].

عن سعيد بن جبير سأريكم دار الفاسقين قال: رفعت لموسى حتى رآها"[12].

وعن سفيان بن عيينة :{سأريكم دار}، يقول: سأبين كيف ذلك"[13].

وفي قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٤٥]، أقوال:

أحدها : مصيرهم في الآخرة وهي جهنم ، قاله الحسن[14]، ومجاهد[15].

والثاني : أي: منازل الفاسقين، وهي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية ، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال، قاله قتادة[16].

---

(1) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٣):ص١٠٩/١٣.

(2) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٤):ص١٠٩/١٣.

(3) التفسير الميسر:١٦٨.

(4) تفسير الطبري:١٠٩/١٣.

(5) أخرجه الطبري(١٥١١٥):ص١١٠/١٣.

(6) أخرجه الطبري(١٥١١٦):ص١١٠/١٣.

(7) تفسير الطبري:١٠٩/١٣.

(8) التفسير الميسر:١٦٨.

(9) تفسير ابن كثير:٤٧٤/٣.

(10) تفسير الطبري:١٠٩/١٣.

(11) صفوة التفاسير:٤٣٦/١.

(12) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٧٥):١٥٦٦/١٣.

(13) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٧٦):١٥٦٦/١٣.

(14) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٩):ص١١١/١٣.

(15) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٧):ص١١١/١٣.

(16) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٩٧٩):ص١٥٦٦/٥.

والثالث :معناه: سأدخلكم أرض الشام، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة. قاله قتادة[١].

واختاره ابن كثير، وقال:"لأن هذا كان بعد انفصال موسى وقومه عن بلاد مصر ، وهو خطاب لبني إسرائيل قبل دخولهم التيه"[٢].

والرابع : يقول: هلاك الفاسقين. قاله سفيان[٣].

والخامس: دار الكافرين. قاله ابن عباس[٤].

والسادس: أنها دار فرعون، وهي مصر. حكاه الطبري عن بعضهم [٥].

وقرأ قسامة بن زهير:«سَأُوْرِثُكُمْ»[٦].

الفوائد:

١- أن موسى -عليه السلام- تلقى الألواح التى كتبها الله له، فالتوراة نزلت من السماء مكتوبا.

٢- أن القرآن وصف التوراة بأنها كتاب شامل لكل شيء.

٣- وجود الأمة القابلة لأحكام الله قبل وجود الشرع الذي يحكمها.

القرآن

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)} [الأعراف : ١٤٦]

التفسير:

سأصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون نبيًا ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإنْ يَرَ هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم ومحادَّتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقًا، وإن يروا طريق الضلال، أي الكفر يتخذوه طريقًا ودينًا؛ وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها.

قوله تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" سأصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون نبيًا ولا يصغون إليه لتكبرهم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي ، ويتكبرون على الناس بغير حق ، أي : كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل ، كما قال تعالى : { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الأنعام : ١١٠]، وقال تعالى : { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } [الصف : ٥].

وقال بعض السلف : لا ينال العلم حيي ولا مستكبر.

وقال آخر : من لم يصبر على ذل التعلم ساعة ، بقي في ذل الجهل أبدا"[٨].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٥١٢٠):ص١١١/١٣.

[٢] تفسير ابن كثير:٤٧٤/٣.

[٣] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٩٨٠):ص١٥٦٦/٥.

[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٩٨١):ص١٥٦٦/٥.

[٥] انظر: تفسير الطبري:١١١/١٣.

[٦] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٢.

[٧] التفسير الميسر:١٦٨.

[٨] تفسير ابن كثير:٤٧٤/٣-٤٧٥.

اختلف في قوله تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ١٤٦]، على وجوه:
أحدها : سأنزع عنهم فهم الكتاب. قاله سفيان بن عيينة[١].

قال الطبري:" وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدًا لأهل الكفر بالله ممن بعث إليه نبينا ﷺ، دون قوم موسى، لأن القرآن إنما أنزل على نبينا محمد ﷺ دون، موسى عليه السلام"[٢].

ورد ابن كثير، قال:" ليس هذا بلازم ؛ لأن ابن عيينة إنما أراد أن هذا مطرد في حق كل أمة ، ولا فرق بين أحد وأحد في هذا ، والله أعلم"[٣].

والثاني: سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج. يعني: عن خلق السموات والأرض والآيات فيها، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا. قاله ابن جريج[٤].

والثالث: سأجعل جزاءهم على كفرهم ضلالهم عن الاهتداء بما جاء به من الحق[٥].

والرابع : سأصرفهم عن دفع الانتقام عنهم[٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته في توحيده وعدله، وغير ذلك من فرائضه. والسموات والأرض، وكل موجود من خلقه، فمن آياته، والقرآن أيضًا من آياته، وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حقَّت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادّكار بها مصروفون، لأنهم لو وفِّقوا لفهم بعض ذلك فهُدوا للاعتبار به، اتعظوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم، لأنه جلّ ثناؤه قال: {وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا}، فلا تبديل لكلمات الله"[٧].
الله"[٧].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" وإنْ يَرَ هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم ومحادَّتهم لله ورسوله"[٨].

قال الطبري:" وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق و= "وتكبرهم فيها بغير الحق"، تجبرهم فيها، واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله، والإذعان لأمره ونهيه، وهم لله عبيدٌ يغذوهم بنعمته، ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيًّا، {كل آية}، يقول: كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته، وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره، {لا يؤمنوا بها}، يقول: لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة، ولكنهم يقولون: هي سحر وكذب"[٩].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقًا"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : وإن ظهر لهم سبيل الرشد ، أي : طريق النجاة لا يسلكوها"[١١].

---

[١] انظر: تفسير الطبري(١٥١٢٢):ص١١٢/١٣.
[٢] تفسير الطبري:١١٣/١٣.
[٣] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.
[٤] انظر: تفسير الطبري(١٥١٢٣):ص١١٣/١٣.
[٥] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٢.
[٦] انظر: النكت والعيون:٢٦١/٢.
[٧] تفسير الطبري:١١٣/١٣.
[٨] التفسير الميسر:١٦٨.
[٩] تفسير الطبري:١١٤/١٣.
[١٠] التفسير الميسر:١٦٨.
[١١] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.

قال الطبري:" يقول: وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب، وصاروا إلى نعيم الأبد، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقًا، جهلا منهم وحيرة"[1].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" وإن يروا طريق الضلال، أي: الكفر، يتخذوه طريقًا ودينًا"[2].

قال الطبري:" يقول: وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلّوا وهلكوا يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقًا، لصرف الله إياهم عن آياته، وطبعه على قلوبهم، فهم لا يفلحون ولا ينجحون"[3].

قال ابن كثير:" أي : وإن ظهر لهم طريق الهلاك والضلال يتخذوه سبيلا "[4].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله"[5].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا، عقوبةً منا لهم على تكذيبهم بآياتنا"[6].

قال ابن كثير:" ثم علل مصيرهم إلى هذه الحال بقوله:{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } أي : كذبت بها قلوبهم "[7].

قوله تعالى:{وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها"[8].

قال ابن كثير:" أي : لا يعلمون شيئًا مما فيها "[9].

قال الطبري:" يقول: وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه {غافلين}، لا يتفكرون فيها، لاهين عنها، لا يعتبرون بها، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعَطِبوا"[10].

وقرأ ذلك عامة قرأة أهل الكوفة وبعض المكيين: «الرَّشَدِ»، بفتح "الراء" و"الشين"[11].

الفوائد:

١- بيان سنة الله تعالى في صرف العباد عن آيات الله حتى يهلكوا كما هلك فرعون وآله.
٢- أن الكبر من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله، ومن أعظم الموانع من اتباع الحق.
٣- التكذيب بآيات الله والغفلة عنها هما سبب كل ضلال وشر وظلم وفساد.

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)} [الأعراف : ١٤٧]

التفسير:

---

[1] تفسير الطبري:١١٤/١٣.
[2] التفسير الميسر:١٦٨.
[3] تفسير الطبري:١١٤/١٣-١١٥.
[4] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.
[5] التفسير الميسر:١٦٨.
[6] تفسير الطبري:١١٥/١٣.
[7] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.
[8] التفسير الميسر:١٦٨.
[9] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.
[10] تفسير الطبري:١١٥/١٣.
[11] انظر: تفسير الطبري:١١٥/١٣.

والذين كذَّبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة حبطت أعمالهم؛ بسبب فَقْدِ شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه، ما يجزون في الآخرة إلا جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ} [الأعراف : ١٤٧]، أي:" والذين كذَّبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وهؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق، وكلّ مكذِّبٍ حججَ الله ورسله وآياته، وجاحدٍ أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته، ومنكرٍ لقاء الله في آخرته"[٢].

قوله تعالى:{حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [الأعراف : ١٤٧]، أي:" حبطت أعمالهم؛ بسبب فَقْدِ شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه"[٣].

قال الطبري:أي:" ذهبت أعمالهم فبطلت، وحصلت لهم أوزارها فثبتت، لأنهم عملوا لغير الله، وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله، فصارت أعمالهم عليهم وبَالا"[٤].

قوله تعالى:{هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٤٧]، أي:" ما يجزون في الآخرة إلا جزاء ما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي"[٥].

قال الطبري:" يقول: هل يثابون إلا ثواب ما كانوا يعملون؟ فصار ثواب أعمالهم الخلودَ في نار أحاط بهم سرادقها، إذ كانت أعمالهم في طاعة الشيطان، دون طاعة الرحمن، نعوذ بالله من غضبه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : إنما نجازيهم بحسب أعمالهم التي أسلفوها ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، وكما تدين تدان "[٧].

الفوائد:

١- إثبات الآخرة؛ لقوله تعالى: {لِقَاءِ الْآخِرَةِ}، وأن فيها خسارة وربح أعظم من خسارة الدنيا وربحها.

٢- بطلان كل عمل لم يسلك فيه صاحبه سبيل الرشد التي هي سبيل الله التي تحدد الآيات القرآنية وتبين معالمها، وترفع أعلامها.

٣- أن الذي لا يرجو لقاء ربه لا خير له عند الله يوم القيامة.

القرآن

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)} [الأعراف : ١٤٨]

التفسير:

واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيًا لمناجاة ربه معبودًا مِن ذهبهم عِجلا جسدًا بلا روح، له صوت، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟ أَقْدَمُوا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه.

قوله تعالى:{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [الأعراف : ١٤٨]، أي:" واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيًا لمناجاة ربه معبودًا مِن ذهبهم عِجلا جسدًا بلا روح، له صوت"[١].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٨.

[٢] تفسير الطبري:١١٦/١٣.

[٣] التفسير الميسر:١٦٨.

[٤] تفسير الطبري:١١٦/١٣.

[٥] التفسير الميسر:١٦٨.

[٦] تفسير الطبري:١١٦/١٣.

[٧] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: واتخذ بنو إسرائيل قومُ موسى، من بعد ما فارقهم موسى ماضيًا إلى ربه لمناجاته، ووفاءً للوعد الذي كان ربه وعده {من حليهم عجلا}، وهو ولد البقرة، فعبدوه. ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال: {جسدًا لا خوار}،و«الخوار»: صوت البقر، يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن ضلال من ضل من بني إسرائيل في عبادتهم العجل ، الذي اتخذه لهم السامري من حلي القبط ، الذي كانوا استعاروه منهم ، فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل ، عليه السلام ، فصار عجلا جسدا له خوار ، و«الخوار»: صوت البقر.

وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى -عليه السلام- لميقات ربه تعالى ، وأعلمه الله تعالى بذلك وهو على الطور ، حيث يقول تعالى إخبارا عن نفسه الكريمة:{ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } [طه : ٨٥]

وقد اختلف المفسرون في هذا العجل : هل صار لحما ودما له خوار ؟ أو استمر على كونه من ذهب ، إلا أنه يدخل فيه الهواء فيصوت كالبقر ؟ على قولين ، والله أعلم. ويقال : إنهم لما صَوّت لهم العجل رَقَصُوا حوله وافتتنوا به،{ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ } [طه : ٨٨]"[٣].

قال القرطبي:" روي في قصص العجل: أن السامري، واسمه موسى بن ظفر، ينسب إلى قرية تدعى سامرة. ولد عام قتل الأبناء، وأخفته أمه في كهف جبل فغذاه جبريل فعرفه لذلك، فأخذ حين عبر البحر على فرس وديق ليتقدم فرعون في البحر- قبضة من أثر حافر الفرس. وهو معنى قوله: { فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} [طه : ٩٦]. وكان موسى وعد قومه ثلاثين يوما، فلما أبطأ في العشر الزائد ومضت ثلاثون ليلة قال لبني إسرائيل وكان مطاعا فيهم: إن معكم حليا من حلي آل فرعون، وكان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فاستعاروا لذلك اليوم، فلما أخرجهم الله من مصر وغرق القبط بقي ذلك الحلي في أيديهم، فقال لهم السامري: إنه حرام عليكم، فهاتوا ما عندكم فنحرقه. وقيل: هذا الحلي ما أخذه بنو إسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق، وأن هارون قال لهم: إن الحلي غنيمة، وهي لا تحل لكم، فجمعها في حفرة حفرها فأخذها السامري. وقيل: استعاروا الحلي ليلة أرادوا الخروج من مصر، وأوهموا القبط أن لهم عرسا أو مجتمعا، وكان السامري سمع قولهم: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف : ١٣٨]. وكانت تلك الآلهة على مثال البقر، فصاغ لهم عجلا جسدا، أي مصمتا، غير أنهم كانوا يسمعون منه خوار. وقيل: قلبه الله لحما ودما. وقيل: إنه لما ألقى تلك القبضة من التراب في النار على الحلي صار عجلا له خوار، فخار خورة واحدة ولم يثن ثم قال للقوم: {هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه : ٨٨]، يقول: نسيه هاهنا وذهب يطلبه فضل عنه- فتعالوا نعبد هذا العجل. فقال الله لموسى وهو يناجيه: {فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} [طه : ٨٥]. فقال موسى: يا رب، هذا السامري أخرج لهم عجلا من حليهم، فمن جعل له جسدا؟ - يريد اللحم والدم- ومن جعل له خوارا؟ فقال الله سبحانه: أنا فقال: وعزتك وجلالك ما أضلهم غيرك. قال صدقت يا حكيم الحكماء. وهو معنى قوله: {إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ} [الأعراف : ١٥٥]. وقال القفال: كان السامري احتال بأن جوف العجل، وكان قابل به الريح، حتى جاء من ذلك ما يحاكي الخوار، وأوهمهم أن ذلك إنما صار كذلك لما طرح في الجسد من التراب الذي كان أخذه من تراب قوائم فرس جبريل. وهذا كلام فيه تهافت "[٤].

وقرئ: «له جوار»، بالجيم وهو الصياح[٥].

---

[١] التفسير الميسر:١٦٨.

[٢] تفسير الطبري:١١٧/١٣.

[٣] تفسير ابن كثير:٤٧٥/٣-٤٧٦.

[٤] تفسير القرطبي:٢٨٤/٧-٢٨٥.

[٥] انظر: المحرر الوجيز:٤٥٥/٢.

قوله تعالى:{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} [الأعراف : ١٤٨]، أي:" ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟"[١].

قال الطبري:" يقول: ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه، أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا؟ يقول: ولا يرشدهم إلى طريق؟ وليس ذلك من صفة ربهم الذي له العبادة حقًّا، بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله، ويرشد خلقه إلى سبيل الخير، وينهاهم عن سبيل المهالك والردى"[٢].

وقال الزجاج: " أي: لا يبين لهم طريقا إلى حجة"[٣].

قال الصابوني:" الاستفهام للتقريع والتوبيخ أي كيف عبدوا العجل واتخذوه إلهاً مع أنه ليس فيه شيء"[٤].

قال ابن كثير:" ينكر تعالى عليهم في ضلالهم بالعجل ، وذُهُولهم عن خالق السماوات والأرض وربّ كل شيء ومليكه ، أن عبدوا معه عجلا جسدًا له خُوَار لا يكلمهم ، ولا يرشدهم إلى خير. ولكن غَطَّى على أعيُن بصائرهم عَمَى الجهل والضلال ، كما تقدم من رواية الإمام أحمد وأبو داود ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : «حبك الشيء يُعْمي ويُصِم»[٥]"[٦].

قوله تعالى:{اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} [الأعراف : ١٤٨]، أي:" أَقْدَمُوا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه"[٧].

قال الطبري:"أي: اتخذوا العجل إلهًا، وكانوا باتخاذهم إياه ربًّا معبودًا ظالمين لأنفسهم، لعبادتهم غير من له العبادة، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة"[٨].

قال القرطبي:" أي:[ظالمين] لأنفسهم فيما فعلوا من اتخاذه، وقيل: وصاروا ظالمين، أي: مشركين لجعلهم العجل إلها"[٩].

الفوائد:

١- بيان سنة من سنن الكون وهي أن المرء يتأثر بما يرى ويسمع، والرؤية أكثر تأثيرا في النفس من السماع فإن بني إسرائيل رؤيتهم للأبقار الآلهة التي مروا بأهل قرية يعكفون عليها وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلها مثلها هو الذي جعلهم يقبلون عجل السامري الذي صنعه لهم، ومن هذا كان منظر الأشياء في التلفاز وشاشات الفيديو مؤثرا جدا وكم أفسد من عقول ولوث من نفوس، وأفسد من أخلاق.

٢- تقبيح الغباء والجمود في الفكر، وذلك لقول الله تعالى {ألم يروا أنه لا يكلمهم}.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الخامس عشر من التفسير ويليه الجزء السادس عشر بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١٤٩) من سورة «الأعراف».

---

[١] التفسير الميسر:١٦٨.

[٢] تفسير الطبري:١١٧/١٣.

[٣] معاني القرآن:٣٧٨/٢.

[٤] صفوة التفاسير:٤٣٦/١.

[٥] المسند (١٩٤/٥) وسنن أبي داود برقم (٥١٣٠) وقد رواه الإمام أحمد في مسنده (٤٥٠/٦) موقوفا ، قال الحافظ ابن حجر في أجوبته عن أحاديث المصابيح : "الموقوف أشبه".

[٦] تفسير ابن كثير:٤٧٦/٣.

[٧] التفسير الميسر:١٦٨.

[٨] تفسير الطبري:١١٧/١٣.

[٩] تفسير القرطبي:٢٨٥/٧.